

# العقل أساس الدين

تأليف  
سيد محسن السعبري

الجزء الاول

(٢) ..... العقل اساس الدين

---

## الجزء الاول

وفيه

عدة فصول:

فصل في بيان أهمية العقل في الكتاب والسنة.

فصل في بيان العقول العشرة

فصل في بيان أن العقل غير العلم

فصل في بيان بعض ثمار العقل

فصل في بيان علامة العقل

فصل في بيان طرق استكشاف العقل

فصل في بيان طرق تقوية العقل

فصل في بيان آفات العقل

فصل في بيان ان العقل اساس الدين والادب أساس العقل

العقل اساس الدين ..... (٤)

---

## سؤال

قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام:- لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟! وبعث عيسى عليه السلام بآلة الطب؟ وبعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام:- إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله وما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله وبما أحى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال:- الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم،  
قال:- فقال ابن السكيت:- تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟

قال:- فقال عليه السلام:- العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه،  
قال:- فقال ابن السكيت:- هذا والله هو الجواب<sup>(١)</sup>.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

بعد إذن الحق تعالى واستباحة ملكه لنا بفضلته وإحسانه شرعت في بيان أهم الأمور والمركزات التي يبتني عليها الدين والدنيا وهو العقل الذي يعد من أفضل النعم في هذا الكون وهو القائد الراشد لعمارة الدنيا والآخرة وهو المعيار والميزان للثواب والعقاب كما سوف يتبين.

والرافع للإنسان في الدارين والمفرق بين الظلمة والنور والظل والحورور وبين الثرى والثريا وبين البهيمة والإنسانية فهو المخاطب الأول في هذا الكون من قبل الله تعالى.

فأول من اجتمع في ساحة الحق قبل أن يخلق الخلائق وهو هدية الحق تعالى لمن يحب ولم يعطه إنساناً إلا ليميزه عن غيره من البهائم اجتبأ له وإكراماً. وهو الذي من آثاره كانت الآخرة فلولا العقل لم يكن هناك خطاب من الحق تعالى وتكليف ولولا التكليف ما كان هناك شيء اسمه آخره فهو مبدأ النعم في الدنيا ومبدأها في الآخرة على حد سواء بل هو المعيار الذي يوزن به الإنسان في نظر الحق تعالى.

وإن كثرة الثواب والعقاب على قدر العقل الموجود في الإنسان ولما رأيت هذا علمت أن الكثير قد أخطأ الطريق وتخبط العشواء وضلوا وأضلوا بتركهم طريق العقل.

فأنت ترى أن الناس يدرسون الكثير من العلوم أو أنهم يعبدون الله تعالى بالأقوال والأفعال فيكثرون القيام والقعود ويتصدقون بالنقود.

ولكنهم غفلوا عن الطريق الأوفى والأعظم الذي يدر عليهم الخير من الثواب وما يدفع العقاب وهو العقل ولم يعلموا أن الثواب والعقاب على قدر عقل الإنسان فلوا أن الإنسان عبد ما عبد وليس له عقل فما وجد.

## العقل اساس الدين ..... (٧)

فكان من الأجدر أن يهتموا بالعقل لا ببعض جنوده كالعلم والعبادة فنرى الإنسان عالماً أو عابداً ولكن ليس له عقل فسرعان ما يضل .  
ووصفهم الحق تعالى كالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث أو كالحمار يحمل أسفارا أو أضله الله على علم.

ثم انه سمعنا عن بعض الناس الذين ضلوا عن الطريق وضاق بهم المضيق أنهم من أهل العلم والشهادات ويتذرعون أصحاب البدع بذلك .  
ويقولون إن أصحاب هذه الفكرة أناس مثقفون يحملون الشهادات وبعض العلوم (ففلان أستاذ وفلان دكتور وفلان كذا...) نسوا أن العلم شيء والعقل آخر.

كما سوف نبين بإذن الله تعالى ونسوا أن الضلالة تجتمع مع العلم كما ذكرت الآية المباركة (وأضله الله على علم) فهو عالم ولكن ضل؛ وذلك لعدم وجود العقل وسوف يتضح من ذلك الشيء الكثير.  
فلهذا عمدت لكتابة هذه الأوراق التي بين أيديكم عسى أن ينفعني بها الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) سائل الله تعالى أن يمنحني التوفيق وتيسير الطريق إنه كريم جواد.

٢٤/رمضان المبارك/١٤٣٠هـ

(في يوم عرض الأعمال على الرسول ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ)

١٤/٩/٢٠٠٩ / يوم الاثنين.

## فصل

### في بيان أهمية العقل في الكتاب والسنة

ليعلم الأخوة والأحبة أن هدي من كتابة هذه الأوراق الفات النظر إلى أهم شيء في وجود الإنسان وله الارتباط الوثيق في مسيرته اتجاه حياته المادية والمعنوية و لما رأيت من الغفلة المفرطة وتجاهل هذه النعمة وإن لها الأثر البالغ في اختيار طريق الحق والعصمة عن الباطل.

كما سوف يتضح إن شاء الله تعالى استدعى مني أن أبينه ضمن مراحل عديدة حتى تكتمل الصورة التي أهدف إلى زرعها وإيجادها في أنفس الأحبة. فأول خطوة يجب إتباعها هو بيان نظر القرآن الكريم إلى العقل ومدى اهتمامه بهذا الواعز الإلهي فنقول ومن الله التوفيق قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)<sup>(١)</sup>.

فالمرئي من هذه الآية المباركة أن الحق تعالى في خلقه العظيم وتدبيره الجسيم له خطاب لأولي الألباب أي أصحاب العقول الذين منحهم الحق تعالى هذه القوة المباركة .

فهذا الكون وما يدور فيه من تدبير كله يعد خطاب الحق تعالى لأصحاب العقول فهو قاصدهم في كل فعل ونظام لذا فهم يخاطبونه ويناجونه أيضا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار.

(١) سورة البقرة / آية ١٦٤.

## العقل اساس الدين ..... (٩).

فالكون حوار وحديث متبادل بين أصحاب الحق والعقول وأما غيرهم فهم همل كالنعم والعجماوات لم يقصدوا ويعتبروا بأدنى اعتبار أو خطاب. بل جعلهم بمثابة البهائم والدواب ومن كان هذا حاله فالموت خير له قال تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)<sup>(١)</sup>. فأقول الذي يجب على من فيه عصب الحياة الغافل عن مقام نفسه المعرض عن نداء ربه ينبغي أن يفزع من هذا الكلام الصادر من الحق تعالى. فالحق تعالى يقول إن أصحاب الجهل والذين لا يعملون بالعقل وقوة الإدراك فهم كالبهائم وهذا ذم وتعريض يجب عنده الفزع لمثل هؤلاء. علما أن الحق تعالى لم يعرض عن الجاهل جزافا بل لأنهم لا ينتفعون بالخطابات الإلهية والكرامات الربانية قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)<sup>(٢)</sup>. وهذه من الأمور الوجدانية فإن الإنسان الجاهل المحروم نعمة العقل خطابه لغو محض بل هذا من شأن عامة الناس فهم لا يخاطبون الذي لا يفقه و الذي لو خوطب لم ينتفع ولم يسمع. فبعد اهتمام الله تعالى بأصحاب العقول لا نجد محيص عن الاهتمام في تكميل هذه النعمة الربانية والتخلف عن تقويتها وإزالة الموانع عن ترقيقها كما سوف يتبين إن شاء الله تعالى. وعليه نذكر جملة من الآيات المباركة التي تعطي الصورة الواضحة إن هذا الكتاب المبارك وإن الرسل والنذر والآيات والخطابات كلها تخص أصحاب العقول فقط ولا ينتفع بها إلا هم.

---

(١) سورة الأنفال / آية ٢٢.

(٢) سورة الانفال / آية ٢٣

- قال تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) (١).  
- (وما يذكر إلا أولوا الألباب) تجد في هذه الآية المباركة وسابقتها إن هذه الخطابات الإلهية تخص أولي الألباب حصرا .  
- قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٢).

- (فاتقوا الله يا أولي الألباب).  
- (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (٣).  
- (إنما يتذكر أولوا الألباب) (٤).  
- (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) (٥).

في المقابل كذلك أن القرآن الكريم بين قضية مهمة نلفت النظر إليها وهي أن سبب تخلف الإنسان عن الفائدة من الخطابات الإلهية وعدم الانتفاع بها والانحراف عن الجادة المستقيمة والمحجة البيضاء هو فقدان العقل أو لعدم إتباعه .  
- قال تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) (٦).  
- قال تعالى (وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) (٧).

ففي هذه الآية المباركة معنى بليغا يفتضح به هؤلاء الذين يسخرون من أصحاب المساجد والذين يواظبون على صلاتهم ويستجيبون لأذان ربهم .

---

(١) سورة البقرة / آية ٢٤٢ .

(٢) سورة آل عمران / آية ١٩٠ .

(٣) سورة هود / آية ٢ .

(٤) سورة الرعد / آية ١٩ .

(٥) سورة طه / آية ٥٤ .

(٦) سورة المائدة / آية ١٠٣ .

(٧) سورة المائدة / آية ٥٨ .

فإن الله تعالى ذمهم أي الذين يستهزؤون وبين حالهم بأنهم قوم لا يعقلون أي لا يفقهون أهمية الصلاة وما تدعوا إليه من سعادة الدارين فلو كانت لهم عقول لما سخرها منها ومن أصحابها.

وبين الله تعالى حالهم وضمهم إلى حظيرة البهائم نعم نحن نسمع كثيرا من الذين لا يصلون عندما تسأله لماذا لا تأتي إلى المسجد؟ يقول:- كلهم أصحاب نفاق غافلا عن مقام نفسه بأنه من المتكبرين ومن المحرومين ومسلوبي التوفيق وإن هذا من أقبح أنواع العجب والتكبر ولو لم يكن في القرآن إلا هذه الآية لما فيها من الدم؛ لكفى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)<sup>(١)</sup>.

أي أن التفرقة التي يحدثونها بينهم هو نتيجة فقدان العقل فلو كان لهم من العقل شيء لا تحدوا وغنموا ثمرة الإتحاد.

فالتفرقة ليس من ثمار العقل بل من ثمار الجهل ونتائجه فتحصل أن أسباب تخلف الإنسان عن الركبان هو فقدان ليس غير قال تعالى (وما يذكر إلا أولوا الألباب).

إن في تعبير القرآن الكريم عن العقل باللب وتسميته بذلك حكمة بالغة وإشارة لطيفة فإن في هذه الآية المباركة وغيرها التي تعبر عن العقل باللب تعطي نتاجا جوهريا.

إن الإنسان وكل ما يحويه هو بمثابة القشر الذي لا يسمن ولا يغني من جوع اتجاه تحصيل المعارف وإدراك الآيات.

فلب كل شيء خالصة وخيره وجوهره أي حقيقته وقوامه وهو المقصد والمتوخى كما في لب الجوز واللوز ونحوها من الأثمار فهو من أروع التعبيرات اتجاه العقل البشري وبيان الجوهر الإنساني.

وبهذا يتضح لنا أن من لا عقل له كالجوزة التي لا لب لها أي انه لا يعبا بها ولا قيمة لمن لا عقل له .

وفي حقيقة الأمر أن العقل له مراتب عديدة ويتصف بالقوة والضعف كما سيتضح ذلك إن شاء الله تعالى.

واللب من أعلى مراتبه وهو العقل الخالص من شوائب الأوهام والماديات والحصول على مراتب التذكر والتفكير ونيل مقام الاستجابة الفعلية والظهور على الساحة العملية؛ وذلك من خلال التدبر في وصف ذي اللب عندما يذكره القرآن الكريم فقد مدحهم تعالى:-

- بأنهم أهل الإيمان بالله تعالى.
- والإنابة إليه.
- وإتباع أحسن القول.
- وإنهم أهل ذكر دائم.
- وإنهم أهل المعارف الحقة والحكمة البالغة.
- قال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)<sup>(١)</sup>.
- قال تعالى (لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم)<sup>(٢)</sup>.

- وقال تعالى (وما يذكر إلا أولوا الألباب)<sup>(٣)</sup>.
- وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سورة الزمر / آية ١٨.

(٢) سورة آل عمران / آية ١٩١.

(٣) سورة البقرة / آية ٢٦.

(٤) سورة الزمر / آية ٢١.

فالكون بما فيه من آيات وحوادث منفعته لأولي الألباب لذا أنا أخاطبهم وبين الله تبارك وتعالى أنه لا شأن لهذا الكون عندي سوى أهل العقل. فالناس تنعم بخطابي ورحمتي بفضل الخاصة وهم أهل العقل فأنتم أيها الناس تأكلون في آنتهم ولكن لا تعلمون وهذا ديدن حتى عامة الناس والأساتذة. فإنهم يوجهون خطاباتهم للعامة لكن عنايتهم الخاصة لمخاطبيهم أي لمن يفهمهم ولذا يكثر الأستاذ النظر إلى من يفهم دون غيره. وقد وردت روايات تسند هذه الحقيقة أكثر من أن تحصى مشيرة إلى أنه لو لم يكن في الأرض منا أي أهل البيت لساخت الأرض بأهلها وما خلقت سماء مبنية ولا أرض مدحية... إلا لأجل هؤلاء.

### فائدة

يجد المتتبع للآيات والروايات أن الحق تعالى دائما يحاكي الإنسان ويخاطبه ويكاشفه ويداعبه. وإن هناك لغات ومحادثات يطرحها الحق تعالى بينه وبين عباده والمحاورات الدائرة كثيرة جدا. والمحروم من كل هذا هم الغافلون الذين فقدوا الشعور بالحياة بالمرّة من خلال كثرة ارتكاب المعاصي حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. ولم ينعم بهذه المحاورات سوى أهل العقول الذين منحهم الله تعالى بشري الحياة وجرهم إلى التمتع بمحضته المقدسة حتى صاروا يبتهلون إلى الله تعالى ببقاء هذه المحادثة والتي منها الكثير سنن البلاء التي أوجدها الحق تعالى في أرضه. فالبلاء للمؤمن محادثة منه تعالى وعناية يتنعم بها الأولياء ويحرمها الأشقياء الذين لا يصبرون، فأنتم تسمع من المعصوم عليه السلام (اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى)، وزينب بطلة كربلاء ترفع رأس الحسين عليهما السلام وتقول:- (اللهم تقبل منا هذا القربان)، وقول الحسين عليه السلام:- (لو قطعوني بالحب بك إربا إربا ما مال الفؤاد إلى سواك).

وقول زين العابدين عليه السلام في دعائه:- (ولك الحمد ما أحدث بي من علة في جسدي فما أدري يا إلهي أي الحاليين أحق بالشكر لك وأي الوقتين أولى بالحمد لك أوقت الصحة التي هنأتني فيها، أم وقت العلة التي محصنتني بها والنعم التي أتخفتني بها تخفيفا لما ثقل به على ظهري من الخطيئات وتطهيراً لما انعمت فيه من السيئات وتنبهها لتناول التوبة وتذكيراً لمحو الحوبة بتقديم النعمة... الخ<sup>(١)</sup>).

ففي التدبر نجد أن الإمام سلام الله عليه كيف انتفع من هذا الخطاب الإلهي - الابتلاء- وكيف حاور الإمام الحق تعالى وأجاب ربه بكلمات الحب مزخرفة بالشكر وهذه الفوائد مستوحاة من آلة العقل، فالعقل هو المرشد للانتفاع واستخراج هذه الكنوز من هذا الحوار.

- من هذه الخطابات القرآن الكريم فإن الوارد أن الإمام عندما يقرأ القرآن يرى كأنه يحادث الله تعالى فهو حديث الحق تعالى مع البشر.

- ومنها هذه التكاليف الإلهية من أحكام العبادات والمعاملات فنفس هذه التكاليف هي خطاب مع الحق والاستجابة له والطاعة جواب وحوار بل ما أعظمه من حوار.

- ومنها هذه الآيات المباركة وصنع الله العظيم في نفس الإنسان وفي هذا الكون ففي هذا الأمر لا نجد أحد من الناس لم يحاكيه الحق تعالى قال تعالى (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين أنه الحق من ربهم).

ولذا قال الإمام الحسين عليه السلام:- متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً.

إلا أن هذه المحادثة الإلهية لم ينعم بها إلا أصحاب العقول فطوبى لهم وحسن مئاب وهذا ما يدعوا بدوره إلى ايقاض النفس للحصول على المراتب العظيمة للعقل والاهتمام بجانبه أكثر من غيره.

### وأما السنة :-

وفي هذا المقام نتحدث عن ما جاء في السنة الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام من أن دور العقل في بناء الحياتين لا يضاهيه دور وأن المتعبد من غير عقل (كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح من مكانه) فنقول ومن الله التوفيق وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم قال عليه السلام:-

• يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال (بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب).

أقول لا يخفى ما في تعبير الحق تعالى من عناية بأصحاب العقول فيقول (بشر عبادي) أكرمهم البشري ونسبهم إليه وهذا اجتناب والاجتناب لا يزهده إلا الجاهل .

• يا هشام إن الله جل وعز أكمل للناس الحجج بالعقول وأمضى إليهم بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال (وإلهم إليه واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون).

• يا هشام قد جعل الله جل وعز دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا فقال (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

- وقال (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون).

- وقال (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

• يا هشام ثم أوعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدنار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون).

- وقال (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون).

أقول إن هذه الحقيقة التي يذكرها القرآن الكريم من وصف أحوال الدنيا من أنها لهو ولعب وتفاجر ومتاع لا تكون بارزة بينة إلا لأصحاب العقول الذين منحهم الله الحكمة وعرفوا أحوال الدنيا وتقلباتها.

وما فعلته بمن أخلص إليها الود والحب حيث أنها أردتهم حفرا فيا بس ما نزلوا واستبدلهم بعد شم النساء بالدود على الوجوه ينتقل وحملتهم أوزار لا قبل لهم بها.

فالويل لهم لما حملوا وبعد طيب الطعام وأكله قد أكلوا كل هذا لا يكون إلا لأهل العقل هم الذين يدركون مثل هذه الحقائق ونحن نجد الوجدان وشاهد العيان أن الجهلاء قد انكبوا عليها ونالوا منها ما نالوا ولم يعتبروا بوعظ وإرشاد لهم فباعوا دينهم ومرؤتهم وأخلاقهم لأجلها.

ومنهم من تغرب الأوطان وأهلك الزمان وفقد الأمان كل ذلك لأجلها ولم يعتبرها ويجعلها كما أراد الحق تعالى من أنها دار تزود وأنها محل أولياء الله لنيل الآخرة.

• يا هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه فقال (ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون).

• يا هشام ثم بين أهل العقل مع العلم فقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون).

• يا هشام ثم الذين لا يعقلون فقال (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون).

- وقال (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون).

- وقال (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون).

أقول على الإنسان الواعي الذي يدرك أهمية البيانات الإلهية والحكم الربانية أن لا يمر على هذه الآيات المباركة مروراً عابراً من دون تفكير وتأمل وإيقاظ .

فإن هذه الآية المباركة من غرر الآيات التي تهدف إلى تنظيم مسيرة الحياة في أوساط المجتمع المنحرف حيث أنها بينت أن الحق لا تشهد به كثرة الناس ولا يتمثل بهم.

فهذا المعيار بصدده تصحيح الفكر البشري الذي يعتمد على بيان الحق بالكثرة والشيعاء فبينت بعد هذا الاعتقاد أن الأمر ليس كذلك بل قد يتمثل الحق في واحد في قبال الجميع.

كما في نبي الله نوح عليه السلام حيث لم يؤمن إلا النزر القليل جداً بعد جهد امتد مئات السنين وكذلك لوط عليه السلام حتى وصل الحد إلى زوجته وهكذا...

بل هي تؤكد وتشير على أن الحق في الغالب تمثله القلة لذا يثبت أن الطاعة لأكثر أهل الأرض ضلال وانحراف عن الجادة وسيأتي في كلامه عليه السلام مدح القلة.

• يا هشام ثم مدح القلة فقال (وقليل من عبادي الشكور)، وقال (قليل ما هم)، (وما آمن معه إلا قليل).

• يا هشام إن الله يقول ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) يعني العقل وقال (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب).

• يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

أقول أن ارتباط بعثة الأنبياء بالعقل والتعقل وثيق وهذا يعطي النتيجة التي نتوخاها من هذا البحث وهو إدراك دور العقل وأهميته.

ففي هذا المقام يظهر أن الغرض متعلق بالعقل والعقلاء وأما غيرهم فهم كالنعم ولم يرتبط بهم أصل البعثة ولأن الجهال لا يحكمون نور الشريعة وبعثة الأنبياء بشيء كالمعلم للمجانين والحمقى .

مهما كان ذلك الأستاذ ماهرا وعالما لكنه لا يظهر اثر علمه ومهارته في أحد منهم وبذلك يبطل الغرض ويكون خلاف الحكمة فنور الحياة الدنيا والآخرة هو بالعقلاء لا بغيرهم.

• يا هشام نصب الخلق لطاعة الله ولا نجاة إلا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد لا علم إلا من عالم رباني ومعرفة العالم بالعقل.

أقول أي أن الحق تعالى نصب الخلق لأجل الطاعة وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون ويبين عليه السلام أن ذلك يحصل بالعلم لأنه مصباح الهداية ولولا العلم ما عبد الله.

فإذا جهلت الحق تعالى كيف لك عبادته فكلما أردت الإحسان فتسيء وبين أن العلم يشدد ويستحكم وينقى بالعقل دون غيره .

ثم بين أن العلم الذي يجب أن يؤخذ لابد أن يكون من عالم رباني لا من كل أحد كما يقع لدى الكثير من أصحاب الجهل فإنهم يتبعون كل ناعق ولا يميزون بين الثرى والثريا.

فالعالم الرباني هو العالم الذي يكون فعله وحركاته وسكناته لله تعالى ويخرج الناس من المحاربة إلى السلم ومن الحسد إلى النصيحة ومن الرغبة إلى الزهد ومن الغلظة إلى اللين ومن الفظاظة إلى السماحة ومن البخل إلى الجود ومن الحرص إلى الإيثار.

ثم بين عليه السلام أن قيمة العالم ومعرفة علمه لا يكون إلا بالعقل فالعقل هو الذي يميز بين الخبيث والطيب ويوزن الكلام ويحكم النظام ويكشف الغمام فإن العقل دوره دور كشف في معرفة العالم الرباني ومن دونه يتخبط العشواء.

• يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله في المسألة بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى... الخ.

أقول حث الإمام عليه السلام على طلب العقل ليتسنى للإنسان الحصول على راحة القلب التي هي من أسمى وأكثر طلب الطالبين. ولكي يتخلص من الحسد الذي هو أول الخطايا التي ارتكبت في حق الله تعالى وأول معصية برزت اتجاه الحق فإنها فعل إبليس اللعين.

فإبليس حسد ثم تكبر ومعاوية حسد ثم نصب العداء لأمير المؤمنين ولأهل البيت عليهم السلام وهو الذي أفسد الحياة وضرب الديار والعمران وقتل الرجال والنساء وهتك الأعراض ونشر الأمراض وأباد الأمم وساد الظلم وذكر أن فرعون سأل إبليس هل يوجد أشر منا؟

قال:- نعم.

قال:- من هو؟

قال:- الحاسد.

فالتخلص من هذه الرذيلة لا يكون إلا بطلب العقل الذي يحدث القناعة بجميع مراتبها والتي تعطي الروح والراحة في الدنيا والآخرة؛ لأنه قيل لا راحة لحسود والحسد خصلة والخصلة يتفرع منها جل الرذائل.

وهي التي دعت قابيل لقتل هابيل فهي أول معصية بالسماء وأول معصية في الأرض وعليه لزم طلب العقل والاهتمام به للتخلص من أم المهالك وآفة المسالك وهي صفة الحسد .

وطالب السعادة ومنشد الراحة إذا تصدى لذلك مع هذه الصفة كالتالي من الماء جذوة نار وتابع السراب في عذاب...!

• يا هشام إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ولم يجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا؛ لأن الله لا يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

• يا هشام ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل.. الخ إن هذا الحكم منه عليه السلام استنادا إلى ما يؤمنه العقل من عدم الوقوع في مزالق الكفر والجحود وعدم الزيغ عن الطريق والجادة الحققة.

وإنه لا يصبو إلى الدنيا مهما بالغت في رغبتها إليه بل بالعقل يزن الأمور ويحكمها ويصرف إغرائها وما يهوي إليه منها إلى الآخرة فلو أصاب من خلالها شيء لصرفه في دفع الحرام كما لو أنه أصاب دابة لصرف بها نفسه عن الذل والحاجة إلى الناس.

فإن السؤال ذل ولو من أين الطريق ولو نال الولد ورزق لكان الهدف تأمين النفس من الحسد وإثقال الأرض بالتسييح وهكذا... وهذا لا يكون إلا بتعريف العقل ودوره البالغ.

وبالعقل يدرك أهمية العبادات وشيء من غاياتها ويتعقل بالعقل الهدف منها ويفرق بين البهائم والإنسان وبالعقل يدرك ما يقوم الإنسانية وما يصرف عنها.

فمثلا نجد الإمام زين العابدين يرى إن جحود النعم كفر وإنه من أصناف البهائم وبالشكر الإنسان يخرج من حظيرة البهائم إلى مقام الإنسانية.

وهذا يكون بدور العقل فالعقل يرى أن الإنسان الذي ينعم ويحفل بنعم الله تعالى ثم لا يلتفت لمن انعم عليه ويغفل عنه من صفات البهائم حيث أنها عندما يقدم لها الحشيش لا تستشعر أهمية ذلك ولا ترى لملكها ومنعمها الفضل أما العاقل فهو من لا يشغل الحلال شكره.

فالعبادة الحقة لا ينالها الإنسان بجهله وليست هي كالأموال الدنيوية من المناصب والجاه والشهرة وكثرة المال فإن ذلك ربما ينالها الكثير من الناس الحمق وأصحاب الجهل بل هي حظهم فإن الله ربما يرزق الحمق ليعتبر العاقل.

فأما المناصب الآخروية والمقامات الربانية والعبادات الإلهية لا تكون إلا لأصحاب العقول لذا لم يعبد الله تعالى كما لو عبد بالعقل فإن العقل عقال عن المعصية والوقوع في الهاوية فرغبة العاقل تختلف تماما عن رغبة الجاهل فإن الجاهل لا قيمة لرغبته ولا لتوجهه ولا لمدحه.

فإنه كما يرغب ينفر وكما يمدح يذم لذا من المفروض أن لا يفرح أصحاب المناصب والشهرة بمدح عامة الناس فأنت خبير بذلك وما هم عليه حيث أنهم مدحوا كل من علا هذه المناصب الوهمية ومدحهم بما ليس فيهم لذا سوف يقولون ويذمون بما ليس فيهم أيضا تراهم يحيون بكلمة (بالروح بالدم نفديك يا فلان) لزيد وعدوه وذلك لجهلهم.

فالعقلاء لا يفرحون بهذه الألسن لأنها أوعية للقذارات فإنها حملت مدح أهل الفسق والفجور ولا يفرح بظهور صورته على شاشة التلفاز؛ لأنها ظهرت

عليها صور الكلاب والقطط والخنازير ولا يفرح عندما يجد صورته في المجلات؛ لأن محلها المزابل وتكون فرشاً للأطعمة وهكذا... هذا هو دور العقل.

- يا هشام أن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرهما الرجال ذووا العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

الحذر من الدنيا أمر حثت عليه الشريعة ودعت إليه بشتى الأساليب وأصناف الطرق فالمذكور في نهج البلاغة من ذلك الشيء الكثير وبينت طرق إغوائها للبشر لكن كل ذلك متوقف على وجود العقل فالعقل هو جهاز الاستلام لمثل هذه المواعظ وما لم يكن هناك عقل،

فلا تنفع النذر وقلما نجد ممن يهتم بالعقل ويعطيه الدور الفعال في حياته ويتفاوت الناس في اخذ المواعظ بتفاوت قوة العقل فهو كجهاز الاستلام الموجود في الأجهزة العصرية ليس هناك قصور في البث وإنما التقصير في جهاز الاستلام وإلا فان الله يمد الجميع بمواهبه السنية .

- يا هشام ما قسم بين العباد أفضل من العقل نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وما بعث الله نبيا إلا عاقلا حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين وما أدى العبد من فرائض الله حتى عقل عنه .

أقول الإنسان أودعه الله تعالى الكثير من النعم ورزقه ما لا حد له ولا إحصاء وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكن أفضل ما قسم بين العباد وهذه الحقيقة الربانية هو العقل، فالإنسان دون العقل لا يقاس حتى بالنعم لأن الغرض من الأنعام يحصل بدون العقل وكذلك دوره في مقصد الحياة البشرية.

وأما الإنسان فلا دور له من دون السر الإلهي وهو العقل فهذا من جهة ومن جهة أخرى أن في هذا الحديث المبارك بيان لأهم ما يمكن أن يقال في دور العقل .

فإذا كان العقل والعاقل هكذا نومه أفضل من سهر الجاهل أي السهر الذي نقضيه بالذكر والعبادة وبذل الجهد في قيام الليل فنوم العاقل أفضل منه .

فالخري بالملكف والذي يريد أن يبتدئ بالعبادة أن يحرز وجود العقل ويحرص على كماله وجماله وكل ما يقويه ويمتنع عما يضعفه كما سوف نبين إن شاء الله تعالى.

فالدور في تحصيل الثواب والعقاب للعقل دون غيره فالعاقل يكون قد اختصر الطريق وتاجر الله في نومه فضلا عن يقظته.

وهذه الحقيقة التي أنارها الحديث المبارك ليست جزافا بل أقول وليس من باب المبالغة أبدا أن جلوس العاقل العالم في بيت الخلاء عند قضاء الحاجة أفضل من عبادة الجاهل وهو في المحراب ولو أذن لي لبينت ذلك بالأدلة الوجدانية فضلا عن غيرها من الأدلة كما يفهم من مضمون هذا الحديث.

فإن نوم العاقل أفضل فكيف ييقظته في كل الأحوال حتى في بيت الخلاء فهي مشمولة بالأفضلية أيضا وراجعة على عبادة الجاهل هناك بعض العلماء يواصلون التفكير في حل معضلات المسائل وهم في حال قضاء الحاجة.

بعضهم يبكي شكرا لله على نعمة العافية وتمام العافية فهو في ذكر من ربه وفي عروج متواصل فموسى عليه السلام يقول:- ربي إني تمر علي أحوال أجلك من أن أذكرك فيها! قال:- يا موسى اعلم أن ذكري حسن على كل حال<sup>(١)</sup>.

ونقل عن بعض العلماء كان يعطي درس - البحث الخارج - في المنام أكثر دقة من يقظته وبعضهم يحلون المسائل الكلامية والعقائدية في نومهم عن طريق الرؤيا كما حصل ذلك للشيخ المفيد (قدس سره) فراجع الاحتجاج.

وغير ذلك مما يطول المقام فيه بخلاف الجاهل فأنت تجده في محراب الصلاة ساهيا لاهيا غافلا مرائيا متكبرا لا يعلم ما يقول فلا ينتبه حتى يرى أنه في التسليم الأخير بل لو انتبه لما عقل ما يقول وبعضهم يحل مشاكله في الصلاة والبعض يخطط مشروع البناء في صلواته وإلى غير ذلك هذا فضلا عن ثبات العاقل وتزلزل الجاهل فقليل قر خير من كثير فر .

(١) بالمضمون.

والعقل هو في الحقيقة سلم الخلاص والإخلاص لله تعالى فالعروج به ليس كما يكون بغيره فهو المطهر من ثوب الشرك وهو الراعي للتوحيد وإحياء الفطرة السليمة وبذلك بلغت ضربة علي عليه السلام يوم الخندق أنها تعدل عبادة الثقلين فطوبى له وحسن مثاب وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فتحصل أن الخوض في بناء العقل أمر ضروري والغفلة عن هذا الأمر والمشروع الإلهي غفلة عن بناء الحياة الآخروية فالعقل يبيع الركعة بألف أو بعبادة الثقلين كما علمت والجاهل يبذل كل الجهد والنتيجة يبيع الألف بواحد!!

عن إسحاق بن عمار قال:- قلت:- لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن لي جاراً كثير الصلاة كثير الصدقة كثير الحج لا بأس به قال:- فقال:- يا إسحاق كيف عقله؟ قلت له:- جعلت فداك ليس له عقل فقال:- لا يرتفع بذلك منه<sup>(١)</sup>.. ولقد أضاء الصبح لذي عينين .

- يا هشام مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة ومشاورة العاقل الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب .

أقول أن المتأمل في هذه الأحاديث المباركة والآيات الكريمة من وصف العقل والحكاية عنه بهذا الشكل يعطي بيانا واضحا من أن للعقل ولهذه الحقيقة الربانية علاقة تكوينية مع حقائق الأمور وهي علاقة الكشف الحقيقي لها.

وأن الحق تعالى أعطى هذا الدور للعقل من أصل التكوين وربط حقائق الأمور به ارتباطا وثيقا وهذه الهيمنة ليست حاصلة من جراء مجارات الأمور ومسايرتها فحسب بل لأجل أنه في أصل النشأة أعطى للعقل درك المكونات والعلل والأسباب فأحفظ ذلك.

(١) الكافي ج ١ ، ص ٢٤ ، كتاب العقل والجهل.

لذا فهو يعطي التسديد لصاحبه وربما يساعد ذلك قول بعض العلماء أن للعقل البشري مركزا في عالم الملكوت الممتد منه كالشمس وشعاعها وهذا ليس بعيد كما سوف نشير إليه في بيان حقيقة العقل بعونه تعالى.

- يا هشام اعرف العقل وجنده والجهل وجنده تكن من المهتمدين، قال هشام:- لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال عليه السلام:- ... الحديث.

أقول في هذا الحديث المبارك نخط رحلنا بإذن الله تعالى بعد بيان عدة أمور وبحوث إن شاء الله تعالى ويكون محط نظرنا؛ لأجل أن الغرض من تأليف هذه الرسالة هو بيان هذا الحديث بعينه أي لما حرصنا على تحصيل العقل والاهتمام به وبيان دوره.

فإن كل ذلك لا يكمل ولا يثمر حتى نبين طريق تكميل العقل وطريق بناء العقل وتكميله يكون بتقوية جنوده التي يذكرها الإمام سلام الله عليه تفصيلا إن شاء الله تعالى.

إلا أن الذي أقوله هو إن الإمام سلام الله عليه في هذا المقام يبين الحقيقة التي خفيت على الكثير من هذا الخلق الذي يريد الهداية وخصوصا طلاب الحقيقة فإنه عليه السلام إشارة إلى أن الهداية للحق لا يكون إلا بالعقل.

والعقل بمعرفه جنوده فتحصل أن معرفة العقل والاهتمام بجنوده من الضروريات الحتمية التي ينبغي عدم التغافل عنها والإهمال معناه فقدان الهداية وفقدان الهداية هو فقد الحياة وخسران الآخرة فضلا عن الدنيا .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- (همة العقل ترك الذنوب وإصلاح العيوب)<sup>(١)</sup> أقول الوصف هنا للفعل وليس لصاحبه.

فالعقل هو الذي تكون همته إصلاح العيوب فهو الملك الرحماني الموضوع في ذات الإنسان الذي يعمل على تسديد خطى الإنسان الجوارحية والجوانحية فهو مركز حياة النفس البشرية.

وهذا الدور هو الذي يتوخاه العبد في حياته ويطلبه حثيثا وأنت خير أن هذه النتائج موقوفة على العقل هذه النعمة المباركة من قبل الله تعالى وقال عليه السلام:- أصل الإنسان لبه<sup>(١)</sup>... أي أن الإنسان شرافته وكرامته ليست بالمظاهر والمتعلقات من هذه الدنيا الفانية وإنما هو العقل.

فإن البعض الذين يحترمهم الناس ويقدمونهم ويفادونهم بأنفسهم لو جئت إليهم وجردتهم من ملابسهم البراقة ودوابهم الفخمة وقصورهم المزخرفة لما كان يعدلون بجناح بعوضة ولم يلتفت إليهم أحد.

ففي واقع الحال ليس لهم أي اعتبار وقيمة وإنما ذلك الاعتبار لما يملكونه ويتزينون به وذلك؛ لأنهم اهتموا بالمظاهر البراقة وكانت تلك تجارتهم.

وأما لو جئنا لعلي عليه السلام وجردته من كل شيء والحال أنه مجرد لقد رقت الرقعة حتى استحيت من راقعها دخلت الكوفة بهذا ولا أخرج إلا به.

فإنه عليه السلام ما كان إلا عزيزا مكرما عند خصمائه الذين شهدوا له بالفضل والعظمة والكرامة.

فبلغ أن ضربته تعدل وترجح على عبادة الثقلين بالإخلاص وتربية النفس لا بالذهب الذي رجع على قبره الشريف وظل راعيا إلى الأبد إذا فقيمة علي في نفسه المباركة وعقله الكامل المكمل لذا نجد أن فكر علي صارح العدو إلى يومك هذا.

وفقاً عين الفتنة إلى أن تقوم الساعة وفوت الفرصة على أعداء الدين كعماوية وأمثاله من أصحاب هذا الزمان وكيف كان فإن التفاضل يكون بالعقول الراسخة بالعلم ومن لم يكن له عقل لا قيمة له.

أقول هذا حتى يهتموا الأخوة بالجانب العقلي والفكري والنفسي فإن هذه هي التي يركز عليها حقيقة البشر وإلا هذا البدن سوف يبلى ولا قيمة له حتى يهتم الإنسان به.

ثم ربما الكثير وأغلبهم كذلك يهتمون بأبدانهم ويتزينون كما تتزين النساء ولم يهتموا بعقولهم ولو للحظة واحدة فيعيش كالنمل ويموت كموته!!  
عن الصادق عليه السلام قال:- فخمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع قيل:- وما هي يا بن رسول الله؟ قال:- الدين والعقل والحياء وحسن الخلق وحسن الأدب<sup>(١)</sup>.

قيل لأبي عبد الله الصادق عليه السلام:- فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا،

قال:- كيف عقله؟

قلت:- لا أدري.

فقال:- إن الثواب على قدر العقل!!

إن رجلا من بني إسرائيل كان يعبد الله عز وجل في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء، وإن ملكا من الملائكة مر به،

فقال:- يا رب أرني ثواب عبدك هذا؟

فأراه الله عز وجل ذلك، فاستقله الملك.

فأوحى الله عز وجل إليه أن أصحابه.

فأتاه الملك في صورة أنسي فقال له:- من أنت؟

قال:- أنا رجل عابد بلغنا مكانك وعبادتك بهذا المكان جئت لأعبد معك

فكان معه يومه ذلك.

فلما أصبح قال له الملك:- إن مكانك لنزهة.

قال:- ليت لربنا بهيمة!!

فلو كان لربنا حمار لرعيناه في هذا الموضع فإن هذا الحشيش يضيع.

فقال له الملك:- وما لربك حمار؟

فقال:- لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش !

فأوحى الله عز وجل إلى الملك إنما أثيبه على قدر عقله<sup>(١)</sup>.  
أقول بعد هذا البيان منه عليه السلام لقد ظهر للعيان ما للعقل من مكان  
فإن العقل هو المحور الأساسي الذي يدور عليه الثواب والعقاب كما بين سالفًا.  
أما أثر العبادة من دون العقل فهي بضاعة خاسرة فما لم يقض على هذا  
الجهل المستحكم في النفس ويعرج إلى أوج المعرفة الإلهية بأجنحة العقل ويقتل  
جنود الجهل بجنوده ويحرر مملكته من أسر الجهل وضبابية الأوهام لا يرقى  
للإنسان قدم في مراقبي العبودية؛ وذلك لأن الارتباط إذا كان بالله تعالى عقليا  
يكون أوثق من غيره فيما لم يكن عقليا؛ وذلك لأن الذات الإلهية والصفات  
الربانية والأفعال القيومية لا تدرك إلا بالعقل الكامل فالخضوع للتكليف والإقرار  
بالأحكام يكون بآلة العقل.

أما إذا خلى والجهل فإن المكلف سوف يقع في كثير من المهالك ولا يتسنى  
له سلوك جادة الحق فإنه سيكون محكوم بالهوى والهوى لا يتناسب مع أحكام  
الحق تعالى وأضرب لك بعض الأمثلة:- هوى النفس، نوم الصباح، وترك الصلاة  
أو تأخيرها والعقل بخلافه.

وهوى النفس لا يخضع لقانون الإنفاق والخمس وبعض الزكوات ولكن  
العقل يدرك أهمية الإنفاق ولا يراه إنفاقا بل خلفا في الدنيا والآخرة وإنه يترتب  
عليه مصلحة اجتماعية كبرى وغير ذلك.

وهوى النفس لا ينسجم مع القصاص أو الجهاد ولكن العقل يدرك أن في  
القصاص حياة للبشر وقطع لدابر القتل كما يشهد به الواقع لذا نبه القرآن الكريم  
في مواضع على ذلك:-

- قال تعالى (افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٨٤.

(٢) سورة البقرة / آية ٨٧.

- وقال تعالى ( افتأمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض )<sup>(١)</sup>.

وهكذا التعدد بالزوجات فإن قانون التعدد مبني على الأساس العقلي لما فيه من المصالح العامة التي يطول ذكرها وليس مبنيًا على أساس العاطفة والمشاعر والغيرة التي تتبع عن الجهل والهوى كالغيرة من النساء.

فالإنسان الكامل الذي يريد أن يعرج إلى الله تعالى ويصبح مؤمنا أو عارفا أو عابدا... الخ أول خطوة يخطوها إلى الحق تعالى أن يرى حلال الله حلالا وإن خالف نفسه وإن يرى حرام الله حراما وإن كان فيه هوى نفسه فما لم يتحقق ذلك فحاله كالطالب من الماء جذوة نار.

نعم لا يخفى على البصير أن الأحكام الوضعية التي يضعها البشر كذلك مبدؤها ومنتهاها العقل وإن كان قد يصيبها الإخفاق للقصور البشري فهي كثيرا ما تخالف هوى البشر ولكن تكون ممضاة من الساسة ورعيتهم ولا يحتجون عليها بأنها مخالفة للأحاسيس والمشاعر وغير ذلك كما احتجوا على بعض أحكام الله تعالى فعلى الله يحتجون أما على ساستهم فلا يتفوهون بذلك بل يؤولون لهم الآثار السلبية بالمصالح العامة وغيرها.

فالأحكام الوضعية كالضرائب وتحديد ملكية المال وأخذ الأولاد من آبائهم وإعطائهم للغير؛ لأجل أن الأب قد تجاوز على ابنه هذا كله ليس مخالفا للمشاعر والأحاسيس!! قل لي بربك هل يوجد أكثر من هذا مخالفا للأحاسيس ولفطرة الإنسان بينما يحتجون على الأحكام الإلهية بأنها تخالف إرادة الإنسان وأحاسيسه ومشاعره الرقيقة مع أن جل أحكامهم تخالف طباع النفس البشرية، أهذا حق الله عندنا؟

ولو شئت لبينت ولكن أترك القلم يستريح من الألم، فلنعد ونقول:- قال الإمام علي عليه السلام:- هبط جبرائيل على آدم عليه السلام،

فقال له:- يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحد من ثلاث فأختر واحدة ودع اثنتين،

فقال آدم عليه السلام:- وما الثلاث يا جبرائيل؟  
فقال:- العقل... والحياء.... والدين،  
فقال آدم عليه السلام:- فإني قد اخترت العقل،  
فقال جبرائيل للحياء والدين:- انصرفا ودعاه،  
فقال له:- يا جبرائيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيثما كان،  
فقال:- شأنكما وعرج<sup>(١)</sup>.

يتبين أن الدين ملازم للعقل يكون حيث ما كان وبهذا يستدل ويستكشف أن من لا عقل له لا دين له.

وقال أبو عبد الله عليه السلام:- من كان عاقلا كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام:- إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- ما قسم الله للعباد أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وفطر العاقل أفضل من صوم الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل<sup>(٤)</sup>.

ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضمم النبي في نفسه أفضل من جهاد المجتهدين.

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤١٧.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٢٨.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص ١٨٥.

وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال الله تعالى (وما يذكر إلا أولوا الألباب)<sup>(١)</sup>.

وقد مرَّ خبر إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- قلت له:- جعلت فداك إن لي جاراً كثير الصلاة كثير الصدقة كثير الحج لا بأس به .

قال:- فقال:- يا إسحاق كيف عقله؟

قال:- قلت له:- جعلت فداك ليس له عقل .

قال:- فقال:- لا يرتفع بذلك منه<sup>(٢)</sup>.

أقول هذا الاغترار من الصالحين أو عامة الناس أمر مطرد في عامة الناس والأزمة والأمكنة كذلك وهو السبب في كثير من المشاكل العالقة بالدين فإن الناس لا يفرقون بين الثرى والثريا، بين الغث والسمين، بين الظلمة والنور، بين الظل والحُرور بل الكل عندهم سواء وإن الأشياء عندهم تعكس ضوء الشمس بمستوى واحد وهذا مما أدى إلى الابتعاد عن الدين من جراء ما ارتكبوا بعض المدعين لذلك.

ولكن المشكلة ليست في الأئمة عليهم السلام أو علماء الدين وإنما في الناس أنفسهم فإن أهل البيت عليهم السلام جعلوا معياراً للدين والدين ولكن الناس لم تراعى القواعد من قبل الشريعة فالناس تنسب من ليس له علاقة معنوية وروحية إلى الدين، والعلماء يبتلون بذلك أعانهم الله على هذا البلاء.

فالمعيار الذي يجب على الناس مراعاته هو العقل فالعقل هو ميزان الدين وميزان الثواب وهو قيمة الإنسان عند الناس وعند الحق تعالى فإذا أراد أن يقيم أحدنا الآخر فلينظر إلى عقله لا إلى علمه؛ لأن علمه جند من جنود العقل الذي سوف نتكلم عنه إن شاء الله تعالى.

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٣٠.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٣٩.

فلينظر موالي أهل البيت عليهم السلام إلى أئمتهم كيف يزنون الرجال فإنهم يزنونهم بالعقل ليس غير بخلاف ما عليه الأحبة فإنهم يزنونهم بكثرة المال والأولاد والجاه والشهرة وكثرة العبادة والملق.... والخ.

فهذه موازين باطلة وتظل أصحابها كما ظلت الكثير من أصحاب الحركات المسماة بالمهدوية واليمانية في زماننا هذا الذي تناست به القيم حتى صاروا يؤمنون بالفسقة وشرابي الخمر!

قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام:- لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟

قال أبو الحسن عليه السلام:- إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله وما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم.

قال ابن السكيت:- تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال:- فقال الإمام عليه السلام:- العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه.

قال:- فقال ابن السكيت:- هذا والله هو الجواب<sup>(١)</sup>.

نعم إن هذا الحديث المبارك من أهم الأحاديث التي لا بد من الالتفات إليها والاهتمام بها ولا بد أن يتخذ شعارا ودثارا لأهل البصائر والوعظ والإرشاد فشأنه مقوم لهم ولطريقتهم المثلى فالיום يوم عقل.

فإنه هو السفينة في بحر هذه الفتن وهو الدرع الواقية من مضلات هذا الزمان وبه يكتسب دين المرء الأمان ويضمن العبد على الله الجنان فإنه النور الساطع الذي يكتشف به أهل الصدق وأهل الكذب.

وهو الميزان الواحد الفارد الذي يوزن بين الحق والباطل ومن دونه يكون الإنسان غارقا لا محالة ولو تذرع ببعض الذرائع فلا بد من ركب سفينة العقل يا بني اركب معنا فلا عاصم اليوم من أمر الله.

وعليه لا بد من الاهتمام بجانب العقل وتزويده بكل ما يقويه ويدفع عنه كل ما يرديه ويضعفه وأن يكون هو الأساس الذي ينطلق منه في حركاته العقائدية والعبادية.

وأقول أن كل من اتبع الحركات المضلة المسماة بالمهدوية واليمانية لا يملكون شيء اسمه العقل وإن أعطوا الشهادات والألقاب والكنى.

فالمحور الأساسي الذي تدور عليه الحياة هو العقل فقط كما اتضح من متن الرواية وبالإضافة إلى العقل فلا بد من تقوية أسلوب الحوار والمناقشة وصياغة الكلام؛ لأن الحرب الإعلامية اليوم غزت الإسلام كما هو واضح لدى الأفهام فلا بد من الأقلام والكلام على صيغ لا تخالف النظام ويوافق النظم العام فأقول بعد ذلك لقد أضاء الصبح لذي عينين.

فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: - دعامة الإنسان العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي ج ١ ص ٥٧ كتاب العقل والجهل.

فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكرة فطنا فهما فعلم بذلك كيف ولم وحيث وعرف من نصحه ومن غشه فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله وأخلص الوجدانية لله والإقرار بالطاعة.

فإذا فعل ذلك كان مستدركا لما فات ووارد على ما هو آت يعرف ما هو فيه ولأي شيء هو هنا ومن أين يأتيه وإلى ما هو صائر وذلك كله من تأييد العقل<sup>(١)</sup>.

فهنا بين الإمام عليه السلام اشراقات العقل وإنه دعامة الإنسان أي العمود الذي يرتكز عليه كل خير في الإنسان والذي يكون متسعا لكل صفة حسنة وسجية صالحة وبه يعلم أصل نشأته أي مبدأه وهو الحق تعالى وغاية خلقه وإنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى ويعرف به معاده.

وما سوف يؤول إليه من خير أو شر بعد هذه الحياة وهذه النشئة ويعرف من ينصحه فيتبع سبيل الأنبياء والرسول والصلحاء والعلماء ويعرف من غشه فيترك سبيل الطغاة وأصحاب الضلالة .

ومنه يكون الإخلاص والإقرار لله بالطاعة والتسليم لكل أوامره وإذا كان ذلك فقد حوى الخير كله وبلغ من العلم أشده وهكذا كله بتأييد العقل فطوبى للعقلاء لما حصلوا من خير الدنيا والآخرة فالعقل كما قال الإمام عليه السلام:- دليل المؤمن ولا مال أعود منه<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- إذا رأيت الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتى تنظروا كيف عقله<sup>(٣)</sup>.

أقول لنفسي وأحبتني من الأخوة إذا كان معيار الإنسان عند الله وأهل بيته الكرام هو العقل فلماذا نسلك مسالك المهالك بأن نهتم بالمظاهر وبعض العلوم

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٤١.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي ج ١ ص ٦٠ كتاب العقل والجهل.

التي لا تغني ولا تسمن وبالألقاب والكنى والشهرة أو نتوجه إلى الكلفة في العبادة.

بل الحق أن الذي يجب علينا منذ نعومة أظافرنا أن نهتم بهذا الركن الوثيق ولكن بعد أن ضيعنا العمر والصحة والشباب لا ينفع العتاب فلا نعلم ذنب من؟ حتى نلقي عليه اللوم والأسى فلماذا لا يبصر العباد من قبل الوعاظ والأساتذة والكتاب إلى أهم ركيزة في النفس البشرية وفي صناعة الدين والدنيا.

فالمفروض والذي ينبغي أن نركز جل أوقاتنا وأعمارنا لتحصيل حقيقة العقل فينا لا أن نهتم بغيره من الأمور كالطاعة والعبادة والدراسة حتى تكون النتيجة من دون العقل هو القشرة فقط.

ف نجد العابدين الجاهل يشهد في ساعات يوشك أن يغلب أهل الطاعة الذين خصهم الله بطاعته وساعة لا يؤدي فريضته ويوم عالم ويوم سائق تكسي هذا كله راجع لعدم بدأ المسيرة بما هو الصحيح وبما ينبغي أن يكون الابتداء به.

فمثل من لم يبتدئ مسيرته بالعقل كمن بيني بيته على الرمل والكاتب على الماء والطالب من الماء جذوة نار وتابع السراب ليروي ظمأه.

وعن الرضا عليه السلام قال:- لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له<sup>(١)</sup>، وعن أبي عبد الله عليه السلام:- ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل، قيل:- وكيف ذلك يا بن رسول الله؟

قال:- إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك<sup>(٢)</sup>.

يشير الإمام عليه السلام إلى أن الحد الفاصل بين الإيمان والكفر هو تلك الدعامة الربانية والهبية الإلهية وأن طلب الحوائج من غيره أو من دون الابتداء به كفر وأن طلبها مخالف للإخلاص وأن صفاء النية يكون ذلك كله بالعقل وأن رفع

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٤٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٨.

الرغبة لغير الله تعالى يؤخر الحوائج ويعرقل مسيرتها وهذا كله سببه فقدان العقل فطوبى ثم طوبى لمن وهبه الله العقل.

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنه قال:- إن أول الأمور ومبداها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع بشيء إلا به العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونورا لهم.

فبالعقل عرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر لهم وأنهم المدبرون وأنه الباقي وهم الفانون واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره وبأن له ولهم خالقا ومدبرا لم يزل ولا يزول وعرفوا به الحسن من القبيح وأن الظلمة في الجهل وأن النور في العلم فهذا ما دلهم عليه العقل،

قيل له:- فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟

قال:- إن العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدل على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به<sup>(١)</sup>.

الحمد لله تعالى على مشارق الافهام وتنقية الآثام عند الكلام من سيدي ومولاي الإمام الذي به الاعتصام ولولاه لما كان للقلم مقام فأقول غير مخالف للالتزام إن العقل هو المبدأ والمنتهى لمعرفة الحق تعالى والتي هي أسمى ما يعرفه الإنسان المعنوي وأنه له الدور الأساسي لمعرفة جميع صنوف العقائد الحقة.

وعرف به الآيات وأحقية النذر ولولاه للغة الآيات والنذر وما كان لها نظر وفيها معتبر و به عرف التدبير منه تعالى وعرفوا لمن الفناء والبقاء والطاعة والمعصية والأوامر والنواهي وجميع التكاليف وهو الباعث الأول للإذعان ولولاه ما صغت

## العقل اساس الدين ..... (٣٧)

للحق آذان وبه عرف الحسن والقيح وهو الباعث لطلب المكارم فطلاب العلوم هم أهل العقل .

فالعقل دعاهم لنيل ما قسم الله لهم وبالعقل علم أن العلم جناح العقل وسراجة وقوامه فلا غنى أخصب من العقل ولا فقر أحط من الحمق والجهل .

- فيه تستخرج غرار الحكم .
- وبه تنور الظلم .
- وفيه يكتسب رضا الرب وتحسن السياسة ويكون التدبير وحسن الخلق والتعبير ويتبين التقصير وهو في العلم أفضل سفير .
- وبه يكون الفلاح والصلاح والارتياح والنجاح .
- وبه تكون العصمة من الضلالة وهو مهبط الوحي وانس الأنبياء والنذر في أجساد البشر .

- وبه عبد الرحمن واكتسب الجنان ولزمت الطاعة لله تعالى واكتسابه أفضل العبادة وأعود مال وأنفع صديق ورفيق، فالعقل حياء الله تعالى وأحب خلقه إليه وعيبة علم الإنسان .

- وبه ومنه يكون الإخلاص والخلص .
- وبه تتصدر الرجال المجالس وصاحبه أعظم قدرا عند الله وعند الناس .
- وبه يستحق العباد ما حقر الله من الدنيا .
- وبه يعظم ما عظم الله .
- وبه تكون المروءة .
- ومنه يكون الصواب في الجواب .
- وبه يحسن أسلوب العتاب وهو الأمان من الكفر والنفاق وحب الشهرة وكل خصلة تعاب .

- وبه تكون السلامة من الحسد والحقد والأنانية .
- ومنه تكون القناعة والتواضع .

- وبه ترتفع الدرجات والثواب ويؤمن معه العقاب.
  - ومنه يكون الشكر.
  - ومنه تكون الرغبة والرغبة ويؤمن معه من الشك.
  - وبه يكون الدين وقيمة الإسلام والمسلمين فهو الدعامة والأصل للإنسان.
  - وبه يكرم المرء أو يهان.
  - وبه على الله الضمان وهو النور في الظلمات والعاصم من النكبات والضامن لاستجابة الدعوات.
  - وبه تتفاوت منازل العباد في الدنيا والآخرة.
- فنسأل الله تعالى بوجه محمد وآله والباقي بعد فناء الأشياء لا بوجه سودته الذنوب وشانته العيوب أن يرزقنا تمام العقل وكماله وزينته وجماله وأن يرزقنا وإياكم حسن التوفيق وأن يغنيننا بتدبيره عن تدبيرنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا إنه سميع مجيب وليس ذلك عليه بعزيز.

### وأما الوجدان:-

مما يدعو إليه المقام هو بيان أهمية العقل بداعوية نفسه فالعقل يشهد بأهمية وإيثار تحصيله على غيره من الأمور كلها بعد ما عرفت من توقف الدين والدنيا عليه.

### وأما السيرة:-

تشهد السيرة العقلية أن الاهتمام قائم بأصحاب العقل منذ إذ وجدت الطبيعة ووطأ الإنسان ظهر الأرض وهم السادة والقادة والمنهل لكل عطشان وكانوا يسمون صاحبه بعين العشيرة أو الحكيم والقيم والعرافة... الخ.

## فصل في بيان حقيقة العقل

بعدهما بينا دور العقل وأهميته القصوى بحسب القرآن والسنة والوجدان والسيره لا بأس بالإشارة إلى ماهية العقل وحقيقته وبعض ما يتعلق بنشأته التكوينية، فنقول ومن الله التوفيق والسداد.

أما العقل لغة:- هو تعقل الأشياء وفهماها، وهو مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه وحبسه عن الحركة لذا فالعاقل هو من حبس النفس وردها عن هواها .

وسمي العقل عقلا؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحمسه، وقد قيل أن العقل هو الثبت في الأمور .

أقول بعد بيان المعنى اللغوي أن كل ما يقال فيه هو من الآثار لتلك الحقيقة الربانية ومن المعلوم أن الشيء يختلف عن آثاره نعم يعرف الشيء بآثاره بعد ما يتعذر معرفة كنهه لتنزه ذاته عن مدراك الإنسان كما في الحق تعالى أو غيره.

### بعض التعاريف التي عرف بها العقل:-

- الأول:- هو قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأمور وذوا الأسباب وما يؤدي إليها وما يمنع منها وهذا ما يميل إليه صاحب البحار (قد سره) وهو الأنسب في المقام وأنسب ما يقال ولكنه بعيد كل البعد عن كنه العقل وحقيقته.

- الثاني:- ملكة وحالة في النفس تدعوا إلى اختيار الخير والنفع واجتناب الشرور والمضار... الخ، وهذا لا يختلف عن المعنى الأول في المأل وهذا التعريف بحسب المتعلق.

- الثالث:- القوة التي يستعملها الناس في نظام أمور معاشهم فإن وافقت قانون الشرع تسمى (بعقل المعاش) وإذا استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى (بالنكراء والشيطنة) في لسان الشرع وهذا ناظر إلى متعلق العقل

وفيه أن النكراء لا تمت بصلة إلى العقل في حديث سئل أبو عبد الله عليه السلام ما العقل؟

قال:- ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.

قال:- قلت فالذي كان في معاوية؟

فقال:- تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل<sup>(١)</sup>.

فأنت ترى كيف يفرق الإمام بين العقل والنكراء وإن النكراء والشيطنة ليست عقلا ولا تعد صنفا أو قسما منه.

- الرابع:- مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها وبعدها عن ذلك وأثبتوا لها مراتب أربعة سموها:-

- بالعقل الهولاني

- والعقل بالملكة

- والعقل بالفعل

- والعقل المستفاد

وقد تطلق هذه الأسماء على النفس في تلك المراتب وهذا راجع إلى طرق تحصيله وفيه أنه غير النفس واستعدادها .

- الخامس:- النفس الناطقة الإنسانية التي بها يتميز عن سائر البهائم، فإن أريد بها تلك القوة المودعة فيه فلا مانع ولا مشاحة في الاصطلاح.

- السادس:- ما ذهب إليه الفلاسفة وأثبتوه من جوهر مجرد قديم لا تعلق له بالمادة ذاتا وفعلا، وهذا التعريف ليس ناظر إلى العقل الجزئي الذي هو محل الكلام بل ناظر إلى العقل الكلي الذي يحتاج إلى نفس طويل ولا يكون خاضعا لمثلي العليل والملاحظ وجود خلط بين العقل الكلي والجزئي.

- السابع:- مصدر عقل يعقل: إدراك الشيء فهمة التام ومنه العقل اسم لما يميز الإنسان بين الصلاح والفساد وبين الحق والباطل والصدق والكذب .

وهو:- نفس الإنسان المدرك وليس بقوة من قواه التي هي كالفروع للنفس كالقوة الحافظة والباصرة وغيرها<sup>(١)</sup>.

وفيه أنه ليس هو نفس الإنسان وسوف يتضح ذلك فيما بعد وتعريفه بهذا الشكل يكون بحسب المتعلق وليس هذا بيانا لأصل الحقيقة.

- الثامن:- أنه جوهر مجرد روحاني متعدد الأفراد حسب تعدد أفراد العقلاء يقبل الشدة والضعف، وهذا ناظر إلى تعريف العقل الكلي والذي هو ليس محلا للكلام وسوف يأتي شيء من بيانه بإذنه تعالى.

- التاسع:- عرض قائم بالغير، وفيه أنه لا يعطي أصل الحقيقة فتعبير العرض قاصر عن الإفصاح عن تلك الحقيقة الإلهية.

- العاشر:- إنه مرتبة من مراتب وجود النفس الإنساني وقد عرفت ما فيه.

- الحادي عشر:- إن له وجودا واحدا فرديا كالشمس إلا أنه له اشراقات على النفوس، وهذا بيان للعقل الكلي أيضا وليس تعريفا للعقل الجزئي الموجود في الإنسان.

- الثاني عشر:- إنه إشراق حاصل للنفس من عالم غير عالم الجواهر والأعراض، وإن كان يعطي بعض الشيء عنه لكن قاصر عن نيل الحقيقة أيضا.

- الثالث عشر:- إن كل ما ذكر من الموارد الخمسة الأخيرة هو المراد ولكن باختلاف النفوس ومراتبها، وفيه أنه لا يساعد عليه واقع التعاريف لما عرفت من بعضها يتكلم عن العقل الكلي .

- الرابع عشر:- قد يقال أن كل ما ذكره باطل في بيان معناه والعلم به منحصر بالله تعالى وربما مال إليه بعض الأعلام ويحتاج إلى بسط الكلام فأقول ومن الله التوفيق.

إن معرفة كنه هذا المخلوق الإلهي يعد من مختصات العلوم الغيبية ومن أهم المعارف الإلهية، فلا يتيسر لأمثالي الخوض فيه وإعطاء الصورة الحقيقية لهذا

الموجود الذي جانس الإنسان منذ حياته ولكن مع تلك المجانسة والمصاحبة نجد الإنسان جاهلا به وهذا الحال من الإنسان شاهد عليه بالعجز والفاقة. فالإنسان يطلب المعارف والعلوم الدينية والدينيوية حتى يشق الشعر في متشابك العلوم .

ولكن نجد مع ما هو كذلك فاقتدا لمعرفة نفسه التي بين جنبيه وكثيرا من المعارف التي تحيط به فنسأل الله الاستعانة والتوفيق والسداد في الدنيا ويوم المعاد. فأعلم:- إن العقل المذكور في الروايات والأبحاث العقائدية والفلسفية والاجتماعية عقلان وأحدهما يختلف عن الآخر.

وإن اجتمعا فبعضها تشير إلى العقل الكلي الذي يكون عقلا كليا للعالم والذي يعد باطن العقول الجزئية التي هي المعنى الثاني للعقل .

وهو سرها وحقيقتها والممول لها والمشرق عليها والمثال الكامل لها المعبر عنه في الروايات - النور الأول - والذي هو جوهر نوراني مجرد عن العلائق الجسمانية وهو أول مخلوق روحاني وظهور للفيض الرباني .

وهو الكامل الذي لا يطرأ عليه النقصان والمثال الأعلى لعالم الإمكان وهو الفيض الأقدس الذي تجلت به قدرة الحق وجمال الرحمان.

وهذا المعنى منه ليس محلا للبحث في هذه الرسالة الوجيزة وإنما يكون بحثنا هو المعنى الثاني الذي يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

نعم لا ينع من تناول شيء حول المعنى الأول للعقل ونبين بعض خواصه وارتباطه بالعقل الجزئي أي هو المعنى الثاني.

فإن المعنى الثاني للعقل هو العقل الجزئي الموجود في الإنسان وهو القوة العاقلة الروحانية المجردة والتي تكون مائلة إلى الخيرات بدافع الفطرة والتي تدعو الإنسان إلى العدل والإحسان.

فهذا هو المقصود في الكثير من روايات أهل البيت عليهم السلام ولكن ما هو حقيقة ذلك الشيء الذي طالما تناولته الألسن ولم يعرف حقيقته؟

فنقول بتوفيق الله تعالى:- إن مفهوم العقل يعد من أبده البديهيات فنجده يدار على ألسن الصغار والكبار فهو كما ذكرت من أبده البديهيات ولكن كنهه من الخفيات بل في غاية الخفاء.

وقد نبين ذلك من الآراء التي طرحت في بيان حقيقته وكنهه فالعجب العجاب من بدهة المفهوم وخفاء المعنى وهذا ليس بالأمر الجديد على الإنسان. فإن الإنسان لم يعرف نفسه التي بين جنبيه وهذا لا يختلف عنها ولو عرف نفسه لعرف ربه.

فإننا نشعر بأنفسنا ونقر بتلك الحقيقة الإلهية واللطيفة الربانية ولكن كنهها يشوبه الخفاء وهذا كله لم يمنع عن الاعتقاد أو عن الاعتراف بأصل ووجود تلك الحقيقة .

فالعقل البشري لا يمنع عن الإقرار به والاعتراف بوجوده بعد وضوح مفهومه وظهور آثاره فليس من اللازم معرفة الأشياء بكنهها وحقيقتها بل الأشياء ربما تعرف بآثارها .

وأقول مجازفا أن جل الأشياء معرفتها بالآثار وما يصدر عنها من أفعال، ونحن نعتزف بها ونعيش خيرها مع أننا لا نعرف كنهها. ومن أوضح الحقائق الحق تعالى فأنت تؤمن به تعالى وتوحده وتنزهه وتهلله... والخ.

ولكن من يقول أنت أو غيرك من العباد عرف حقيقته وكنهه وذاته المقدسة فلولا أنت لم أدر ما أنت.

فلولا صفاته وأفعاله التي أفصحت عن ذاته لما توسلنا إلى معرفته بشيء ولبقينا في بحر الظلام فمع عدم معرفة ذاته تعالى وكنهه تجردنا نؤمن به ونطيعه ولم يعص من بعض الخلائق طرفة عين.

فليس معرفة الكنه والحقيقة للشيء بالضروري بل أقول أن الإنسان كثيرا ما يكرم ويعطي ويطيع ولكن لم يعرف جوهر المطيع له والمكرم له وإنما يكتفي بآثاره وعلى ذلك يتحقق الغرض وهذه سيرة العقلاء .

بل أتعدى أن الصفات النفسية كالحلم والصبر... الخ لم نعرف منها إلا الآثار وأما كنهها فلا نعرف شيء عنه مع أن هذه الصفات سوف تتجلى في عالم المثال بالمخلوق المناسب لها كما في سرور المؤمن وغيره.

فهذه كلها لها حقائق لم تعرف ولكن تعرف بآثارها وذكرت لك أن الروح لما سئل عنها أجيب (قل الروح من أمر ربي).

بل كثير من الأشياء لم تعرف بعد حتى بآثارها سوى الأخبار عنها كالعرش والكرسي وغيرها مع أن العقل ليس كذلك فهو واضح المفهوم خفي الحقيقة والكنه.

إلا أن آثاره واضحة للعيان العام والخاص فمعرفة الكنه ليس بالشيء الضروري الذي تترتب عليه الغاية .

بل الضرورة هو معرفة جنود العقل حتى يعمل المكلف على إحيائها وإقامتها وتقويتها ليطرد جنود الجهل عن ساحة نفسه وهذا أمر بين كما سوف يتضح لك بإذن الله تعالى فيما بعد.

إذا الشيء إذا لم يعرف بنفسه وذاته يعرف بآثاره والعقل من هذا القبيل وأضف إلى ذلك لو عرفنا العقل بأنه قوة تميز بين الخير والشر أو تدعوا إلى الخير فهل يا ترى أن هذا التعريف نال حقيقة العقل بشيء.

أقول لك أن هذا التعريف لم يختلف في البعد عن غيره من التعاريف؛ لأنه وأن غير بهذا اللفظ بأنه قوة... لكن ما حقيقة هذه القوة وجوهرها وكنهها؟  
فاتضح أن كل هذه التعاريف لا تنال الحقيقة والكنه للعقل سوى أنها تعاريف بحسب المتعلقات والآثار .

ما هذا إلا لأجل أن كنه العقل وحقيقته من أمر الله تعالى ومن مختصات إحاطة أهل العصمة عليهم السلام وما أشير إليه في التعاريف فليس هو هو بل أثره وقلت أن الشيء يختلف عن أثره.

وغاية ما يمكن أن يقول العبد الحقير - الكاتب - أن العقل هو القوة المميزة بين الحسن والقبيح والخير والشر والداعية للحسن والخير والعاصمة من الزيغ وهي تختلف شدة وضعفاً ومن شخص لآخر وإنها غير النفس والروح وإن كان لا يبعد أن يكون العقل في النفس كالروح والجسد.

فالعقل جسده الروح وأما كونه مرتبة من مراتب النفس وأنه عينها أن أريد بذلك فهو ليس بصحيح أما إذا كان المقصود غير ذلك كأن يكون مرتبة من مراتب الترقى لها مع أنه غيرها لا مانع من ذلك.

وقد يوجد في الرويات أنه يوجد في الدماغ فإن ذلك لا يمنع بأن يكون علاقته في ذلك كالروح في الجسد فكما أن الروح أمر مجرد حال في المادة كذلك يكون هو فيه وهذا نظير علاقة الغضب بالكبد والله العالم.

والذي يساعد كونه قوة مودعة في الإنسان وأنه غير ما ذكر وغير ما يقال أنه نفس الإنسان وروحه أو غير ذلك هو ما أفادته بعض الرويات من بيان مراحل إعطاء العقل تختلف من شخص لآخر.

فما ورد عن إسحاق بن عمار قال:- قلت لأبي عبد الله عليه السلام:- الرجل آتية وأكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله، ومنهم من آتية فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يرد علي كما كلمته، ومنهم من آتية فأكلمه فيقول:- أعد علي؟

فقال:- يا إسحاق وما تدري لم هذا؟

قلت:- لا.

قال:- الذي تكلمه ببعض كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك عجت نطقه بعقله، وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي

ركب عقله في بطن أمه، وأما الذي تكلمه بالكلام فيقول أعد علي فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول أعد علي<sup>(١)</sup>.

فالمثحصل أن العقل غير الحقيقة الإنسانية وأن وجوده أو إبداعه في الإنسان يختلف من شخص لآخر كما بين الحديث الشريف وفي ذلك دلالة واضحة وبينه على سقوط بعض الأجوبة عن الاعتبار.

وكيف ما كان فإن هذه القوة قابلة للنمو والازدياد ولها آفات يشينها وسوف يتبين ذلك فيما بعد بإذنه تعالى .

ولعل كلام الإمام سلام الله عليه يساعد على ذلك فإنه لما سئل عن العقل بما هو:- التي - ما - تقع في السؤال عن أصل الحقيقة؟ نجد أن الإمام عليه السلام أجاب فقال:- ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان .

فلما رأى السائل ليس أهلاً أو عدم استيعابه القابل لمعرفة تلك الحقيقة أشار إلى الأثر الملازم والمتوخى منه ولم يبين ماهية العقل وكنهه.

بالإضافة إلى ذلك يحتمل أنه عليه السلام اعتمد على وضوح أصل مفهومه عند العامة من الناس فاكتفى بوضوح المفهوم وشرع في بيان آثاره.

خصوصاً أن الإمام يعلم فيما يقع من السائل وهو سؤاله عن معاوية فأعطى بيانا واضحا أن العقل مكسب للجنان ويدعو إلى عبادة الرحمن.

وأما الذي في معاوية ليس من العقل تعريضا به والله العالم بالحال ونسأل الله الإقالة من عثرة المقال.

ثم أقول أن الملاحظ من الروايات الشريفة والآيات المباركة هو سكوتها عن كنه العقل وحقيقته كما سكنت عن بيان حقيقة النفس أو بعض الحقائق سوى الأخبار عنها بالآثار .

فالتعمق فيها بما لا يجدي من فائدة لا ينفع في المقام فأن جل التعاريف والبيانات ناظرة إلى الآثار والمتعلقات .

فنحن إذا أولى بالسكوت ولا يعني كلامي هذا تعطيل تلك المعارف بل أقول بعد انسداد الطريق الأحسن والأفضل ألا يصرف الإنسان جل وقته فيما سكت عنه أهل البيت عليهم السلام خصوصاً بعد وضوح مفهومه وبيان آثاره .  
وكم انتفع الناس بشعاع الشمس وهم لا يعرفون حقيقتها ولم يتوقف معاشهم وسير حياتهم على بيانها ولكن ما يجب معرفته هو بيان ما يقوم العقل من جنود وما ينازعه من جنود الجهل الذي سوف يكون محط النظر بإذن الله تعالى .  
ثم اعلم يا صاحب السمع والقلم أن لهذه الحياة نظم وأن الأمور أشباه ويرجع بيانها في حال الاشتباه إلى الواضح منها.

فإن موسى لما دعا فرعون إلى عبادة الله تعالى وحده سأله فرعون عن حقيقة الله تعالى وما هو عليه فأجابه موسى مستدلاً له بالآثار التي هي بمثابة الأنوار فتعجب فرعون وسخر منه وكلما سأله أجابه بما يقع تحت تدبيره وفرعون مصر على معرفة تلك الحقيقة وتراه يصارع موسى عليه السلام ليطمس الحق ويضل الناس.

كل ذلك لأجل أن الحقيقة المسؤول عنها ليست قابلة للبيان لعدم الإحاطة بما لا يتناهى قال تعالى حكاية عن فرعون (قال فرعون وما رب العالمين ❖ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ❖ قال لمن حوله ألا تستمعون ❖ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ❖ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ❖ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون)<sup>(١)</sup>.

إذا بعد وضوح مفهوم العقل عند العامة والخاصة حسب ما يعرف منه من تميز الخير والشر والخطأ والصواب وأنه القوة الداعية للصواب لا تتأخر في طريق بنائه والتعرف على أحواله وجنوده.

وإن معرفة الحقيقة ليس بالأمر الضروري الذي تتوقف عليه سير السفينة كما ربما أشرق عليك ما بيناه .

خصوصا أنني أحرص على عدم الخروج عن غرض هذه الرسالة وهو بيان أهمية العقل وكيف بنائه وطرق حمايته عن الآفات والله الموفق للسداد.

### مصطلحات أخرى للعقل

ربما تسمع كثيرا عن بعض أسماء العقل على الألسن الخاصة العقل النظري والعقل العملي والعقل الباطن والظاهر وغير ذلك مما يطول شرحه وبيانه. فإن كل ذلك ليس المراد من العقل الذي تريد الروايات والآيات بيانه وإنما المنظور في هذه الأمور هو المتعلق للعقل فباعتماد المتعلق ربما يقسم إلى أكثر من قسم العقل الاقتصادي العقل الاجتماعي العقل السياسي العقل المعاشي.... الخ. فهذا كله ليس عندنا في هذا المقام بنظر الاعتبار ولا يعني إن هذه الأمور والأسماء ليس لها حقائق علميه وقيم فنية ليس مقصودي ذلك. وإما مدار بحثي هو العقل الذي يهدف الإنسان إلى تطويره ليكون عبدا لله تعالى ومستقيما في سير حياته الدينية والدينية الذي أشارت إليه الروايات ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان أعاذنا الله من زلل الأقدام.

## فصل في بيان العقول العشرة

هذا من المصطلحات الفلسفية التي أوردوها الفلاسفة في كتبهم وخاضوا فيها بما لا يتناسب مع مقام المشكلة حتى ألفوا فيها الرسائل وأعطوها جل الاهتمام ومنشأها القاعدة الفلسفية.

إن الواحد لا يصدر منه إلا واحد فالحق تعالى بما أنه واحد فلا يصدر منه إلا واحد وصدور هذه التكثرات والعالم العلوي والسفلي المتكثر لا يصدر عن الحق تعالى بالمباشر فلا بد من الوساطة فأدى ذلك إلى القول والإيمان بالعقول العشرة واختلفوا فيها على طوائف:-

- طائفة قالت أنها طويلة وآخرها العقل الفعال الذي تصدر منه التكثرات.
- وطائفة قالت أنها عرضية وأحدها ليس علة للآخر.
- وطائفة أنكراها ولم يؤمن بها وطعن وربما كان ذلك عن بعض أساتذتنا دام الله عزهم وبقائهم.
- وطائفة أولوها بالأئمة عليهم السلام.

ورأوا أن العقل الأول هو نور النبي صلى الله عليه وآله جمعا بين الروايات التي تقول أول ما خلق الله العقل وبين الروايات التي تقول وأول ما خلق الله نوري.

ولا يبعد أن يكون المراد من العقل الأول هو نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالعقول أنوار الأئمة عليهم السلام؛ لانطباق ما وصفوا به العقول على الأئمة عليهم السلام من أنهم مبدأ الإفاضة الإلهية لهذا العالم.

فكل ما يذكرونه للعقول يكون مناسب لما ذكرته الروايات والأدعية المباركة لأهل البيت عليهم السلام وزيارة الجامعة فيها المغنم حيث تذكر مقامات جليلة لأهل البيت عليهم السلام.

وكيف كان نقول هذه العقول العشرة أو العقل الأول ليس محط نظرنا في هذا المقام وأرى أنني في هذا المقام قد تجاوزت عن غرض الرسالة فأسأل من الله الإقالة؛

لأنه - الإنسان - في هذه الدنيا الواجب عليه أن يهتم بالضروري ولا يفني العمر بما لا يتأتى منه إلا تضييعه فمن أهمل نفسه ولم يهذبها وحمل علم الأولين والآخريين فإنه معذب لا محالة بل الحجة عليه أعظم وهو عند الله ألوم.

### تنبيه

لما صرفنا العنان للكلام على العقول العشرة وذكرنا تأويلا لها حسب ما مر وهذا الأقرب بحسب ما راجعنا فيه الروايات فإن لم يكن ذلك التأويل صائبا والعلم عند الله تعالى فإن القول بالعقول العشرة لا يتعدى سوى لقلقة لسان يضعف عنه تصورها الجنان.

والاعتقاد بها خلاف الإتيان وأما القاعدة الواحد لا يصدر منه إلا واحد فهذه لا تنسب إلى الحق ولا تنطبق مع ما يصدر منه تعالى فله أن يقول للشيء كن فيكون ويحدث العالم بتكثيراته واضعاف هذا العالم بعرضه العريض دفعة واحدة. وما ذكروه مجرد لقلقة وتصورات ما أنزل الله بها من سلطان والقاعدة تكون في التكوينية والطبيعية ولا تجري على أفعال الحق تعالى فقد أخفقوا الفلاسفة في الكثير وهذا من جملة ما أخفقوا فيه.

وللمقام بيان نذكره بإذن الله تعالى في مواضع خاصة من بحوث علم الأصول وسوف نذكر هناك جملة من إخفاقات الفلاسفة ومنها ما اشرنا إليه نسأل من الله العصمة بحق الأئمة المعصومين.

## العقل هو الحد الفاصل

اعلم أن الحد الفاصل بين الحيوان والإنسان هو العقل ولم يكن غيره ثمة فاصلة وما يذكر من الاستقامة في المشي أو الإبداع الفكري وإصابة بعض الأمور التقنية والفنية فليس بذاك الفارق؛

لأنه أصبح من المعلوم أن الحيوان ربما أصاب بفطرته وتجهيزه التكويني أكثر مما يصيبه الإنسان في فكره وعلمه فهناك بعض الحيوانات تكشف المخدرات عن بعد كذا وبعضها يتحسس التقلبات الجوية من الأمطار والغيوم.. الخ.

وبعضها يرى الأشياء عن بعد كذا من الكيلومترات وبعضها يكشف الزلازل قبل حدوثها بكذا فترة زمنية، أترى أنها أدركت كل ذلك بما يسمى بالعقل بل أدركته بما أودعه الله تعالى فيها من الإعجاز .

فالإصابات العلمية والمكتشفات الفكرية لا تعد فاصلا أبدا وأما العبادة فقد علم من القرآن أن كل شيء في هذا العالم يعبد الله وربما كان الحيوان أطوع من الكثير من هذا البشر قال تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك من سبيل الله)<sup>(١)</sup> وقال في حق غيره من المخلوقات (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)<sup>(٢)</sup>، قال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)<sup>(٣)</sup>.

فالمأمل في هذه الآية المباركة يجد ما يثير الغرابة فإن الله تعالى يذكر ويبين أن الجميع يعبده من الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب من دون

(١) سورة الانعام/آية ١١٦.

(٢) سورة النور /آية ٤١.

(٣) سورة الحج /آية ١٨.

استثناء ولكن عندما يأتي إلى ذكر الناس يفصل ويستثني منهم فيقول كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب الآية...

وقيل رب دابة خير من ركبها كما في دابة - بلعم بن باعور - عابد بني إسرائيل لما أراد الدعاء على النبي موسى وركب دابته أبت الذهاب لما رأت في بطلانه وأحقية موسى عليه السلام وقال الله تعالى (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)<sup>(١)</sup>.

بل ترى أن الجماد يعلو على الإنسان العاصي لا الحيوان فحسب لما بينه تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله)<sup>(٢)</sup>.

فالبيان القرآني واضح إن العبادة ليس بفاصل بين الإنسان والحيوان بل لا يكون فاصل حتى عن الجماد لما بين أن منها لما يخرج منه الماء ويهبط من خشية الله وفي سورة الحشر بين ذلك قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأته خاشعا متصدعا من خشية الله)<sup>(٣)</sup> فالفاصل الحقيقي بين الإنسان وغيره من الكائنات هو العقل .

هذه النعمة الإلهية التي أهملها الناس في أيامهم القليلة وساروا وراء أنفسهم العليلة فتجد أحداكم يهتم بمنظره الخارجي وبيته وسيارته وإلى ما شاء الله ولكن لا يلتفت طرفة عين لعقله.

النعمة التي لو أقامها الإنسان لسار على الماء وطار في الهواء (وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)<sup>(٤)</sup>، (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل

(١) سورة الفرقان / آية ٤٤.

(٢) سورة البقرة / آية ٧٤.

(٣) سورة الحشر / آية ٢١.

(٤) سورة الجن / آية ١٦.

وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم<sup>(١)</sup>، (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا)<sup>(٢)</sup>.

وفي مضمون بعض الأحاديث أنكم لو استقمتم على هذا الطريق أي طريق ولاية أهل البيت لصاغتكم الملائكة وفي بعضها لولا أن الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم لرأيتهم ملكوت السموات والأرض.

فليس العجب من أن الإنسان يعلم الغيب بل العجب كل العجب من الإنسان الذي عنده مثل هذه الشريعة ولا يعلم الغيب (واتقوا الله ويعلمكم الله) فالحاجب للإنسان نفسه.

بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالיום يناقشون ويطعنون على من ينسب العلم الغيبي لأهل البيت عليهم السلام ولكن في الوقت نفسه يثبتونه حتى للحيوان وبعض فساقتهم ولقد علمت الجواب بعدما غاب.

### هل الكرامات دليل العقل

قيل لبعض العرفاء والمتقين والواعظين:- إن رجلا من المتصوفة بلغ من ترويض نفسه إلى حد أنه يمشي على الماء؟  
قال العارف:- وكذلك يفعله الضفدع!!  
قيل له:- وإن واحدا منهم يطير في الهواء.  
فقال:- كذلك يفعله الذباب.  
فقيل له:- ومنهم من يسير من بلد إلى آخر في لحظة؟!  
فقال العارف:- وكذلك الشيطان.

---

(١) سورة المائدة/آية ٦٦.

(٢) سورة الاعراف/آية ٩٦.

فليس بهذه الأشياء حقيقة الرجل وقيمته الدينية بل الرجل كل الرجل هو من يخالط الناس ويعاملهم بالمعروف ويتزوج منهم ولا يغفل عن الله طرفة عين. وهكذا كان يعظنا شيخنا الفياض أفاض الله عليه من البركات في الدنيا والآخرة يقول لنا الرجل في الميدان فالساحة هي التي تثبت الأخلاق الفاضلة والإنسان الناجح<sup>(١)</sup>.

وكان أحد أساتذتنا يقول:- الكرامة أنك عندك علم ومعرفة بالله تعالى ولا تلتفتوا إلى الكرامات فإن طالبها جاهل وكان السيد ابن طاووس يقول:- هذه تنغص علينا عيشنا ونحن لسنا بحاجة لها.

نعم أحبتي لا تهتموا بالرؤيا والأحلام وتنسون يقظتكم بأنكم لا دين ولا خلق ولا عقل فالرؤيا لا تبرر ذلك ولا تلتفتوا إلى فلان يحرك الماء والآخر الهواء وما شاكل ذلك بل اعمدوا إلى العقل والفهم .

وهناك قضية نذكرها فيما بعد فيها من المواعظ بإذن الله تعالى المهم أن الميزان هو العقل فلا تغتروا يا أولي الألباب وراء الحركات المضلة.

## فصل في بيان أن العقل غير العلم

اعلم أن العقل البشري الذي أهده الله تعالى لهذا المخلوق متزود بجنود سوف تقوم بذكرها مفصلا وجنوده حددتها الروايات المباركة بـ(٧٥) جندي والتي قابلت جنود الجهل بالعدد نفسه ومن هذه الجنود التي هي للعقل هو العلم. فالعلم جندي من جنود العقل وليس هو العقل نفسه وذاته وهذه الحقيقة لا بد من معرفتها وبالضرورة من إتقانها لما يترتب عليها من أثر بليغ في حياة الإنسان فإن الشبهات كثيرا ما تقوم على ذلك .

(١) نقلا بالمضمون.

فإن أصحاب الضلالة بعضهم من أهل العلم والمعارف والعلوم وأصحاب شهادات ولما رأوا بسطاء الناس ذلك عز في أنفسهم الأمر الذي جاؤوا به باعتبار أنهم أصحاب عناوين وعندهم علم بالكتاب وغير خفي الحركة المنحرفة التي ادعت بالمهدوية كانت تهدف إلى إبادة العلماء وقتل الصلحاء وقد دخل فيها الكثير من أصحاب الشهادات.

هذا ما دعا إلى أن تزرع الشبهات عند الكثير من أن فلانا طيب والآخر مهندس كيف والكل في ذلك الأمر فلو لم يكن لهذا الأمر من الصحة لما دخل هؤلاء فيه ولكن غاب عنهم أن العلم غير العقل .

وإن العلم يجتمع معه الضلال بصريح القرآن الكريم (وأضله الله على علم)، (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) <sup>(١)</sup> أو (كمثل الحمار يحمل أسفارا) هذه الآيات المباركة كلها تبين أن الضلالة تجتمع مع العلم لكنها لا تجتمع مع العقل بل أشارت الروايات أن الدين مع العقل ملازم له كما في رواية جبرائيل عليه السلام أن الله أمره أن يخير آدم بين العقل والحياء والدين فراجع.

وإن الآيات أشادت بأصحاب العقول وأنهم موضع الخطاب والواقع أدل دليل على أن الضلالة تجتمع مع العلم فعندي وعندك شواهد لا حد لها ولا إحصاء على ذلك ممن شقوا الشعرة في متشابك العلوم ولكن لم ينفعهم ذلك وحث الروايات والآيات على العمل بالعلم وإن ما لا يعمل بما يعلم سوف تكون عليه الحجة أعظم وهو عند الله ألوم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) <sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة الأعراف / آية ١٧٦.

(٢) سورة البقرة / آية ٤٤.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعالكم يطمع فيكم الأعداء<sup>(١)</sup>.

وعليه فلو قيل أن فلان ناقص العقل لا يحتج بأنه يملك شهادة الدكتوراء أو كذا عنوان.

فإن العقل غير ذلك فالعلم وغيره هو جندي من جنود العقل ولا يمنع من الضلالة شيء ما لم ترسخ قدم العقل وذلك لأن العقل يمتلك (٧٥) من الجند والجهل يقابل بنفس العدد والعدة، فلو كان عند العقل جندي كالعلم فقط وليس غير ذلك من بقية الجنود الآتي ذكرها إن شاء الله .

وكان الجهل كامل العدة والعدد حينئذ لا مجال للصراع بين العقل والجهل؛ لأن الجهل كما تعلم عنده العدة كاملة والعدد كذلك والعقل لا يمتلك شيء إلا العلم لوحده فهو وحيد في هذه الساحة فيكون بالنتيجة أسير عند جنود الجهل ولذا قيل:- كم عقل أسير عند هوى أمير فترى الإنسان صاحب العلم والشهادة منحرفاً أشد انحرافاً؛ لأنه أصبح هذا الجندي الذي هو من جنود العقل تحت إمرة الجهل وجنوده فيجنده الجهل ويستغله تحت سلطنته فيكون صاحبه أضرب من غيره.

فإذا لم تكتمل جنود العقل بالعدة والعدد من العلم والعزم والصبر والحلم والإرادة والعفة والمداراة... الخ، لا يكون الإنسان مستقيماً وسائراً على جادة الشريعة لذا خاطبت الشريعة أهل العلم بخطاب صارم مفاده شدة الالتزام بما يقوم العلم من العمل والحلم ورعايته حق الرعاية وإلا كانت جنايته على صاحبه ومجتمعه أشد جناية نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وألا يجعل ما حملناه علينا بوره ولغيرنا نوره.

## العقل غير العبادة

بعدها قرأت الروايات المباركة التي جاءت على لسان أهل العصمة عليهم السلام من أن العبادة شيء والعقل شيء آخر وما سمعته من قصة العابد الجاهل كما في بيان ذلك فهذا مجرد إفراز عقلي وذهني عن بقية المعاني فلا داعي للإطالة.

## الشيطنة غير العقل

كثيرا ما يرى من بعض أهل المكر والخديعة في زمننا هذا وما سبق كعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان أنهم يمتلكون العقل لكن قد اتضح من خلال الرواية أن الذي في معاوية هو النكراء وليست هي شيء من العقل وإنما تشبه العقل إذ لو كانت عقلا لعبد الرحمان واكتسب الجنان فهي شبيهة بالعقل والفتنة والتدبير وسوف يتبين إن شاء الله أن هناك جنود للجهل تشبه جنود العقل فمن هذا يحصل الاشتباه من أنها شيء من العقل أو العقل نفسه.

فالمماكره والمخادعة والتي هي من جنود الجهل تشبه في بعض الأحاديث جنود العقل فترى معاوية يصبر ويتحمل ويداري بعض من يسبه ولكنه يمكر ويخدع لينال ما أمل فهو يطيع ليعصي ويتواضع ليتكبر وهذا من قبل هؤلاء الذين يرشحون أنفسهم للمناصب السياسية فتراهم قبل ذلك يأتون الناس متواضعين طيبين حلما صلحاء ولكن بعد ما يصعدون المناصب يتبين أن هذه شيطنة ومماكرة ومخادعة وليس هي من صفات العقل بشيء .

## هل للعقل قوة ؟ ؟

قد يعملوا سوط الهوى على العقل حتى يكون العقل برمته مجندا في خدمة الهوى كما ربما يظهر من بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام -كم عقل أسير

عند هوى أمير- إلا أن في الحقيقة هذا ليس العقل الكامل الذي كمل عدة وعددا وتمت جنوده من حيث القوة وكان الوحيد في مملكة النفس.  
وإنما هو العقل الضعيف الذي امتلك بعض الجنود كالذكاوة والفطنة والفهم... الخ، مع فقدان الكثير من جنوده وهيمنة جنود الجهل كما بيناه فيما سبق.

فإن العقل الكامل لا يمكن أن يظلم أبدا بل يقهر الجهل تكويننا فيدحر جنوده عن ساحة النفس الإنسانية فالعقل قوة فعالة وقاهرة وامتسلطنة في نفس الإنسان تدعوه إلى الخير وعبادة الرحمان في جميع الأحوال.  
ولو لم يكن قوة مناهضة لما استطاع الإنسان أن يعلوا ويرقى في مراتب الكمال فليس هو - العقل - فهم وإراءة للطريق ومجرد كاشف من قبيل العلم فالعقل ليس كذلك .

بل هو حامل لواء لا ينقصه شيء وذلك من حكمة الحق تعالى وهذا سيكون واضحا فيما بعد عندما تتعرف على جنود العقل.  
فمن جنوده العلم الذي هو كاشف بحد ذاته ومن جنوده العزم والإرادة والحزم والصبر والقدرة واليقين والشهامة والشجاعة والجهد والنشاط وكل هذه الجنود قوة فعالة محركة وليست كاشفة فحسب ولا يناظرها الجهل.  
ولا أظن أحد يشك بذلك مع خالص اعتزازي بكلام بعض الباحثين الأعلام حيث جعل العقل مجرد إراءة وكاشف والجهل قوة لما عرفت من البيان من دون حاجة إلى برهان.

ولعل هذا ناتج من خلال انطباع الإنسان على الشهوات وأنها - الشهوات - أول القوى رسوخا وأول ما يحل في أرض النفس فالطفل حافل بجنود الجهل قبل جنود العقل ولذا تراه يعاني في جهاد نفسه عندما يكبر فيخلق الإنسان عجولا، ظلوما، خصيما، ضعيفا كما عبر القرآن .

ومع ذلك لا يجعل هذا من الجهل أن يكون قوة والعقل كاشفا بل على العكس فلولا كون العقل قوة محرّكة وناهضة للمكافحة وللمجاهدة لما تحرر الإنسان من صفات وجنود الجهل بعد استيطانها الطويل في أرض النفس واتساع رقعتها.

ولذا نحن نجد الكثير من الناس يفعل المعاصي سنين طوال ولكن نراه عندما يعمل جاهداً قد وصل إلى المقامات العالية نسأل الله التوفيق وإضاءة الطريق وسعة المضيق.

فتحصل من ذلك أن العقل قوة متحركة ومحرّكة للنفس الإنسانية تناهض قوى الجهل ولذلك شاهد من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:-  
العقل الكامل قاهر للطبع السوء.

وعنه عليه السلام:- للقلوب خواطر للهوى والعقول تزجر وتنهى، فالعقل حاكم وقاهر وأوامره تكون أشد تأثيراً وفعلاً في النفس خصوصاً إذا كان كاملاً من حيث القوة التي تتمثل بجمعه المبارك من الأخلاق والصفات الحسنة المسماة في عرف الروايات بالجنود مضافاً إلى قوله تعالى.

### فصل في بيان بعض ثمار العقل

ذكرنا بعض ما حث على الاهتمام بهذه النعمة المباركة وأنها لها ثمار قيمة في حياة الإنسان من حيث كونها أساس الدين وصناعة الحياة الدنيا فما ضاع إنسان في هذه المعمورة إلا بتضييع العقل وما أودع في إمرء إلا استنقذه الله به في يوم من الأيام وله من الثمار ما يعلوا عليها شيء ولنذكر جملة منها تنويراً للأذهان وزيادة في الإيمان وتحصيلاً للإيقان.

- منها زجر النفوس عن خواطر السوء كما ورد عن الإمام عليه السلام للنفوس خواطر سوء والعقول تزجر منها وفي حديث آخر:- أيدي العقول تمسك أعنتها.

- ومنها التخلص من الأمراض الناتجة عن الوهم الذي هو من جنود الجهل.

- ومنها مقت الدنيا وقمع الهوى فالإنسان العاقل لو عرضت له الشهرة لفكر في حاله في الدنيا وأنه في حبال الإنظار وحبس الأبصار ومطر الأخطار وضيق الأعبار فهو في الشهرة مقيد وعبد وليس بحر وأنه في مسرح أمام الخلق أجمع فشره كخيريه ظاهر وعيبه أظهر ففي الخير محسود وفي الشر مذموم مشموت به وهو مطلوب ومدعو ومراد ولا يكفيه كثرة الزاد فإن أدى فخير وإلا اشتد عليه سفر المعاد.

فالشهرة أضرت في دين الرجل من الذئب في أغنام فلورأى صورته في المجالات وعلى جدران المحلات لعلم أنها سوف تكون في المزابل ويدوسها كل عامل ولو مدح بكلام سيذهب المادح والممدوح فلا بقاء إلا الإثم وخسران الجنان. فإن أعطى مدحوه وإن منع ذمومه فلا يخلص له لا بسلام ولا بكلام ولا زيارة من عوام ونهاره كليله ظلام في ظلام ولو مات تناهشته الأقلام فهو عن الله محبوب ومن الشيطان مغلوب وعند أهل العقل مكذوب فهو ينظر أن الشهرة والسلطنة من مهالك الدين والدنيا كذلك كما نشاهده من أصحابنا عصمنا الله وإياكم من كلما يشغل عن الله فإن الأئس بالناس من الإفلاس.

- ومنها قهر طباع السوء وتهذيب النفس وعنه عليه السلام:- العقل الكامل قاهر لطباع السوء ومن طهر من الإساءة غنم الآخرة والدنيا.

- ومنها معرفة الله تعالى:- العقل ما عبد به الرحمان واكتسب به الجنان وما عبد الله حتى عقل عنه .

- ومنها إطاعة الله عز وجل في الشدة والرخاء بخلاف أهل الجهل الذين يعبدون الله على حرف فإن أصابهم خير اطمأنوا وإن أصابهم سوء انقلبوا على أعقابهم خسروا الدنيا والآخرة.

- ومنها نيل التقوى فاتقوا الله يا أولي الألباب.

## العقل اساس الدين ..... (٦١)

- ومنها إدراك الخير كله وسوف يتضح ذلك عند ذكر جنوده فإذا كملت عدته ربح الدنيا والآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- إنما يدرك الخير كله في العقل<sup>(١)</sup> .
- ومنها فيه رشد الإنسان وعنه صلى الله عليه وآله:- استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا<sup>(٢)</sup> .
- ومنها أنه أصل العلم والداعي إليه قال أمير المؤمنين عليه السلام:- العقل أصل العلم وداعية الفهم<sup>(٣)</sup> .
- ومنها أنه دليل المؤمن وسراجة في الظلمات فعن الصادق عليه السلام:- العقل دليل المؤمن<sup>(٤)</sup> .
- ومنها الاستقامة عن أمير المؤمنين عليه السلام:- ثمرة العقل الاستقامة<sup>(٥)</sup> .
- ومنها أنه يؤدي إلى لزوم الحق والاستمرار عليه وعنه عليه السلام:- ثمرة العقل لزوم الحق<sup>(٦)</sup> .
- ومنها نقصان الشهوة وعنه عليه السلام:- إذا كمل العقل نقصت الشهوة من كمل عقله استهان بالشهوات<sup>(٧)</sup> .
- ومنها حسن العمل وجودته وعنه عليه السلام:- من كمل عقله حسن عمله<sup>(٨)</sup> .

---

(١) بحار الانوار ج٤ ص ٧٤ ص ١٥٨.

(٢) بحار الانوار ج١ ص ٩٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ص ١٠٥.

(٤) الكافي ج١ ص ٢٥ كتاب العقل والجهل.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٥٣.

(٦) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٥٣.

(٧) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٨) الخصال ج٢ ص ٦٣٣.

- ومنها أنه محط مخاطبة الله ومناجاته فإن القرآن لم يخاطب عامة الناس وإنما الخاصة منهم وهم أهل العقل كما ذكرنا سابقا فتبين أن المحاورات النبيلة والجليلة لم تكن إلا لأهل العقل وخصهم بالتكاليف لأنهم يرون أن التكليف منه تعالى تشریف وصحبة ورفقة هذا ابن فهد الحلبي لما بلغ مبلغ الرجال وأصبح مكلفا أعد وليمة في ذلك اليوم لأجل أنه أصبح مقبول العمل ومنظورا من قبل الله بخلاف ما نحن عليه من بعض التكاليف فأين هذا من هذا .

فانظر إلى موسى عليه السلام كيف تلتطف وتذاكا مع الحق تعالى ليحظى بإطالة الكلام منه تعالى فهو يرى الأئس بهذه التكاليف وأنها خطابات سمعية وأصبح العاقل من بعد معاشرة الأطفال على مائدة ملك الملوك وبالتكاليف تسربل لباس الإنسانية وخلع خلع البهائم والمجانين الذين لم يخاطبهم الله بتكاليفه .

- ومنها أنه مقبول العمل مع قلته ومضاعف الثواب كما عرفت .

- ومنها أن نومه عبادة وأفضل من القائم الصائم .

- ومنها الحصول على الإخلاص قال أمير المؤمنين عليه السلام:- العاقل إذا علم عمل وإذا عمل أخلص<sup>(١)</sup>، فالأحبة الذين يريدون أن يصلوا إلى التوحيد وذروته لا بد أن يخلصوا لله في العمل ولا يخلصوا حتى يحصلوا على مرتبة العقل .

- ومنها أنه يمنع من الوقوع في مهابط الجهل والعصيان فالعقل عقال أي أنه قيد يحفظ الإنسان من الانزلاق في مهاوي الردى قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- إن العقل عقال من الجهل<sup>(٢)</sup> .

- ومنها إحراز الحصول على الدين قال أبو عبد الله عليه السلام:- من كان عاقلا كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة<sup>(٣)</sup> .

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٥٣ .

(٢) تحف العقول ص ١٥ .

(٣) أصول الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل .

- ومنها الهداية إلى أحسن الأعمال وأفضل الأقوال فلا ينتخب منهما الوضيع وإنما أرفعها وأحمدها عند الله قال تعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)<sup>(١)</sup>.
- ومنها حصول الرغبة في الآخرة والرغبة منها.
- ومنها الهداية إلى التفكير والتذكر بآلاء الله قال تعالى (إنما يتذكر أولوا الألباب).
- ومنها أنه يكون أعلم الناس بربه قال أبو عبد الله عليه السلام:- يا هشام أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً<sup>(٢)</sup>.
- ومنها أنه في أرفع الدرجات وعنه عليه السلام:- يا هشام أكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.
- ومنها يخلص الإنسان من الحسد الذي يؤل إلى صحة الإنسان كما ذكر ذلك في الروايات .
- ومنها النجاح في الحياة المادية؛ لأن من جنوده الحزم والعزم والصبر والحكمة والنشاط وهذه كلها تجعل صاحبها موفقاً في الحياة المادية.
- ومنها أن صاحب العقل محترم عند أهل البيت عليهم السلام قال الإمام الرضا عليه السلام:- لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له<sup>(٤)</sup>.
- ومنها الحصول على شكر النعم فمن دونه كالدابة تأكل علف صاحبها من دون التفات وبالعقل يشكر الله تعالى ويحظى العاقل بموآنة الحق وخطابه وأما الحمير فحظه من الأمير الحشيش فاعتبروا يا أولي الألباب .

(١) سورة الزمر / آية ١٨.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٦.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الكافي ج ١ ص ٢٧.

لقد بينا في هذا الخطاب للأذهان ما قد غاب ونستغفر الله من زلل الجواب  
وَألا يهتك عنا ستر الحجاب.

## فصل في بيان علامة العاقل

اعلم أن أحاديث أهل البيت عليهم السلام على طوائف في ذلك منها ما  
يشير إلى علامة وجود العقل في الجملة أي وجود بعض جنوده إلا أنه الغالب على  
ساحة النفس فهو عاقل في نظر أهل النظر وبعضها تشير إلى كمال العقل من كمال  
عقله وهذا في الواقع أعز من الكبريت الأحمر وأنه لا يكون إلا في مؤمن امتحن  
الله قلبه للإيمان كما صرحت به الروايات المباركة والذي أشار إليه الإمام عليه  
السلام وحث على طلبه من الله تعالى بالتضرع إليه.

وكيف ما كان أن الاتصاف بالعقل في نظر الإمام عليه السلام والحصول  
على وسامه وعنوانه يكون فيما إذا غلب على ساحة نفسه جنود العقل وضعفت  
فيه جنود الجهل وليس من الحتم أن تهزم جميع جنود الجهل بالكامل عن ساحة  
النفس.

فنقول وعلى الله الاتكال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- قسم العقل  
على ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه كمال عقله ومن لم تكن فيه فلا عقل له:-

- حسن المعرفة بالله عز وجل.

- وحسن الطاعة لله.

- وحسن الصبر على أمره<sup>(١)</sup>.

إن هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله ليست هي من  
مقومات العقل ومكوناته بحيث تعد هي العقل وكنهه بل هي من آثار الفعل ذلك  
الصنع الإلهي ووجودها في الإنسان كاشف عن وجوده فيه هذا هو المنسب إلى

(١) بحار الأنوار ج١ ص١٠٦.

الأذهان وربما تساعد عليه بعض الروايات الشريفة - العقل ما عبد به الرحمان واكتسب به الجنان - فإذا بلغت آثاره إلى هذه الأمور الثلاث فقد كمل عقله وهذا مما لا شك فيه من حيث إن جوهر العقل في الإنسان لم يكن ويوجد إلا لأجل ذلك أي لأجل المعرفة الإلهية والطاعة الربانية والصبر على تكاليفه فيصل الإنسان إلى مرتبة الكمال وسعادة الدارين وبذلك تحقيق الغاية القصوى من وجوده في هذا العالم.

والإتيان بهذا التعبير منه صلى الله عليه وآله - وهو حسن المعرفة والطاعة والصبر - يهدف إلى الإشارة أن هناك عدة مقامات للمعرفة وطرقا مختلفة فالمراد من كل ذلك تحقيق ما هو أحسنها وأفضلها عند الله تعالى فالحق تعالى لا يرضي من معرفته إلا بأحسن المعارف والسبل التي تتناسب مع شأنه ويريد منا حسن الطاعة ولم يرد تعالى مطلق الطاعة ففرق بين طاعة علي عليه السلام المصحوبة بالاستجابة النفسية والممزوجة بالشعور بالتقصير في حق الله وبين التي تكون على ما يخالف النفس ويرضي الله ومشوبة بالمن والأذى .

الطاعة غير المنسجمة مع النفس وإن أقر بها العقل فسلوك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سلوك آبائه من الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم عليه السلام وهو التسليم لله رب العالمين وأنه يرى عبادته عزا وشرفا وكرامة وتشريفا بل عندهم أهل البيت ذكر الله طعاما يقوي الأبدان والأنفس ولولا ذكره لما عاشوا طرفة عين أفلا ترى في أدعيتهم يقولون مخاطبين الحق تعالى بذكرك عاش قلبي، ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا، ما ألد ذكرك على القلوب، ومن أفضل النعم جريان ذكرك على ألسنتنا.

ومقولة أمير المؤمنين عليه السلام:- إلهي كفى بي عزا أن أكون لك عبدا وكفى بي فخرا أن تكون لي ربا أنت كما أحب فاجعلني كما تحب وفي كلام لهم عليهم السلام:- العزيز من أعزته طاعتك والذليل من ذلته معصيتك وهذه العبادة

لا يعادلها شيء من عبادة عامة الناس الذين يعبدون الله خوفا من ناره أو طمعا في جنته ومن هذا حظه من العبادة لم يتجرد من صفات البهائم بعد .  
فإن البهيمية في نفس الإنسان لها مراتب لا يتخلص منها حتى يعبد ربه عبادة الأحرار فيكون بذلك شكر الحق تعالى وإن كان كل ذلك بفضله وإحسانه .  
وأما حسن الصبر فهو الصبر الجميل أي ما لا يشوبه الجزع كصبر يعقوب عليه السلام وصبر زينب سلام الله عليها التي رفعت رأس الحسين وقالت:- ربنا تقبل منا هذا القربان ومقولتها المشهورة ليزيد:- ما رأيت إلا جميلا فهذا الصبر لا يوازنه صبر أحد من العالمين .

فتحصل مما ذكر إن الذي يبلغ وينال مثل هذه المواهب الإلهية بنعمة العقل يكون قد بلغ مرتبة كماله وعظم جماله وفقنا الله لنيله .

لا يكون المؤمن عاقلا حتى تجتمع فيه عشر خصال:-

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعبد الله بشيء أفضل من العقل ولا يكون المؤمن عاقلا حتى تجتمع فيه عشر خصال:-

- الخير منه مأمول .
- والشر منه مأمون .
- يستكثر قليل الخير من غيره .
- ويستقل كثير الخير من نفسه .
- ولا يسأم من طلب العلم طول عمره .
- ولا يتبرم - أي لا يضجر - بطلاب الحوائج قبله .
- الذل أحب إليه من العز .
- والفقير أحب إليه من الغنى .
- نصيبه من الدنيا القوت .

- والعاشرة:- لا يرى أحدا إلا قال هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلا ن:- فرجل هو خير منه وأتقى وآخر هو شر وأدنى<sup>(١)</sup> .

فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع ليلحق به وإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال عسى خير هذا باطن وشره ظاهر وعسى أن يختم له بخير فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه<sup>(٢)</sup> .

أقول أن ذكر هذه العلامات مهم جدا لطلاب العقول لصالح أنفسهم وبهذا يتضح حقيقة الإنسان عندما يعرض نفسه على هذا الميزان ويوزن نفسه في قول النبي صلى الله عليه وآله ويرى هل هو من العقلاء أم لا .

فالمفهوم من هذه الأحاديث المباركة أن المتخلف عن هذا الميزان لا يعد نفسه من العقلاء فما لم تستكمل فيه هذه الخصال لا يعد عاقلا وبعد هذا أقول ماذا ينتظر الإنسان عندما يجد من نفسه أنه قد تخلف عن زمرة العقلاء فما الذي يجعله مطمئنا في رقاد الجهل فهلا شمر عن ساعديه وعمل جاهدا لتحصيل العقل وبناء مملكته في نفسه .

بل لا بد من العرض بين الحين والآخر على هذه الأحاديث حتى ينكشف الواقع الحقيقي للإنسان فإن مسيرة الجهلاء في الآخرة صعبة جدا وذكرنا جملة منها في كتابنا - المعاد - هذا لأن المؤمن هو الناجي يوم القيامة والحال لا يكون الإنسان مؤمنا حتى يكتمل عقله فالأمان للمؤمن ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكو عاقلا.

قال أبو جعفر عليه السلام:- لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون كامل العقل ولا يكون كامل العقل حتى يكون فيه عشر خصال..... الخ الحديث كما مر<sup>(٣)</sup> .

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج ١ ص ١٠٨.

(٣) الآمالي للطوسي ص ١٥٣.

والذي يتضح من هذا الحديث المبارك وغيره أن هذه الخصال العشرة لو اجتمعت في الإنسان كمل عقله وتم .  
ومن المعلوم أن تمام العقل لا يكون إلا بعد أن تصبح ساحة النفس ومملكته الروح للعقل وجنوده ولا مقام للجهل فيها بالمرّة.

### صفة العاقل أن يحلم :-

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:-

صفة العاقل أن يحلم ويتجاوز عن ظلمه ويتواضع لمن هو دونه ويسابق من هو فوقه في طلب البر وإذا أراد أن يتكلم بتدبر فإن كان خيراً تكلم فغنم وإن كان شراً سكت فسلم وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله وأمسك يده ولسانه وإذا رأى فضيلة انتهزها لا يفارقه الحياء ولا يبدوا منه الحرص فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل .

وصفة الجاهل أن يظلم من خالطه ويتعدى على من هو دونه ويتناول على من هو فوقه ، كلامه بغير تدبر إن تكلم أثم وإن سكت سها وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته وإن رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها لا يخاف ذنوبه القديمة ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب يتوانى عن البر ويبطئ عنه غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيعه فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل<sup>(١)</sup>.

### إذا حدثته لا يجترئ عليك :-

ومن صفات العاقل ومواضع استكشاف عقله أنه إذا حدثته ومازحته وأكثرت مخالطته لا يجترئ عليك لا بفعل ولا بقول وأما الجاهل ما أن خالطته في فترة زمنية قصيرة إلا وبدأت التجاوزات والكبوات والعثرات اللسانية وحينها يندم العاقل على ما خالط ومازح به الجاهل .

(١) بحار الأنوار ج١ ص١٢٩.

## العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه:-

عن الحسن عليه السلام:- العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يقدم على من يخاف العذر منه ولا يرجو من لا يوثق برجائه<sup>(٢)</sup>.  
إن الآثار المحمودة التي تصدر من العقل يوشك أن لا تعد فهذه الصفات والتي يتحلى بها صاحب العقل يتشعب منها شعب كثيرة وأن العقل ما تعلق بشيء إلا وأحسن الصورة فيه وسوف يتضح بإذن الله تعالى ضمن أحاديث أهل البيت عليهم السلام ماذا يتشعب عن العقل من صفات فهو المبدأ لكل خير يصدر من الإنسان والباعث إليه .

ولذا كان موضع خطاب الحق تعالى وأول ما أبدى محاورته سبحانه وتعالى كانت مع العقل قال له أقبل فأقبل أدبر فأدبر، بك أعاقب وبك أثيب، خلقتك خلقت عظيمًا، كرمتك على جميع خلقي ..وعزتي وجلالي ما خلقت خلقتا هو أحب إلي منك، وأكملك إلا فيمن أحب، أما أني إياك أمر و إياك أنهى وإياك أثيب، لك الثواب وعليك العقاب، بك آخذ وبك أعطي وعليك أثيب.

فهذه الخطابات كانت مع أول مخلوق يخلقه الحق تعالى فما أبدى الله عنايته بمخلوق مثل العقل وذلك لأنه منبع الخيرات وهو الأصل الذي ينطلق منه جميع المعارف الإلهية كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد أو حسن الطاعة وحسن المنقلب وبه تتضاعف الكمالات فلا يرقى الإنسان مرقاة في التوحيد إلا وكان العقل هو الأصل فيها والباعث إليها والتأخير في حصول المعارف الإلهية تكون نتيجة عدم تكميل العقل وبناءه .

فالعباد والطائعون له تعالى ما عبدوه ولا أطاعوه حتى عقلوا عنه تعالى ومن ابتدأ عبادته من دون العقل زل وتخبط وسار على غير الطريق الذي يرتجيه ولذا الكثير من الناس يعبدون الله تعالى سنين طوال أو يدرسون التوحيد كذلك ولكن

لم تظهر لهم الآثار ولم يقطفوا الثمار و أسباب ذلك وعلله هو تأخير نمو العقل ولذا فالإنسان لا يستفيد ولا يترقى إلا بعد الأمد البعيد أي بعد نمو العقل وتكميله بطريق التجربة أو اللطف الإلهي في جند العقل نتيجة الأفول عن الحياة الدنيا فمصباح العقل هو الذي يسير العقل ويثمر أشجار العبادة والعلم فكم من صاحب علم لا عقل له ولا عكس في ذلك!!

فبدلاً أن يطيل الإنسان في تحصيل العبادة ولا تكون هناك ثمار أو يدرس التوحيد كذلك يدرسه دراسة معمقة قالت الماهية وحكى الوجود والتوحيد الذاتي والأفعالي.... الخ الواجب أن يشغل نفسه فيما هو أساس ذلك ويبغي الزيادة فيه ومن بعد ذلك يكون النقش على العرش وليعتبر هؤلاء الذين لا يجعلون لبناء العقل أهمية في حياتهم ويصرفون جل أعمارهم في تحصيل الأمور الأخرى بالذين عبدوا وآلت عبادتهم إلى الخسران والذين تعلموا العلم وآل علمهم إلى الكذب والغيبة والحسد والبهتان .

فلو أنهم عقلوا عن الله ما زلوا وما اختلفوا فإن الله تعالى بعث على وجه هذه الأرض آلاف الأنبياء فما اختلفوا في كلام ولا توجيه طريق وذلك لأنهم عقلاء وكان في زمن بني إسرائيل يعيش في المصر الواحد أكثر من نبي فما اختلفوا ولا تنازعوا لأن الهدى واحد والعقل هاد إليه أما والله لو آمنتكم وعقلتم ما اختلفتم لكن أنظر بعين الأدب والخلق الرفيع إلى ساحة عصرنا الحاضر كيف اختلفت الكلمة وتلاشت الوحدة والغريب والعجيب أن كل ذلك لم يكن إلا بعد أن أوتوا العلم والبينة فهل العلم هو الجاني على الوحدة أم هم الذين جنوا على أنفسهم نسأل الله الهداية والعصمة عن الغواية وكان من الأفاضل من أسأذتنا دام عزه يقول:- تأتون للدراسة بدء متوحدين متماسكين أصحابا غير مفرقين ثم ما إن درستم المنطق وتعلمتم بعض المصطلحات صرتم مختلفين.

## العاقل من كان ذلولاً:-

قال الصادق عليه السلام:- العاقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق منصفاً بقوله:- جموحاً عند الباطل خصماً بقوله يترك دنياه ولا يترك دينه ودليل العاقل شيئاً:-

١. صدق القول
  ٢. وصواب العقل
  - والعاقل لا يحدث بما ينكره العقل
  - ولا يتعرض للتهمة
  - ولا يدع مداراة من ابتلى به
  - ويكون العلم دليله في أعماله
  - والحلم رفيقه في أحواله
  - والمعرفة تعينه على مذاهبه<sup>(١)</sup>.
- أقول:-

إن العاقل لا يتحدث بما ينكره العقل وذلك لأجل أنه يستخرج غور الحكمة والعلم والمعرفة بالعقل فيغوص العقل إلى ما يطرأ عليه من كلام أو فعل فيعمله ويجول به في جميع الموازين والمعايير والقواعد والضوابط فيصفو له الكلام والفعل من كل كدورة وشائبة تنافي تلك المعايير والقواعد .

فإذا كان الكلام شيناً غير موافق للحق نفرت منه جنود العقل واهتزت له مملكته فأخذت فيه النفير فهو عندهم مرفوض وإذا تجاوز العاقل عقله هجمت عليه الجنود فتودعه صريعاً بل تؤلمه كل ما كانت مملكة النفس مسيطرة عليها جنود العقل .

---

(١) بحار الأنوار ج١ ص ١٣٠.

## قيل ما العقل؟

قيل للنبي صلى الله عليه وآله:- ما العقل؟؟  
قال صلى الله عليه وآله:- العمل بطاعة الله وإن العمال بطاعة الله هم العقلاء<sup>(١)</sup>.

أقول:-

إن الذي يظهر من كلامه صلى الله عليه وآله من لم يعمل بطاعة الله مجنون وذلك الجنون من الجناية على النفس ولا تجد أشد من العاصي جناية على نفسه فقد أوردتها نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد وإن استغاث أهلها جاءهم من العذاب المزيد .

ينبغي للعاقل:-

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:- ينبغي للعاقل إذا كان عاقلا أن يكون له أربع ساعات من النهار:-  
- ساعة يناجي فيها ربه  
- وساعة يحاسب فيها نفسه  
- وساعة يأتي أهل العلم الذين ينصرونه في أمر دينه وينصحونه  
- وساعة يخلي بين نفسه ولذتها من أمر الدنيا فيما يحل ويحرم<sup>(٢)</sup>.

أقول:-

الاهتمام بتقسيم الوقت وإيجاد البرمجة والنظام الزماني والمكاني في حياة الإنسان أمر مهم جدا فهو مفطور على ذلك وليس كالبهائم والعجماءات لأنه مؤاخذ في وقته من قبل ربه ومن قبل نفسه وأهله فالزمن رأس مال الإنسان ويمثلونه بالثلج في الصيف الحار لابد من تعجيل بيعه ليكسب ربحه قبل ضياعه

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٣١.

(٢) نفس المصدر.

ونفاذ رأس ماله ولا بد أن يقسم وقته حسب مقتضى الحال فإن ربه يريد منه ونفسه كذلك وعياله ومجتمعه أيضا وكثيرا ما يخفق الإنسان في توازن هذه الأمور فدائما تجده بين الإفراط والتفريط وهذا شأن الجاهل وعليه يجب أن يكون حازما في تنظيم الوقت وعدم السماح أن تتعدى مساحات بعضها على الآخر كي يكون إنسانا ناجحا .

فالعلماء أول خطوة ابتدوها في مسيرة حياتهم التكاملية كانت في تنظيم الوقت واغتنامه وبعض الناس يقضون أوقاتهم باللعب واللهو وبعض في قضاء حوائج الناس يجلون مشكلة فلان وفلان حتى أنهم يؤخرون صلاتهم وعبادتهم بحجة أنهم في عمل صالح وهو إصلاح ذات البين نسوا إمامهم الحسين عليه السلام لم يترك الصلاة في مطر من السهام ولعمري أن هذا لواضح ولكن الشيطان يعمي ويصم وبعضهم يشغلون في الخطابة ولم ينظروا إلى غيرها حتى أنستهم أنفسهم.

أحيتي:-

إنما نحن بشر مثلكم ولسنا كالأنبياء حتى يوحى إلينا أمر الله ونهيه ولا يلقي في روعنا كالأئمة إن قرأنا علمنا وإن تركنا جهلنا وإذا قلنا لا بد من أن نعمل قبلكم كيف وعلم ساعة يحتاج عملا طول الدهر فما بالك بهذه العلوم التي نقرأها ليل نهار كم تحتاج من الوقت كي نطبقها.

فالعلم يهتف بالعمل فإن أجيب وإلا ارتحل وكيفما كان يلزم العاقل أن يقسم وقته على مقتضى حاله التكويني فإن الإنسان مركب من النفس والعقل والبدن وكل يريد طعامه ولا يصبر والحمد لله على ما أطعمنا من عظيم علمه وجسيم أمره .

علامة العاقل ثلاث:-

قال الإمام الكاظم عليه السلام:- يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول:- إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال:-

- يجيب إذا سئل
  - وينطق إذا عجز القوم عن الكلام
  - ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فإن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق<sup>(١)</sup>.
- أقول:-

هذه الخصال من آثار نضوج العقل كاشفة عن وجوده في الرجل وتخلفه عنها دلالة على حماقته حسبما يظهر من الرواية وهذه الأمور لا بد أن تقع منه بالاستجابة الطبيعية وكونها ملكة راسخة وإلا فالتكلف أشد حماقة .

### العاقل من يضع الشيء مواضعه:-

- سئل أمير المؤمنين عليه السلام:- صف لنا العاقل؟
- فقال:- هو الذي يضع الشيء مواضعه .
- ف قيل:- فصف لنا الجاهل؟
- فقال:- قد فعلت<sup>(٢)</sup>.

أي أنه عليه السلام وصف الجاهل وبينه بحسب المفهوم أي مفهوم المخالفة والدلالة اللازمة المرافقة للدلالة المطابقة وليعلم إن وضع الشيء في مواضعه قد يعاني هذا القانون مشكلة في الفهم وتارة أخرى في التطبيق بأن يكون المفهوم بينا وواضحا لكن التطبيق يحتاج إلى دقة وكثيرا ما يخفق الناس في مرحلة التطبيق ولذا ينسبون النقص للقانون وهو خلاف.

وأقول مبينا أن المقصود من وضع الشيء في مواضعه هو أن يكون الإنسان محكما للموازن والمعايير في جميع أعماله ولا يتخلى عن تفعيلها في حياته العملية

---

(١) الكافي ج ١ ص ١٩.

(٢) بحار الانوار ج ١ ص ١٦٠.

فمثلا ماء الوجه أعز شيء كما تعلمون فلا تقطره إلا من يعرف قيمة ذلك الماء أي أنه إياك وأن تضع حاجتك عند اللؤام من الناس بل عليك بأصناف ثلاث:-

- إما أهل الدين

- وإما أهل المروءة

- وإما أهل الشرف

فإن صاحب الدين يمنعه دينه عن الرد وصاحب المروءة تمنعه مروءته عن الرد وصاحب الشرف يمنعه شرفه عن الرد فهؤلاء كلهم أصحاب حياء. ولكن المشكلة في عدم تطبيق هذا المعيار فيتركه ويضرب به عرض الجدار فيقدم على إهانة نفسه بنفسه ولا يلومن إلا نفسه كذلك فعل الخير فلا تضعه عند الوضع فإنه يضيع كالزرع في الأرض السبخة .

فخلاصة الأمر هو تفعيل المعايير التي استفادها الإنسان في حياته وألا يغلب جانب الهوى والطمع فإن الطامع في وثاق الذل فالיום نجد بعض الناس ومن أحببنا ومن خاصة شعبنا أعطوا أموالهم الطائلة في شركات وهمية من دون أية وثيقة ومستند مع دقتهم في معاملتهم مع عامة الناس فتجدهم يحسبون ربح (الفلس والسنت) لكنهم غلبوا جانب الهوى فأعمى بصيرتهم عن المعايير.

### **فصل في بيان طرق استكشاف العقل**

الذي مر من البحث - علامات العاقل - وهو هام جدا في استكشاف العقل ولذا نحن أكدنا عليه حسبما تشرفت بقراءة أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفيما ذكرناه الكفاية ولا يحتاج إلى مزيد من العناية فهذه الآيات والعلامات لا بد من أن تكون ميزانا يعرض الإنسان نفسه عليها أولا و تكون مصباحا للاستكشاف من يتعامل معه من الناس لأن التعامل مع الناس لا بد من أن يكون عن بصيرة وعن علم ودراية وإلا كانت العاقبة غير حميدة كما هو الظاهر من المشاكل الاجتماعية فالصاحب والصديق والشريك.... الخ لا بد أن يكونوا كل

هؤلاء من العقلاء وإلا كانت صحبتهم تجر الويلات ونحن سوف نذكر طريقا في معرفة ذلك ذكرته الروايات الشريفة .

فما عن الصادق عليه السلام أنه قال:- إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل وإن صدقه فهو أحمق<sup>(١)</sup>.

هذه الأساليب موضوعة لبيان الشخصية العاقلة فيما إذا دعت الضرورة لذلك وإلا فالملتضي في العلاقات الاجتماعية هو التغابي عن عيوب الناس ومساوئهم فالاختبار يكون لأجل الداعي والغرض كما لو أراد الشخص تكليفه بمهمة كإدارة بلد أو جعله رسولا عنه في موضع مصارعة الرجال الكلامية فإن هذا يحتاج إلى العاقل لأن كلام العاقل موزون بالعقل حتى يخرج إلى السامع بخلاف كلام الجاهل.

وكلام القادة والسادة محسوب ومؤاخذ عليه خصوصا في أزمئتنا هذه فالكلام هو الآلة للحرب أكثر من غيره وسبق منا بيان ذلك.

والطرق مختلفة بحسب العادة وما يقتضيه الحال وليس واقعة تحت ضابطة حتى يمكن بيانها لكن لا بأس ببعض البيان لأساليب الاختبار .

- فأما أن يروي له بعض المحالات العقلية والتي لها درجة من الوضوح بحث لا يكاد أن تكون خفية بأدنى تأمل.

- وأما أن يذكر له المستحيل بحسب العادة.

- وأما أن يأمره بما هو مرفوض عرفا ومستقبح عندهم .

- وأما أن يطلب منه فعل ما لا يليق لسنه وكبره ومهمته .

وهذه الاختبارات قامت بها بعض المؤسسات الإرشادية فعلى ما يخطر ببالي أن شخصا قدم طلبا لأن يكون أحد أعضاء مؤسسة إرشادية وكانت مهمتها دفع الشبهات عن المذهب فلما دخل قاعة الاختبار طلبوا منه أن يرسم قطة

فرسمها فكانت النتيجة هو رفضه حيث لو كان عنده نسبة من العقل لرفض ذلك ممن طلب منه والجواب أن هذا الأمر لا يليق بشأني ولا يليق في هذا المكان المقدس.... الخ .

ولكن الذي عرفته في حياتي وصادفني أن أهل الاختبار يحتاجون إلى الاختبار وليس لهم نسبة من العقل وليس ذلك أمرا عاما لكن وجدته في أهم المراكز العلمية وهذا سببه عدم الضبط من أهل الإدارة .

وأنهم لا يريدون إلا من يتملق لهم ولا يطلبون أهل العزة والكرامة وأصحاب العقل والفهم الذين لا يسألون الناس إلحافا .

ومن طرق الاستكشاف هو النظر إلى الشخص فإذا كان معجبا بنفسه فإنه ناقص العقل لا محالة - لأنه لا يعجب المرء بنفسه إلا بعد انطفاء مصباح العقل - قال أمير المؤمنين عليه السلام:- إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله<sup>(١)</sup> .

#### أبرز الطرق للاستكشاف:-

ونحن ذاكرون أبرز الطرق لمعرفة العاقل والتي مرت لها الإشارة في صريح العبارة وهي طاعة الحق تعالى وامثال أوامره تعالى فهذا يعد من أهم السبل لمعرفة العاقل فإن الذي أطاع الحق تعالى وسار على السنن الإلهية وتمسك بالعروة الوثقى يكون عاقلا لا محالة وإن كان لا يظهر منه العقل بالاهتمام بالشخصية والمظهر الخارجي .

فإن العادة الجارية للمعرفة هي حسن الظاهر والاهتمام به وهذا في نفسه من الأخطاء الشائعة التي يجب أن يغيرها الإنسان الرشيد في معرفة حقائق الأمور لأن الكنوز متخفية عند أهلها وأهل العقل أو العلم والمعادن الطاهرة لا يجبون الظهور والاشتهار بل ما حملوه من علم أو عقل دعاهم للانكسار والتخفي والخمول فهذه النجف تحوي جهابذة في العلم والمعرفة الإلهية ولكن لا تعلمون وذلك لأن

السنبلة الناضجة تحني والفارغة تشمخ وفي بيان ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله:-

إن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر وإن الجاهل من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر<sup>(١)</sup> .  
أقول:-

نعم إن بعض الناس لو جردتهم عن المركب الذي يركبونه وملبسهم الذي يلبسونه تراه لا يعدل في المجتمع بجناح بعوضة لأنه لا جوهر له فارغ الفؤاد لا يستطيع أن يصيغ عبارة واحدة ومن هوان الدنيا على الله أن يرتقي المناصب العالية وأكثر من ذلك أن الدنيا لم يعلو شأن أحد فيها إلا المتردية والنطيحة .  
وأما حال بعض الناس فلو أخذت منهم كل شيء لما كان إلا علما للهدى ومنارا للتقى وذلك هم أهل العلم والمعرفة والأنفس الزاكية وأصحاب الأرواح الطاهرة .

فالمتحصل أن يكون الضابط في المعرفة أن المطيع لله تعالى عاقلا مهما كان وكيف كان وإن العاصي جاهلا ولو ملك الدنيا وشق الشعر في متشابك العلوم .  
والذي أهدف إلى بيانه أن البعض يرى العزة لأهل المعصية فيؤثرونهم على دينهم ودنياهم فلا بد أن يعلموا أن العزة لله جميعا كما ذكر ذلك في كتابه وأنه يعطيها لمن يشاء ولم يعطيها لأهل معصيته فإن الوارد في القرآن الكريم أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين .

فما يرى من مظهر العزة على أهل معصيته ليس بعزة بل هي ذلة بعينها ولكن لا تشعرون فإن مثل هؤلاء تركوا العزة والكرامة وضعفت أنفسهم وخضعت لأهوائهم فعبدوا الدنانير والدراهم التي هي في الحقيقة معادن والذهب الذي يؤول إلى الثرى وعبدوا الجاه والشهرة حتى صاروا يدارون أخس الناس لأجل شراء قلبه ألا يعلموا هؤلاء ومن مثل بين أيديهم إن العزيز من أعزته

(١) مرآة العقول في شرح اخبار الرسول ج١٩ ص١١٨.

الطاعة لله والذليل من ذلته المعصية فإن هؤلاء العصاة الذين يتكبرون على الناس ويحتقرونهم أذلاء يوم القيامة وإن الوارد في السنة الشريفة أن الله يجعلهم نملا تسحقهم الخلائق حتى يفرغ من الحساب فالحقيقة الآخروية انعكاس لظاهر الدنيا نسأل الله تعالى أن يخرجنا من ذل معصيته إلى عز طاعته فقد أخذنا الكلام فنطلب العذر من رب الأنام.

### في ستة أشياء يكون الاختبار: -

وهناك طرق أخرى للاستكشاف نذكرها في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام: - ستة تختبر بها عقول الناس الحلم عند الغضب والقصد عند الرغبة والصبر عند الرهب وتقوى الله في كل حال وحسن المداراة وقلة المماراة . سيتبين فيما بعد إن هذه تعد من أهم جنود العقل وأما الطفل فيعرف عقله من شدة حياته .

## فصل في بيان طرق تقوية العقل

في هذا المقام نحاول أن نذكر جملة من الأمور التي تساعد على إيجاد العقل وتقويته في الإنسان وهذا يعتمد على عاملين:-

- عامل البناء

- وعامل الوقاية

فهناك أمور تبني العقل وهناك أمور تهدمه وتنفي وجوده أو تضعفه فمثل هذه الأمور كالخمر وغيره يجب أن يتوقى منها ونحن ذاكرون أولاً الأمور والعوامل التي توجد العقل وتعمل على تقويته وتكمله في الإنسان ومن الله التوفيق.

وقبل الخوض في أصل المطلب أبين أن العقل عقلان مواهب ومكاسب فمنه ما يكون هبة من الله تعالى فيودعه الله تعالى في الإنسان ضمن عمر معين ومنه من يعجن في نطفته ومنه من يعطيه بعد ولادته ومنه ما يكون بعد أن يبلغ الحلم وذكرنا ذلك في رواية الإمام سلام الله عليه<sup>(١)</sup>.

فالهبة الإلهية للعقل بالنسبة للإنسان تختلف بحسب مراحل العمر والذي يظهر من روايات أهل البيت عليهم السلام أن هذه الهبات تكون مواصلة في بعض الناس ومنقطعة في البعض الآخر وإن الهبة تكون له بحسب القانون الطبيعي للإنسان إلى الثلاثة والثلاثين من العمر ومن بعد هذا يعمل المقوم الثاني ويكون هو المفرد في ساحة النفس وهو التجارب التي عبر عنها في الروايات بالمكاسب وإن كان مكاسب العقل أعم من التجربة فتعم أعمال الإنسان التي يقوم بها جميعاً لتقوية العقل كالفكر والعلم وغير ذلك مما سوف نقوم بذكره وإن هذه الزيادة في العقل تكون مستمرة إلى الخمسين والستين ومن بعدها يكون العقل في النقصان .

---

(١) فراجع.

قال الصادق عليه السلام:- يزيد عقل الرجل بعد الأربعين إلى الخمسين والستين ثم ينقص عقله بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

وهذا النقصان يأتي من خلال ضعف بعض قوى العقل وجنوده كالحافظة وغيرها وضعف بعض العوامل التي تزيد في العقل نتيجة ضعف البدن لارتباطها بالبدن فإن بعض جنود العقل والتي يقوى بها ويزداد مرتبط ارتباطا وثيقا بالجسم فلما يؤول الجسم إلى العجز والضعف يكون قد ضعفت جنوده وقوامه وهذا ما يؤدي بالنتيجة إلى ضعفه .

وأما عمر الشباب والفتوة فالإنسان في أشد مرحلة من الصراع بين العقل والجهل ففي العمر الذي يقضيه إلى ثمانية عشر سنة يكون الإنسان ساحة حرب طاحنة بين جنود العقل وجنود الجهل وفي سن الثامن عشر يغلب أقواها ويحكم مملكة النفس فإن ساعدته العوامل التربوية وغيرها من الألفاظ نجما مما وقع فيه وإلا فهو في أسفل سافلين .

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- ولا يزال العقل والحكم يتغالبان على الرجل الى ثماني عشرة سنة فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه<sup>(٢)</sup>.

كيف كان فلنشرع في مقومات العقل فالمقومات هي التي تهمنا في المقام والوارد عنهم عليهم السلام إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لصالح آخرته .

### العلم:-

يعد من أهم الركائز التي يرتكز عليها العقل وهو الجناح الذي يطير به العقل واللقاح الذي ينمي به ويزدهر ويعد مقوما أساسيا والدعامة التي يعتمد

(١) البحار ج ١ ص ١٣١.

(٢) البحار ج ١ ص ٩٦.

عليها في سيره اتجاه المعارف بمختلف أنواعها ويعد العلم من جنود العقل كما سوف نشير إليه بإذن الله تعالى في آخر المطاف.

فالعلم مصباح يستنير به العقل ويستكشف به كل مقوماته الأخرى ويعرف به المنافع والمضار وكل أمر يشينه لابد وأن يمر بطريق العلم وقد حث عليه الروايات والآيات قال الإمام الصادق عليه السلام:- كثرة النظر في العلم يفتح العقل<sup>(١)</sup>، وروي عنهم عليهم السلام إن العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب.

### السفر:-

السفر ممدوح في لسان العقل والشريعة وهو من عوامل النمو العقلي والفكري وأهم العوامل للترويح النفسي وله فوائد جمة يصعب استقصاؤها مع هذه العجالة وضيق النفس واهتمت به الشريعة اهتماما من يطلع عليه في لسان العترة يوشك أن يراه خير ما بعده من خير وذكروا له أوقاتا وآدابا من طلبها يجدها في الفصول الروائية التي تتكلم عن السفر وما يحثنا في المقام من الالتزام هو بيان أنه من الركائز التي تزيد في العقل وهذا لا ينكر لشهادة الوجدان والعيان فإنه يزيد في اطلاع الرجال وعلمهم وينمي العلم الذي يعد من أهم أجنحة العقل كما مر وندب إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال:- سافروا فإنكم إن لم تغنموا مالا أفدتم عقلا<sup>(٢)</sup>.

وفيما أفيد على لسانه المبارك صلى الله عليه وآله من المغانم الأخرى قال:- (سافروا تصحوا) ومن سافر البلدان يجد ذلك بالعيان وإن كان حظنا منه الحرمان نسأل الله العوض عنه لنا ولكم بالجنان إنه الحنان المنان.

(١) البحار ج١ ص١٥٩.

(٢) مكار الأخلاق ص٢٤٠.

مجالسة العلماء:-

لا يخفى أن مجالسة العلماء والنظر إليهم عبادة وطاعة لله تعالى وروضة من رياض الجنة ولا يعرفها إلا من أبصر النعم وشكر وغنم ومن الإثم سلم واجتنب اللمم كلامهم يشفي الداء العظام وعلمهم يصنع الأبطال ففي الخبر المروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:- مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح وأدب العلماء زيادة في العقل وطاعة ولاة العقل تمام العز..... الخ<sup>(١)</sup>.

وعد في روايات أهل البيت عليهم السلام إن ترك مجالسهم من الذنوب ويقسي القلب ففي دعاء أبي حمزة الثمالي عندما يذكر الذنوب التي دعت إلى فقدان التوفيق يذكر منها ترك مجالسة العلماء (أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلنتي).

فالظاهر أن ترك مجالسة العلماء يوجب الخذلان كما هو مصرح به في كلام الإمام سلام الله عليه والخذلان أعم من أن يكون في الطاعة والنصرة - ولعل النصره أظهرها لذا من الأفضل للأخوة الذين يريدون أن ينتفعوا بالمناصب السياسية أن يستنصحوا العلماء فإن العالم يعلم الدين والدنيا يعلموهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله إن دولة الكافر تدوم ودولة الظالم لا تدوم - وإن كان مسلما - يدعي بالتشيع وإن وقوف السلطان في باب العالم يجعله نعم السلطان .

وإن فرح السلطان بوقوف العالم على بابه على أي وجه كان فبئس العالم وبئس السلطان وإن اضطره إلى الحضور فبئس السلطان ومقرة يوم القيام الهوان . وكذلك التجار ليعلموا حديث بيت العصمة شاركوا من أقبلت عليه الدنيا وإن الربا كذا عقوبته وإن التاجر فاجر ما لم يتفقه في دينه ويرتطم بالربا لا محالة.

وكيف كان فنذكر جملة من الأحاديث التي تحث على زيارة العلماء  
أدامهم الله لنا:-

- قال الإمام الكاظم عليه السلام:- محادثة العالم على المذيلة خير من محادثة  
الجاهل على الزرابي<sup>(١)</sup>.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:- مجالسة العلماء عبادة.... الخ<sup>(٢)</sup>.

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- من جالس العلماء وقر ومن خالط  
الأئذال حقر<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام:- جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف  
سنة والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في البيت الحرام وزيارة  
العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت وأفضل من سبعين حجة  
وعمره مبرورة ورفع الله له سبعين درجة وأنزل الله عليه الرحمة وشهدت له  
الملائكة إن الجنة وجبت له<sup>(٤)</sup>.

ولكن ليس عند كل عالم:-

قال الإمام الكاظم عليه السلام: - لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم  
يدعوكم من الخمس إلى الخمس:-

- من الشك إلى اليقين.

- ومن الكبر إلى التواضع.

- ومن الرياء إلى الإخلاص.

- ومن العداوة إلى النصيحة.

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) البحار ج ١ ص ٢٠٤.

(٣) البحار ج ١ ص ٢٠٥.

(٤) البحار ج ١ ص ٢٠٥.

- ومن الرغبة إلى الزهد<sup>(١)</sup>.

الجلوس عند كل عالم من دون وجود مثل هذه الصفات يعد مهلكة للدين والدنيا وإن هلاك الناس على أيدي هؤلاء الذين لم يتصفوا بهذه الصفات كثير ومما يؤسف إليه أن الناس البعض منها اخذ ينحرف عن الجادة المستقيمة التي ندب إليها أهل البيت عليهم السلام فيريد عكس هذه الصفات كأن يريد عالما ثوريا - فقيها سياسيا - إلى غير ذلك من أقاويل إبليس اللعين والطامة الكبرى هو إتباع بعض الناس السراق لهذه العناوين ويشهد الله على ما في قلبه وأنه أفرغ من أوعية الجهال .

فلم يأخذوا أهل العلم والتقوى مقعدهم بل مليئت بالمرتدية والنطيحة والى الله المشتكى وعليه أن الذي يريد بقية العقل ويطلبه حثيثا لا يجده إلا عند أصحاب اليقين والتواضع والإخلاص والنصيحة والزهد والداعين إلى ذلك فإن هؤلاء هم العقلاء ولولا العقل لم يصلوا إلى ذلك أبدا.

### عوامل أخرى: -

لا يخفى من أن هناك عوامل أخرى مادية تعمل على تقوية العقل كالابتداء بالخل عند الطعام ومضغ اللبان وإذا مضغته الحامل يخرج الولد ذكيا والدباء فانه يزيد في العقل أيضا وهو نوع من اليقطين واكل السفرجل ثلاث أيام على الريق فانه يزيد في العقل واكله عموما كذلك والعسل أيضا وشحم الرمان والنظر للماء والخضراء واكل الزبيب.

### الفكر: -

فإن الفكر يعد أصلا للعقل كما هو وارد في روايات أهل البيت والفكر مرآة صافية وله شعب يطول شرحها وطرحها وفيما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) نفس المصدر السابق.

أصل العقل الفكر وثمرته السلامة وعنه عليه السلام الفكر ينير اللب وفي حديث أنه جلاء العقول.

### التجارة:-

تعد التجارة من العوامل المؤثر في زيادة العقل وورد عن أهل البيت عليهم السلام الحث على امتهائها وكانوا ينهاون عن ترك مزاولتها حتى للموسر و قالوا من ترك التجارة نقص عقله.

## فصل في بيان آفات العقل

سبق منا ذكر أن العقل له آفات كما كانت له مقومات وله جنود وسوف يأتي ذكرها بإذن الله تعالى ونحن ذاكرون هنا بإذنه تعالى آفات العقل مما يحققه أو يضعفه ولكن ليعرف أن الذي نذكره ليس كل ما هو موجود وإن هذا مني استقصاء فإن ذلك يحتاج إلى جهد كثير لا أستطيع الوفاء به مع انشغالي في مثل هذه المرحلة إلا أن الذي لا يدرك كله لا يترك جله ومن الله التوفيق وهذا الذي بين أيديكم يعد كافيا لمن رعاه حق الرعاية بل أراه يبلغ بالطالب الغاية لو كانت منه العناية فإن الهدى من أعلام الهدى قد حصل في ضمن هذه الأحاديث المباركة والتفصيل المذكور حسب ما بوبناه يفي بالغرض فنرجع بعد إلى ذكر آفات العقل .

### المزاح:-

فإنه من الصفات الذميمة شرعا وعقلا وأنه له آفات كثيرة جدا ليس استلاب العقل فحسب بل أكثر بكثير مما يتوقع حسب ما هو موجود وما ذكر في حقه وما جر إلى الويلات لا يعد فهو آفة الهيبة والوقار ويذهب بماء الوجه ويعدم السكينة ويورث الضغينة ويؤدي به إلى الاستخفاف وأنه بذرة فراق الأخلاء

ويطل العزيمة ويوحش الجليس ويميت العقل ويجلب حماقة لصاحبه وينسي الآخرة ويعقب الغفلة ويقسي القلوب ويجر إلى القول بالباطل ويورث الكذب ويدع الإنسان فقيرا ويزيد من سكرات الموت وأما ما ورد من تأثيره على العقل عن أمير المؤمنين عليه السلام:- ما مزح امرء مزحة إلا مج من عقله مجة<sup>(١)</sup> وعنه عليه السلام:- من غلب عليه الهزل قل عقله<sup>(٢)</sup> فالمزاح والهزل من جنود الجهل فتقويته في النفس تقوية للجهل وجنوده وإضعاف للعقل وجنوده والكلام فيه كثير من أراد المزيد فليراجع روايات أهل البيت عليهم السلام .

### سكر العقل في أمور:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال، وسكر القدرة، وسكر العلم، وسكر المدح، وسكر الشباب فإن لكل ذلك رياح خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار<sup>(٣)</sup> .

أقول:-

إن الذي أنسته الأذهان من السكر هو الخمر فلولا بيان إمامكم أمير المؤمنين عليه السلام ما التفتنا إلى مثل هذه الحقائق فلو علم منا أحد أن للمال سكر فهل يعلم في المدح سكر والعلم كذلك لذا يا أحبتي علينا أن نلتفت إلى أنفسنا إذا كان لنا شيء من القدرة والسلطنة والرئاسة أو المال أو العلم أو أخذتنا أمواج الألسن بالمدح أو الشباب الذي هو شعبة من الجنون ولنكن على حذر من هذا السكر العميق الذي يسلب العقول ومعلوم أن الإنسان إذا سلب فعل ما لا تقدر عليه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٦٩٢ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٦١٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٩٧ .

البهائم لو اجتمعت كلها في مكان واحد وزمان واحد بينما شخص واحد منا مسلوب العقل يقدر على حرق العالم بأجمعه .

فهذه وإن كانت نعمًا ورحمة لكنها عين الفتنة والابتلاء والمحنة ولم ينجو منها أحد إلا من بصره الله بعيوب الدنيا وانشغل بعيب نفسه عن عيوب الناس ولهج بذكر الموت فوصل حقيقته إلى قلبه فهو جسد مع الناس وقلبه مع الله كما قال الحكيم اليد للعيال واللسان للناس والقلب لله وفيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- حب المال والشرف يبتتان النفاق كما ينبت الماء البقل<sup>(١)</sup>.

أقول أيضا:-

هذا جبهما فكيف بجمعهما الذي حرم أخواننا صوم رمضان وقيام الليل وأداء النوافل وعون الفقراء فهل من فوق.

نصيحتي لأخوتي الذين ينفقون أموالهم على الأمور التافهة والحقيرة ليعلموا أنهم حصلوا هذه الأموال ليس بالتعب والجهد بل ضيعوا الكثير من الأعمال الصالحة وحرموا أنفسهم المقامات العالية والقصور والخور وكثير من الثمار والزهور التي سوف تجلب لهم الحسرة لأننا نتحسر على توافه الدنيا فكيف بالآخرة التي هي من صنع الله وادخرها لعباده عوضا عما فاتهم فهناك الله جل جلاله يريد أن يباهي المضيعين بأهل طاعته .

من سلط ثلاث على ثلاث:-

قال الإمام الكاظم عليه السلام:- من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله:-

- من أظلم نور تفكره بطول أمله
- ومحا طرائف حكيمته بفضول كلامه

- وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد دينه ودينه<sup>(١)</sup>.

إن للخواطر التي تحدث في النفس آثارا تكاد أن تأخذ بأزمة الإنسان إلى ما تريد فالحديث النفسي وغيره من الانطباعات الذهنية لها سطوة كبيرة في النفس البشرية ولا يلتفت إلى هذه القضايا إلا أصحاب الفهم الخاص والعناية الربانية فالتفكير في الحرام وطول الأمل وهواجس النفس تدعو النفس إلى المطالبة الفعلية لهذه الأمور فإذا كانت الخواطر حميدة ورحما نية فاز متبعتها وورد في الروايات الحث على إيجاد الخواطر النورانية الحسنة وإن لم يقدر الإنسان على فعلها وإن عليه أن يكثر من نوايا الأعمال الصالحة ونهت الروايات والآيات عن التفكير في الحرام والبعض ذهب إلى القول بالحرمة.

ويمكن السيطرة عليه بالرياضات والمجاهدات وصرف الذهن للأمور المباحة ويعمل جاهدا لمدة من الزمن وإذا رأى ذلك صعبا فليعلم أن هذا من إبليس اللعين فلا يصغ لتسويلاته وليعلم إن جهد المجاهدة لا يقاس بما سوف يلاقيه من سوء الأخلاق من أذاها.

### الغات نظر:-

ليعلموا الأخوة و الأحبة والموالين لأهل البيت عليهم السلام إن الصلحاء والأولياء والملتقين انطلقوا إلى الجنة والفوز بها من هذه الصفات الذميمة بعد ما احكموها وهذبوها وطبقوها على المصداق والفرد الصحيح انطلق من حب البقاء إلى اختيار الآخرة ومن الخيال إلى رسم صورة الآخرة ومن الغضب إلى الغيرة على حريم الدين والأعراض لذا لا بد من التهذيب وان يجري العبد تغيرا يحول هذه الصفات نحو اتجاهها الصحيح الذي ينسجم مع الإرادة الإلهية وسنذكر شرحا مفصلا عند شرح جنود العقل والجهل بإذن الله تعالى.

---

(١) الكافي ج١ ص ١٧ كتاب العقل والجهل.

## الاستماع لذوي العقول:-

يعد الاستماع لذوي العقول من العوامل المساعدة لرفع قوة العقل والمستمع والمخالط لمثل هؤلاء يكون في آخر المطاف من ذوي العقول الراجحة أي يرجح عقله على عقل غيره فهو يكون بهذه المخالطة النافعة قد جمع عقول غيره لنفسه فيكون عقله مجمعا و حاويا على ما حمله هؤلاء لذا نحن عندما نتكلم عن أهل البيت عليهم السلام وعن شخصياتهم الراجحة على جميع الخلق نذكر من خالطوا من ذوي العقول كمخالطة الإمام العباس عليه السلام لأبيه والحسن والحسين عليهم السلام وبالوجدان .

و لهذا تأثير في الشخصية غير خفي فنجد أهل المساجد الذين يستمعون المواعظ والحكم ويواظبون على ذلك قد ألهموا المعرفة والفتنة والفصاحة وأما من لم يقم بهذا الأمر ويحسن في مخالطته يكون قد أهلك نفسه .

فمن رافق الجاهل جهل وسفه عقله بل لا يخالط الجاهل إلا الجاهل فإن الجاهل يميل إلى شكله ويألف مثله وتأثير الجاهل على العالم والعاقل ربما يكون شعوريا وأخرى لا يكون كذلك وفي الروايات ما يدل على ذلك فضلا عن شهادة الوجدان فأنت لاحظ عندما تجلس عند عالم أو طالب علم فإنه تنثار عندك القوة العقلية وتستنهض قوى العلم شئت أم أبيت ولكن ما أن يجالسك الجاهل والسفيه إلا وقد ملت إلى السفه وكثرة المزاح إلى غير ذلك مما يطيح بالعقل فتحصل أن من ترك الاستماع لذوي العقول مات عقله بالمرة ولا مصيبة أشد من عدم العقل فمن خسر العقل حسبما عرفت خسر كل شيء والتي أهمها الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- للجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس.

أي أحق سباق يجب أن تتسابق به هو معرفة العقل وصناعته في أنفسنا قبل فوات الفرصة فإن الفرصة إذا فاتت لا تعود ونحن أبناء الآخرة وان أبيننا ذلك فلا

محيص لنا عن الاهتمام بما اهتم به الله تعالى منذ إذ خلق الخلائق فلا تخدعنا الكنى والألقاب من عنوانك الحاج، المهندس، الدكتور، اللواء، العميد.  
فهذه كلها حجب عن المعارف بل من أعظم الحجب عن خفايا العيوب وإصلاح النفس فلم نجد من هؤلاء من اشتغل بإصلاح نفسه بقدر ما نجدهم يهدمون ما بنوه في أيام استقامتهم أقول هذا والله الموفق والهادي إلى قصد السبيل.

### ترك الطمع:-

فإن الطمع من سلطان الهوى ومعلوم أن الهوى أشر ما يسلط على العقل وهو المادة المدمرة للعقل بالمرّة ومن أعظم أجنحة الجهل فلا نجد مضرة على جنود العقل كالطمع فأكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.  
قال أمير المؤمنين عليه السلام:- إن الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ربه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والأمانى تعمى أعين البصائر والحظ يأتي من لا يأتيه<sup>(١)</sup>.  
يستعرض الإمام عليه السلام حالة الطمع وواقعة في نفس الإنسان وعاقبة أمره وآثاره النفسية والخارجية التي تظهر على الطامع فهو من الصفات التي إذا استحكمت على الإنسان لا يفلت منها وأنها وثاق العقل وأصفاده ويهدم مروءة الرجل وخلق الرفيع ويذهب بحلمه وبهاءه فإن الطامع سريع الحركة للجوارح والجوانح ويظفئ مصباح العقل ويكون صاحبها متعديا لا محالة فلا يتجاوز حتى يطمع .  
والطمع حالة تسلط على النفس تفقد العبد توازنه العقلي والنفسي والبدني وربما ضيقت عليه أعظم الحظوظ وربما شرق شارب الماء قبل ربه .

ورب طلب جر إلى حرب أي إلى اضعاءت المال كما حدث في زماننا هذا فالناس الذين ذهبوا أموالهم في الشركات الموهومة التي لا واقع لها حتى سلموا الملايين من الدولارات إلى الصبية ومن لا يعقل ومن دون سند وكتاب يضمن لهم حقوقهم فقدوا سيطرتهم العقلية وداخوا على عقولهم الدينية والدينية فضحكت عليهم السفهاء ومن لا حظ له ولا قيمة أليس هذا سببه الطمع؟؟

فالإنسان الموظف وزوجته موظفة وعنده أموال تجارية ماذا يريد بعد كل هذا حتى يسلم داره ليتلقى من الدنيا عاره ولعل هذه عواقب ترك دفع الخمس والزكاة والصدقات فالوارد أن من لم يدفع درهما في مرضاة الله دفع ضعفه في معصية الله وما ضاع مال في بر أو بحر إلا بتضيع الخمس والزكاة.

وعلى أي حال فإن الطامع في وثاق الذل والهوان ولا يعد نفسه من الأحرار فهو مقيد مكبل وإن رأيتموه حرا مقاد للهوى والمنى وسوف يكون بسط الكلام في ما يخصه من مقام ونسأل الله عدم مخالفة الالتزام وإن يبارك لنا ولكم في هذه الأعوام ويشفي صدورنا وصدوركم من الأسقام وأن يزيح عن قلوبنا الركام وعن أذهاننا شر الأوهام.

### فصل في بيان ان العقل أساس الدين والأدب أساس العقل

في المقام نريد أن ننبه أحببنا والأخوة الذين يريدون تشيد مملكة العقل في أنفسهم ونقول كما أن العقل كان أساسا للدين حسبما يتضح فإن للعقل أساساً يلزم تشيده قبل طلبه وإقامة مملكته فللعقل أرضية ومن لم يهيئ تلك الأرض فسوف يكون الأمر عكسيا ومضادا.

وتتلخص تلك الأرضية وذلك الأساس الذي يشيد عليه العقل هو الأدب بعرضه العريض وبمحاوره الثلاث أي الأدب مع الله تبارك وتعالى والأدب مع النبي صلى الله عليه وآله ومع أهل بيته عليهم السلام والأدب مع الناس عامة.

فمن يطلب العقل بلا أدب فقد أخطأ المسيرة وسلك الضلال فإن الله تبارك وتعالى لم يكن يفوض أمرا ولا نهيا لنبيه صلى الله عليه وآله إلا بعدما أدبه بالأداب الكريمة يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك:- إن الله عز وجل أدب رسوله حتى قومه على ما أراد ثم فوض إليه فقال عز ذكره (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه الرسول فانتهوه) (١).

فالأدب هو الأساس الذي من خلاله يدخل العبد في الولاية الإلهية وعلى أثره ينعم بالعناية الربانية يقول أمير المؤمنين عليه السلام:- وبالأدب تحسن خدمة ربك وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه) (٢).

وما يهمننا في الأمر الخبر المروي عن أبي هاشم الجعفري قال:- كنا عند الرضا عليه السلام فتذاكرنا العقل والأدب فقال:- يا أبا هاشم، العقل حباء من الله والأدب كلفة، فمن تكلف الأدب قدر عليه ومن تكلف العقل لم يزد بذلك إلا جهلا (٣).

بذلك يظهر أن من يأتي للعقل من غير مساره لم يزد إلا جهلا وبعدا عن الحقيقة وعليه يلزم طلب الأدب في عرضه العريض بأنحاءه الثلاثة ومن ثم يسعى في طلب العقل.

فإن الإنسان خلق أطوارا لا يرقى إلى طور إلا بعد أن يتم ما قبله ومن يخالف المسيرة ويطلب الخلاف يكون ما يأتي به نفاقا وقد جعل الله تبارك وتعالى الأدب مؤونة وثمنا يدفعها العبد للحصول على منحة العقل.

فإن الإمام الرضا عليه السلام قد بين للسائل بأن العقل حباء أي منحة إلهية وعطية ربانية ومن شأنه جل وعلا وأما الأدب فهو من شأن العبد ويلزمه القيام به ومن المفترض عليه.

(١) بصائر الدرجات في فضل آل محمد (ص) ج ١ ص ٣٨٣.

(٢) روضة الواعظين (ط. قديمة) ج ١ ص ١١.

(٣) الكافي (طز الاسلامية) ج ١ ص ٢٤.

فإذا قام به وسعى إليه جاءت العطية منه بعدما أدى العبد الثمن وهذا القسم الأول من العقل فإن العقل من حيث الوجود ينقسم إلى قسمين:- مواهب ومكاسب.

فالمواهب من الله والكسب من ما يحصل عليه الإنسان من جراء عمله وتجاربه في الخارج مضافاً إلى ذلك يستحيل على العبد أن يكون عاقلاً وهو لم يحفظ الأدب فبالأدب يقف العبد عند حده وبه يعرف قدره.

نعم بعض الروايات مطلقة من هذه الناحية كقول أمير المؤمنين عليه السلام (كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج الأدب)<sup>(١)</sup> والتي يظهر منها سواء كان العقل كسباً أو موهبة فقوامه وأساسه الأدب.

ولعل الأمر من الواضحات تبعا أن المواهب لا يمكن أن تكون إلا لذوي الأدب الرفيع فهم أحق بها وغيرهم كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام (وما الإنسان لولا الأدب إلا بهيمة مهملة).

وبذلك نلفت الأنظار إلى أن العقل كان هو الأساس في كل شيء إلا أن له أساساً كذلك وأساسه الأدب فأتم ذلك وأتقنه فإنه ثمين.

### إكمال العقل وتمامه:-

نحن سوف نتطرق إلى جنود العقل فيما بعد وأن تحققها جميعاً في العبد يعني كمال عقل الإنسان وتمامه إذ أن تمامه بتمام عدته وعدده ولكن هناك بعض المؤشرات الروائية تشير إلى أن بعض الطرق من خلالها يمكن تكميل العقل وأنها تمثل الجوهر الحقيقي للكمال وجامع بعض ما يلزم اتخاذه في طريق التكميل.

ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في ذلك:- (بترك ما لا يعينك يتم لك العقل)<sup>(٢)</sup>.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٥١٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٣٠٢.

فهو أما كما قلنا أنه طريق جامع مانع للحصول على تمام العقل من خلال ترك كل أمر لا يعني العبد وليس من شأنه فلا يرتبط بصغيرة ولا كبيرة ولا يشتغل بشيء قد يكيفه فيه الغير من خلال كل ذلك يتم عقل الإنسان.

وأما يحتمل فيه أن الإنسان لو أقام الجنود ولكن بقية فيه خصلة الفضول ومعها أي مع الجنود وإن شارف على الكمال والتمام ولكن يبقى ناقصا ما لم يترك الفضول وكل أمر لا يعنيه.

وكيف كان فنحن لا يهمننا في الأمر سوى بيان أن تمام العقل وكماله يلزمه أن يتخذ العبد خصلة هامة في حياته ألا وهي ترك ما لا يعنيه ولا بأس بالتحدث عن ذلك:-

يولد الإنسان وتولد معه خصلة الفضول وحب التدخل والانشغال بما لا يعود ثمرة عليه ولا يقع في نفعه شيء وكل ذلك مستند على ضعف العقل ومردّه إلى الجهل فإن الفضول قبيح تبعاً لما يؤدي إليه من الأضرار في الدين والدنيا ويجر العبد إلى الوقوع بعدة محاذير:

- منها الوقوع في الغيبة والتي هي أشد من الزنا وفيها حصاد الحسنات وجبال من السيئات.
- ومنها فتح أبواب للمشاكل فصاحبها تأتيه المشاكل أفواجا لتدخله في شؤون الآخرين فيكون معرضاً للثتم والسباب.
- ومنها تدهور حياته المادية لكونه سوف ينشغل في ما تدخل فيه وبذلك لا يلتفت إلى عمارة بيته وأهله ويقضي حياته في ترحال.
- ومنها مقت الناس إليه وإحداث العداوة والبغضاء والتعرض للإهانة من قبل بعض الناس.
- ومنها يكون موطناً للوساوس الإبليسية والحديث النفسي مما يفقده الراحة والطمأنينة.

- ومنها أن الإنسان لما كان بطبيعة حاله مكلفا بتكاليف كثيرة مردها إليه فلا يستطيع القيام بها وربما أدى ترك بعضها إلى إحداث مشكلة كبيرة في حياته كإلانشغال عن تربية الأولاد مثلا أو رعاية الزوجة فإذا تدخل فيما لا يعنيه سوف يزيد في تكاليفه أكثر فأكثر فيورثه سيل من المشاكل والمحاذير إلى حد أنه لا يلتفت إلى قيافة نفسه وأناقتها متشتت البال مشغول الذهن.

- ومنها سيكون العبد مفلسا من العبادة والطاعة الإلهية فإن الإنس بالناس من الإفلاس ولا يطمعن أحدا في العبادة مع التدخل فيما لا يعني العبد.  
- ومنها خسران العلم أيضا فإن العلم لمن تفرغ له وقال للشغل عندي شغل.

### وأما علامة تمامه وكماله: -

فإن ذلك يكون من خلال اشتمال العبد على عشر خصال حسبما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام وذروتها العاشرة:-

- الأولى:- الخير منه مأمول.
- الثانية:- الشر منه مأمون.
- الثالثة:- يستكثر قليل الخير من غيره.
- الرابعة:- ويستقل كثير الخير من نفسه.
- الخامسة:- لا يسأم من طلب الحوائج إليه.
- السادسة:- ولا يمل من طلب العلم طول دهره.
- السابعة:- الفقر في الله أحب إليه من الغنى.
- الثامنة:- والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه.
- التاسعة:- والحمول أشهر إليه من الشهرة.
- ثم قال عليه السلام:- العاشرة، وما العاشرة!!  
قيل له:- ما هي؟

قال:- لا يرى أحدا إلا قال هو خير مني وأتقى إنما الناس رجلان رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى،

قال:- لعل خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي  
وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به فإذا فعل ذلك فقد  
علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه<sup>(١)</sup>.

## اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا

وصل بنا المطاف إلى أهم ما أردنا ذكره من شأن العقل وما يتعلق به والثمرة  
التي نريد أن نخرج بها من هذا الكتاب الذي بين أيديكم وهو أننا نريد ذكر جنود  
العقل ومعرفتها وجنود الجهل كذلك ليستقيم الأمر لنا في معرفة إصلاح الإنسان  
لنفسه وإن يكون الإنسان حاويا على الثمرة من عمره الذي ربما قضاه في أنفة  
الأمور وأخسها والله إن بعض الناس ممن تراه عيني وعينك ليته لم يلد ولم يولد  
... وإن النملة أشرف منه وعليه نحن ذاكرون جنود العقل وجنود الجهل وسوف  
نقوم بشرحها بعد ذكرها تعدادا ونقوم بذكر بعض التفاصيل التي تخص كل جند  
من جنود العقل وسوف يتبين بإذن الله تعالى إن هدفنا من هذا هو إحياء سبيل  
الرشاد وتوضيح المراد وإن الإنسان أول خطوة يخطوها لكسب المعاد هو اكتساب  
العقل ومن الله السداد إنه كريم جواد وأما من أخذ بغير ذلك فقد هوى وبئس  
المهاد فنقول ومن الله التوفيق .

عن سماعة بن مهران قال:- كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده  
جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل .  
فقال أبو عبد الله عليه السلام:- اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده  
تهتدوا .

قال سماعة:- فقلت:- جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: - إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال: - أدبر فأدبر .

ثم قال له: - أقبل فأقبل

فقال الله تبارك وتعالى: - خلقتك خلقا عظيما وكرمتك على جميع خلقي

ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلما نيا

فقال له: - أدبر فأدبر .

ثم قال له: - أقبل فلم يقبل .

فقال: - استكبرت؟

فلعنه<sup>(١)</sup> .

ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة .

فقال الجهل: - يا رب هذا خلق مثلي خلقتهم وكرمتهم وقويتهم وأنا ضده ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيتهم فقال: - نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي قال: - قد رضيت .

فأعطاه خمسة وسبعين جندا فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل والإيمان وضده الكفر والتصديق وضده الجحود والرجاء وضده القنوط والعدل وضده الجور والرضا وضده السخط والشكر وضده الكفران والطمع وضده اليأس والتوكل وضده الحرص والرافة وضدها القسوة والرحمة وضدها الغضب والعلم وضده الجهل والفهم وضده الحمق والعفة وضدها التهتك والزهد وضده الرغبة والرفق وضده الخرق والرهبنة وضدها الجرأة والتواضع وضده الكبر والتؤدة وضدها التسرع والحلم وضده السفه والصمت وضده الهذر والاستسلام وضده الاستكبار

(١) المحاسن ج ١ ص ١٩٦ ، (١) باب العقل .

والتسليم وضده الشك والصبر وضده الجزع والصفح وضده الانتقام والعز وضده الفقر والتذكر وضده السهو والحفظ وضده النسيان والتعطف وضده القطيعة والقنوع وضده الحرص والمواساة وضدها المنع والمودة وضدها العداوة والوفاء وضدها الغدر والطاعة وضدها المعصية والخضوع وضده التطاول والسلامة وضدها البلاء والحب وضده البغض والصدق وضده الكذب والحق والباطل والأمانة وضدها الحيانة والإخلاص وضدها الشوب والشهامة وضدها البلادة والفهم وضده الغباوة والمعرفة وضدها الإنكار والمداراة وضدها المكاشفة وسلامة الغيب وضدها المماكرة والكتمان وضده الإفشاء والصلاة وضدها الإضاعة والصوم وضده الإفطار والجهد وضده النكول والحج وضده نبذ الميثاق وصون الحديث وضده النميمة وبر الوالدين وضده العقوق والحقيقة وضدها الرياء والمعروف وضده المنكر والستر وضده التبرج والتقية وضدها الإذاعة والإنصاف وضده الحمية والتهيئة وضدها البغي والنظافة وضدها القدر والحياء وضدها الخلع والقصد وضده العدوان والراحة وضدها التعب والسهولة وضدها الصعوبة والبركة وضدها المحق والعافية وضدها البلاء والقوام وضدها المكاثرة والحكمة وضدها الهوى والوقار وضده الخفة والسعادة وضدها الشقاوة والتوبة وضدها الإصرار والاستغفار وضده الاغترار والمحافظة وضدها التهاون والدعاء وضده الاستنكاف والنشاط وضده الكسل والفرح ضده الحزن والألفة وضدها الفرقة والسخاء وضده البخل .

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنده وبمجانبة الجهل وجنوده وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته<sup>(١)</sup>.

بعد إن ذكرنا الحديث المبارك أقول مذكرا لمن تقع هذه الأوراق بين يديه إن الإمام عليه السلام قد بين لنا معرفة الهداية والخلاص من الغواية فالذي ينبغي أن يكون مسيرة الإنسان بداية هي معرفة العقل وجنده والجهل وجنده .

المعرفة التي تدعو إلى العمل وتحسين الأفعال فلا ينفع جمود العلم على المقال قال الملك المتعال الذي سبحت له الجبال:- (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (كبر مقتا أن تقولوا ما لا تفعلون) فما دمنا في هذه النعمة الإلهية والآلاء الربانية وهي العمر الذي أعطاه الله لنا فلا بد أن نبذل قصار جهودنا في تحصيل المعارف والأخلاق الحميدة ونبني مملكة العقل في هذه النفس ونخرج من واقع الخسة والنجاسات الباطنية التي تحجبنا عن نيل الجنة بالمرة فلا نطمع في جنة الله وجواره وأنفسنا بهذا الحال وألستنا بسوء المقال وأفعالنا أقدر الأفعال فإن الله لا يخدع عن جنته وقد قدم إلينا بالوعد والوعيد وأرسل لنا من كلام يلين له حتى الحديد فلا محيص عن الإصلاح لهذه النفس فإن حاسبناها اليوم خفف علينا حساب الآخرة حاسبوا قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا ومن تأخر عن مسيرة الإصلاح أو قصر فيها فإن الجنة مكان طاهر وجنة الله ليست لكل أحد فلا يكون لأمثالي من أصحاب القذارات النفسية .

فالنار أولى بالتطهير إذا أخطأ العبد المسير فالיום نحن قادرون على أن نبذل الجبن بالشجاعة والحسد بالنصيحة والحرص بالبذل والطمع بالقناعة والشقاوة بالسعادة أما إذا التفت الساق بالساق وكان لربك المساق حينها خسر العبد صفقته وسوف يكون حظه من التفریط السلاسل والأغلال والعقارب والحياة والأصوات والصعقات والأهوال والنكبات ويكون مصيره إلى الهاوية (وما أدراك ما هيه نار حاميه) حينها لا تنفع كلمة يا ليتني كنت بصيرا، يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا، يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ليتني كنت ترابا، يا ليتني لم تلدني أمي، يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا، (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون).

فالنار التي وعدها الله تعالى لعباده العاصين نار تأكل بعضها بعضا ولا تستعطف ولا تسترحم ولا أمد لها ولا نهاية وتلقى سكانها بأحر ما لديها لا رحمة فيها ولا شفقة سوداء لا نور فيها تسكر الأبصار وتذهل العقول.

كل ذلك مع ما فينا من ضعف النفس والبدن فقليل من بلاء الدنيا وعقوبتها وما يجري فيها علينا من المكاره يدهشنا ويذهب بصفوة عقولنا ويسلبنا سكينتنا فكيف بذلك اليوم العظيم والموقف الذي ترتعش فيه الملائكة مع ما أنهم لا ذنب لهم ولم يعصوا الله طرفة عين فكيف ونحن المذنبون العاصون الناسون لله وكتابه وللموت وعقابه فلا بد أن ننزع ثوب الغفلة عن قلوبنا ولنفتش عن عيوبنا ونهذب أخلاقنا التي تكون وباء علينا يوم الدين فكل خلق من أخلاقنا إذا كان سيئا سوف يخلق الله منه العقارب والحيات والنيران والنكبات يوم القيامة هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فكل واحد منا كانز لنفسه إن خير فخير وإن شر فشر.

وعليه فلنعمد إلى بناء تلك المملكة الإلهية والساحة الربانية بعمران الخير والبركة وأن يكون قلبنا حرما لله تعالى ونحرره من السيطرة الكاملة من الشيطان فلتغلب جنود الله جنود العقل حتى نكتسب بذلك الأمان يوم لا أمان إلا لمن جهد واجتهد وأعد واستعد ليوم الحسرة فإن الندم لا ينفع ولا يدفع فالיום الفرصة وبعدها غصة ولا ينظر أحدنا للآخر فلان لم يقيم بذلك وأنا كذلك فاعلم أنك تموت لوحدهك وتدفن لوحدهك وتحاسب لوحدهك وتحشر والحال أنك لا ترى إلا نفسك ويوم لا ينفع الأخلاء ولا الأبناء ولا كل الأوداء فأنت وحيد في بيت الوحدة والوحشة والعقارب والحيات تذكر أنك سوف تكون مجاورا للديدان والعقارب والحيات بعد هؤلاء الناس وانظر إلى الناس عندما يذهبون للدفن كيف يتركون موتاهم في ليلة الوحشة ويذهبون إلى بيوتهم وأطعمتهم وزوجاتهم فأنت في سبيلهم لا محالة فإن السنن قائمة فلا عذر لمن أنذر .

فاستعد ليوم تهد فيه الجبال وتكشط فيه السماء وتسجر فيه البحار فلا غرر بعد النذر وعلى ذلك فنحن بإذن الله تعالى شارعون في بيان كيفية بناء مملكة العقل وتهديم مملكة الجهل وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

### شرح إجمالي لبعض فقرات الحديث

في هذا المقام تقوم بشرح إجمالي تمهيدي لبعض فقرات هذا الحديث المبارك الذي قلنا مرارا أنه الغاية المتوخاة من هذا البحث فنقول ومن الله التوفيق.

• قوله عليه السلام:- اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا<sup>(١)</sup>.

إن المتبادر من هذا الحديث أن معرفة العقل والجهل وجنودهما وما يحيطهما من الأبحاث والمتعلقات مقدمة للهداية المطلقة وهي معرفة الحق تعالى التي تعد من أهم الأسس التي يبتني عليها الدين والأخلاق عند الإنسان فيشير عليه السلام إن أوثق العرى معرفة العقل وإن الهداية الإلهية متوقفة عليه وهذا ليس جزافيا كما سوف يتضح لك ذلك لأن معرفة العقل وجنده هو معرفة الملكات النفسانية الحميدة والعمل على تقويتها ونبذ عمال الجهل وتطهير النفس منها والنتيجة هو صفاء النفس من مكائد الشيطان وعشه الذي ينبت به دواعي الشر فإن الشيطان لا يقرب من الإنسان الذي تحرر من كل جنود الجهل واستوطن النفس جنود العقل فلا مجال لإحراق المملكة وهي لا تحمل شيئا من الحطب أو البنزين فإن الموجود عند مملكة العقل هو الماء البارد والجليد الطارد والحق القاهر فلا مجال له فإن الكلب لا يقرب من محل الحداد لأنه لا يحصل على شيء وهو يجني الحديد فقط ولكن يرصد القصاب فيتأمل حصوله على اللحم أو العظم فإذا طرد الإنسان كل الصفات الرذيلة من الطمع والبخل وغيرها لا محط لرحل الشيطان عنده فإنه لا يأمر الإنسان بالزنا ما لم تكن عنده القوة الشهوية عارمة ولا يسرق ما لم يطمع

ولا يقتل ما لم يغضب فهذه الشهوات هي أغلال الشيطان للإنسان وقيوده فلذا لا نجد محيصا عن إتباع أهل البيت عليهم السلام وأصحاب التهذيب الأخلاقي والصفاء النفساني .

ومن أفضل نعم الحق تعالى علينا هو بيان هذه الطرق المباركة فهذا طريق لطرد الشيطان عن ساحة النفس بتهديم صرحه وإحراق مملكته فما تسمعه من بعض العلماء أن الشيطان مؤدب هو لأجل أن الشيطان لا يطرق باب العبد ما لم يفتح العبد بابه ولا يدخل ما لم يحضر له شرابه وهو تلك القذارات النفسية .

فلو أن الإنسان ملك صفة الغيرة فإنه لا يزني ولو قرب منه ألف شيطان ولكن إذا فقد هذا فإنه يزني لو بلغ ذروة الإيمان وعليه فالذي يريد أن يقطع دواعي الشر من نفسه ويهلك الشيطان في عرشه ما عليه إلا أن يهذب نفسه من الملكات الرديئة .

وأما إذا واجه الإنسان الشيطان بالمصارعة المألوفة بين الناس فإنه خاسر لا محالة لأن الشيطان في عرشه وحصانته وأنت غريب بين جنوده أي أن الكثير من الناس يريد أن يقاوم الشيطان مع إبقاء تلك الملكات المهلكة فإن مثل هذا خاسر لا محالة؛ لأنه متمركز في ساحة النفس ومثله كالسلطان في بلده وعنده كل ما يملك من العدة والعدد وأنت لوحدك أعزل تريد أن تواجهه.

فالحساسة لا تحتاج إلى فكر أو استشارة فلا بد من هذا الطريق الذي سنته الشريعة المقدسة وبينت جوانبه المحيطة به.

- قول السائل:- جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا.

فنجد الأدب الرفيع ينهض بالسائل إلى إدراك أصل المعارف الإلهية والركوب في السفن المنجية فيقول لا نعرف إلا ما عرفتنا .

فالذي يظهر أن هذه المعارف والعلوم التي بين أيدينا لا يدركها بهذا الأسلوب المتين والحصن الحصين إلا عن طريقهم عليهم السلام فهم النعم الفاضلة علينا فلولا فضل الله ورحمته ما زكى منكم أحد أبدا فهم الفضل الذي زكونا به

ورحمته الإلهية التي أسعفتنا من ظلمات الجهل وأخرجتنا إلى نور العلم (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) <sup>(١)</sup> (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم <sup>(٢)</sup>) (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) <sup>(٣)</sup> (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) <sup>(٤)</sup> فالناس كلهم موتى وفي الظلمات تائهون لولا إرسال الرسل وتنصيب أهل البيت عليهم السلام فهم أسعفونا من الموت الأبدي ولولاهم لكنا كالبهائم تحسب يومها دهرها ومن الله التوفيق.

- قوله عليه السلام:- إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره <sup>(٥)</sup>.

يراد من العقل في كلامه عليه السلام الكلبي والفيض الأول من الخلق الروحاني المجرد عن المادة والذي هو باطن العقول الجزئية بل هو سرها وجوهرها وذاتها المعرى عن العلائق المادية بكل حيثياتها و تميزاتها فليس للمادة فيه حظ ويعد أول فيض روحاني منه تعالى حيث بين عليه السلام أن الخلق الروحاني كثير والعقل أولها وأشرفها خصوصا بعد نسبته إليه تعالى وإكرامه بالخطاب .

وبالضرورة أنه غير آدم عليه السلام لما عرفت من أنه أول البشر ليس أول خلق من الروحانيين وكان للمادة حظ فيه وإن كانت روحه منسوبه لفيضه تعالى فهي مجردة لكنها لم تكن أول الروحانيين كما نسب ذلك إلى العقل ونور النبي صلى الله عليه وآله وهذا ما يبين الحقيقة التي لا يقبلها البعض ممن سبت عقله أن

(١) سورة البقرة / آية ٢٥٧.

(٢) سورة ابراهيم / آية ١.

(٣) سورة الانفال / آية ٢٤.

(٤) سورة ابراهيم / آية ٥.

(٥) المحاسن ج ١ ص ١٩٦.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول الخلائق وما بعده من رشحات فيضه ومن أراد المزيد فليراجع زيارة الجامعة .

وتوجد في كلامه عليه السلام دلالة واضحة على تقدم عالم الروحانيات على عالم المادة والكثافات وأما العرش فلقد ذكرت له معاني كثيرة وبسط الكلام لا يناسب المقام خصوصا كون هذا الحديث من الأمر المستصعب على العامة بل الخاصة أيضا ولذا فهو حظ خاصة الخاصة حسبما ورد في رواياتهم عليهم السلام وما ورد في معناه هو العلم المفاض على الأنبياء والأئمة عليهم السلام وموضع تجلي السلطنة الإلهية وقال بعض:- عرش الله ما لا يعلم على الحقيقة إلا بالاسم وليس كما يذهب إليه أوهام العامة .

#### أقول:-

وهو كذلك ومتمين جدا و كلما تصورناه بأوهامنا عنه فهو مردود علينا مؤخر لترقيتنا فالعرش الموضع الذي يترشح منه النظام الكوني فالأمور والحوادث الجزئية كلها تنتهي بعلمها وأسبابها ومسبباتها إليه وللمقام كلام لا تناله العقول التي انغمست في الأوهام.

#### نكتة لطيفة:-

وهي أن المستفاد من كل ما مر أن هداية العقل وإصابته للواقع حتمية لأن معناه حلوله في الأنفس والأبدان البشرية القشرية وهيمته عليها هو انبساط النور الإلهي على تلك النفوس والأبدان وترقي الكثافة إلى العلم الروحاني فيكون الإنسان بكمال عقله اشراقا للنور الرباني وتجليا للفيض الإلهي وبهذا يكون الإنسان العاقل المجرد عن الجهل في محض طاعته تعالى تلقائيا ومن دون كلفة وذلك لما عرفت وتبين لك من العلاقة بين العقل وبينه تعالى فبتمحض العقل وتمركزه في ساحة النفس يكون الإنسان رحمانيا وإلهيا وروحانيا شاء أم أبى.

- قوله عليه السلام فقال له:- أدبر فأدبر ثم قال له:- أقبل فأقبل .

إن الخطاب هنا للعقل الكلي الذي سبقت منا الإشارة إليه الذي يعد باطن العقول الجزئية الفاض على الخلائق بل هو سرها وحقيقتها ومبدأ الفيض الكمالي لها وإن هذه العقول الجزئية مرتبطة بالعقل الكلي ارتباط ضوء الغرفة بشعاع الشمس فمركز الإضاءة هي الشمس ومنها تتفرع كل الأشعة إلى مهابطها وكما يكون انعكاس الضوء وشدته وضعفه تابعة للأجسام كذلك الحال ويؤيده بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- خلق الله العقل فقال له:- أدبر فأدبر ثم قال له:- أقبل فأقبل ثم قال:- ما خلقت خلقاً أحب إلي منك فأعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تسعة وتسعين جزءاً ثم قسم بين العباد جزءاً واحداً<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل:- مما خلق الله عز وجل العقل قال:- خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة ولكل رأس وجه ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والرديء ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الأخبار تعد من الأسرار الإلهية والخفايا الربانية وعلمها التفصيلي الذي يليق بها راجع إلى أهله وهم أهل العصمة عليهم السلام وما يبدو من غيرهم عليهم السلام حزمة تخرصات وسير في ظلام إلا ما تناولته الأعلام والذي يعد خافياً على الخاصة والعوام فكثير من الاحتمالات والتأويلات لبيان المراد من هذه الأحاديث المباركة لا يجدي في الوصول وظهرت صعوبة الأقدام في ما كتبه

(١) البحار ج ١ ص ٩٧.

(٢) البحار ج ١ ص ٩٩.

الأقلام وهذا راجع إلى أن هناك عوالم غيبية خلقها الحق تعالى أعظم من خلق الإنسان وهذه الأجرام متجردة عن الصور والأجسام ولم تطئها الأقدام أي أقدم عقولنا وهي مما خص الله تعالى به أهل البيت عليهم السلام لكن لما قصرت الأفهام عن الوصول إلى مرادهم وضعفت الألفاظ لبيان المقاصد بينت بهذه الطريقة التي نحن نراها فلذا لا بد من إلغاء التصورات الظلمانية .

فلعل المراد منها غير ما هو ظاهر فالمطلوب منا الإيمان والتصديق بعد أخبارهم عليهم السلام وسد الطريق فنحن نؤمن باللوح والعرش والكرسي..... الخ لكن من يعلم كيف الحال وتصور الأشكال فالعقل كما عرفت من أعلى العوالم عالم العقول والمجردات فكيف الوصول إلى عالم المجهول لتلك العقول.

فلعل ما يرد حقائق واقعية كما في خلق العقل واستنطاقه والجهد كذلك والبعض يحمل كونها كنايات وتمثيل واستعارة والبعض حاول الجمع بين ما ورد في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أنه أول ما خلق الله نوري وما ورد في حق العقل أول ما خلق الله العقل فمثله بنور النبي صلى الله عليه وآله والذي يعد مبدأ الفيض الإلهي لجميع خلقه كما هو كذلك وبسط المقام في هذا الكلام مخالف للالتزام والغرض الذي وضعت له هذه الرسالة.

ومن أراد التفصيل وقطع هذا العويل له الرجوع إلى كتاب مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية لآية الله العظمى الإمام الخميني روي له الفداء فإن فيه شفاء لكل داء علما أن الرجوع إليه ليس من شأن العوام ولا من الخاصة بل الرجوع مأذون به لخاصة الخاصة وصاحب القلم الوضع لم يزل عاميا فالتجنب عن مصارعة الأبطال أسلم شيء في كل الأحوال .

وأذكر الذي ينفع العامة مع ضمان السلامة من زلل الأقدام فأنت تجد لك العناية الإلهية للعقل من حيث كونه أول مخلوق خلق وخصه بالمخاطبات والكرامات والاستجابة من العقل للحق تعالى بيان للحقيقة الواقعية التي يكون عليها العقل في عالمه الكلي - الملكوتي وعالمه الجزئي الملكي فإن الاستجابة التي

تكون من الإنسان في عالمه هي بفضل العقل الجزئي الموجود في نفسه والذي يكون مترشحا من عالمه الغيبي فباتت الحقيقة التي يتسم بها العقل وهي الطاعة للحق تعالى حيثما أمره أدبر فأدبر أقبل فأقبل بخلاف الجهل فإنه الله تعالى أمره أدبر فأدبر أقبل فلم يقبل وفي هذه الأحرف معاني عظيمة ولطائف خفية عن الأنظار نذكر جملة منها على نحو الاختصار .

وهو أن الأمر بالإدبار للعقل طلب التنزل إلى عالم التكثرات وعالم الطبيعة والخوض في بحر الجهل والظلمات التي توجد في عالمنا هذا الذي نحن فيه وتلبس الإنسان بالشهوات و الكدورات ثم بعد هذا طلب منه الإقبال فمن هذب النفس وطهرها من الشهوات و الكدورات والعلائق المادية وبنى صرح الصفات المعنوية يكون قد أقبل بعدما أدبر .

وهكذا فكل إنسان يمر في تلك الحقيقة أما حقيقة العقل وهو أنه يدبر ثم يقبل على الحق وأما يدبر ولا يقبل على الحق بعدها وهي حقيقة الجهل فالإنسان يولد مليئا بالشهوات فإذا هو خصيم مبین ظلوم جهول أكثر شيئا جدلا وكان الإنسان عجولا فهو في إدبار وإن هذب النفس وترقى وتخلص من هذه الصفات وغيرها فقد عاد إلى بدء خلقه واستجاب لربه وأما إذا انكب على الشهوات حتى الممات فهو في إدبار كما هو عليه الجهل خسر الدنيا والآخرة .

فإدبار الجهل وعدم إقباله هو انحدار الإنسان إلى وادي المهالك واستجابته إلى شهواته واستحواذ الشيطان على مملكة النفس .

- قوله عليه السلام: - فقال الله تبارك وتعالى خلقتك خلقا عظيما وكرمتك على جميع خلقي .

يتضح لنا أن هذا التكريم للعقل كان لأجل الحقيقة التي هو كائن عليها وللأفعال والآثار المترتبة عليه وهي توحيده تعالى وتحقيق العبودية فلولا العقل ما عبد الله لا في أرض ولا سماء فهو أس الأسس للخلائق وجوهر الحقائق فلولا ما خلق الأفلاك ولا ينافي الحقيقة التي عليها نور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

وسلم فإن مشتقهما من قلب واحد فلو قلنا هو هو لما كان هناك شك أو ريب فنور النبي صلى الله عليه وآله هو أصل الحقائق عقل كفه فهم كفه نور كفه وأنه المبدأ الأول والمفيض الممول للخلائق ولا يختلف عن الحقيقة العقلية و لما كان هناك ضمير .

فمن أراد أن يرى صورة العقل في عالم الملك والسيره على سطح هذه المعمورة فلينظر إلى نور النبي وشخصيته صلى الله عليه وآله فلا تجد صفة الجهل على حركة من حركاته ولا سكنة من سكناته فهو من أبداع الصور الإلهية والقوالب الجسمانية واللطائف الرحمانية ولجوهره كانت له الدنيا سجنًا بسعتها ولولا الأجل لفاضت روحه إلى مقرها وهو المحل الأعلى قاب قوسين أو أدنى وما هو عليه من الحال في معاشره الناس أمر وأدهى فلا اشتباه في ما ورد في حقه وحق العقل فإن المهتدي من هداه الله وقد أضاء الصبح لذي عينين فلا تكن على صاحب القلم ضنين.

- قوله عليه السلام:- ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا فقال له:-  
أدبر فأدبر ثم قال له:- أقبل فلم يقبل فقال له:- استكبرت، فلعنه.

يظهر من هذه المخاطبات أنها على نحو الحقيقة والواقعية ولا مانع منها فإن الأعمال الدنيوية لها صورة حقيقية فكل الأعمال من الصالحات والطاعات تكون لها صورة ملكوتية وتجسد للإنسان يوم القيامة بصور شتى فالصلاة والصيام والزكاة والحج والولاية والقرآن كلها سوف تكون لها صورة وتجسيدات تخاطب الإنسان يوم القيامة والوارد أن الصلاة تقول للمصلي المضيع لها ضيعك الله كما ضيعتني وهكذا الأعمال السيئة والقيحة ومن أراد المزيد فليراجع بحث المعاد<sup>(١)</sup>.

فلا مانع من تصور هذه الحقائق وتجسدها على نحو الحقيقة وأن تكون هذه الخطابات والاشتقاقات في فرض الواقع لكن كيف قد يختلف من عالم إلى آخر

(١) للمؤلف نفسه وبعض المصادر -تجسد الأعمال-

فليس البيان مقصورا على الكلام اللفظي ربما يكون بيان الحقائق بغيره فالأمر حيث شئت حكمته فلا يقصر النظر ويعشوا البصر.

- قوله عليه السلام:- لا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده .

هذا الذي ذكره عليه السلام مما يجب أن ينظره الموالين لأهل البيت عليهم السلام حيث أننا نجد فيه نقاط عديدة يخسر كل من يدعي التشيع ما لم يلتزم بها .  
- منها أن الإمام سلام الله تعالى عليه بين إن اجتماع هذه الخصال موجود ومتحقق عندهم عليهم السلام والأنبياء كذلك فلم يتخلف أحد منهم عن بلوغ هذه المرتبة وهذا معناه نص بالعصمة لهم وللأنبياء عليهم آلاف التحية والسلام فإن وجود هذه الخصال يقتضي العصمة .

- وأنها تدفع تطرق الوهم إلى أن النبي أو الإمام سهو لأنك عرفت أن السهو والنسيان من جنود الجهل وهي غير متوفرة وموجودة في شخص الإمام أو النبي عليهم آلاف التحية والسلام بل الموجود أضدادها وهذه الخصال من جنود العقل .

- ومنها أن الإمام سلام الله تعالى عليه بحسب معرفته الربانية والإطلاع على الحقائق الإنسانية يجد أن معرفة العقل وجنوده ممكنة لكل موالي لذا فهو يدعو إلى تكميل النفوس بخصال العقل ويأمل بلوغ الدرجات العليا .

- ومنها بيانه عليه السلام بأن الموالي إذا استكمل بناء مملكة العقل يكون قد بلغ الدرجات العليا مع الأنبياء والأوصياء فلا يطمع أحد من الموالين بهذه المنازل وهو فاقد لاستجماع هذه الخصال والحال أن الخسران هو خسران رفقة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام فإن الجنة ليست كل شيء فما ظنك بمن تشتاق له الجنة

## العقل اساس الدين ..... (١١١)

وتتشرف به فنيل رفقته و صحبته هي الدرجة العظمى فمن يحمل عناصر الجهل وجنوده ويؤمل نفسه الفوز والفلاح برفقة أهل البيت عليهم السلام فقد أغرى بنفسه نعم لا يحرم من زيارتهم حسبما ورد هذا مؤمل بإذن الله تعالى ولكن اين البحار من القفار والثرى من الثريا .

فتحصل من كل ما ذكرناه وجوب سلوك هذا الطريق - ولكن لا يكون لكل أحد بل كما ذكر عليه السلام - وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته وقد ذهب التوفيق والسداد مع أهله وظلت عندنا الأمانى وطول الأمل والشكوى والكسل.

تم الجزء الأول بحمد الله والمنة



## الجزء الثاني

في

شرح جنود العقل والجهل



## المقدمة

ولكي تتم الفائدة من كتابة هذه الرسالة أخذنا على انفسنا أن نذكر جنود العقل وشرحها حسب ما نجد الضرورة إليه وفقا للترتيب المذكور في الحديث المبارك على أن الذي نقوم به ليس بقدر ما يستحق المقام إلا أنني أرجو من الله العلي الأعلى أن يوفقني لأن أقدم هذا المجهود لألفت الأنظار إلى هذا الطريق والمسار بعد ما لم يكن في خاطر الكثير من الناس فلو كان ما أذكره يعطي الإشارة ولا يبلغ أثر صريح العبارة لكنت لي البشارة فأكتفي بذلك.

## قبل البدء فاعلم

اعلم يا عزيزي إن النفس مملكة يتشاجر عليها العقل والجهل وكل منهما عنده جنود على نحو التساوي فالساحة لمعركة العقل والجهل هي النفس الإنسانية وهما يتغالبان عليها ليل نهار ويتصارعان دوما حتى يتغلب أحدهما ويطرد الآخر ويرفع علمه على قمة النفس وهو البدن فلو سيطر العقل بجنوده وتمكنت منه الصفات والسجايا الحميدة العقلية من العلم والشجاعة والتقوى وحب الخير والكرم والسخاء..... الخ يرفع علم الوقار والسكينة والخشوع والخضوع والعبودية على بدن الإنسان فيكون الإنسان ملكوتيا ويكون أنسانا وحرا غير عبد سوى أنه عبد لله تعالى والعبادة لله عين الحرية وأما إذا سيطر الجهل وجنوده على النفس وأخذت جنوده تستحوذ على تلك المملكة وطردت جنود العقل من الصفات الحميدة كما سوف نعرف وعرفت سيكون الموضوع على البدن هو الشر والبغض والشدة والعصيان وهذا علم الخسران لا النجاح والخبية لا الفلاح وبعض الأحاديث تكون ساحة النفس في موضع النزاع الدائم ولا تصفو لأحدهما بل كل واحد من العقل والجهل له صفة وقد يتغلب أحدهما على الآخر في بعض الناس فقد يكون للعقل خمسين جنديا وللجهل خمسة وعشرين أو العكس أو

على نحو التساوي وهكذا فالعمل المطلوب من الإنسان السوي هو أن يجد ويجتهد لأن يلتفت إلى هذه المعركة وقيادتها فينصر العقل وجنده ويقويه حتى يغلب على الجهل وجنده ويحاول بالطرق المرتسمة والمنشئة في تهذيب الاخلاق أن يسيطر على ساحة النفس بالتقوية للعقل وجنده وإضعاف الجهل وجنده لكي يستريح الحياتين الدنيا والآخرة وقد عرفت بما لا يزيد عليه منافع العقل والثمار التي يجنيها في الحياتين وإن الثواب والجزاء يدور مداره وما أحد خسر إلا بعد خسارة العقل لذا الوارد في الأحاديث المباركة أن الله تعالى لا يغير نعمة على العبد إلا أن يذهب بعقله .

وإلا فالنعمة لا تذهب مع وجود العقل فالعقل حارس النعم وكما تعلم أن العقل له من الجنود ما يسمى بالشكر فالشكر حارس النعم وعامل تجاري لزيادته فلو فقد ذهبت النعم لذا فأردت أن أفهم هذه المقدمة قبل الشروع في شرح الصفات والجنود للعقل والجهل لكي يعرف الإنسان حقيقة نفسه ويفتش عنها ويتأمل ما فيها من جنود الجهل والعقل فيضعف الأول ويقوي الثاني وأما الناس الغافلون فلا محيص لإصلاح أنفسهم بعد خفائها عن أنظارهم.

فملخص الحديث هو العمل على طرد جنود الجهل وكل صفة ذميمة عن ساحة النفس بالتهذيب الأخلاقي والمحاسبة والمراقبة كما سوف يأتي بإذن الله تعالى والله الموفق والمسدد لما يرضيه.

## الجنود

### الخير وضده الشر

إن صفة الخير تعد من أول جنود العقل ومبدأ الصفات الأخرى ومنهاجها لذا كانت وزيرا لجنود العقل وجعلها بهذا المقام لكونها تعد القاعدة الأساسية التي تستند عليها بقية الصفات ولكن ليس الكلام في ما قلناه و إنما هو في معرفة حقيقة هذه الصفة وهذا الجندي وما هو المراد به حقيقة وواقعا لأنه لا يراد منه المعنى المتعارف لدى العوام - والعامة- من صفة الخير و إنما يراد منه معنى أدق وعليه لناخذ بيانه بالشكل الذي يناسب مع حجم هذه الرسالة ومن الله التوفيق.

#### أقول:-

إن المراد به هو الفطرة السليمة التي أوجد الله تعالى عليها الإنسان وجهزه بها من حيث أن الحق تعالى جهز النفس الإنسانية والروح الباقية بمقتضيات الكمال وكما فعل ذلك بالبدن فالحق تعالى لما رأته كيف جهزه بما لا يمكن لنا إحصائه من الأجهزة الموزعة للغذاء والدم والعناصر الأخرى افتراه يترك النفس صندوقا خاليا مع أنه هو الغاية والمنظر الأعلى له إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وما البدن إلا لباس يلبسه الإنسان وثوب يرتديه - مع ذلك جعل له كل هذه الأعاجيب والغرائب - وعجز الإنسان إلى يومك هذا إن يدركه ويكتشفه ويعرف وظائفه كما هي عليه فما بالك بالنفس فإذا عرفت هذا اعلم أن المراد بالخير هو الفطرة: وهي الحلقة التي أوجد الإنسان عليها من إبداع حب الكمال والنفور إلى ذم النقائص وحب الحياة الأبدية وبغض الفناء وحب البقاء وداوم الانشغال بالمحجوب وغير ذلك فهو يهتدي بفطرته إلى ربه وإلى جميع الفضائل والقيم وتكون الفطرة المحرك والمادة الأولية إلى جميع الكمالات.

إلا أنه قد يخطأ الإنسان في اختيار المصداق إي مصداق الكمال فيظن أن كماله في هذا فيسعى إليه ويقضي فيه عمره وماله ويفتديه بالغالي والنفيس كما يخطأ في اختيار الغذاء لبدنه فيفسد بدنه وصحته كذلك يفسد الإنسان فطرته السليمة فتكون فطرته محجوبة فيسمى حينها بالشر الذي هو جندي الجهل ووزيره كما عرفت في الحديث.

فالفطرة التي فطر الناس عليها واحدة كما قال تعالى (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فهي لا تتغير إلا أنها تحتجب وتبقى ملامح آثارها وأنوارها مع ذلك فالطالب للملك والمال اهتدى بالفطرة من حيث حبه للكمال والعزة ودفع النواقص ودوام الحياة السعيدة ولكن أخطاء في مصداقها وفرداها ولم يدرك بقانون العقل والشريعة إن العزة لله جميعا ويعطيها لمن يعبد كما قال تعالى إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وإن المال منقصة لما عليه من الحقيقة من آثاره السلبية منها قسوة القلوب، والشعور بالحاجة، يورث الطمع... والخ ولو كان كمالا لما حرم أنبياءه منه كما سوف يأتي المزيد بإذن الله تعالى ولم يدرك ذلك إن الحياة الأبدية والملك الأبدي والذي لا يزول هو الآخرة التي جعلت الدنيا مزرعة لها فهناك يخاطب الحق تعالى عباده:- أنا الحي الذي لا أموت فاليوم أنت حي لا تموت وأنا الذي أقل للشيء كن فيكون فاليوم أنت تقل للشيء كن فيكون. من حيث ما أودعه الله تعالى وما جهز به الإنسان فلا نقص - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

فالإنسان لم يتخلف عن كماله التكويني وكل المخلوقات كذلك لأنها في بدئها تنمو بلطف الله تعالى ولا دخل للإنسان فيها سوى في بعض العوامل فالرجل لما يضع النطفة في رحم المرأة لم يهدف إلى تكوينها حسب ما يريد لأنه ليس بيده أمرها إلا أن الحق تعالى أجرى قدرته وتديبره فكونها حيث شاءت حكمته فاهتدى بهدى الله تعالى إلى المضغة والعلقة ثم إلى أن سواه بشرا خلقا سوى ولم يخرج إلى غير نوعه من الحيوانات الأخرى وهكذا بقية المخلوقات

فشجرة المشمش نشأت بحسب ما أودع الله فيها من الهداية التكوينية العامة إلى أن تكون شجرة مشمش لا برتقال.

وهذا واضح وليست فيه ثمت أخطاء لكن الخطأ وقع في السير التكاملي التشريعي الذي يكون موضعه النفس هذا من ناحية وأخرى نبين كيفية تقوية الفطرة وتنمية هذا الجندي الذي يعد من أهم الجنود.

### أقول أيضا: -

لما كانت الفطرة هي منشأ الكمالات ومقتبس الصفات وأرضية جميع الفضائل أعطيت منصب الوزارة كما عرفت في الحديث المبارك ومن هذا الإعطاء نعرف الدور الذي تقوم به الفطرة في إحياء القيم والمكارم وجميع الصفات الأخرى فلا يقال لشيء وزير حتى يكون في مقام تحمل مهام أمور المملكة وتدبير شؤونها ويحمل أعباء الأمير ويكون المؤازر والملجأ الذي يلتجأ إليه قال تعالى في كتابه عن موسى (وأجعل لي وزيرا من أهلي).

فأعطيت الوزارة للفطرة وهي الخير الذي عرفته في الحديث المبارك لما آلت إليه أهمية الفطرة في تحصيل السعادات الدنيوية و الآخروية ولكن أنت تعلم إن قوة الوزير في إدارة شؤون البلد أو المملكة من إخلاص جنده وصلاح شعبه فلو كان الشعب والجند متمرد ما أفلح الوزير في شيء ولو خذل الأمير وزيره كذلك لم يفلح وإذا عرفت ذلك فالفطرة - الخير - لا يفلح ولا يقوى إلا بإحياء الجنود الأخرى للعقل وأعمال الإنسان نفسه في تقوية الجنود الأخرى والسعي وراء تحصيل السجايا الكريمة فالخير يتقوى ببقية الجنود، العلم والسخاء والكرم والجود والفتنة... والخ.

وبتسليط الأمير وهو الإنسان نفسه وإعانة الأمير على ذلك فحينها تظهر ثمار الوزير ويكون وزيرا بالفعل فالعطاء بينهما متبادل فقوة الوزير من قوة الجند وقوة الجند من قوة الوزير وهذا التبادل معقول ولا ترد عليه شبهة الدور لأن الدور يرد فيما لو قلنا وجود أحدهما متوقف على وجود الآخر والأمر هنا ليس كذلك.

والانعكاس والإضاءة تحصل في كثير من الأمور مثلاً نجد أن بعض الأعمال تقوي النفس وتنورها مع أنها تحصل من قوة النفس ونورها كالرياضي فهو يحمل الثقل ليقوي بدنه وفي الوقت نفسه حمله بقوته.

فالفطرة مع الجند بمثابة الوزير كما عرفت فلو أخطأت جنود المملكة لا ذنب له ولا شائبة عليه نعم فهي حاوية على طلب الكمال والفرار من النقص فتدفع الإنسان نحو المطلوب ومن هذا تعرف معنى عدم الفرق بين الخير وجنده وأنه الجنود كلها.

ثم أن البعض من الناس يرى كماله في دراسة العلوم الفلسفية ويصرف جل عمره في ذلك ليحصل على الكمال المطلق وتراه يدافع ويثبت ليكون ما يطلبه حثيثاً هو المسير للمجتمعات والآخري يدرس الفقه ويتعمق به والآخري يدرس العلوم الأخرى من الطب والبعض الآخر يذهب إلى أن يكون زعيماً وهكذا وليس كل المطالب في مصب واحد كما ترى إلا أن الحق واحد لا يقبل التغير مما وصفه الحق تعالى (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون).

فالفطرة في الجميع واحدة لكن الاختيار ليس واحداً كما ترى فلا بد من الاستعانة بهدى الشريعة الإسلامية والتزود منها بما يفصح عن اختيار الحق ويتعامل مع الفطرة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية فالعودة إلى الدين والأخلاق والقيم هو عودة إلى الفطرة - السليمة - فالفطرة هي التي تحملت وحافظت على دين الناس قبل أن توجد البراهين والعلوم وتتلور بالشكل الذي نحن عليه الآن.

فكان مما يعتقد بعض العلماء أن العقيدة لا بد أن تثبت بالبرهان ومن لا برهان له لا عقيدة له لكن لما مر برجل فلاح قال له:- هل الخالق لهذا الكون واحد أم أكثر؟

قال:- واحد.

قال:- فإن قال لك أحد أنه أكثر ماذا تفعل؟

قال:- أضع فآسي برآسه.

فهو لم يعرفه ببيان ولا برهان ولكن عرفه بحقيقة الإيمان وهذا ماكانت عليه آباؤنا وأمهاتنا وقصة شطيطة مع الإمام الكاظم عليه السلام معلومة - فإنها عرفت الإمام مع اشتباه الأمر على القراء والعلماء وكثير ممن يدعي الدراسة في مشتبهات الأمور بل نجد مثل هؤلاء أقوى عقيدة من غيرهم من أصحاب المصطلحات والأذهان الفارغة وهناك روايات وقصص كثيرة تبين حقيقة هذه النعمة الإلهية والهداية الربانية كقول العجوز للإمام عليه السلام:-البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير... الخ<sup>(١)</sup>، وقولهم عليهم السلام:- (عليكم بدين العجائز، عليكم بدين الفطرة السليمة)<sup>(٢)</sup> والتي قلنا أنها مبدأ الخيرات.

ثم لا يخفى أن الفطرة تبقى تنازع الإنسان للحصول على مصداق الكمال المطلق ولذا فهي كلما أخطأ في اختياره تراه تدعوه إلى المصداق الحقيقي والمطلب الأخص فنجد الإنسان في طلب دائم ويحول من أمر لآخر فلما يطلب الشيء الكذائي لا يكتفي عندما يناله و إنما يسعى لغيره كالطفل عندما يطلب أمه فيضعونه في حجر أحد النساء فيهدأ قليلا ثم يرجع إلى فزعه وصراخه بعدما يعلم أنها ليست بأمه والكمال المطلق هو الله تعالى وقضية إبراهيم وما أراه لنا أوضح في السير التكاملية للإنسان حينما رأى القمر بازغا قال:- هذا ربي ثم عدل عنه إلى الشمس؛ لأنها أكبر فلما أفلت قال:- أنا لا أحب الآفلين فتوجه لله تعالى رب العالمين وهذا منه عليه السلام منهج تعليمي للخلق وليس واقع منه عليه السلام على نحو الحقيقة و إنما أفصح عن واقع الفطرة فالإنسان اهتدى بفطرته إلى معرفة الحق تعالى وأفضلها أن الإنسان لا يجب الآفلين.

(١) روضة الواعظين ص٣١ ج١ الطبعة القديمة.

(٢) ج٦٦ ص١٣٥ بحار الانوار (ط. بيروت).

## الإيمان وضده الكفر

اعلم أن الإيمان هو التصديق والإذعان النفسي والاستجابة والانقياد لما عرف وعلم سواء بالبرهان أو الوجدان أيا كان وهو يختلف مفهوما ومصداقا عن العلم وموضعه القلب وموضع العلم العقل والعلم إذا أذعن به وسلم واستجيب ووصل حد العمل سمي إيمانا وتصديقا وما لم يكن كذلك فهو علم وإدراك ولا يتعدى الصور الذهنية والتي تكون أقرب للجهل من غيره فالفوارق كثيرة وواضحة للعيان فالناس يعملون بكثير من الحقائق ويسلمون بأحقيتها لكن لا يعملون بها أو إليها؛ وذلك لعدم الإيمان فرما يردد الإنسان شهادة ألا إله إلا الله عمرا طويلا ولكن ما أن يخالجه حدث الموت إلا وأردى صريعا فيعدل عن الحق فيقال له:- أنت على الحق الذي عاهدتنا عليه من شهادة ألا إله إلا الله.. الخ.

والبعض يعدل عنها في الحياة الدنيا لعروض أتفه الأشياء من طمع الدنيا الفانية وهناك من بالغ بالدين والتدين ولكن ما أن هاجر إلى بلد الفسق والفجور هجر ما كان عليه من الدين والأخلاق وصار يعلو صوته بأنه كان على ضلالة من عبادة الله واحترام العلم والعلماء ويعزو ذلك إلى التخلف ولعدم الإيمان فهذا أولى بالتلقين بأن يقال له هل أنت على الحق الذي عاهدتنا عليه..

فما لم يحصل الإيمان بالحقائق والمعتقدات الدينية وتصل إلى حد أن تخالط لحمه ودمه سوف يهجرها في أول مشهد من مشاهد الموت ولا مبالغة في ذلك فهناك بعض الأحداث الدنيوية تذهل الإنسان عن اسمه وأحب الناس إليه وهي من أحداث الدنيا التي لا تقاس بالآخرة التي نارها تأكل بعضها بعضا فكيف بنا إذا الشمس كورت والسماء كشطت والبحار سجرت والوحوش حشرت والجبال دكت يوم تلتف الساق بالساق يوم القلوب لدا الحناجر كاظمين وما من شفيع مطاع يوم لا أنساب بينهم ولا هم يتعارفون يوم تغل الأيدي إلى الأعناق يوم تزرق العيون وتبكي دما وقيحا يوم الخلائق حفاة عراة يوم تنادي الخلائق يا نفسي يا نفسي يوم يفر المرء من أمه وأبيه وأخيه وصاحبه وبنيه ومن يؤويه يوم تحدث

الأرض عن أخبارها يوم تشهد فيه الجلود وتقول أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء يوم تشهد فيه الفروج عما فعلت يوم يجمع فيه الأولون والآخرون وقد خاب من حمل ظلما فهل يواجه هذا وأكثر منه بصلاتنا هذه..... الخ وعليه فلا بد من تحصيل الإيمان الحقيقي في قول إياك نعبد وإياك نستعني فإذا قلناها بأفعالنا صدقت أقوالنا في الصلاة وغيرها والا كان لقلقة لسان لا أكثر.

### إشراقه:-

ذكرنا فيما سبق بعض الشيء عن الفطرة وأصل الحلقة التي أوجد الإنسان عليها وهنا إضافة والفات نظر وهي أن البدن الإنساني لو تأملت ما فيه من العجائب والغرائب وأصناف الأجهزة من القابضة والماسكة والمهاضمة وغيرها ونلاحظ العلم الحديث بما أوتي من قوة قاصر في معرفة تلك الحقيقة المأنوسة فإذا عرفت هذا فأعلم أن البدن مصيره الفناء ويكون هباء منثورا تتلاقفه الأفواه - هواء - وذلك لأنه لم يكن نظر الله تعالى كما عليه الروح التي خلقها قبل الأجساد بألفي عام فإذا كان البدن هذا مصيره وأودع فيه كل هذه الأمور فكيف بالروح والقلب الإنساني الذي هو محط نظره تعالى ومستودع الأسرار.

وأبين أن هذه الحقيقة وهي تجهيز البدن بالنسبة للروح كحلقة في فلاة وذرة في مجرة وقطرة في بحر فما أودع الله في هذه النفس من الصفات والمزايا والعطايا لا إحصاء له إلا أننا مع كل هذا انشغلنا في البدن والذي هو لباس لا يختلف عن الألبسة القماشية وتركنا ما هو أعظم وغاية الوجود فإن الله تعالى قال (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) <sup>(١)</sup> أي لما خلق بدن آدم عليه السلام لم يأمرهم بالسجود لكن لما نفخ فيه الروح المنسوب إلى الحق تعالى كما هو ظاهر من كلمة (من روحي).

فلا نجد من يعمل جاهدا لمعرفة خفايا هذه النفس التي هي محط السعادات  
الدينية والآخروية ومحل الحزن والفرح وكل شيء فلو صلحت لأصلح كل شيء  
في هذا العالم لأصلحت الحجرة والمعمورة بكاملها بصريح القرآن:-

- (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و  
الأرض ولكن كذبوا) (١).

- (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) (٢).

- (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من  
فوقهم ومن تحت أرجلهم) (٣).

وفي مضمون بعض الأحاديث:-

- لو استقمتم على هذا الطريق لصافحتكم الملائكة.

- ولولا الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم لرأيتم ملكوت السموات  
والأرض.

- ولو أطعتم عليا لأكلتم من فوق رؤوسكم.

وهكذا ونحن اليوم نعزوا سبب الحرمان والبلاء إلى الحكام لكن قسما بالله  
العظيم ما نصبوا على كراسيهم إلا بأعمالنا الرديئة الدنية ولو آمننا ما اختلفنا فإن  
الهدى واحد.

- (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا  
أوليائهم الطاغوت) (٤).

- (واتبع سبيل من أناب إلي) (٥).

---

(١) سورة الاعراف / آية ٩٦.

(٢) سورة الجن / آية ١٦.

(٣) سورة المائدة / آية ٦٦.

(٤) سورة البقرة / آية ٢٥٧.

(٥) سورة لقمان / آية ١٥.

- (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم) (١).

فسلط الله علينا شرارنا وصرنا ندعو فلا يستجاب لنا فمن منا يلتفت لنفسه كما يلتفت لبدنه فلو أحدنا رأى مرضا في بدنه لما تحمل البقاء إلى الصباح لكن عندما يجد في نفسه الحسد والحقد والأناية والتكبر والرياء والعجب ومن الصفات الحالقة للدين والدنيا لا يذهب ولا يفزع لعلاج نفسه.

فكل أطباءنا اليوم يقولون لمرضاهم - عامل نفسي، مرض نفسي... الخ..  
- لكن لا تجد طبيبا نفسيا إلا وهو مريض نفسيا فلو تخلى العالم اليوم من صفة واحدة وهي الحسد لرأيت العالم بصورة ثانية لا يتخيلها المتخيل فكيف لو أصلح جميع صفاته وعليه فمن منا فتش عن إيمانه ووزنه بالشرعية ونظر إلى مدى التزامه بها ولم يغر بنفسه ويخدعها كي لا تفزعه يوم النشور مع إن إمامنا الكاظم عليه السلام وكل أهل البيت عليهم السلام يقولون ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم وذلك لأنه إذا لم يحاسب نفسه سوف تجتمع فيه كل خصال الشر فيخرج تلقائيا عن ساحة أهل البيت عليهم السلام فهل عرضنا الإيمان الذي نتكلم به في كل يوم على كتاب أو سنة؟ فنجد متديننا يذم الرجل على المستحب - أو المكروه والحال أنه يأخذ الغيبة والبهتان الذي هو أشد من الزنا تحت أستار الكعبة في ذات محرم فهل وازن بين فعله وفعل من اغتابه.

### طرق تحصيل الإيمان

بعدما يشاهد الإنسان أن تلك العبادات التي تردد على لسانه من شهادة ألا إله إلا الله.. الخ، ليست كالأمور الدنيوية التي أخذت نفسه تشهدها حتى في المنام وربما سمعنا من بعض أنه لو نام لا يرى إلا أنه يحسب الأموال.

فليفرغ ذلك المسكين من رقدته قبل انتهاء مدته فالعمر رأس مال الإنسان لتحصيل الآخرة وتراه يذوب بالثواني واللحظات حتى إذا انقضى عمره انقضى كل شيء وحكمت عليه الحسارة الكبرى فأين الملوك وأبناء الملوك وأين القصور ومن بنى القصور... الخ.

فلا بد من تحصيل الإيمان ليخطوا خطى الآخرة وإلا فهذه مجرد ألفاظ تردد على ألسن الناس - الدنيا فانية - وهو يسرق ويقتل ويظلم - لا قيمة للدنيا وهو يجمع لها ليل نهار فوق قوت عمره مع أن ما عنده يكفيه أضعاف مضاعفة من عمره ولو كان له عمر نوح عليه السلام ولو كان يجمع لقوته فعلا لاكتفى بالمليارات... الخ، فالحيوانات تتحرك للافتراس لو جاعت والإنسان يتحرك للافتراس وقتل الناس وسفك الدماء أكثر لو شبع!

لذا قال الحق تعالى في حق هؤلاء كالأنعام بل هم أضل فإذا لم يحصل الإنسان حظه الإيماني ويرسخ تلك المعتقدات في الدنيا فأين يا ترى يتم تحصيلها وإذا لم يحصلها في شبابه فهل يا ترى يحصلها في هرمه بعد ما ينسى اسمه! وعليه فهناك طرق للتحصيل يكتبها صاحب القلم العليل لنفسه ولهذا الجليل ومن الله التوفيق.

اعلم يا عزيزي أنني لست أحرص عليك منك على نفسك فالمربية ليست بارحم من الأم على ابنها ولكن لما أبتلينا بهذا العنوان الذي أخذناه ولبسناه لزم علينا الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنت الأولى بالأخذ والوعظ ومن لم يكن له واعظ من نفسه لا ينفعه وعظ غيره ولا تنفع كتابة الدواء من دون أخذه وعليه أنك لا بد أن تسعى جاهدا لأن تنفض غبار المعاصي عن نفسك بأن تطالع سير الأئمة الهداة والصالحين كيف ألزموا أنفسهم الأعمال والأذكار والأدعية والقرآن حتى اتخذوها شعارا لهم في كل مكان وزمان وراقبوا أنفسهم وحاسبوها وسابقوا أهل المكارم بالأخلاق الحميدة فانظر كيف أخذوا يتنافسون في طلب العلا فانظر إلى إمامك عبد الله بن جعفر لما دخل إلى ضيعته

ووجد عبده عنده رغيغ من الحبز فأعطاها للكلب عندما أخذ ينظر إليه ذلك الحيوان فاستحى منه وأعطاها كل ما عنده فلما نظر إلى العبد وما فعل أعتقه وأعطاها الضيعة وذلك تنافسا منه على المكارم أي كيف يغلبني هذا العبد وأنا ابن رسول الله؟

ويقول:- كيف تقولون أن جعفرًا كريمًا وهذا العبد أكرم مني؟  
فمثل هذه السلوكيات تعد منهاجا للمنافسة على الأذكار والأعمال.. الخ، ونحن أولى بها فهم بالمواظبة على ذلك حصلوا ما هم عليه وازدادوا خيرا وأما نحن فممع ما نحن عليه وما نعمله في اليوم والليلة لم يفتش أحد نفسه ولو مرة.  
فالطريق الأول والمرحلة البدائية أن يخلص الإنسان في طريقه إلى الله تعالى وينقي عباداته وأعماله من أخلاط الشرك ويعرض أعماله كلها على ما حققه العلماء في باب الإخلاص والعجب والتوحيد فسوف يجد أنه لم يعمل عملا واحد لله تعالى ويرى أنه في خسران أي لا بد من مراجعة الكتب الأخلاقية والوعظية وروايات أهل البيت عليهم السلام التي تتكلم عن الإخلاص حتى يعرف الحق من الباطل وما هو عليه ويعمل جاهدا حتى تخلص نواياه من الشرك الظاهر والخفي ولولا الإطالة لأخذناكم لتلك الروضة ولكن أقطع إن ما ذكره العلماء روعي لهم الفداء كافي وشافي فكتاب جامع السعادات وتطهير الأعراق وكتب الإمام الخميني قدس سره وما ذكر في تفسير البرهان لسيدنا السبزواري وغيرها من الكتب فأول الخطى لتحصيل الإخلاص للخلاص<sup>(١)</sup>.

ثم اعلم أن هذا لا يكون إلا بمزاولة العمل مررا وأخذ قانون المشاركة والمراقبة والمحاسبة الذي ذكره سيدنا الإمام الخميني روعي له الفداء في كتابه (الأربعون) ولأن مزاولة الأعمال تعطي الملكة التي تريح الإنسان وإلا إذا أخذ العمل على النحو المتعارف من أساليب العامة فإنها لا تعطي أثرها الذي يرتجى منها.

(١) سوف نتطرق إليه بإذن الله تعالى في محله.

وهكذا يكون جاهدا في سبيل تحقيق الأعمال ويكافح في الوقت نفسه شوائب النوايا وما يتطرق إليه إبليس من الجهل ويستعصم بالله تعالى فإن الشيطان لا سلطان له على من اعتصم ومن كثر تسييحه ومن عقل وتوكل وأن يتجنب مواضع الغفلة ومجالس السفهاء على ما سيأتي بإذن الله تعالى بيانه وإن النية لو واصل الإنسان سعيه لتحصيلها لئلا يذنه تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) <sup>(١)</sup> (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) <sup>(٢)</sup> فمن نصر الله على نفسه والرحمان على الشيطان استوجب من الله الأمن والإيمان.

### ويذكر لذلك أذكار كثيرة يواظب عليها الإنسان تعينه على تحصيل الإيمان:-

- منها ذكر - لا إله إلا الله - وهو أفضلها على الإطلاق كما صرحت به الروايات ومنافعه عامة

- ومنها التسيبحات الأربع

- ومنها الاستغفار الذي يجلي القلوب ويفتح العيون على عالم الغيوب حسبما صرحت به الروايات الشريفة.

ثم ينتقل بتوفيق الله تعالى إلى مرحلة التوبة من الأعمال السيئة والقبیحة والتصرفات غير اللائقة بمفهوم الشريعة فيقود جوارحه إلى مدرسة الإسلام بعد بعدها عنها ويحاول إصلاح ما فسد من دينه كما سوف نبينه بإذن الله تعالى في موضعه.

ولا يتغافل الإنسان عن أنه مأخوذ لا محالة بإعماله كيف ما تكون وليعرض نفسه على الآيات المباركة ويخاطب نفسه قبل أن يفتح كتاب الله تعالى أنه ذاهب للكلام مع الله وأن الله تعالى الآن يتحدث معه ويخاطب نفسه أن هذه حقيقة لا

---

(١) سورة العنكبوت / آية ٦٩.

(٢) سورة محمد / آية ٧.

كذب فيها لأنها صادرة عن الحق تعالى وسوف يقع كل ما يقول وإن غفلته عنها واستهزاء بها وترك الناس لها لا يمنع عن حدوثها شيء وإن الله قاهر العباد في يوم المعاد ولا ينجو منه إلا من أحسن واتبع أهل السداد.

فيجلس مع نفسه في أواخر الليل وأفضله السحر ويفتح كتاب الله تعالى وينطق قلبه قبل لسانه بكلمات الله تعالى ويسمعها نفسه لا أذنه فطالما سمعت هذه الأذن فما نفع ولا شفي من وجع ولا يعجبه الإكثار فإن (قليل قر خير من كثير فر) فيعاود الآية مرارا ويباشر نفسه بها ويحاول أن يصحبها بالدموع وهو في خلوته ويبيكي على ما فرط من عمره فإن هذه الوحدة لا بد منها لكل مؤمن وهي مقدمة لدفع وحدة القبر ووحشته وإلا سوف يرى وحدة القبر ووحشته والله العاصم من مهالك الذنوب ومن هذه الآيات التي تقرأ في وقت السحر:-

- قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين)<sup>(١)</sup>.

- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)<sup>(٢)</sup>.

- قوله تعالى (رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا... يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا)<sup>(٣)</sup>.

- وقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد\* إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد\* ما يلفظ

(١) سورة الحشر / آية ١٦-١٧.

(٢) سورة الحشر / آية ١٨-١٩.

(٣) سورة النبأ / آية ٣٨ و٤٠.

من قول إلا لديه رقيب عتيد\* وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد\* ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد\* وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد\* لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد\*... يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد<sup>(١)</sup>.

- وقوله تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين\* ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ❖ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون<sup>(٢)</sup> بأن يجعل نفسه المخاطب بذلك ويعرض عليها هذا الأمر يتنبأ حقيقة نفسه.

- بل ينتخب بعض الآيات التي فيها عتاب للإنسان ويحدث نفسه بهذا العتاب على لسان الحق تعالى كقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)<sup>(٣)</sup>.

فالمتأمل يجد أن الجميع من المخلوقات قد سجد لله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولم يستنكف منها فرد إلا هذا الإنسان الذي رزقه الله تعالى العقل وجعله خليفة في الأرض تمرّد على الله تعالى - فإن الله تعالى يقول (وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) ولم يرد هذا بحق أي جنس من المخلوقات... أهذا حق الله تعالى الله علوا كبيرا!؟

---

(١) سورة ق/ آية ١٦-٢٢ وآية ٣٠.

(٢) سورة الجمعة / آية ٨٦.

(٣) سورة الحج / آية ١٨.

## فائدة في بيان بعض المعالجات الكلية

توجه إلي في ساعتك هذه وأعطني شيء من وقتك فطالما ضيعت وهدرت من وقتك وأنت شاعر وغير شاعر بذلك وانظر إلى هذا المقام بيان أن هناك علاجات عامة وكلية للأمراض النفسية تنفع للجميع كالاستطببات البدنية فإن في الطب البدني توجد أدوية عامة لكل مرض كذلك في طب النفسي ومكافحة الرذائل الأخلاقية وتحصيل الفضائل الربانية ونحن ذاكرون ما وفقنا معرفته بتوفيق الله تعالى وما هو مجرب حسب العادة الجارية وما نقلته الكتب والسير.

- أولها:- كثرة ذكر الموت حالا ومقالا وتصوير النفس في حال الموت وما يؤول إليه الإنسان ما بعد الموت من النزعات ورؤية عزرائيل عليه السلام الذي تهد لها الجبال وتصعق لها الأنبياء كما هو الوارد في الأحاديث فلو سحبت شعرة من بدنك ومن أنفك على نحو الخصوص ماذا تفعل بك؟ فكيف بنزع الروح لقلع الجبل أهون من نزعها على محب الدنيا والراسخ في رذائلها ويتذكر ما يواجهه بعد وضعه بالقبر من الوحشة والوحدة وما يلاقيه من العقارب والحياة التي تختلف أحجامها عن الدنيا كالبغال والجبال وأكبر من ذلك.

ويتذكر مجيء منكر ونكير طولهما بين السماء والأرض يجران بأذيالهما أصواتهما كالرعد وأبصارهما كالبرق وصورهما لا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيسألانك عن ربك ونيبه ووصيه... الخ.

وتذكر يوم البرزخ وما فيه وهل استعددت له فأنت وأنا في وحشة في ذلك ما لم نستعد لأن إمامنا الصادق عليه السلام قال:- لا شفاعة في البرزخ والله لا أخاف عليكم إلا البرزخ<sup>(١)</sup>.

ونذكر ما بعد ذلك من النشور والناس حفاة عراة يجمع فيه الخلائق كلها، يوم القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع مطاع يوم

ترجف القلوب من خشيته وتخر الجبال من هيئته وتشقق الأرض عنهم سراعاً يوم تزرق العيون وتبكي دماً وقيحاً يوم تتبرأ الخلائق بعضها من بعض ويلعن الظالمون بعضهم بعضاً وكل واحد ينادي يا نفسي ولا يفكر أحد بزوجه أو ابنه أو ماله ويتمنى الإنسان ما أوتي غير قوته في الدنيا ويقول يا ليتني كنت تراباً يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً يا ليتني مت قبل هذا يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.

يوم يحشر الخلائق في حقة فيركب بعضهم بعضاً وتشتد أنفاسهم ويأخذهم العرق وأفضلهم حينها من يجد موضعاً لقدمه فأحدهم كالسهم في الكنانة يوم الفصل يوم يرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم يوم فيه الأصوات خادمة والقلوب فرعة والأنفس جامدة لا حراك لها إلا بإذن الله تعالى يوم يذهب الاختيار والملك للواحد القهار يوم تشيب فيه الأطفال والصغار وتضع كل ذات حمل حملها يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

يوم تنشر فيه صحيفتك فتقول مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها يوم تقول النفوس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وبدا لهم من الله ما لم يحتسبوا يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يوم التخاصم بين الرؤساء وأتباعهم فيقول الضعفاء ربنا أضقهم ضعفي العذاب ويقول الله لكل ضعف، يوم ترى منازل الأطياب أشرقت أنوارها ومنازل الفساق اشتعلت نيرانها.

يوم ترى الملائكة الغلاظ الشداد الذين يرهبون الخلائق كلهم فلا يستعطفون ولا يسترحمون يوم ترى النار التي تأكل بعضها بعضاً والجحيم الذي يشتكي من حرارة نفسه فأعرض نفسك على ذلك لو كنت من هذه الفرقة - لقلت والله ما أنا إلا مجنون مالي ومن لا يبالي في أمر دينه ولو كان ولدك، ولشغلت بنفسك وإصلاحها ولتخلصت من طغيانها وتذكر البلى واندراس القبور ونسيان اسمك كما نسيت أجدادك فأنت في أثرهم تسير فماذا حصلوا من كثرة الأموال والأولاد والقصور؟ أليست النساء قد زوجن وعجزت وتبدلت الحسان بالعجوز الشمطاء قبيحة المنظر أليست القصور قد هدمت فما سكنت وانمحت آثارها فأصبحت

رمالا تذرورها الرياح، والأولاد سكنوا الديار وتزوجوا النساء وأكلوا أطيب الطعام في وقت موتك وما أخرجوا الجمع والنفع والميراث سلوه لهم.  
وأما الأصحاب فهم في وجودك ماذا فعلوا لك فلم ترى منهم إلا الخذلان فكيف بعد الموت بشهادة الوجدان فهل تركوا أكلهم وشربهم و مناكحهم ليوم واحد حزنا عليك وما كان ينفع ذلك لو فعلوا فاشهد وتعاهد عمارة نفسك ولا تكن ممن لا تنفعه الموعظة...

- الثاني:- أن يعمل على الأشياء بما يضاد تلك الرذيلة بحيث لا يجاوز حد الاعتدال فمثلا إذا كان جبانا يلقي نفسه في مواضع الشجعان ويعمل أعمالا كأنه متهورا من حيث الصورة وإذا كان بخيلا فيعطي إعطاء المسرفين وإذا كان كسولا يعمل أعمال أهل الشره الذين لا تستقر أعضائهم وجوارحهم ولكن في كل ذلك ليراقب نفسه كي لا يخرج عن حد الاعتدال ومن الأفضل أن يكون هناك مراقب له في أفعاله وتصرفاته...

وموضع كلامنا على نحو الخصوص هو إذا لم يكن مؤمنا يعمل أعمال أهل التصديق والإذعان ويقهر النفس على ذلك في معاودة الأعمال والأقوال لتقرب منه الصورة الحقيقية ومن نفسه.

- الثالث:- مجالسة أهل العقائد الحققة وأخذ الدروس منهم أيا كان الدرس خصوصا عند من تحبونه وكان من أهل الفضائل فإن هذا عامل مهم جدا في تحصيل الفضائل حتى العقائد فإن الطالب أو التلميذ يأخذ العقائد الخفية التي لم يصرح بها أستاذه لأقرب الناس؛ لأجل أن هناك تأثير غيبي يذكره أهل المعرفة منهم السيد عبد الأعلى السبزواري قدس الله نفسه الزكية وأقرب الأمثلة إليك تأثر المرأة بدين زوجها فإن الزوج حتى وإن لم يكن مريبا لها على نحو العناية الخاصة لكن في الواقع أنها تأخذ منه وهي لا تشعر بل تجدون أن هناك يقلدون من يحبونهم في الحركات والسكنات والألفاظ واللغات وحتى الأصوات من دون

تكلف بل يأخذون طريقة التفكير وسر حل المسائل العويصة وطريقة الحركات  
الذهنية التي لا ترى بالعين.

## التصديق وضده الجحود

اعلم يا عزيزي أن التصديق من عمدة جنود العقل ولا يقل عن الإيمان  
درجة بل يزيد عليه وهو عبارة عن قبول الحق والاعتقاد الجازم به والتثبت بعراه  
على نحو لا يقبل الخلاف والتصديق هنا ليس المراد منه التأييد كما يأتي في بعض  
معانيه نظرا إلى مقابله بالجحود بل يراد منه الاعتراف بما جاء به الأنبياء والرسول  
والأئمة الهداة وما نزل من الحق.

وهو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها الإيمان والباعث الأول لأشراقات  
النفس نحو الكمال وطلب السير في طريق المعارف الإلهية.

فالإنسان ما لم يصل إلى حد التصديق بدرجة تكون مؤثرة في حركات  
الإنسان الجوانحية والجوارحية لا يرتقى إلى درجة من الكمال وهو من ملازمات  
الأنفس الزكية ويعارضه ويمانعه الشبهات والأباطيل والأضاليل والأوهام والغفلة  
والتكبر فإن كل ذلك يأخذ دورة في دفع التصديق ويكون العقبة الكبرى في  
حصوله ومما يعتمد عليه تصديق الفطرة السليمة فهو كما بينت يرتبط ارتباطا وثيقا  
بها وإن أصحاب الفطرة السليمة عن الشوائب ودرك الذنوب تقبل هذا العنصر  
بأفضل قبول لذا يحدث التصديق في بسطاء الناس كالعجائز حتى قيل عليكم بدين  
العجائز ولا يمر في نفوس أصحاب الأقلام وأصحاب الكنى والألقاب والعناوين  
البراقة وكذلك أصحاب الشهادات العليا ما ذلك إلا لأجل تلوث الفطرة السليمة  
واندراسها وشل حركتها بالتجبر والتكبر فهم لا ينتفعون بشيء من الأدلة  
والبراهين وحتى يشككون في الأمور الوجدانية التي لا تقبل البرهان - فالطيب  
أمامه أكبر الآيات وهي ما أوجده الله تعالى في بدن الإنسان من الإبداع والأجهزة  
التي كانت ولا زالت محط بحوث وأنظار الأطباء منذ آلاف السنين ولم يصلوا إلى

معشار ما في الإنسان ولكن مع هذا تجرد بعضهم من أكثر الناس إنكارا لحق الحق تعالى ؛ وذلك لأنه علا في نفسه التكبر والعجب فهو في متاهة ويحسبون أنهم محسنون قال تعالى في مثل هؤلاء:-

- سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق<sup>(١)</sup>.
- وأقول لمثل هؤلاء قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا إن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)<sup>(٢)</sup>.

### الطريق للحصول على التصديق

في هذا المقام نذكر جملة من الأمور والعوامل التي تؤدي للحصول على التصديق:-

• من هذه العوامل دفع الموانع والحجب وهذا أسلوب عملي متبع في جميع الأعمال الحياتية فأنت لا تبني أساس بيتك حتى تقوم بتنقية المكان عن كل ما يؤدي إلى عرقلة البناء فأول الخطى هو التطهير من التكبر وسوف يأتي الكلام عنه بإذن الله تعالى كذلك الغفلة وصقل ساحة النفس بالتواضع والتذكر بالمواظبة على الأذكار والأوراد والأعمال التي تنور ساحة القلب وسوف نذكر جملة منها أيضا في موضع مناسب من هذا الكتاب بإذنه تعالى فإن الغالب أن عدم التأثير هو لأجل الموانع المتراكمة على النفس.

وليعلم الأخوة أن من الأعمال المؤثرة في ساحة النفس هي السجدة اليونسية - ذكر (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وأنت ساجد بأن تستحضر في نفسك إنك قد سجت نفسك في ظلمات حب الدنيا وتطلب التخلص من هذا

---

(١) سورة الاعراف / آية ١٤٦.

(٢) سورة الحديد / آية ١٦.

السجن الأبدي المهلك للدين والدنيا وأقلها أربعمئة مرة - والبعض ألف والآخر ثلاثة آلاف ومن الله التوفيق.

• ومنها التوبة التي هي من أعمال الجوانح والجوارح وسوف يأتي بيانها في موضعها المناسب ولعل التوبة في الحقيقة من أساسيات حصول التوحيد والمرقاة الأولى لكل بناء في العقل.

• الاعتناء بالمصدر الذي تأخذ منه العلوم قال تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه - أي إلى علمه من أين يأخذه - وفي الحديث لا علم إلا من عالم رباني ولا تجلسوا عند كل عالم إلا إذا دعاكم من خمس إلى خمس منها من الشك إلى اليقين وذكر دور الأستاذ في تحصيل الإيمان وهنا كذلك من دون فرق.

بل لا بد من الاهتمام في هذا الجانب وصونه عن الوقوع في مخالب الشيطان فإن بعض الناس ومن الأساتذة ترى عنده ألف صفة جميلة ولكن لا تعلم إن فيه خلة واحدة أقعدته وتقعده كل من يتبعه.

وربما تجد إنسانا عالما متبحرا في العلم ولكن (سبحان الله) لم يوفق لأن يؤم الناس جماعة قد يكون ذلك بعض الأحياءين لأجل خلة لا يجها الله تعالى وربما سلبه التوفيق إلى مر العصور وهذا ليس مقياسا وضابطة عامة لكن يكون ذلك كما ربما شهدناه وذلك لبعض العقائد الفاسدة المؤثرة أو بعض الأمور ومن الله العصمة.

فنحن نجد بعض الرجال ما شاء الله على ما يحملون من الشفافية ولكن ما أن تعاشرهم إلا وقد بان لك ما تهد له الجبال أضرب لك مثلا صحبت بعض الأخوة فكنت أراه أنه من أهل الصلاح ومن كل جهة ولكن فاجئني في كلام وهو أن هذه الأموال الطائلة والبنائيات على الطرق التي تعد للحسين ليست في محلها ومن الأفضل أن تنفق في تزويج الشباب وإلى ما شاء الله من الكلام فبينت له بعض الجواب ولكن تبين أنه من أهل العناد.

ولا يكاد ينقضي تعجبي من هؤلاء الذين يحملون مثل هذه الأفكار المنحرفة وأقول بعض الشيء في ذلك:-

- إن ما قدمه الإمام الحسين عليه السلام من التضحية لا يساويه هذا المبدول من تراب الدنيا أين هذا من قتل الحسين وهتك حرمة المقدسة؟
- أين هذا من سلب الحسين؟
- أين هذا من التمثيل به عليه السلام؟
- أين هذا من بقاء ثلاثة أيام على الرمضاء من غير غطاء؟
- أين هذا من خدر زينب عليها السلام؟
- أين هذا من سبي نساء الحسين عليه السلام؟
- أين هذا من قتل أبي الفضل العباس عليه السلام؟
- أين هذا من آلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكاءه عليه؟
- أين هذا من آلام فاطمة عليها السلام؟
- فهل هذا يعدل برأس الحسين عليه السلام؟!
- أم بكفي العباس أم بخدر زينب.

● وهل قصرت بنا الأموال حتى صرنا بحاجة إلى ما ينفق على الحسين لناخذه في هذه الأمور التي أريد بها غير وجه الله تعالى.

فهذه الأموال من مليارات الدولارات عند المجانين من الناس والصبية تنفق على ما يندى له الجبين هل اعترضتم ووضعتموها في مواردها ولم يبقى إلا الأموال التي تنفق في سبيل الحسين عليه السلام؟!

● ثم إن الإسلام جعل لكل شيء مورده الخاص به كما في النظام الوضعي للدول من موارد المشاريع المائية غير موارد المشاريع الصناعية وهكذا فلا يؤخذ هذا من هذا فالشريعة أوجدت بعض الأموال من الخمس والزكاة لصرفها في هذه الموارد وغيرها مع الإذن من الحاكم الشرعي ومورد دعم الشعائر الحسينية واحد من تلك الموارد.

• وأعلم مع كل ما ذكرت أن دينك أنت أيها القائل وغيرك من الناس محصن بوجود ذكر الحسين عليه السلام فالإمام الخميني يذكر في خطبته دوماً وأبداً أن الثورة لم تنجح إلا بدمعة الحسين وإقامة مآتمه عليه السلام كما تكتبون على اللوافت الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.  
ومن هذه الطرق التفكير في مجاري الخلق حسبما دعت إليه الشريعة والفطرة السليمة:-

- (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين أنه الحق من ربهم).
  - قال تعالى (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)<sup>(١)</sup>.
  - وقوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)<sup>(٢)</sup>.
  - وقوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار)<sup>(٣)</sup>.
  - قوله تعالى (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار)<sup>(٤)</sup>.
- وأما الأحاديث:-

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- التفكير حياة القلب البصير<sup>(٥)</sup>،  
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- فكرة ساعة خير من عبادة سنة، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- أفضل العبادة إدمان التفكير<sup>(٦)</sup>..، وقال أمير المؤمنين عليه

---

(١) سورة الروم / آية ٨.

(٢) سورة الأعراف / آية ١٨٥.

(٣) سورة الحشر / آية ٣.

(٤) سورة آل عمران / آية ١٩٠.

(٥) الكافي ج ١ ص ٢٨ (ط. الاسلامية).

(٦) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٩٦.

السلام:- نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك مما يدعو إلى التفكير في آلاء الله تعالى وما خلق.

وأدعوك للتفكر في نفسك ما فيها من الحركات الإرادية وغير الإرادية فاعلم أن حركات الإنسان غير الإرادية التي تقوم حياته أكثر بكثير من حركاته الإرادية فهناك من الأجهزة المودعة في جسد الإنسان التي تعمل في بدن الإنسان ليل نهار فلو كانت بإرادة الإنسان وفعله وتصرفه ومقومة بحسب فطنته وخبرته لهلك الخلق كلهم فالقلب يعمل طوال الحياة سواء أنت مستيقظ أو نائم فمن يحركه؟!

والكبد كذلك والطحال والمرارة والمعدة و.. الخ، هل هذه بتدبيرك أنت أيها العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وإن كنت تديرها في كبرك فمن قومها في صغرك وعندما كنت في بطن أمك!

هذا في مخلوق كبير لكن أنظر إلى ذلك المخلوق الصغير - البعوضة - ما هي عليه من الخلق العظيم مع صغر حجمها فقد خلقها الحق تعالى على شكل الفيل وهو أعظم الحيوانات فخرطومها كخرطوم الفيل وخلق له الأعضاء التي للحيوانات الكبار من السمع والبصر وقوة الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة... الخ.

### تنبيه:-

اعلم أن الذي شهدناه في حياتنا العملية أن أصحاب التلوث الفكري أشد خطرا على المجتمع من غيرهم وأنهم ليس لهم توبة مهما بالغوا في شعارها وتحلوا بأعمالها فنجد أن ذلك ليس له واقع سوى المصالح الشخصية فأصحاب السرقة والغش والعدوان والفواحش يتوبون إلا هؤلاء فالحياة العملية تشهد بعدم توبتهم ولو رأيتهم ركعا سجدا إلا أن كلامي ليس على نحو الاستحالة الذاتية بل المراد

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٤ (ط. دار الحديث).

منه الاستحالة الوقوعية وإلا فما هو دور الرسائل والأصول التربوية التي تقوم بها الأنبياء وأتباعهم من العلماء ومن الله العصمة والسداد لذا لا بد للإنسان أن يحوط فكره بالحصون المنيعة من تسرب الأفكار المسمومة وخصوصا المدسوسة والمخلوطة بالعلس وعليه فلا بد من تحصيل المعارف الحقة من أفواه الشريعة لا من تخبط وإخفاق.

ولقد سقطت ملوك وشعوب في الانحدارات الفكرية وضاعوا إلى الأبد نعم أن أصحاب الضلالة قد ضلوا وأضلوا لكن الله على لسان نبيه أمرنا بالتفكير والتذكر والبحث والتنقيب ودعانا لذلك فلو قال البقال عند الشراء أن فاكهة واحدة مسمومة في هذا الصندوق فاحذر.

فسوف يأمر العقل والوجدان بالبحث واتخاذ الحيلة والحذر كيف يقول فيكم تفترق أمتي على نحو اثنتي وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. فما حجة من لم يبحث وينقب فهنا لو كان عقل بأدنى درجاته لدعا إلى البحث لكن الناس عقلاء في دنياهم جهلاء في دينهم.

فليس همة الكثير إلا ما تهتم به الحمير وهو ملئ البطون التي لا يملؤها إلا التراب حسب ما ذكرت الروايات وذكرناه أن البعض لو كان همته القوت والعيش من سعيه فلماذا يبني ما لا يسكن ويجمع ما لا يأكل بل يجمع ما يكفي شعبا بكامله ولو كان له جبلا من ذهب لأبتغى الآخر فالحيوانات تجوع فتأكل فتأخذها الهوادة والإنسان يفترس إذا شبع عجباً كل العجب ممن لا يتعض عندما يدخل الإنسان إلى بيت الخلاء فإن المروي أن هناك ملائكة إذا خرج غائط الإنسان أحنيا رقبته لينظر ما يخرج منه فيقولان له هذا ما جمعت انظر إلى ما صار إليه ألهذا تجمع...!!

ولا أطيل ولكن أقول لو كلف الناس أنفسهم البحث بمقدار عشر ما يقوم به من السعي لطلب الدنيا لكان كل الناس أسيادا فنجد البعض لا يسأل رجل الدين مسألة إلا إذا أراد التسلية أو يريد أن يختبر أو ما شاكل ذلك.

لكن أقول وما توفيقى إلا بالله تعالى أن السفر الذي تراه بعيدا وأنا أحدكم قريب فكل ما هو آت قريب وإننا في طريق من كان قبلنا ممن كانوا أطول أعمارا وعمروا الديار وسعوا في الأرض استكبارا الذين أوغظتهم الدنيا بأن جعلت لا تنال لذة إلا بفراق أخرى وفي كل لذة غصة وخلطت لهم المرارة بالحلاوة والخل بالعسل وانشبت مخالبها بالأحبة والأوداء ومزجت الصحة بالسقم والحياة بالموت والأمان بالغفلة والغفلة بالقسوة والراحة بالتعب والتعب بالغضب.

وتوفر الأشياء بالملاة والترف بالبلادة وكثرة المال بالشقاء والعناء وكثرة الحرص وأوجعتهم بالفزع والوجع وقتلت لهم الأولاد وأبعدتهم عن الأوطان والبلاد وسعت في أرضهم الفساد وأخرجتهم عراة حفاة في حشرات وعبرات بعد التقصير في حق المنعم وكثرة الهفوات أخرجتهم بعد طول الأمل وكثرة الذنوب والآفات بعد أن آيستهم من النجاة وصيرتهم حطبا لنار الجبار وفعلت ما فعلت فلم يتعظوا ولم يشدوا حزمهم ويزيد ذلك في عزمهم بل أركستهم إلى أم رأسهم فطوبى لمن عمل وأخلص العمل ونطق حقا وصدقا وسار في الناس رفقا وكان لله عبدا ورقا أرغم الأنف للواحد الجبار وخرج من شهواته فكان حرا مختارا الذي أخذ من الدنيا ما يصون نفسه منها فسان الدين بالدنيا ولم يصن الدنيا بالدين وطلب من الله السفينة التي تنجيه والكهف الذي يؤويه.

### أشد الطرق تأثيرا: -

أخي لا تنس أن الدعاء كهف حصين وحرز أمين ونعم المولى المعين فاستعد به لأخذ الدنيا والآخرة وأنت طالب في مدرسة الحق تعالى فقدم الأوراق ودع كل فئات الشقاق والنفاق وأطلب من الحق تعالى الوصول قبل فوت القبول فليس كل من طلب وجد ولا كل من جد وجد فأطلب من الله اليقين والتحلي بما يجب ويرضى من الملكات والصفات والعقائد الحققة فقل يا من يعطي من يسأله ومن لم يسأله تحننا منه ورحمة فأنت تعطي من لم يسألك فكيف بمن سألك طالبا ملحا عليك فأسألك باسمك الذي سألك به إبراهيم فجعلت النار به بردا وسلاما أن

تجعل هذه الدنيا التي هي نارك بردا وسلاما وأن تعطني العافية في الدين والدنيا عافني في نفسي وبدني وفكري وعقيدتي ونجني من هلكات الشك والأوهام وأن تخرج الشيطان من ساحة نفسي - الشيطان الذي يجري مني مجرى الدم - وأبرأ من الشرك والإلحاد وأن أكون لك موحدا حقيقة التوحيد فتدعو بما ورد على لسان الأنبياء والأئمة وتطلب الخروج من هذا السجن والاحتضان الشيطاني وتدعو لهذا العبد المسكين صاحب القلم والله المسدد للصواب فنسأله لنا ولكم خير المبدأ وخير منتهاه فمن خاف العاقبة أحسن المبدأ ومن أساء المبدأ لم يخف العاقبة والله ولي التوفيق.

### الرجاء وضده القنوط

الرجاء:- هو أنك ترجو رحمة الله تعالى وتأمله الغفران واستجابة الدعاء وتبليغ الأمانى وعدم اليأس عن نيل ذلك وقد عد اليأس من أعظم الذنوب وعده العلماء استنادا لأحاديث أهل البيت عليهم السلام والقرآن المجيد (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون). من الكبائر التي تستحق الخلود في جهنم نظرا لما يلزم منه من محاذير من تحديد الذات الإلهية وقدرته تعالى ونسبة العجز واتهامه تعالى ونسبة النقائص الإمكانية له تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفي الحقيقة أن الرجاء نوع من أنواع العبادة ووصلة بين العبد وربّه ويعطي نفحات خاصة على العبد الراجي لرحمة ربه وهو سمة الإيمان وتعني من العبد الإجلال والتعظيم لله تعالى وتمجيد وتحميد وذكر منه ودعاء وإيضاح ذلك أنك لو تأملت في أخ لك بأنه يعطيك ما تريد ويعفو عنك مهما بلغ عصيانك وتمردك عليه وأن ليس في ساحة نفسه نقص من الثورة والانتقام وأنه حلیم فيعفو عنك ويغفر لحلمه وكرمه وطيب منبته الحسن والخ.

فإن كل ذلك مدح له وثناء وتعظيم بالغ من جنابك بالنسبة إليه ولذا بعض الناس إذا لم يأتك بحاجة وطلبها من غيرك لاعتقاد أنك ترده والحال أنك ليس

كذلك فسوف تتألم كثيرا فتقول هذا ظنك بي مع ضيق القدرة وساحة الكرم والوجود فكيف بالحق تعالى فهذا وما لم يسع ذكره هو الذي يوجب الحزازة في الأمر.

فتحصل من هذا البيان أن الرجاء عمدة الصفات الثنائية التي يثنى بها على الحق تعالى وربما تجد الكثير من هذا في حياة أهل البيت عليهم السلام فتراهم يفرحون فرحا لا مثيل له عندما يؤملهم أحد بالعطاء أو بالعفو والغفران عن عصيانهم.

فانظر إلى إمامك علي عليه السلام عندما كان في بيته فنأدى على عبده:- يا فلان.. يا فلان... الخ، فلم يجبه العبد فخرج وإذا هو قريب منه!

فسأله لماذا تسمع صوتي ولا تجيبني؟

قال العبد:- أمنت عقوبتك - أي أنك لا تعتدي ولا تأخذني مهما أذبت.

قال الإمام عليه السلام:- الحمد لله الذي جعل الناس تأمن عقوبتي.

فاستبشر الإمام عليه السلام بدلا من أن يحزن وتأخذه ما يأخذ أهل الخسران.

فقال:- اذهب أنت حر لوجه الله أي فصار الإمام عليه السلام يوجد ويكرم

تحليا بأخلاق الله تعالى (والله واسع عليم)<sup>(١)</sup>.

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:- حتى يأمن عدوي من ظلمي

وجوري<sup>(٢)</sup>.

فأعلم أن الذي لا يأمن الناس من عقوبته وتخافه الناس قولا وفعلا هذا من

أشهرهم ولهذا كانوا أهل البيت عليهم السلام يفرون من هذه الصفات والخلال

الذميمة وعلى أي حال.

(١) ارشاد القلوب إلى الصواب / الديلمي، ج ١ ص ١٣٤.

(٢) الصحيفة السجادية دعاؤه عليه السلام عند الشدة.

فإن قطع الرجاء وحصول حالة اليأس من الصفات الذميمة والتي تحجب الإنسان عن الفطرة السليمة وتأخذ مسيرته العلمية والعملية والإلهية اتجاه الحق تعالى فلا يقرب ساحتنا من اتهمنا ونحن عند رجاء من رجانا وأحسن بنا ظنا فله فوق ما تمنى وهذا يرجع لأمر:-

- إن الإنسان لما يكون بمستوى من الأخلاق الرديئة والتدني بالجهل وتغلب عليه صفة أصحاب الأخلاق الذميمة فينسب ما هو عليه لكل الناس وهذا واضح بالوجدان والعيان.

فلا يقف عند هذا الحد بل يتجاوز فما عنده من نقائص ينسبها للحق تعالى من دون أن يشعر أو حتى مع الشعور بذلك فينسب لله البخل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لأجل أنه بخيل وينسب سرعة المؤاخذة... وعدم العفو لأنه هكذا فأخلاقه هي التي حجبتة عن الحق وأوردته النار لهذا قالوا في الأحاديث الواردة عن بيت العصمة عليهم السلام:- صاحب الأخلاق الحسنة في الجنة لا محالة وصاحب الأخلاق الذميمة في النار لا محالة.

فصاحب الأخلاق الحسنة لا بد وأن تدعو صاحبها إلى مسلك الحق ولهذا تجد ذلك الإعرابي الذي إلتقى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:- اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم أحدا غيرنا!!

فاعلم يا صاحبي في هذه الدنيا أن الإنسان دأبه ينطلق من ساحة نفسه في كل معطاته اليومية ولذا أمر الإسلام بتهدئتها ولهذا قالت الشريعة في موضع الاستشارة إذا أردت الاستشارة بالكرم فأياك والبخيل وفي الشجاعة فأياك والجبان... والخ، لأنه لا يعطيك الواقع الذي يجب أن يكون عليه الحق وإنما ينطلق من ساحة نفسه البخيلة أو الجبانة.

فأنت تجد أن الكثير ممن يتهم الله تعالى بالنقائص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا سببه راجع إلى النقائص النفسية التي هم عليها.

وهذا قولي ليس جزافا وكلاما أريد أن اشبع به اسطر الكتاب بل هو حق  
لمسناه وحققناه.

وشهدت من شيخي وملاذي وأستاذي روعي له الفداء - الفياض - ما  
يعجز القلم كتابته من النفس التي يحملها هذا الرجل العظيم.  
ففي أحد الجلسات الخاصة بعد الدرس تكلم بكلام فزعت منه الطلبة  
والفضلاء فكان محور الكلام يدور حول المستضعفين الذين يرحمهم الله تعالى  
فانشرح سماحة الشيخ وقال:- كل الناس في الجنة إن شاء الله فنوقش في بعض  
الأصناف.

قال:- حتى اليهود والنصارى فرد من قبل البعض.

قال:- الله رحمته واسعة والناس كلها مستضعفة لا يعرفون الحق وهم في  
معزل عنه لأجل هؤلاء الزعماء أهل الضلالة... الخ.

فوجدت عنده نفس أكاد أحسده عليها لا أغبطه ونقل لي من في المكتب  
عندما أجرى سماحته مكالمة هاتفية لم تكن حسب ما يريد فأخذ الاتصال على  
شاب بذيء اللسان وكان لا يعرف أن المتصل به رجل عالم فأخذ يتجاوز على  
سماحة الشيخ بكلام نعرف مضمونه من دون ذكر.

إلا أن الشيخ أخذ يهدئه ويسليه ويقول له يا عزيزي... الخ بكلام هادئ  
جدا أنا أخاف عليك من أن تصاب بألم في رأسك فلا تغضب فهذا يؤثر على  
صحتك وهكذا إلى أن أسكن عروقه من دون أن يذكر له سماحته.

فهذه النفسية التي تصل إلى الحق تعالى ويروى أن بعض العلماء يقول  
للحسين عليه السلام أقسم عليك بالله العظيم أن لا تعفو عن يزيد... الخ أحبتي  
هذه الأخلاق التي يجب أن ننطلق منها إلى الحق تعالى.

### الغروب:-

اعلم أن من أصعب الأمور والأحوال التي يمر بها السالك في طريق  
الأخلاق هو إيجاد التوازن في مسيرته الأخلاقية لأن كل صفة وفضيلة هي حد

فاصل بين رذيلتين فمن هذا الحد الفاصل والبرزخ الحاصل تكون الفضيلة فلو تأخر أو تقدم أمّله لخرج من طور الفضيلة ووقع في الرذيلة.

فالفضيلة جسر في جهنم يمر عليه السالك فلو مالت قدمه لهوى في أسفل سافلين وكان من الهالكين مثلاً فضيلة الشجاعة هي الصفة المتوسطة بين الجبن وبين التهور فإذا لم يعتدل بأن زاد وقع في التهور وإن نقص لوقع في الجبن والجبن والتهور ضدان لصفة الشجاعة مع ضدية أحدهما للآخر فافهم واغتنم تسلم.

لذا الذي يتطلب من الساعي الواعي أخذ بنظر الاعتبار هذا المسلك والمضمار وإن يجد ويجتهد في تحصيل الفضيلة من بين هذه المستتعات.

وفي المقام أن الرجاء الصفة الحميدة والمدوحة شرعاً وعقلاً فضيلة واقعة بين رذيلتين بين القنوط والغرور فإذا قصر قنط وإذا زاد وتجاوز الحد ولم يضع الشيء في مواضعه صار مغروراً.

فربما يصل الإنسان إلى صفة الغرور ويظن أنه من أهل الرجاء وأصحاب هذه الفضيلة وليعلم أن صفة الغرور من أشر جنود إبليس وطالما أهلكت أما وشعوباً كاملة.

فانظر إلى اليهود الذين أركستهم في الحضيض وجعلتهم في أسفل الدرجات هو - الغرور - فادعوا لأنفسهم ما ليس لهم قالوا: - نحن شعب الله المختار - نحن أبناء الله وأحباؤه - حتى يومك هذا يعيشون هذه النفسية والتحيز بهذه القومية ولا يسمحون لأحد الانتساب إليهم إذا لم يكن من أصل قوميتهم.

وكذلك اليوم وقع أصحاب المسيحية فادعوا أنهم أهل الحق ولا بد أن يكون العالم أجمع مؤمناً بالمسيحية وغيرهم باطل وتنازعا مع اليهود والعرب لتحقيق ما يدعون.

والذي يجب أن يلتفت إليه الشيعة اليوم هو تسرب هذا المرض الخطير إلى نفوسهم ووصولهم إلى حد التجاوز على حدود الله تعالى بحجة أنه شيعي وخادم

الحسين عليه السلام وأن الحسين عليه السلام حمل ذنوب الشيعة وكفرها بالتضحية التي ضحاها.

وليعلم أحبة أهل البيت عليهم السلام أن هذه المقولة رست على ألسن النصارى وقد دسوها رهبانهم وأمنت بها جهالهم فكيف تقولون بها يا أحببت الحسين عليه السلام فإن هذا من أشر الأخطار التي تحيط بهذا المذهب المقدس وهو أجل من أن تناله مثل هذه الأفكار المسمومة التي تطيح بالموالي لهم عليهم السلام ومما تشين المذهب.

واليوم نسمع في الفضائيات كلاما لا يرضى أهل الصواب من تغرير الناس البسطاء ويبالغون بما لم ينفذ من لسان المعصوم.

نعم هناك أحاديث شريفة عنهم عليهم السلام قالوها في حق شيعتهم عليهم السلام تعطي صورة بدوا لهذا المفهوم لكن في الوقت نفسه هناك أحاديث أشارت إلى عدم جواز ذكر مثل هذه الأحاديث حتى لا يقعوا أصحابهم وشيعتهم ومواليهم في الغرور وأمروا بكتمها عنهم؛

لأن الناس في عاداتهم لا يتحملون مثل هذه الأحاديث فهم مع عدم معرفتها الحال كما ترى من التهاون بالفرائض والتجاوز على القيم والمبادئ التي جاؤوا بها أهل البيت عليهم السلام.

ثم ليعلموا الأخوة أن هذا قد يكون في آخر المطاف ولكن من لهم يوم البرزخ؟ والإمام الصادق عليه السلام يقول:- والله لا أخاف عليكم إلا البرزخ، فلا شفاعة في البرزخ ولا تدرككم شفاعتنا حتى تكونوا كالفحمة السوداء.

وليلتفت أحبتي الأخوة إلى الأحاديث التي تبين صفات الشيعة الذين يرعونهم أهل البيت عليهم السلام فليراجع.

وينظر إلى أحوال أهل البيت عليهم السلام من الخوف والتوسل بالله تعالى فإذا كنا بأعمالنا هذه!! ندخل الجنة، فمال أهل البيت عليهم السلام تنخلع قلوبهم من مخافة الله تعالى وترتعد فرائصهم من خشية الله تعالى؟؟

بل أقول أن هذا يمني ويغري أحبة أهل البيت عليهم السلام لأن يقوموا بذنوب لا مغفرة فيها اتكالا على الشفاعة والتي لا شك فيها ويقع من الأمور ما تجعل أهل البيت عليهم السلام في حرج أمام الحق تعالى.

فقد ورد عن الصادق عليه السلام قوله لشيعته:- لا تتعبونا في الشفاعة.. لا تتعبونا في الشفاعة... لا تتعبونا في الشفاعة... قالها ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.

والأجدر بنا أن لا نذنب ولا نتمادى في المعاصي ونسلم من عذاب البرزخ وهناك روايات تؤكد أن بعض المحبين لأهل البيت عليهم السلام يمكثون ثلاثمائة ألف سنة في العذاب ثم تدركه الشفاعة.

فما الذي يدعوننا لهذا؟ وليعلموا أحبة أهل البيت عليهم السلام أن الواحد من أئمتنا لو أراد أن يشفع لأهل النار كلهم لشفعه الله تعالى ولا شك في ذلك - لكن لو أرادوا - وكيف يريدون ولم يرضهم إلا العدل وهناك مظالم للعباد من تورط بها لا بد من استرجاعها.

أحبتى لو عملنا ما عملنا فلا ندخل الجنة إلا برحمة الله ونعمة أهل البيت عليهم السلام لكن لا من حيث يظن البعض.

أحبتى أهل البيت عليهم السلام من خواص النعم على هذه الأمة ولم تحظ أمة من الأمم سوى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا نجعل من هذه النعمة الإلهية والفضيلة الربانية طريقا للوقوع في المعاصي والذنوب حتى يحدو بنا الحال لأن يكون شفعاؤنا خصماءنا عصمنا الله وإياكم من الزلل بمحمد وآله.

وكيف ما كان الذي وجب الالتفات إليه هو عدم الوقوع في الغرور فيظن أحدنا أنه راجي لله تعالى وإذا هو واقع في الغرور الذي هو من أرذل الأحوال لأنه يحجب النفس عن معرفة العيوب والنقائص ويسد باب الموعدة فلا يتسلل أمر الله وكلام الأنبياء إلى قلبه بأي شكل كان ويكون هناك جندي الغرور في طريق كل حكمة وموعظة فيزيفها.

(١) الأماي للطوالي ص ٢٨٣ (١٠) المجلس العاشر.

ولو فتشت هذا الخلق لوجد أكثر المهالك التي وقع بها الناس هو الغرور وما سقط رجل من موضعه إلا بعد أن أوقعه الشيطان بالغرور فيأتي إلى الإنسان المؤمن فيقول له:- أنت رجل صالح وحميد وساكن وذو قلب خاشع وورع والناس كلهم لا يعرفون الحقائق وفي متاهات وضلال فيشعره الوحدة في طريق الهدى و يوحشه عن أهل أنسه فينظر إلى الناس همجا لا يدركون شيء من حقائق المعرفة الإلهية ويسمح له في بعض العبادات ولا يقف أمامه في طريقه لصلاة الليل بل يفسح له كل الطرق العبادية ويريه التسديد في أعماله حتى يكون في مسلك الشيطان ووثاقه فيرى أهل العلم والدين والعلماء على طريق خاطئ ويتهمهم بالتقصير ويريه بعض المحاسن عيوباً.

نسي أن من نظر إلى نفسه أنه أحسن من غيره لا يكون إلا جاهلاً وليس بعاقل بل العاقل من يرى الناس كلهم خير منه كما ذكر في الأحاديث فراجع. فيقع في واحة وبركة الغرور ثم يعطيه الهيئة والحركات الخارجية فيتركه فارغاً عن محتواها العبادي فيكون في كل أعماله متكلفاً ويضيع عليه العمر سدى. وألفت نظر بعض الأخوة اليوم نرى الآية المباركة تطبق على قدم وساق قوله تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون)<sup>(١)</sup>.

فبعض الخطباء يرون أنفسهم هم الذين اجتباهم الله تعالى لهداية البشر ولولا هم لهلكت الشريعة والمقتضون على الدرس يرون ما يراه هؤلاء أنهم أساس الدين ولولاهم لما كان للدين موضع وإن ما يفعله الخطباء لا قيمة له سوى أنها خطايبات والحق قد خسر كل من يفكر بهذا التفكير وقد ربح الشيطان في بيع الغرور لهم.

فلو نظر هؤلاء أن الدين قائم بالله تعالى أنا رب إبلي وللبيت رب يحميه ورأى الخطيب أن ما يأتي به هو من العلماء الذين هم حصون الشريعة وموتهم ثلمه في الإسلام لا يسدها شيء وإن مدادهم أفضل من دماء الشهداء وإلى آخر ما

يقال في حقهم وأنهم يتمنون هذا الطريق لولا انشغالهم بهذه المهمة وأنها تحتاج المخالطة والتفرغ.

ونظر رجال الدين بركة التبليغ لما يقولوا وإن فضل الخطباء لا ينكره إلا مكابر وألستهم الشريفة التي توعظ المجتمع على قدم وساق وتثقف الناس على أخذ التعاليم الدينية واحترام العلماء فلهم دور عظيم في نشر مظلومية أهل البيت عليهم السلام ولهم الدور المهم في ترويج الشريعة ويتمنون في أنفسهم خدمة الحسين عليه السلام ولكن شغلهم العلم ودقته ما يحتاج إلى الوقت ولولاه لكان هذا من أفضل النعم كما هو الواقع لدى الكثير من علمائنا وفضلائنا أدامهم الله لنا عزا وكرامة لحصل كل واحد منهم أجر عمله وأجر عمل صاحبه فمن أحب عمل قوم حشر معهم.

أقول ليس هذه قاعدة مطردة وغالبة لكن قد يقع بها البعض من كلا الفريقين بل ليعلم الأخوة أن الدين لا يعرفه أحد بقدر ما يعرف الدين الذي يقوم بتعريفه فكل الأعلام الذين نراهم ونسمع عنهم الذين علمونا الدين والأحكام فلولا الدين والإسلام ما عرفوا ولكانوا مجاهيل كما عليه بقية الناس، نعم فلا نجد أحدا يعطي الدين أكثر مما أعطاه الدين من العز والكرامة فافهم واغتنم.

وليعلم الأخوة أن هذا الدين كما قام على العلماء والأولياء قام على أبسط الناس علما وفهما بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- قام الدين على الصعاليك وقام على العبيد).

وربما أيده الله تعالى بالرجل البر والفاجر كما هو معلوم من الأحاديث المباركة وينقل التاريخ ذلك فكثير من سلاطين الدنيا خدموا الدين وهم لا يشعرون ولا يقصدون الخدمة الإلهية.

### خلاصة:-

فاحذر يا صاحبي من الوقوع في شباك إبليس اللعين فإن هذه البضاعة أكثرها شيوعا وعرضا في سوق الشياطين فلم يسلم منها رجل الدين والتاجر

المتدين الذي يعطي الصدقات للفقراء وصاحب الخدمة الحسينية ولا أي أحد من أصناف الأعمال إلا من عصمه الله فرجما يرى البعض منا نفسه يقظه وهو في نفس الوقت غافل ومثل هذا الكثير الكثير.

فهو يرى الناس كلها في غرور وتدني وهو ملتفت ولم يقع بالغرور وإذا هو واقع بأشر مرتبة من مراتبه فهو مغرور بأنه غير مغرور ولا يصعب المقام على أصحاب الالتزام فإن هذا يسير على من يسر الله له ومن الله التوفيق والسداد وعليه لا بد من معرفة حقيقة الرجاء ليأمن من الوقوع في الغرور.

فالبعض عندما تعرض عليه الأحوال الآخروية وترغبه بالعمل الصالح يقول:- الله كريم الله واسع الرحمة فلا يحرك ساكن لكن في طلب الدنيا يعمل ليل نهار ولم يأمن برزق الله الذي يرزق الناس بغير حساب ويأتيهم بالأرزاق كما يأتيهم بالآجال والموت.

فليعرض نفسه على حقيقة الأمر هل هو في رجاء أم في غرور؟ فمن رجا شيئاً طلبه وإليك بعض الأحاديث المباركة:-

- عن الصادق عليه السلام قال:- قلت له:- قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت.

- فقال:- هؤلاء قوم يترجحون في الأمانى كذبوا ليس براجين إن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام:- لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو<sup>(٢)</sup>.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- قال الله تبارك وتعالى:- لا يتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم - أعمارهم - في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه

(١) مكاتيب الائمة عليهم السلام ج٤ ص٤٩٤.

(٢) الكافي (ط.الاسلامية) ج٢ ص٧١.

عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جوارى ولكن برحمتي فليتقوا وفضلتي فليرجو وإلى أحسن الظن بي فليطمئنا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت<sup>(١)</sup>.

### الخوف والرجاء:-

ذكرنا فيما سبق أن من أشد الأهوال والأحوال التي تعترض سلوك السالك هي الموازنة بين الصفات عامة لنحصل على الفضائل.

وفي المقام هنا نريد إيضاح التوازن بين الخوف والرجاء؛ لأن هذه النفس كل ما في هذا الكون يضرها من حيث الزيادة والنقصان فإذا سقم جزع وإذا صح بطر وتكبر وإذا استغنى طغى وإذا أفتقر كفر وإذا طال أمله طمع وإذا ذهب الأمل بطل العمل فقل من وازن الصفات.

فإن الرجاء إذا غلب أطفأ مصباح الخوف وإذا غلب الخوف أطفأ مصباح الرجاء وكل من الحالين سيء لا بشارة فيه لذا المنهج الصحيح هو الاستقامة بين الأمرين وأن لا يعدو هذا على هذا مقدار شعرة ولا بد من عرض النفس على مصاديق الخائفين ومصاديق الراجين ليعلم الحال والمآل وهذا مأخوذ من لسان أهل العصمة وإليك نص الأحاديث المباركة.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:- يا بني خف الله خوفا ترى أنك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وأرج الله رجاء كأنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أصول الكافي: المجلد الثاني، ص ٩٨.

(٢) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٦٧، ص ٣٥٢.

وقال الإمام الباقر عليه السلام:- ليس عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران:- نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا<sup>(١)</sup>.  
وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال:-  
يدعون خوفا وطمعا.  
وقال:- يدعوننا رغبا ورهبا.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:- كان في وصية لقمان الأعاجيب وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه خف الله عز وجل خيفة لو جئت بئر الثقلين لعذبك وأرج الله رجاء لو جئت بذنوب الثقلين لرحمك<sup>(٢)</sup>.

وهذه المعادلة التي يريد بها الإمام عليه السلام ليس في واقع المسألة من الأمور التي لا يمكن لأحدنا تجاوزها من غير تأمل وتفهم وتفقه وعمل فإن جل المصائب من الذنوب والعصيان ترجع إلى عدم وجود التوازن وبعض الناس يفرط ويتجاوز الحدود في حصول الخوف ويقطع من قلبه الرجاء فإن الغلبة ربما تحصل من دون استشعار من الإنسان خصوصا الذين لم يتفقهوا في علم الأخلاق ولم ينظروا في كتبه القيمة ولم يسمعوا توجيهات الوعاظ والمرشدين يحصل عندهم إخفاقات تؤدي إلى تعب وعناء في السير الديني وربما أدى إلى استحواذ إبليس عليهما كما عليه أصحاب الوسوسة والشكوك في أجزاء الصلاة والوضوء والطهارة.

فالحق تعالى يعطي هذا التوازن لأصحاب التوفيق والسداد حتى يعتدلوا في مسيرتهم نحو الحق ولعامل الخوف الدور الكبير في الحفاظ على سلوك السلطان المتزعم لأموال المملكة والمحامي والرادع لسفهاء المدينة وأما الرجاء فهو شفيع النفس والمروح لها من تعب المراقبة والعناء.

(١) كرامة العقول ج ٨ ص ٤١٧.

(٢) جامع الاخبار ص ٩٨.

وأما تحصيل الخوف فهو حاصل بالضرورة عند أدنى تأمل في عبادتنا فلا نجد عبادة إلا وهي لأجل الشهوة إن كانت دنيوية أو أخروية وطاعتنا كذلك وجميع الامتثالات وأخذ الأوامر فلا نتحرك للعمل العبادي حتى نعرف منه صور الجنة والحدود وإلى آخر ما يقال في حق العبادات من الثواب.

وهذه العبادات تعكس على النفس الكدورة والظلمات والآثار الإبلسية وتتحرك آثار الشيطان بشكل قوي على النفس وتهدد حياة الدين عند صاحب هذه العبادات فهي لا تقوى على مدافعة الخصوم والأهوال الآخروية وتكون هزيلة لا تواجه تلك الحقائق التي أنبأ عنها القرآن الكريم يوم المعاد رغم أنها حصلت بقوة الله تعالى وتوفيقه وعنايته وهداياته (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد) <sup>(١)</sup> فله المنة علينا في توفيقنا له من ذلك وعليه وجب الشكر وكل تقصير في شكرها بمثابة الذنب الذي يجب المؤاخذة عليه.

فتحصل من كل ذلك حصول الخوف والرهبة منه تعالى واستشعار النقص أمام الحق تعالى ونعمه (أبلساني هذا الكال أذكرك!!) وأنت خبير بما يناجي به أهل البيت عليهم السلام فإنها تدل على التهاب النيران في أجوافهم عليهم السلام وتأخذهم لوعة التقصير أمامه تعالى مع ما هم عليه من الطاعة والعبادة.

وما يحدث الخوف أيضا المعاصي التي ترتكب في اليوم والليل وأبسطها الغفلة (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وخوف سوء العاقبة والمنقلب فالعلماء والأولياء لا تستقر نفوسهم حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على التوحيد وطالما عدلوا الناس عن كلمة التوحيد التي كانوا يقولونها في اليوم والليل كذا عدد فالله العاصم والهادي والموفق لقصد السبيل.

فهذا مما يحدث الخوف أيضا ويجعل الإنسان وجلا وذكرت الأحاديث هذه الحقائق فراجع... تغنم.

وفي نفس الوقت الإنسان المدرك صاحب الأفق الواسع الذي ابتهج نور الحق في نفسه ووفق لهدى الطريق يرى بالعين الأخرى والنور المبارك نور الرجاء فيضه وسعته وتحدث حالة القرار والاستقرار وحسن الظن بسعة العطاء ويستوثق عطاء الله تعالى للعصاة مهما بلغ من التخلف عن المسيرة وتحدث عنده حالة شعور به بأنه لو جاء الحق تعالى بذنوب الثقلين لعفا الله عنه وغفر ذنوبه جميعا وتقبل عباداته مع نقصانها وتدنيها بنظره تعالى ويكون العبد بين هذين الأمرين يتأرجح في حلق التوفيق والاندفاع نحو المنهج الصحيح نعم يوجد خوف شيطاني وخوف رحماني وكل منهما يعرف بآثاره فما دفع العبد للإصلاح والصلاح واعمار الآخرة فهو رحماني.

أما إذا حدث منه الخلاف وأركسه في الهواجس الشيطانية من دون دفع نحو المنهج الصحيح وفسد دينه فإن مثل هذا لا يكون خوفا رحمانيا.  
والرجاء كذلك بيناه فإن دعا الإنسان إلى الثقة بالله تعالى من خلال معرفته بسعة الرحمة ودعاه للعمل والجد والاجتهاد فهو وإلا فغرور شيطاني ومسامحة يسمى بالرجاء.

وهكذا الحياء فالبعض يستحي من المكاشفة فهذا رحماني والآخر يستحي من أن يقول لوالده كلام طيب ولزوجته كذلك لأنه طبعه ليس حسن فهذا حياء شيطاني.

### فالإخلاصة: -

أن تحقيق وتهذيب هذه الخصال يحتاج إلى الدقة والمطالعة والمدارسة مع من يكون له باع في ذلك الميدان.

وأنا على مثل هذه العجالة وفي مرحلتي هذه لا يسعني أن أبين هذا الأمر لأن كل صفة تحتاج إلى مجلد كامل لبيانها على نحو يشفي الغليل ومن الله التوفيق فانصح الأحبة والأخوة أن يرجعوا إلى كتب علمائنا رضوان الله عليهم.

### تنبيه عام: -

اعلم يا عزيزي أن الله خلق الإنسان وسخر له السماء ومن فيها والأرض ومن عليها وما بينهما إذا استجاب لله تعالى بنص القرآن الكريم قال تعالى (وإن لو استقاموا لأسقيناهم ماء غدقا<sup>(١)</sup>) (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ولكن كذبوا)<sup>(٢)</sup> وسوف نذكر هذا الموضوع في مقام خاص بإذن الله تعالى.

وشرف هذا الكائن بالخلق والصنع والتدبير ولو قارنته بغيره من المخلوقات ولوجد العناية الإلهية فيه والميل الإلهي لهذا الكائن العجيب وهو الإنسان. كذلك لو تأملت في أصل نشأته من ماء مهين ثم الأطوار التي يمر بها حتى يخرج من بطن أمه وما بعدها لأتضح لك من المعارف ما لا يهتدي إليه إلا صاحب التوفيق والسداد فترى الحكمة الإلهية تركزت فيه بجميع خصوصياته والعناية الكبرى والتي تكشف عن الرسل والتنزل منه تعالى في خطابه إليه وتحسره تعالى على عدم طاعته (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن)<sup>(٣)</sup> وكذلك من خلال مداراته له في حال تعديه الحدود.

وأنت ترى كيف يحلم عنك وأمثالك وعن الظالم كما في الدعاء - ويحلم عن الظالم العنود - وعدم مؤاخذته عند العصيان بالمباشرة ويهمله سنينا وأخذ أعماله بأحسن قبول مع نقصانها وترديها وإذا أردت النظر لهذا فانظر إلى حسرة الرسول على الناس حتى سلاه الحق تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة الجن / آية ١٦.

(٢) سورة الاعراف / آية ٩٦.

(٣) سورة يس / آية ٣٠.

(٤) سورة فاطر / آية ٨.

وما جرى على يونس عليه السلام مع قومه ودعاؤه عليهم فلما أنابوا إليه أمضى رحمته عليهم.

وتسميه تعالى يا من سبقت رحمته غضبه وأسلوب تعرفه إلى العباد وما يحمل من الرحمة ومن خلال إمضاء الوعد والتخير بالوعيد فلو وعد العباد بالجنة يفى لهم بذلك لا محالة وأما إذا توعدهم بالنار لكان في ذلك الخيار وجعل الحسنه بعشر والسيئة بواحدة وعدم سرعة مؤاخذته وإمهاله العبد عندما يذنب فلا يجعل ما فعل في صحيفته من الذنوب على نحو المباشرة وإخفاء أعمال العباد على الملائكة يا من أظهر الجميل وستر القبيح إلا من هتك الستر.

وإخراج الإنسان من ظلمة العدم إلى نور الوجود وإيجاد النعم اللامتناهية له عندما يخلده في جنته أبد الأبدين وترغيبه بإشفاق وعناية (لم تكن منا لأولادنا) في الجنان والعطاء الآخروي وحفظنا من مكاره الدنيا مع العصيان فكيف بنا لو أطعناه وصبره على العباد عند قتل الأنبياء وأولادهم وإتحاف الدنيا بهذا الجمال الذي يسحر العيون.

فلو تأملت بهذا وأمثاله وما يعجز القلم ذكره لوجدت حب الحق لهذا المخلوق قد أطمس حب الأمهات والآباء فالأم والأب يضرب المثل في حبهم للأبناء لكن ألا ترى لحبهم حدا؟

نعم - كلهم محدودون في الحب فمنهم من يتحمل ولده إلى كذا أمر ومنهم إلى غير والنتيجة أنه محدود ومن يتجاوز حبه الدنيا فسوف يهرب من ولده يوم القيامة فلو كان حبهم كامل كحب الله تعالى وأوليائه لما توقف لهذا الحد.

فانظر إلى حب علي وأولاده عليهم السلام غير المحدود بحد والموصوف بوصف فحبوه في الدنيا وتحملوا منها ما سمعت وما غاب عنك أكثر ما وارتته حفر بني أمية وبني العباس ومن حذى حذوهم فبقى حبهم إلى يوم الدين ولو ألقوا في جهنم خالدن تعالى الملك الحق عن ذلك ألا تسمع وتقرأ قولهم عليهم السلام في مناجاتهم وأدعيتهم (لو أدخلتني النار لأعلمتهم أني أحبك).

على سبيل فرض المحال وتعالى عن ذلك الملك المتعال لو أدخل عليا عليه السلام النار بغير ذنب لما خرج حب الله من قلبه فأبي وصف يقع على ذلك الحب فتأمل في ما أقول طوال العمر لا تحصل على المعقول من الأمر. هذا كله لا بد أن نتبصر به قبال الحق تعالى كيف عنك واعتناك فالحق تعالى أحب موجود لك.

فكم من الملوك وأبناء الملوك مرضوا فلم تنفعهم الأطباء فكيف بك و أمثالك؟

وكم سلطان أسقطه الدهر تحت أقدام الطغاة؟  
وكم من أصحاب الأموال أخزاه الدهر بأسوء الأحوال؟ فما نفعته الأموال إلا من ابتغى عند الله العزة والكرامة وتوكل عليه وعلم من قلبه صدق ذلك فإنه مكرم في الدنيا والآخرة وهو معه وأقرب إليه من حبل الوريد.  
هذا هو الحارس والمحامي الوحيد لا حماية السلطان الذين يبيعون سلطانهم بدينار وهم أصحاب غفلة وسنة.

وبعد كل هذا فاستجب لنداء الحق تعالى ونداء أوليائه (ونفس وما سواها ❖ فآلهما فجورها ❖ وتقواها قد أفلح من زكاها... )<sup>(١)</sup>، (إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق).

فلا نجعل أبداننا للنار وقد خلقها الله للجنة وأما ما وضع عليك من هذه التكاليف قسها وقارنها بالأنظمة والسنن الوضعية والطبيعية كالقوانين المرورية كم فيها نواهي وأوامر.

والضرائب كم هي مرة على أمزجة الناس والأوامر الوزارية - الصحة والداخلية والخارجية وغيرها حتى على المستوى العائلي الخاص - وجميع الأحوال الحياتية كم فيها من التكاليف!؟

وتذكر تكاليف أعمالك وأعبائها هل هي بمقياس ما كلفه - الله تعالى -

العباد؟

اعلم مني هذا الكلام وإن أردت تحقيقه وتدقيقه وضاق عليك مذهبه فافعل ما تريد إن التكاليف الإلهية والأوامر والمناهي التي جاءت بها الأنبياء والرسائل السماوية إلى العباد لا تساوي خمس الأوامر والمناهي الوضعية والطبيعية ولا حتى العشر مع ما أنها جاءت لمصلحة العباد ولم تلحظ بها مقام الحق تعالى فإنه غني عن عباده فلماذا تتناقل من أوامر الله تعالى وتفر منها كفرار الشاة من الذئب؟!

فالصلاة مع ما فيها من الأوامر والمناهي تأخذ من الوقت دقائق لا تتعدى ربع ساعة صلاة يوم كامل من أصل أربع وعشرين ساعة أين هذا من هذا؟

تأمل يا عزيزي فيما أقول أكثر وأكثر فستجد بصمات وأصابع الشيطان على هذه النفس لتزرع القواعد الإبليسية والتمرد على الحق تعالى ليعلم الإنسان إفلاسه بعدما كان غنيا مما أبدى من العمر والقوة ونعمة العقل.

أحبي تأملوا تفكروا تجدوا حقائق ودسائس الشيطان وتفهموا فلسفة الخلق مبدأه ومنتهاه ولا يطولن عليكم العمر فتقسوا قلوبكم فإن الرامي من غير عمل كالرامي بغير وتر فاستعدوا لإصلاح النفس ولا يثقلن عليكم الشيطان كثرتها فإنها يسره على من يسر الله له أما والله لعند من توكل على الله كشرية ماء بارد ولا يشعر بالآلام هذه المجاهدات بل يكن منعمًا بها على أحسن حال ومن الله التوفيق.

## العدل وضده الجور

العدل:- هو ملكة التوسط في جميع الأمور بين الإفراط والتفريط وهذه الملكة تعمل على توازن جميع الصفات والفضائل ومن أهم العناصر التي تحافظ على وجود السجيا الحسنة وعدم انزلاقها لأن تتحول إلى رذائل لأجل أننا ذكرنا أن الفضائل هي البرزخ بين الرذيلتين.

وتحصيها من أوجب ما وجب على الإنسان وهي شعار الصالحين وسمة المتقين وبه تعرف أهل الفضائل والعادات الحسنة ويقام بها الدين في المنزل والشارع وفي كل مكان وترفع الإنسان من أسفل سافلين إلى أعلى عليين لأن كل ما يجب عليه الإنسان من اتصاف الخير والتدين داخل تحت عنوان العدالة.

ومنها الأعم أي بعد ما فسرت بالمعنى الخاص وهو إيجاد التوسط والتوازن بين القوى الثلاث الوهمية والشهوية والغضبية قلنا بل يراد بها الأعم لأن من لوازم وجود التوازن بين هذه القوى حدوث العدالة العامة أي بالمعنى الأعم المتعارف على الألسن والموجود في روايات أهل البيت عليهم السلام فإن من غلب عقله على هواه وأحكم غضبه أي بمعنى لم يفرط ولم يفرط صار بين الناس ذلك الرجل العادل الذي لا يظلم ولا يكذب ولا يسرق... الخ.

ويدل على ذلك قرينة المقابلة بالجور وسوف تقوم بذكر ما يتشعب من العدالة العامة وهي العدالة الخاصة الباطنية للإنسان أي اعتدال القوى الثلاثة:-

- القوة الشهوية.

- والقوة الغضبية.

- والقوة الوهمية.

بيان:-

إن للإنسان أربعة قوى:-

- العاقلة:- وهي التي تعمل على توازن القوى الثلاثة وما نحن بصدده.

- الوهمية:- وهي المسماة بالقوة الشيطانية وهي تقوى في مرحلة الطفولة وتعد من أقوى جنود إبليس في كبر الإنسان وتقوى عند البعض عند أصحاب المهن التي مدار عملهم يكون بواسطتها كالقصاصين والشعراء وطغيانها يفسد الذهن ولهذا المنقول عن ابن سينا كان لا يقرأ القصص ولا يقول الشعر.

- القوة الغضبية:- وهي القوة التي تنشأ منها دفع المضار ورفع الموانع وحماية النفس والعرض وما يرجع إلى صاحبها وتسمى بالقوة السبعية - المفترسة حسب اصطلاحات علماء الأخلاق وسوف يأتي بيانها بإذن الله تعالى.  
- القوة الشهوية:- وهي القوة التي ينشأ منها طلب الملذات كالأكل والشرب والمنكح وما شاكل ذلك.

#### تفصيل:-

إن هذه القوة التي أودعها الله تعالى في الإنسان بما هي منشأ المضار والدمار وإيجاد المسوخات حيث تحول الإنسان إلى أشكال مختلفة من البهائم يوم القيامة و مع كل ذلك تكون منشأ للكemالات وإن الصفات والسجايا التي نحن بصدد بيانها ناشئة منها.

فالشجاعة والسماحة والصبر وغير ذلك ينشأ من تعادل القوة الغضبية والعفة والحياء... الخ ينشأ من القوة الشهوية.

وهكذا والمقام يحتاج إلى تفصيل أدق ونحن ليس بصدد البيانات العالية، إلا إن الإيضاح الذي لا بد من بيانه نبينه في المقام بالشكل الآتي وهو أن هذه القوى المتبادر منها أنها اليد الإبلسية في الإنسان ليس على إطلاقه صحيحاً فأنها اليد الإبلسية فيما لم تهذب ويقوم بتعديلها وتوازنها حينئذ تكون أشد من إبليس نفسه وأشر من السلطان الظالم المتسلط على الإنسان لأن تأثير الظالم على خارج الإنسان وظاهره ولا تنال يده باطنه فمع وجود الحاكم الظالم أنا موحد مؤمن مراقب لله تعالى مخلص قال تعالى (لا إكراه في الدين) (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)<sup>(١)</sup> وأما الصفات الرذيلة وغيرها تنال الباطن فأنها تدهمني في وسط الدار فالمواجهة صعبة جداً.

فلو لم يعادل الإنسان هذه المواد والقوى الثلاثة فهو في يد إبليس وحينها يكون إبليس نفسه ويستغني بها عن توجيهه وهذا ليس كلاما يراد به المبالغة كما في المبالغات التي يراد منها إثارة الأنفس بل هو واقعي.

فإن القرآن الكريم وصف كيد النساء بالعظمة وأما الرجال فوصفه بأنه لتزول منه الجبال وأما الشيطان وصف كيده بالضعف.

فإن الذي كان يمتلكه من بعض العرب كعمر بن العاص ومعاوية ما يغني إبليس وكيف ما كان فإن هذه القوى بطغيانها يكون الإنسان مسوخا يوم القيامة ولقد ورد في الحديث النبوي الشريف (يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير).

فتخرج هذه القوى الإنسان عند طغيانها وتملكها لمملكة النفس عن الطبيعة الإنسانية إلى ما يناسبها من البهائم وبعضها لا يوجد له نظير في هذا الخلق من البهائم في حالات طغيان القوى الثلاث.

أما لو هاج عنده الغضبية لتشكل بالحيوان المفترس ولو هاج عنده الطمع لتشكل بالنملة وما يكون طماعا ولو ذهبت غيرته لتشكل بالخنزير.

وأما لو اتحد الثلاثة بالطغيان فسوف يتشكل بالأنواع الثلاثة وحينها يكون أقرب ما يرى.

فأعمال العدالة وإيجاد الحد الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان هو الذي يعطي الطبيعة الإنسانية ويتسم حينها بالعدالة وإلا فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان وما أكثرهم في هذا الزمان وأما إعدام هذه القوى في النفس أمر مشكل غاية الإشكال فسوف ينقلب إلى ما يناسبها من الحيوانات أيضا فيكون بعد إلغاء الغضب جبانا وبذلك يمسح على هيئة الحيوان الجبان.. فالمشكلة هي... هي.

بالإضافة إلى ما يسبب من تدهورات دينية ودنيوية فلو ذهبت عنه قوة الغضب لما دافع عن حريمه ولا نفسه ولا عن دينه وسيكون مقهور النفس معدوم الحس وبالتالي ينهار منه الدين والدنيا... بل حتى الإصلاح الذي نحن بصدده

لا يكون إلا بثورة جوهرها الغضب فالثبات على الفضائل ودفع الرذائل يحتاج الى الشجاعة التي هي من شعب القوة الغضبية.

وأما الأحاديث التي تنهى عن الغضب فهي تأمر بمفهومها الواقعي بإيجاد العدالة وإعدام الغضب الشيطاني بأن يكون غضبه لله تعالى أي في المورد الذي يريد الإنسان أن يغضب به وإلا لم يدافع الإمام وغيره من الأصحاب عن الدين إلا بثورة الغضب ولا يخفى أن الغضب من صفات الفعل بالنسبة إلى الحق تعالى فالله يتصف بالغضب كما هو صريح الآيات المباركة - فغضب الله عليهم - إلا أنها من صفات الفعل لا من صفات الذات.

وهكذا القوى الأخرى علما أننا قلنا أنها منشأ الكمالات من نواحي عديدة منها ما ذكرناه سابقا وأضف عليه أن الحائط والجدار لا يوصف بالكمالات التي يتصف بها الإنسان فالفرق هو إيجاد هذه القوى.

وهذا الاعتدال لا يحصل إلا بالقوة العاقلة المسيطرة على جميع القوى الثلاث المزودة بالعلم والمعرفة لأحوال هذه القوى.

وأما إيجاد الاعتدال وما نبحت عنه سوف يذكر بعضه تفصيلا بإذن الله تعالى ضمن شرح جنود العقل والجهل.

والذي يفترض بالأخوة والأخوات أن يقوموا بالتعرف لحقائق هذه الأشياء ومراجعة الكتب الخاصة بها كما ذكرنا ومن دون تهاون؛ لأن الخسارة المتخلفة من ترك العناية بمثل هذه الأمور ليس مبلغا من المال ولا يعدله شيء وإنما هو حياة أبدية في الجنة أو في النار فلا خيار ولا محيص عن البحث والتنقيب ومن لم يكن له واعظ من نفسه لا ينفعه وعظ غيره.

### طرق تحصيل العدالة: -

من المعلوم أننا ذكرنا فيما سبق علاجات عامة كالموت من ذكر أحواله والتفكير في الانتقال إلى ذلك العالم وما يلاقه الإنسان من الويلات وكذلك أعمال القوى المضادة للخلق السيئ وغيرها مما يكون محسوسا للبعض خافيا عن

الآخر بحسب الالتفاتات والاستعدادات النفسية فانظر إلى أن من أهم العوامل لتحصيل الفضيلة هي المعرفة بالايجابيات بالنسبة لوجودها في الإنسان وما يدر من الخير عليه في حالة التحلي بها واستيقان ذلك واستسلام النفس لهذه الحقيقة ومعرفة السلبيات والويلات التي تحيط بالإنسان في حالة تخلف الإنسان عن التحلي بها.

وأن يعمل الفكر في من علا بها كيف ساد الدنيا ومن تخلف عنها كيف خسر الدارين فلينظر إلى علي عليه السلام وسام العدالة وإلى معاوية وما حواه من الجور الذي كان يقول عند جلوسه على الطعام تعبت أسناني ولم أشبع فأعطى نفسه هواها وكل ما تريد فأصبح من بعد طول الأكل قد أكل اسما ورسما واما علي عليه السلام اصبح في كل مكان وزمان مصداقاً للعدالة والجور بمعانيها وأن يقرب هذه الأفكار من نفسه حتى تباشر حرارة الطلب قلبه الغافل فطالما الإنسان يقول ويقول ولكن هو في حجاب من الغفلة وبين ما يقول ونفسه بعد السماء عن الأرض!!

ثم يعمد على تهذيب النفس مبادرا إياها من أول العمر ويستعد لمواجهة النفس والهوى وأن يكون حازما في اتخاذ القرارات اتجاه النفس وفي نفس الوقت رفيقا بها فإن النفس كالطفل مهما بلغت.

ويقوم بالتحلي بالفضائل بأن يعرف حدودها مبدأها ومنتهاها كي لا يقع في الرذائل لما ذكرنا أن الفضائل برزخ بين الرذائل.

فيهذب قوة الغضب بأن يعرف نسبة الغضب باختلاف المواضع ويحاول أن يعطي النسبة المستحقة للمواقف وأن لا يتغلب عليه المزاج، أو العادات، أو التقاليد والأعراف وحرارة المواقف - وأن يتأمل مثل هذا الموقف كم يحتاج من الغضب - واحد بالمائة أو عشرين بالمائة أو أكثر أو أقل؛ لأن بعض القضايا يحتاج إلى نسبة من الغضب بدرجة ضئيلة وإذا هو يقتل النفس ويهتك العرض وبعضها لا يحتاج من أصل - وإذا رأى تسلط الغضب والشهوة على مملكته عمل بالمضاد

لها من الصفات حتى يعادلها فالمرورة تعادل بالسكر - حتى تتعادل النسب واحذر من تجاوز الحد بأن يسلب منه الغضب بالمرّة فيصبح جبانا مهانا ويؤدي ذلك إلى ضياع دينه الذي أراد اجتناءه واحتواءه وإن كان هذا قليل لكن هذا فرض المحال؛ لأن الغضب ثائر في الناس أكثر من كل الصفات الأخرى.

وفي ساعات الغضب يعمل ببعض المهدئات من الترويحات كالقيام عند الجلوس والجلوس في حال القيام وذكر الحوقلة والوضوء وغسل الرأس وصب الماء على الصدر وتمشيط الصدر والخروج من أماكن الإثارة وترك التفكير في الموضوع الم غضب والذهاب لأصحاب المزاج الهادئ والخروج من المنزل واختيار المناظر الطبيعية وقراءة ما يخفف الغضب وغير ذلك هذا في حالة الإثارة ومنها أعم.

واتخاذ الأساتذة من أصحاب المزاج الهادي فإنه له دور كبير في تحصيل الفضائل وقراءة الكتب الأخلاقية والقصص التي تحكي عن ويلات الغضب وما يؤدي إلى الخسران فإنه له دور كبير في تهذيب هذه الصفة وان يستعمل نفس صفة الغضب للغضب على النفس وردعها بالكلام أو المجاري الفكرية في حالة تمردها وعدم الاستسلام للحصول على الفضيلة.

وأن يعمل بقانون المشاركة والمراقبة والمحاسبة المذكور في الكتب الأخلاقية وخصوصا في كتاب الأربعين للإمام الخميني قدس سره.

وأن يستعمل الدعاء وأخص زيارة عاشوراء في طلب الفضائل عموما وهذه على نحو الخصوص.

وأن يعلم أن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل وأن يلتفت إلى نفسه ساعات الغضب هل عنده من الخشوع والخضوع والإيمان كما هو في غير ساعات الغضب؟ فإذا علم ذلك فليعلم أن هذا لو تضاعف سوف يجر إلى الجحود وما أضر به من مثل هذه الصفات الدارسة لكل الفضائل.

وأن يتذكر أنه في ساحة الحق تعالى وأنه في حضرة الإله وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد وأنه لو كان في محضر أستاذه أو أحد من جيرانه ما فعل فهل أنت ترى محضر الحق وتبرز لمعصيته؟ فإن كان فقد جعله من أهون الناظرين إليك وإلا جحد الوجود وتجاوزت الحدود.

وأن يلزم أيضا الكتب الأخلاقية ليل نهار والكتب التي تتضمن الحكم والمواعظ لأن العصيان عند غياب الحكمة عن العيان وهذه الكتب بمثابة الوحي للأنبياء والملائكة للعلماء والتقوى للأتقياء.

وليعلم صاحب هذه الصفة أنه قريب من معاوية ويزيد وأمثال هؤلاء في هذا الزمان وغيره فلو ملك مما ملكوا لربما كان أشد قال بعض علمائنا: - تحت كل واحد منا فلان الطاغية نعم من كان عنده صفة الغضب والشهوة فليعلم أنه يحمل للحجاج ويزيد ومعاوية وعمر بن العاص في نفسه وإن زار الحسين عليه السلام فالذين سقوا الحسين عليه السلام وعياله السهام كانت أدمعهم تسيل عندما كانوا يغمدون السيوف في أجواف الأنبياء فنحن وهم سواء لا نختلف من حيث الطبيعة وما نحمل والفارق إذ قمنا بتهديب أنفسنا قبل أن نصبح مثلهم وإلا كم كان ابن الزبير يدافع عن الإمام علي عليه السلام فأين أصبح في آخر المطاف.

فمن أعطى نفسه هواها فقد قواها على المعصية فتسلح بالحكمة والموعظة والتوكل على الله فإنه يسير على من يسر الله له وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أما القوة الشهوية: فإن تعديلها من مهام علم الأخلاق وهي تتمثل في منازل عديدة يأتي ذكرها تبعا لذكر موارد جنود الجهل مثل الطمع والتبذل والشره.. الخ.

لكن لا بد لنا من التنبيه العام الذي يجب على المكلف إدراكه في حياته اليومية وهو أنك لا بد أن تعلم أن من أعطى نفسه منها فقد قواها نحو الرذيلة وهاج به كل عرق من عروق الأمراض الخبيثة.

فلو أعطى نفسه ما تريد من حب المال وسار في طريق التحصيل فإنه سوف يهيج عنده الطمع والحرص والشره والذل والتهاون في الدين والكذب والشرك وصفات لا حد لها من الرذائل وهكذا لو أعطاها ما تريد من الشهوات ويكون الإنسان في وثاق الذل وإن رأيتموه حرا.

فالصورة للأغنياء وأصحاب المال على انهم احرار إلا أن الحق أنهم حقيقة في وثاق الذل والعبودية والحاجة والشغف والشعور بالخوف من زوال المال وذهابه وحب إكثاره أكثر بكثير من الفقراء والمساكين فإن الذي تبين بالوجدان والعيان أن المال كلما كثر وزاد زاد معه الحاجة وشدة الطلب والشعور بالخوف فالمعاشر للأغنياء يجد أصحاب المليارات أشد فقرا وأشد خوفا من غيرهم من عامة الناس.

وربما تجد إنسانا يملك محل بسيط يرتزق منه هادئ البال بينما تجد إنسانا يملك نصف مليار أو أكثر من ذلك يخاف على نفسه وعياله وقول الصادق عليه السلام بيان وغنى عن كل ما أقول:- إن طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما شرب منه ازداد عطشا.

فإذا كان منه ذلك زاد من مؤونته وكثرت حوائجه وصار لعبة بيد المشاغل التافهة فيضيع عليه العمر من دون أن تكون له ساعة يفكر بها إلى أين تكون العاقبة حتى في نومه يفكر بالأموال وجمعها والمناصب وامتطائها.

وإذا حصل منه ذلك سوف يكون بيد إبليس اللعين لكن من دون أن يشعر فيحب الصالحين والعلماء ولكن لا يستطيع أن يكون معهم ومثلهم مع شدة حبه فيبقى في الأمانى حتى يدركه الموت ويعدمه الفناء وأما أصحاب المناصب والشهرة فإنها من أشد المصائب على دين الرجل بنص أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وأما حالهم فهم في أسوء ما يكون فالقلق لا يفارقهم وإذا خرجوا أمام الناس فهم على منصة المسرح الكل يراقبهم فلا يتمكنون من أن يخلوا بأنفسهم وعيالهم ليروحوا عن أنفسهم هذا الاشتداد في الجسم والفكر والهيئة وتصنع

الأقوال والأفعال والنظرات وما شاكل ذلك مما يفعلونه أهل الدنيا وهم دائما وأبدا في ثورة الغضب على عكس ما يعيشه العلماء والأولياء تماما لكونها بضاعتهم ويا أخسها من بضاعة وتجارة فقد خسروا دينهم وديناهم فرما تجد من أهل البساطة من الناس أروح بالا منهم وقد مثلهم الإمام علي عليه السلام كراكب الأسد ومعلوم ما حال راكب الأسد فهو مع ما عليه من الغبطة من أهل الجهل ولكن هو في خوف شديد من ثورة الأسد عليه.

وكيف كان أن من أهم الوسائل العلاجية هي الدواء العام الذي ذكرناه في ما سبق ألا وهو ذكر هادم اللذات ومبيد الشهوات وهو الموت فإن له دورا كبيرا جدا في تعديل القوة الشهوية ويحاول كل منا بصورة مستمرة تقريب صورته نحو النفس حتى يأخذ أثره الذي يتوخى منه ولنبارك الحديث بأقوال أهل البيت عليهم السلام.

فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر واليه على مصر:-  
عباد الله إن الموت ليس منه فوت فاحذروا قبل وقوعه وأعدوا له عدته فإنكم طرد الموت إن قمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم وهو ألزم لكم من ظلكم!  
الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم فأكثرُوا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات وكفى بالموت واعظاً<sup>(١)</sup>.

وكان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول:- أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات<sup>(٢)</sup>.  
وقال لرجل من الأنصار:- أوصيك بذكر الموت فإنه يسليك عن أمر الدنيا، وعن أبي عبيدة قال:- قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك حدثني بما أنتفع به فقال:- يا أبا عبيدة:- ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ج ٦ ص ١٣٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) البحار ج ٦ ص ١٢٦.

فترى السائل هنا في مقام طلب ما ينفعه على نحو العموم في من طلب النجاح في الحياتين فلم يخص المنفعة في حال دنياه أو أخره وإن كانت خصوصية المسؤول عنه قد تخصص سؤال السائل إلا أن الواقع إن أهل البيت عليهم السلام جاءوا للدين والدنيا ولو أفردنا لهذا الكلام مجلدا لما وفينا وكنا من المقصرين. فالمنفعة التي يدرها ذكر الموت من أعظم المنافع فيعمل كثرة الذكر والتأمل بأحواله وأهواله وصعوبة الموقف على تذليل النفس وضبطها قال الوالد الشفيق علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه البار الحسن عليه السلام:- أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلك بذكر الموت وقرره بالفناء.

فذكر الموت يعمل على إحياء القلب وإحداث اليقين؛ لأن القلب إذا ذل ركبته المكارم واستجلب المغانم. وأما إذا شمخ ركبه الجهل والعناد وركبته الأضداد ثم قال له عليه السلام:- يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه ونفضي بعد الموت إليه...<sup>(١)</sup>.

### تنبيه:-

اعلم أن الصراع الذي يعيش به صاحب الأهواء المتضادة لا يحمده عليه إنسان وصاحبه في أتعس الأحوال والاضطراب النفسي ينعكس انعكاسا مباشرا على الفكر وعلى وضع البدن الخارجي.

### توضيح:-

لا بد من معرفة أن الصفات الرذيلة والأخلاق السيئة أغلبها متضادة فيما بينها متصارعة بعضها مع بعض مثلها مثل مملكة يسكنها المجانين أو غابة تسكنها الحيوانات فيعدو بعضها على بعض فيهلك عزيزها ذليلها ويأكل قويا ضعيفا فلا

تنعم براحة قط والنفس وسط كل ذلك فالحرص والطمع صفتان تطالبان الإنسان بالاعتداء على أموال الناس وقتل الأنفس....

وفي الوقت نفسه يوجهها حب النفس وحب البقاء وطول الأمل فهذه تمنع والأولى تدفع والإنسان بينها متدافع يأخذ هذا ويجره ذاك وهكذا الصفات الأخرى مثل صفة حب الفحشاء والمنكر فهذه تدفعه نحو ارتكاب الفاحشة وحب السمعة والشهرة تمنعه عن ذلك وهلم جرا فيكون الإنسان في أسوأ الأحوال بل أن الصفة الواحدة تعمل على سلب راحة الإنسان وهلاكه في الدين والدنيا وأضرب لك مثالا لناخذ صفة حب السلطنة.

فإن هذه الصفة تدعو الإنسان إلى بيع كل شيء والتضحية بكل شيء مهما بلغ حتى الدين والمال والأولاد فأنت ترى أصحاب المناصب كم ينفقون من أموالهم في سبيل تحصيل الدعاية الانتخابية ويتنزل لأراذل الناس ويلبس لباس الذل والهوان ليستعلي ويصحب السلطان ويقدم أولاده إلى الموت فداء لتبعات هذا المنصب فيصحب كل ذلك القلق والخوف والاضطراب وسوء المعيشة وإلى غير ذلك من التضحيات.

فلو تحقق لديه ما يريد وما نواه في أول خطاه وتحققت له المطالب سوف يجد أن نفسه خدعته في حصول القناعة بل يجد تلهف شديد نحو التسلط في منصب أكبر والاستيلاء على مدن أخرى ويظن من ذلك القناعة في حصول هذا فإذا لبي له ما يريد لوجد اشتعال الطمع والحرص وحب السلطنة أضعاف ما كان يجده من نفسه في مرحلته السابقة ففي الصورة تراه حرا وواقعه مقهور النفس والفكر والبدن فتجد نفسه وفكره وبدنه مجند ليل نهار للحصول على ما يتمناه وهكذا ومن المعلوم كم يلاقي من الصعاب في حصول هذه المطالب فإن الدنيا ليست بيده بل الموانع فيها لا تعد ولا تحصى فهناك من يواجه بالسلاح ويدافع ويكلفه الخسائر وكم هالك في هذا الطريق؟ أمثال هتلر وحكام هذا الزمان.

وهناك موانع طبيعية تمنعه عن ذلك وتبقى تشتعل فيه نار السلطنة إلى أن يهلك فيها كما هلك فلا وفلان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- ما أعجب أمر الإنسان إن سئح له الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه اليأس قتله الأسف وإن سعد نسي التحفظ وإن ناله خوف حيره الحذر وإن اتسع له الأمن أسلمته الغرة وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع وإن أفاد مالا أطغاه الغنى وإن عضته فاقة شمله البلاء وإن جهده الجوع قعد به الضعف وإن أفرط به الشبع كضته البطنة<sup>(١)</sup>.

وما يضع النقاط على الأحرف أكثر في مقامنا هذا قول الصادق عليه السلام:- من تعلق قلبه بالدنيا تعلق قلبه بثلاث خصال:-

- هم لا يفنى

- وأمل لا يدرك

- ورجاء لا ينال<sup>(٢)</sup>.

فتحصل من كل ذلك وجود الشخصية غير المنسجمة القلقة والمضطربة وتذكر من الناس الذين عاشرتهم وسمعت بهم كيف أهلكهم الطمع أو الحرص أو ما شاكل ذلك من الرذائل وأحصي عدد من قتلتهم الرذائل فتجد أن نار العالم بأسره سببها الرذائل كالحسد والحقد والحمية.

اليوم يصرح الرئيس - بوش - بكلام نستة الأخوة أصحاب الفضائيات الذين يترقبون الأخبار دوماً ألا وهو - سنعيدها حرباً صليبية - فخرجت منه كما خرجت من بني أمية لا خبر جاء ولا وحي نزل.

(١) الإرشاد للمفيد ١٥٩ ط / النجف الأشرف.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٤.

فيا عزيزي أرباب متفرقون خير أم الواحد القهار؟ فكل غريزة وخلق سيء هو بمنزلة الإله وتأمل في قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (١).

- وقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت) (٢).

- وقوله تعالى (هذا سبيلي فاتبعوه ولا تتبعوا السبل).

فالتقى والهدى واحد وغيره كما ترى فاختر حياتك على أي نحو ويبد من تكون إذا عرفت هذا فاعلم الفرق بين بناء الفضائل وبين بناء الرذائل فإن الفضائل تعكس أنوارا بعضها على البعض الآخر فكل صفة مهما رأيتها منفصلة عن الأخرى إلا أنها تبني فضيلة أخرى وتساعد على بنائها.

فالعلم يعطي الحكمة والحكمة تعطي الرشد والشجاعة تعطي الكرم والكرم يبني السماحة أو أن الشجاعة تساهم في بناء الصدق وهكذا فنور الصفات والسجايا الحسنة متبادل وعلى العكس بالعكس بالنسبة للرذائل فإن الجبن يجر إلى الكذب والكذب يجر إلى المكر وهكذا بقية الصفات من دون إطالة إنما أردت التنبيه ولنذكر من أنوار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل: قال صلى الله عليه وآله وسلم:-

- فتشعب من العقل الحلم

- ومن الحلم العلم

- ومن العلم الرشد

- ومن الرشد العفاف

- ومن العفاف الصيانة

- ومن الصيانة الحياء

---

(١) سورة الزمر / آية ٢٩.

(٢) سورة البقرة / آية

- ومن الحياء الرزانة
  - ومن الرزانة المداومة على الخير
  - ومن المداومة على الخير كراهية الشر
  - ومن كراهية الشر طاعة الناصح
- فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع<sup>(١)</sup>:-

فأما الحلم:- فمنه ركوب الجميل وصحبة الأبرار ورفع الضعة ورفع من الخساسة وتشهي الخير ويقرب صاحبه من معالي الدرجات والعفو والمهل والمعروف والصمت فهذا ما يتشعب للعاقل من حلمه.

وأما العلم:- فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيرا والجود وإن كان بخيلا والمهابة وإن كان هينا والسلامة وإن كان سقيما والقرب وإن كان قصيا والحياء وإن كان صلفا والرفعة وإن كان وضيعا والشرف وإن كان رذيلا والحكمة والحظوة فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه فطوبى لمن عقل وعلم.

وأما الرشد:- فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى و المنالة - أي الإصابة - والاقتصاد والثواب والكرم والمعرفة بدين الله فهذا ما أصاب العاقل بالرشد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق.

وأما العفاف:- فيتشعب منه الرضا والاستكانة - الخضوع - والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكير والجود والسخاء فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضي بالله وبقسمه.

وأما الصيانة:- فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والإحسان والتجيب والخير واجتناء البشر فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة.

وأما الحياء:- فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته.

وأما الرزانة:- فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهي عن المنكر وترك السفه فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له حقه ولا جاهلية وعفا وصفح.

وأما المداومة على الخير:- فيتشعب منه ترك الفواحش والبعد من الطيش والتحرج واليقين وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير فطوبى لمن ذكر أمامه وذكر قيامه واعتبر بالفناء.

وأما كراهية الشر:- فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والإيمان بالله والتوقر والإخلاص وترك ما لا يعنيه والمحافظة على ما ينفعه فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعرى سبيل الله.

وأما طاعة الناصح:- فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومحمدة العواقب والنجاة من اللؤم والقبول والمودة والانسراح والإنصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى فهذه الخصال كلها تشعب من العقل<sup>(١)</sup>.

تعليق:-

لنا تأملات في هذا الحديث وفوائد نجتنيها من مضامينه منها أن هذا الحديث المبارك يعطي الصورة التي بينها سلفا وهي إشراق الصفات الخلقية بعضها على البعض الآخر وتقوي أحدهما الأخرى وإن الصفة الواحدة تدعو إلى الأخرى

فصفة التواضع تدعوا إلى العلم والعلم يدعوا إلى الحلم والحلم يدعوا إلى الرفق والرفق يدعوا إلى المداراة وهكذا وإن الصفة تقوي الأخرى فصفة الشجاعة تقوي الصدق والصدق إذا كان قويا يقوي النفس لحصول الشجاعة فافهم واغتنم.

ومنها أن هذا الحديث يبين لنا أن جنود العقل التي تم ذكرها في الحديث المروي عن الإمام الكاظم عليه السلام ترجع إلى أصول عشرة وهي (الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة والحياء والرزانة والمداومة على الخير وكرهية الشر وطاعة الناصح) فمع تعددها فهي ترجع إلى هذه الأصول ولذا سماها الإمام عليه السلام بالأصناف العشرة لما يكون منها وتحتها من صفات أخر.

ومنها أن لهذه الصفات جهتين امتدادية طولية من حيث المنشأ والمنطلق وعرضية من حيث الوجود فأولها الحلم ويتشعب منه العلم وهكذا هذه الجهة الامتدادية الطولية ومن حيث وجودها كاملة في نفس الإنسان وإشراف أحدهما على الأخرى فهذه جهتها العرضية ورجوع كل هذه الصفات والجنود للعشرة ثم لا يخفى أن البعض أرجع كل الفضائل وهذه الصفات والجنود إلى أنواع أربع وهي (الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة) كما أن أضدادها أربعة (الجهل والشره والجبن والجور).

ومنها أن تعداد هذه الجنود والصفات قد يختلف النظر إليها فتختلف أسمائها ولكن هذا لا يضر بأصل الحقيقة والمعنى ويمكن التعدي من هذه الصفات إلى أكثر من ذلك وإن كان في آخر المطاف ترجع إلى بعضها المذكور نصا لما عرفت من رجوع جميع الصفات إلى منشأ أول وربما وجد هذا الاختلاف في بعض الأحاديث الشريفة التي تذكر حديث جنود العقل والجهل.

منها أن مرد الكل إلى العقل المنحة الإلهية والعطية الربانية نسأل الله العلي الأعلى مكمل النفوس أن يرزقنا وإياكم تمامه وكماله ودوامه وجنته الدنيوية والآخروية.

فائدة:-

إن المكان الذي تكثر به المصاييح يشتد نوره كلما كثرت مصاييحه وكلما زاد نوره اتضح للرائي عيوب المكان اللطيفة إن كانت وبذلك يمكن علاجها. وهكذا الحال عندما تزداد الفضائل فأنها تسهل مهمة المصلح لسريرته وتقوى نصرته كما يعضد الجند بعضهما بعضا ويمكن بذلك معرفة العيب وإصلاحه فأول المسيرة ليس كالوسط والوسط ليس كالنهاية فأول الخطى صعبة على الإنسان وهي مطلوبة من الحق تعالى ليتحقق حق الجزاء ويسلك الإنسان طريق النظام العام وهو - أن تنصروا الله ينصركم - ويثبت أقدامكم - وهزي إليك مجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا - أطرق الباب يأتيك الجواب - أي أن الله تعالى يريد من العبد التحرك منه أولا ثم يترتب الجزاء والمعونة الإلهية ومن يدعو وهو جالس لا يستجاب له.

ثم ليعلم أن نفقة ومؤونة هذا الطريق مهما كانت كبيرة فالإنسان إذا لم يدفعها في مسيرة الإصلاح والتهذيب فسوف يدفع أضعافها في طريق الضلال ويعاني أكثر من معاناة هذا الطريق فمن لم ينفق درهما في مرضاة الله نفق ضعفه في معصيته ومن لم يقض حاجة أخيه أبتلي بقضاء حاجة عدوه ومن يأثم بقضاء حاجته ولم يسهر في طاعة الحق سهر في معصيته ومضرتة ومن لم يركع لله تعالى ركع لأراذل الخلق وأخسهم ومن لم يقبل أيادي العلماء قبل أقبح ما يذكر! ومن لم يبكي من خشية الله وفي مرضاته بكى لأتفه الأشياء ومن لم ينصر الحق ابتلى بنصرة الباطل فاعلم أن ما طلبه منك أنت دافعه ومنفقه مهما حرصت في ما يضرك فانظر للذين يبخلوا على الدين من الأنفس والأموال أين وضعوها وأنفقوها.

الذين لم يهتموا بأمور الدين ولم يعانوا في سبيل إحيائه كم ابتلوا بهم والغم والسقم فيما يضرهم ولا ينفعهم.

أيها العبد الفقير أنت محكوم عليك في السير والإنفاق والنصب والجهد وملاقة الصعاب وتوسد بعض الهموم والغموم فضع كل ذلك في طاعته ومرضاته.

من لم يرغب في هذه المسيرة وهي إصلاح النفس لتصوير الشيطان أن هذا الطريق صعب فليعلم أنه سوف يسلك طريقاً أصعب وأصعب.

وليعلم أن العمر ليس بذلك الطويل وما صوره لك الشيطان فهو سراب وغرور ليس وراءه حقيقة من طول الحياة والعمر ولم يكتب لنا الله أعمار الأمم السالفة وإن كان ذلك فأين هم وأثارهم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً....

وأما القوة الواهمة:- وهي من شر القوى المودعة في الإنسان وما خطى عبد نحو الخطيئة حتى ابتدأه إبليس منها وقد أفرد لها سيدنا الإمام الخميني كلاماً مستقلاً في كتابه القيم (الأربعون حديثاً) فراجع فإن فيه شفاء من الأدواء. ونحن ذاكرون ما يلزم ذكره ومن الله التوفيق.

وهو إن للبدن رياضة يتقوى بها كما تعلم وهو واضح فيتعود البدن يوماً بعد يوم على اللياقة الخاصة وحمل الأثقال فأول المبدأ ليس كمتنهاه.

وهكذا الذهن والفكر فيتمرن على مناقشة المسائل العويصة ويعمل على حلها فيعتاد المسائل الصعبة حتى يصل إلى الأُنس ولا يأنس بعد بالأُمور الثقيلة.

والقوة الواهمة - الخيال - التي نحن بصدددها فإنها من أصعب الرياضات الموجودة في الإنسان ولكن وإن كانت صعبة للغاية إلا أنها سهلة على من يسر الله له ووفق وليس هي من المستحيلات بل يقوم بها الكثير من الناس الذين لا دين لهم وهي حاصلة عند كل أحد كحالة الانقطاع والتوجه نحو شيء خاص دون غيره إلا أنها بيد إبليس اللعين فدائماً وغالباً يصرف هذه القوة إلى الحرام وهذه الصور ليس مجردة عن التأثير كما لا يخفى على البعض بل الصور لها واقع من التأثير ليس له نظير فانت بمجرد تذكرك الحامض يفرز عندك اللعاب وهكذا....

وأول ما يضع الشيطان قدمه في الإنسان يضعه في هذا الموضوع فيتحكم به يمينا وشمالا وهو لا يشعر بالمرّة بما يحدث له فهذه القوة المتخيلة عندما يصرفها إلى الشيطان ويأخذها نحو الحرام تعمل النفس على تحفيز القوى الأخرى من الغرائز الشهوية أو الغضبية كالانتقام والسرقة وغير ذلك.

فلذا لا بد من إيجاد العلاج لهذه القوة مهما كان الثمن في حياة الكمل من الناس ويصرفون لها أوقاتا لا يتهاونون بها بكيفية أهل الضياع وكيفية علاجها كالتالي:-

تأمل يا عزيزي فيما أقوله لك وتنبه لهذا الأمر بأشد الانتباه واعلم أن هذا الأمر أول الطرق للسعادة وأول خطوة نحو الصلاح وأهم خطوة للنجاح فإن فزت به فالأمور الأخرى سهلة مهما بلغت من الصعوبات واعلم أن معراجك هو خيالك فمتى صغى لك طاب لك العيش وسرت في جادة السعداء.

وإن القوة الواهمة - الخيال - أقوى الأيادي الابليسية ومنه وبه يكون الإنسان أسيرا بيد الشيطان فتطلع لإصلاحه على أي نحو كان فإن الله هو الموفق والمستعان.

فأقول: أن للنفس أفعالا وحركات كما لهذا البدن له أفعال وحركات وحركاتها من أصعب الحركات وأشق ما تكون على الإنسان فالعزم والهمة والعفة والنية والتوجه وأمثال ذلك كلها من أفعال القلوب ودل الوجدان على ذلك وذكروا العلماء كلاما في ذلك وأكدها سيدنا وملاذنا أستاذ الفقهاء السيد الخوئي قدس الله نفسه الزكية في مباحثه الأصولية في مسألة الاختيار وأكدنا ذلك بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:- القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من القصد إليه بالبدن وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال فتحصل أن النفس لها حركات وأفعال فإذا عرفت هذا فاعلم أن حركات البدن لما كانت اختيارية كذلك حركات النفس ولكن ما يفلت من أفعال القلوب أكثر من البدن إلا أنها لا ترفع الاختيار فلذا على الإنسان المجاهد أن يسيطر على قوة الخيال هذا الطائر

الذي يخلق ليل نهار على أوكار المفاسد والشهوات ويهيج الغرائز بصوره وحركاته فكلما يتصور الإنسان الحامض فيفرز مادة اللعاب من فمه كذلك هذه الصور فتصور الفواحش القضايا المستقبحة تهيج بطبيعتها الإنسان فتفرز عنده بعض الهرمونات من هذه الايعازات الموجودة والموجه من هذا الطائر الذي هو بيد إبليس.

فلما يكون هكذا يعمل على صرفه نحو المباحات والأمور المشروعة ويخطر في ذهنه بعض التقربات الإلهية والعبادات الربانية فكلما أفلت منه جاء به نحو الأمور المستحسنة ويحكمه نحو ما يرضي الله تعالى ولا يسمح له أن يتغذى على الغفلة فلذا لا بد من الذكر وهكذا فتقوى عنده هذه الإرادة ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم وشهر بعد شهر حتى يكون زمام أمرها بيده يقلبه حيث شاء ولا يأسك الشيطان فيهزمك فإن هذا يسير على من يسر الله له وهو مقدور عليه.

وهكذا يداوم على هذا الحال إلى أن تقوى سيطرته وتحكمه به فيكون حاله بعد مدة أفضل ويسهل عليه العمل ويرى بركاته في حياته اليومية.

لأجل أن هذه الخيالات الفاسدة أفسد ما يكون للقلب كما يذكرنا به دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام أن الشكوك والظنون لواقح الفتن ومكدره لصفوة المنائح.

ونذكركم بالدعاء فالاستعانة به لا يمكن التغافل عنها في كل ساعات الإنسان ويطلب من الله الانتصار على هذا العدو لأن الأحبة لا يعلمون كم وكل بغوايتهم من الشياطين فالمروي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: - إذا مات المؤمن خلى عن جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر كانوا مشتغلين به<sup>(١)</sup>.

فما حالنا نحن المساكين في وسط هذه الأعداد والأنس اليوم أشر من الجن فالذي أراه أن الشيطان ارتاح مرتين في عمره مرة عندما دعا نوح على قومه

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٦.

فأغرقهم فأخليت الأرض ومرة ثانية في عصرنا الحاضر فقد اكتفى برجال ونساء المستقبل والمحطات الإذاعية.. وغير ذلك.

وكيف ما كان فللإمام عليه السلام بعض الأدعية التي تهدي إلى البقية - ففي دعاء مكارم الأخلاق - اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد ذكرا لعظمتك وتفكرا في قدرتك وتدبيرك على عدوك.

فالعبد إذا اشتغل بمثل هذه الأمور العبادية تقوى نفسه الإيمانية ويبدأ ينتزع ساحة نفسه من يد الشيطان ثم ليملي على نفسه النوايا الحسنة والأعمال الصالحة فيجعلها مجرى تفكيره ومخيلاته والأهم من كل ذلك أن تتولد عند العبد القدرة على صرف هذه القوة حيث ما يريد وهذا شيء مهم جدا في المسيرة لأن جل المشاكل هو جراء عدم السيطرة فيأخذ الشيطان العبد يمينا وشمالا وإذا خاصم ذلك العبد شخص فسوف يأخذه إلى كل كلام صدر منه لكي يغيظه ويحزنه وخصوصا الكلمات التي تهيجه وتشير غضبه ويعطيه بعض الملامات التي ما كانت في خاطر القائل فإنه أراد بهذا الكلام هذا المعنى.

يريد من كل ذلك تحقيرك والإزراء بك إلى غير ذلك وكلما تريد أن تصرف عن نفسك هذا الأمر عاودك فاعلم أن كل ذلك من كيد الشيطان فإنه يريد أن يوقع العداوة بين المؤمنين وفي الخصومة يذهب الإيمان لذا نجد إصلاح بعض المتدينين أصعب بكثير من غيرهم مع أن المعادلة المفروضة تكون بالعكس تماما.

وفي آخر المطاف نذكر جملة من دعاء إمامكم زين العابدين عليه السلام للتخلص من الشيطان هناك فقرات مهمة يكشفها الإمام عن تحركات إبليس عليه اللعنة في حياة الإنسان كالغرور والأمانى وإيجاد الثقة وتصوير الصعوبة في إصلاح النفس وغير ذلك وهذا الدعاء:- اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم، وكيد ومكائده، ومن الثقة بأمانيه ومواعيده وغروره ومصائده، وأن يطمع نفسه في إضلالنا عن طاعتك، وامتهاننا بمعصيتك، أو أن يحسن عندنا ما حسن لنا، أو أن يثقل علينا ما كره إلينا، اللهم احسأه عنا بعبادتك، واكتبه بدؤوبنا في محبتك،

واجعل بيننا وبينه سترا لا يهتكه، وردما مصمتا لا يفتقه، اللهم صل على محمد وآله، واشغله عنا ببعض أعدائك، واعصمنا منه بحسن رعايتك، واكفنا ختره، وولنا ظهره، واقطع عنا إثره، اللهم صل على محمد وآله، وامتعنا من الهدى بمثل ضلالتة، وزودنا من التقوى ضد غوايته، واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى، اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلا، ولا توطن له فيما لدينا منزلا، اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه، وإذا عرفناه فقناه، وبصرنا ما نكايده به، وألهمنا ما نعدده، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه، وأحسن بتوفيقك عوننا عليه، اللهم وأشرب قلوبنا إنكار عمله، وألطف لنا في نقض حيله، اللهم صل على محمد وآله، وحول سلطانه عنا، واقطع رجاء منا، وادرأه عن الولوج بنا، اللهم صل على محمد آله.....<sup>(١)</sup>.

تتمة:-

أفضل ما يستحضره العبد في ذهنه ويتوجه له بقلبه ويصرف الخيال إليه هو استحضار أنك في حضرة الحق تعالى وواقع تحت مراقبته وأنت في عينيه التي لا تنام فكلما طار الخيال إلى غير ذلك فاصرفه إلى هذه الحقيقة وجسدها بنفسك في حديث مع الناس في عملك واعلم النفس أنك في محضر أهل البيت عليهم السلام وأنت واقع تحت هذه المراقبة لكي تكون المنفعة أكبر ومن دون تشديد على النفس حتى تأخذ هذه الحقيقة آثارها الإيجابية وفقنا الله وإياكم لذلك إنه حميد مجيد.

**توجيه:-**

احذر من تصور الحق تعالى وتجسيد صورة له في خيالك فإن هذا مردود عليك مصنوع من نفسك وإنما ليكن ذلك بتوجه القلب وتذكيره فقط واعلم أن

توحيد الله هو انك لا تتوهمه ولهذا مقام أوسع فضيق الوقت والنفس يمنعني عن بحثه ومن الله التوفيق.

### من مخاطر الوهم:-

لا بد من معرفة أن الوهم له مخاطر كبيرة على الإنسان إذ أنه يعد المادة الأولية لجميع العقائد الفاسدة والقضايا التي ليس لها واقعية في الخارج وغير الخارج فإن هذه وأمثالها مادتها وغذاؤها هو الوهم ومن جملة مخاطر الوهم تفخيم الأمور والأحداث فوق استحقاقها وإعطاؤها حجما لم تكن تستحقه مما يجعل صاحبه في قعر بئر مظلم لا مخلص منه إلا الله تعالى نسأل الله بمحمد وآله التخلص من سحائب الوهم ثم ان جل المشاكل الأسرية والعشائرية بل حتى الدول العظمى سببه هو أن الوهم قد فخم الأمور فوق استحقاقها فأنا وأنت لما لم يكن لنا تأثير وطرف في القضية نراها من أتفه الأسباب وأما أصحابها فيرونها كالجبال وهذا من تمويل الشيطان واليوم لدينا ألف شيطان من هذه الفضائيات التي أراحت إبليس اللعين فتخلق من الحبة جبال ويعد هذا أمر هام جدا في حياتنا الاجتماعية والسياسية وقد مر المذهب الحق بمنعطفات كادت تقضي على المذهب وأهله لولا العلماء حصون الدين والإسلام وقفوا وقفه رجل واحد وزيفوا هذا التهويل الذي يطلب فيه أمر عظيم.

وعليه اللازم اتخاذه في جميع المواقف عدم الانجرار وراء هذا المرض الخطير بل يجب محاربتة بكل الوسائل التي يطرحها علماء الأخلاق والشريعة المقدسة ويلزمنا التحفظ في قراراتنا عند المواقف الحارة والساخنة التي تسخن الأفكار والقلوب وإلا فأنت لا تجد أمرا فيه ضرر العبد إلا وهوله إبليس اللعين بطريق الوهم والخيالات الفاسدة فإذا فتشت عن حقيقة ما هوله وفخمه إبليس اللعين لا تجد أمرا يستحق الالتفات إليه بل في غاية التفاهة حتى أن البعض عندما يرجع إلى نفسه يقتل نفسه أسفا وحسرة على ما أتعب به نفسه وشغل به فكره.

ثم لا يخفى أن هذا التهويل والتفخيم لم يكن في جنحة ما ذكرناه فقط بل حتى في المسائل الشهوانية والغريزية والطمع لنيل التوفاه الديوية فإن الشيطان يرسم في مخيلة العبد ما لو رجع لنفسه ووعيه لسخر من نفسه فرب رجل يتاجر بمليون دينار فيمنيه الشيطان بالوهم بأنه سيملك الدنيا بربحها.  
ثم أن هذه العجالة لا تفي بما يستحق هذا البحث فنسأل الله أن يجعل البركة بما قلناه وينفع أحببتنا بما ذكرناه.

### الرضا وضده السخط

الرضا حسب ما ذكرته الإعلام أنه من أعلى المراتب الكمالية ويعد سلما للفناء في ذات الحق تعالى ومحبه وهو المراقبة التي لا يتخطاه عبد إلا هلك عن المنازل الرفيعة إلى مهابط الأذلاء وعالم الشقاء والجهلاء.  
ويراد به هنا:- هو أن يكون العبد مسرورا في كل ما يجري عليه من قبل الحق تعالى وأن يرى أفعال الحق تعالى هدايا منه ويكون مبتهجا فيما يقدره الله تعالى عليه وما يقضيه له يكون به مسرورا فهو من أهم الصفات التي ينظر إليها الله تبارك وتعالى عند العبد وهي موضع التوافق والتفاهم فمتى ما علم الله ذلك من عبده اشتدت العلاقة وكان الجذب والمؤانسة من حظه أما إذا كان العبد في ظلمات السخط فهو محجوب مسلوب معيوب ليس له سوق عند المشترين!  
وهذا بديهي وضروري فالناس لا تقوى العلاقة بينهم إلا إذا رضى بعضهم بفعال بعض أما إذا كان الموجود السخط وعدم الرضا فالعلاقة لا تكون عندما تضيق الصدور وتصبح كالقبور خالية من النور بل محض الظلام والديجور.  
وتمثل بقول زينب سلام الله عليها وبركاته عندما سألتها اللعين أبين اللعين - يزيد - ما رأيت صنع الله في أخيك؟ تأمل ما قالت له؟  
جوابها:- ما رأيت إلا جميلا!!

فلو تأملت بحالها عند فقد الحسين عليه السلام في أي حال وكيف انتقل عنها وما صنع به من تعذيب وتمثيل فمع كل ذلك تقول ما رأيت إلا جميلاً فأبي مقام نسميه أنا وأنت وأي علو تتمتع به هذه الشخصية العظيمة فهذا الكلام الصادر منها يعني في معرفة زينب عليها السلام كما أن كلام يزيد وبني أمية وإن لم يعرف عنهم غير ذلك وهو قولهم (لا خبر جاء ولا وحي نزل) كاف في معرفتهم.

وكذلك قول الإمام علي عليه السلام:- ولو أدخلتني النار أعلمتهم أنني أحبك، فالكلام ليس من قبل الفرضيات المحالة والمحاورات الكلامية بل أقول لو أن الحق تعالى عن ذلك علواً كبيراً أدخله النار لما كان من علي عليه السلام إلا أن يكون راضياً بفعله أتم الرضا.

فالرضا:- صفة قبول العبد المطعمة بالفرح والسرور والابتهاج - اتجاه أفعال الله تعالى في هذا العالم أجمع -

فلا يقول لو كان هذا بدلاً عن هذا أو هذا في مكان هذا في جميع شؤون خلقه تعالى وما أجراه على عباده.

وينظر البعض إليه من أشق المراتب على الطالب ولكن يسير على من يسر الله عليه وإن اليسر لو منح للعبد في أن يعبر البحار في طرفة عين لكان والعسر لوضع في قتل بعوضة لأشقى العالم كله!!

فهو يسير على من يسر الله له وإن المعاد وأهواله وأحواله وما يعجز القلم عن وصفه عند تيسير الله للعبد المؤمن يكون عليه كصلاة مكتوبة وأين هذا على من عسر الله عليه كآلف سنة مما تعدون.

### تحقيق الرضا في النفس:-

ثم اعلم أن تحقيق الرضا في مقام النفس خطوة نحو التوجه للمحادثة الإلهية والصحبة الربانية وهي تركز على عدة أمور نذكر جملة منها والمزيد يطالع في الكتب القيمة لأعلامنا رضوان الله عليهم أجمعين.

الأول:- هو المعرفة فالمعرفة أساس كل شيء ولكن ليست هي كل شيء لأنها قد تكون من حظ العقل فقط ولذا يحرم منها الكثير من أهل العلم إلا من وفق.

فالتعرف على صفاته تعالى وأفعاله التكوينية والتشريعية والوصول إلى نقطة هامة وهو أنها تركز على الحكمة وإن فعله حكمته ولا يوجد حد فاصل أي هو عين الحكمة والمصلحة اتجاه الخلق جميعا والعمل على توسعة آفاق الفكر اتجاه الأفعال بكلا نوعيها يعطي كل ذلك إضاءة نحو التسربل بسر بال الرضا والنهوض من مستنقع السخط فمجاري الفكر في الآفاق الكونية وتقوية النظر فيها يسلب من النفس الكثير من النقائص فما من رذيلة أو تأخر في حياة الإنسان المعنوية والمادية إلا وسببها الجهل.

فالعالم بأجمعه قائم على الحكمة ويوجد فيما بينه ترابط وثيق بين ذراته وجزئياته وإن أنواره تنعكس بعضها على البعض الآخر وإن العلاقة بين أجزاء هذا العلم على نحوين مادية محسوسة ومعنوية غير محسوسة فالإنسان مهما ترى من بعده عن السماء وشأنها وما فيها إلا أنه يوجد ارتباط وتلاحم ينعكس حدث أحدهما على الآخر ويتلازمان في الأحداث وهكذا الأنظمة التكوينية في الأرض فالعالم بما فيه كالجسد والروح حتى يرى بعض العلماء أن الإنسان هو العالم بعينه ولكنه مصغر فيعكس كل ما يكون ويحدث في هذا العالم.

فما يحدث فيه من الترقيات أو التنزلات أو الزلازل والأمطار والبركان والغيبيات والمحسوسات والايعازات السماوية بالنسبة للمخلوقات الكونية - والأرضية - وما يحدث بينهما من الإحسان أو العقوبات هو موجود في نفس الإنسان وتفصيله يخرجنا عن الغرض لذا رأينا الأعراض.

- ومنها التفكير في نعم الحق تعالى على الإنسان وما أعطاه من المنن البالغة وتعقل آلاء الله والنظر إليها مع توجه النفس إليها وأخطارها على القلب بين الحين

والآخر وليتذكر عندما كان في ظلمات العدم فأخرجه الله منها بمنه وإحسانه فهل كان ذلك بطلب منه؟

ولما أودعه في الأصلاب والأرحام وغذاه وأحسن صورته هل كان ذلك بطلب وسؤال منه؟ وجعله كاملا من غير نقصان وعطف عليه القلوب وأحضره الأمهات الرواحم فهل كان هذا بطلب منه؟ فهذه مسيرته تعالى في خدمة الإنسان قبل أن يعرف الإنسان نفسه ومن هو وكيف هو من دون إيعاز وطلب ابعدما كبرت صرت أنت الذي تدبر أمرك وهل من عادته الإحسان؟ بدل عادته وهو الحق الذي لا يزياله ولا يدانيه الباطل فابتدأ بحكمه وجعل كل عضو منك وفق المصلحة والوظيفة التي تحتاج إليها فصنع كل شيء فيك ضمن غرضه الذي أعد له ووفق المصلحة التي يتوخاها الإنسان وهذا يعني أنه تعالى كذلك في جميع التقديرات إلى يوم الدين.

- ومنها الابتعاد عن مجالس الكسل والضجر والذين دأبهم التشاؤم فإن مثل هؤلاء أضر من كل داء على كل أخلاق الإنسان ويذهبون بالإيمان ويورثون الأحزان فيذهبون بالرضا عن الله تعالى وعن خلقه فصاحبهم لا تجده يرضى عن أنفع الخلق إليه مهما بالغ في خدمته وهكذا بالنسبة للحق تعالى ويلزم من مجالستهم السخط على الحق ومنه ينطلق إلى ساحة الكفر وجحود النعم وخلو النفس من الرضا وإيقاعها باشر الصفات وهو السخط واحذر الأخوة والأخوات والأبناء أن يتعودوا هذه المجالس بل ليفروا منها فرار الشاه من الذئب وقال الصادق عليه السلام:- إياك والضجر والكسل فأنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

- ومن ذلك الكثير فإن الإنسان إذا غلبت عليه هذه الطباع سوف يضيع كل سعادته وبهجته ويبقى محزونا طوال عمره بخلاف لو حاول حازما عازما أن ينظر إلى حقيقة نظام الدنيا وما يعقبها من أحوال الآخرة وأنها مزرعة والمزرعة تحتاج

(١) تحف العقول ص ٤٠٩.

إلى علو الهمة والحزم والعزم والإرادة والجد والاجتهاد والصبر والمداومة وإن كل ما في هذا العالم خير محض ولا يوجد فعل منه إلا وهو خير مهما بلغ من القباحة فإن يوسف عليه السلام انطلق من أعماق البئر فصار ملكا لمصر ولولاه لما كان وإن موسى انطلق من ساحة الخوف وصار نبيا على بني إسرائيل وإبراهيم عليه السلام انطلق من نار النمرود فصار خليلا لله تعالى وأيوب صار نعم العبد منطلقا من اشد البلاء ونبينا محمد صلى الله عليه واله انطلق من البلاء الذي لم يراه نبي من الأنبياء - كما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم - ما أودى نبي مثل ما أوديت وسوف نذكر جملة من الأحاديث في هذا الباب بإذن الله تعالى حتى إبليس بما فيه من الأذى فهو رحمة لنا فيه ارتفع العباد وصار هذا مقدس وهذا عارف وهذا له مقام الخلة وذلك كليم فهو بمثابة الأسمدة مع نجاستها ألا أنها تعطي النمو للأشجار والخضر فيبت الخلاء مع قذارته لكنه له دور كبير في الحياة البيئية. وهذه رؤية جميع الاولياء والعلماء في إبليس<sup>(١)</sup>.

### دور البلاء في إيجاد الفضائل

اعلم يا عزيزي لولا البلاء والامتحان والاختبار لما كان هناك فضائل بالمرة وسوف نبين لك ذلك بذكر الأمثلة الآتية ومن الله التوفيق.  
فمثلا عندما يوجد ما يثير غضب الإنسان من المنغصات والتعاسات ومن أصحاب الجهل والعناد ويحلم عندها الإنسان تكون عنده فضيلة الحلم.  
وعندما يوجد البلاء والامتحان كالمريض وغيره فيتحمله الإنسان توجد عنده فضيلة الصبر.  
وعندما يشتم الشخص ويسمع من الكلام البذيء ما تقشعر له الجلود ويغض الطرف سوف يكون عزيزا.

(١) راجع كتاب اكسير العارفين للملا صدرا.

وعندما توجد الفواحش والمحرمات ومع ذلك يصبر عندها يكون الإنسان عفيفا وتوجد عنده صفة التقوى.

وعندما يوجد المسيء يكون هناك الإحسان وهكذا فلا يكتسب أحد فضيلة ومكرمة ويشتهر بها إلا إذا كان هناك عناء وكلما كان هناك عناء في الفضيلة كانت الفضيلة أكرم وأعز وصاحبها أعظم فمثلا فضيلة الصبر لما يكون الألم فيها أكبر فهي من الفضائل القيمة وكذلك فضيلة العدالة فهي كما قلنا أم الفضائل لما فيها من المشاق والعناء وإلا أنت لا تجد أحدا يمتدح ببعض الأمور مهما اشتهر بها وعرف فإنه مع ذلك لا تهابه القلوب فالعالم بعلم الآثار ليس كعالم الكواكب والعالم بعلم الفلسفة والأصول الاجتهادية ليس كعالم الأنساب والعالم بالجبر ليس كغيره من العلماء كل ذلك نظرا لما يلاقيه من المشاق بل أذكرك أن السلف السابق من العلماء كانوا أبداع وأكثر توفيقا وعطاء لأجل ما لاقوه من العناء فكانوا يكتبون على ورق الشجر ويكتبون في موضع الخلاء لأجل الإضاءة كما كان عليه الشيخ النراقي قدس الله نفسه الزكية.

واليوم نحن نتمتع بنعم لا تعد ولا تحصى فأين إبداعاتنا واستثني من كلامي هذا أعلامنا من العلماء الذين اجتباهم الله تعالى في عصرنا الحاضر وغيره وإلا فالكلام ليس على نحو الكلية أعاذنا الله من الكبوات والسقطات فإن الله لا يخلي الأرض من هؤلاء الأعاظم وكيف ما كان فتحصل أن البلاء يتحف الإنسان بالفضائل مهما كان وكيف ما كان.

### جولة في أنوار أهل البيت عليهم السلام

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل<sup>(١)</sup>.

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٧ شدة بلاء المؤمن.

- وعنه عليه السلام: - إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء وما أحب الله قوما إلا ابتلاهم<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - ما أفلت مؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاث عليه أما بغض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه أو جار يؤذيه أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه ولو أن مؤمنا على قلة جبل لبعث الله عز وجل إليه شيطانا يؤذيه ويجعل الله له من إيمانه أنسا لا يستوحش معه إلى أحد<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - إن الله عز وجل جعل وليه في الدنيا غرضا لعدوه<sup>(٣)</sup> وفي روايات أن المؤمن مكفر والكافر مشكور - أي أنه المؤمن مهما عمل من المعروف في الدنيا فإن الناس تبخس عمله ولأجل أن عمله يصعد إلى الله وأما الكافر لو أهدى دينارا لأشتهر وانتشر لأنه لا حظ له في الآخرة وبيتلى بالردائل الأخرى كالشهرة والإعجاب والرياء وأما المؤمن فمادام غير مشهور فهو مصان ومن الله الأمان وهذا نوع من أنواع البلاء.

- وعنه عليه السلام: - أن لله عز وجل عبادا في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم ولا بليه إلا صرفها إليهم<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - أن الله إذا أحب عبدا غتته بالبلاء غتا وإنا وإياكم يا سدير لنصبح وبه نمسي<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - إن في الجنة منزلة لا يلفها عبد إلا الابتلاء بجسده<sup>(٦)</sup>.

---

(١) المصدر السابق نفسه من كتاب الإيمان والكفر.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٥.

(٣) الكافي (ط. دار الحديث) ج ٣ ص ٦٢٩.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٧.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٩.

- وعنه عليه السلام مخاطبا لمريض من أصحابه: - يا عبد الله لو يعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنى أنه قرض بالمقاريض<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: - أن الله عز وجل يعاهد المؤمن بالبلاء كما يعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة ويحميه عن الدنيا كما يحمي الطبيب المريض<sup>(٢)</sup>.

### اشراقه

أخي أن نظام الدنيا نظام دفع الأثمان وأخذ الضرائب ولا يطيب طعام حتى تدفع ضريبته وثمرته ولا يكون الإنسان شاعرا بالراحة ما لم يتعب فإن الراحة كامنة بالتعب والسعادة كامنة في الشقاء والعناء واللذة بالألم.

فكثير ما يتصور الدنيا على خلاف حقيقتها ويعمل على ما يضاد مصلحته فيها فالكل يتصور أنه لو انقطع عن العمل لحصلت الراحة والسعادة وأنه لو توفر له كل شيء لكان أسعد الناس ولو نال خيرات الدنيا لكان مبتهجا طول الحياة.

ولكن تأملوا أن هذا لم يكن ولا هو كائن إلى يوم القيامة فالإنسان الذي لا يعمل أشد ألما وأكثرهما وموضع الأسقام ويستشعر الضيق بمجرد انقطاعه عن العمل وكثر عنده الضجر بل العمل من أهم العوامل التي تؤدي إلى دفع الهموم والغموم وإن الشيء الذي لا يبذل بأزاءه جهد من تلف الأعصاب لا يكون لذيدا وإن الإنسان إذا لم يتعب لا يلتذ بالنوم والذي يوفر له كل شيء فقد لذة كل شيء لذا نحن لا نشعر بلذة ما يوفر لدينا دائما وبأبسط الأثمان.

فلذا أقول للذين تمكنوا من شراء اللحم على الدوام فقدوا لذة طعمه بالمره بخلاف من حرم منه ثم وجدته فإنما يستمره على أنها بال.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر.

فليتضح من هذا أن ما يصيب الإنسان في طريق الدنيا لم يكن إلا لمصلحته وليس ذلك من عداء نصب له ولو تجاوز إلى غيره لانهارت الحياة بالكامل فالدنيا قائمة على نظام تام لا نقصان فيه فتقبله بالرضا والانسراح ولا تبخس أهل العدل أشياءهم.

### أهل الرضا هم أهل السعادة

إن من أهم آثار الرضا هو توجه النفس نحو السعادة الحقيقية التي يطلبها الإنسان دائما وعلى قدم وساق يسعى إليها ولكن بوسائل كلها تبعد عنها فمثله كالذي يريد الذهاب إلى المشرق وهو يتجه نحو المغرب فيسعون إليها بالمال - الذي يجلب الهم والغم والقلق والسلطة والعناوين والشهرة التي تدع الإنسان في قفص ويكون محبوسا بأعين الناس وأنظارهم ويطلبونها- السعادة - كذلك بالقتل والانتقام الذي يدعهم من دون صاحب وهكذا.

فالسعادة تكمن بأشياء لا يطيب لبعض الناس سماعها فكيف يطيب لهم تطبيقها فهي تكمن في القناعة، عن أبي عبد الله عليه السلام:- من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس<sup>(١)</sup>.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل (فلنحيينه حياة طيبة) فقال:-هي القناعة<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الحسين عليه السلام:- والقنوع راحة الأبدان وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- أطيب العيش القناعة وأنعم الناس عيشا من منحه الله تعالى القناعة، ومن قنع لم يغتم<sup>(٣)</sup>.

(١) الخصال ج ١ ص ١٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٥٥.

(٣) مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٢٣٣.

ومن قنع رزق الرضا عن الله تعالى وابتعد عن ساحة السخط وحسن تعامله معه وإذا رضي العبد عن ربه فإن الله سوف يبادل برضاه وإذا بادل برضاه سعد وأنزل عليه من البركات المادية والمعنوية ما لا عين رأت ولا أذن سمع ولا خطر على قلب بشر فمن رضى عن الله أرضاه.

فلرضا الله آثار معنوية ومن أهمها طمأنينة النفس وسلوها عن المنازعات التي تجلب الويلات للناس فالسعيد من بادل الله رضاه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: - من رضى من الله بأيسر من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى (يا أيها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية)<sup>(٢)</sup> فأصحاب الرضا هم أصحاب النفس المطمئنة ومن المعلوم إن أصحاب الانفس المطمئنة هم اصحاب السعادة...

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:- الرضا ينفي الحزن، الاتكال على القضاء أروح، الرضا بقضاء الله يهون عظيم الرزايا، ارض تسترح، إن أهنأ الناس عيشا من كان بما قسم الله له راضيا، إن رضيتم بالقضاء طابت عيشكم، كل راض مستريح، نعم طارد الهم الرضا بالقضاء، نعم لا بأس بصرف عنان الكلام إلى بيان بعض عوامل السعادة.

اعلم أن السعادة تتحقق بعاملين أحدهما:- العامل الإصلاحي - أي إصلاح النفس وكبح جماحها وتحقق التوازن في قواها وتهذيب طباعها (فإن الإنسان رق لطبعه) فإذا كان الطبع والسجية حسنة حسنت معاملته وطاب عيشه وإن كانت سيئة ساءت معيشته وتكدرت.

ولو فتشت عن أسباب الشقاء في كل مجتمع لما وجدت سوى الطباع والغرائز هذا مقتول وهذا محروق وهذا مريض وهذا مسجون... الخ، كلها

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) سورة الفجر / آية ٢٨.

أسباب الخصال السيئة حتى الاعتداء على الناس الأطهار سببه الطباع والصفات السيئة عند المعتدي من الحسد وغيره فلو خلع العالم من هذه الأمور التي نتكلم عنها لسعدت ولكانت الدنيا جنة يتبوأ الإنسان منها حيث يشاء.

ولصافحته الملائكة ورأى ملكوت السموات والأرض في الدنيا قبل الآخرة وإن لم يكن معصوماً أو نبياً أو غير ذلك لشهادة القرآن والعيان وحديث أهل البيت عليهم السلام.

والأمر الثاني:- وهو كائن بعد تحقق الأمر الأول ويكون بتوفر عوامل نظامية في حياة الفرد:-

- منها:- اختيار الدار الواسعة فإنها من سعادة المرء أن تكون داره وسيعة.
- ومنها:- الزوجة الصالحة والولد البار.
- ومنها:- أن يكون عمله ومكسب رزقه في بلده.
- ومنها:- المركب الهنيء وهذه الأمور على بساطتها تحتاج إلى كلام لا يسعه المقام.

### أفضل عوامل السعادة

ونحن ذاكرون أفضل عوامل السعادة للفرد بل قد يتعذر الجميع وينحصر بذلك العامل ويعد أهمها وهو تكييف النفس والروح لقبول ما يلاقه من هذا العالم فالنفس بيدك ولكن غيرك ليس كذلك فاعتمادها والتوجه إليها أفضل من أن تتعب نفسك في صلاح غيرك من أبناء جنسك أو قد حتى أفراد عائلتك فإذا انبسطت النفس وانشرحت وتكيفت لمواجهة أخلاق الناس واعتاد عليها بشكل لا يضر في علمه وحكمته وشخصيته يكون حينها سعيداً لذا يذكر على لسان أمير المؤمنين عليه السلام:- (إن من عرف أهل زمانه لا يحزن)<sup>(١)</sup> فإذا عرفت إن العامة

---

(١) اكمال غرر الحكم.

تغدر وتمكر وتكذب فلو تعاملت معهم ورأيت ذلك معك سوف لا تتفاجأ بخلاف لو اعتقدت الصلاح والإيمان والأخلاق الفاضلة والوفاء ثم بالتعامل ظهر لك الخلاف فإن هذا سوف يسبب لك الحزن والأسى وربما بعض العقد النفسية ولذا ينبغي تكيف النفس على طبع الدنيا فإنها طبعت على كدر وبلاء ومحن ومكلف الدنيا ضد طباعها كالتالب من الماء جذوة نار ولهذا يقال أن العاقل ومن كمل عقله وأصحاب التوكل والرضا لا يحزنون فيكون احدهم في الشدة كما يكون في الرخاء وهذه الحقيقة نجدها في الكثير من الحيوانات التي تعيش في المناطق الباردة فأنها تتكيف معها وبعض منها يتغير بتغير الفصل في الصيف والشتاء بما يقتضي حالهما.

ويذكر إن ملكا كان يخرج في بلدته ماشيا فتخدشت قدمه من المسير فأمر بأن تفرش البلدة بالجلد فاعترضه الوزير قائلاً هذا يكلفنا الكثير والأفضل أن نصنع لك حذاء من الجلد ولا يكلفنا سوى قطعة صغيرة وامش بها أين ما تريد فاستحسنها ومنها كانت صناعة الأحذية فهي على فرض صحتها - هذه الحكاية - فيها العبرة وهي أن تغير العالم والناس يكون ذا مؤونة كبيرة ولكن تغيرك نفسك مؤونته أقل ومضمون النجاح كي تسعد.

فاللازم مع كل ذلك تكيف النفس على أفعال الله تعالى من حر وبرد ومطر وغير ذلك وإلا فأنت لا ينفعلك إذا جزعت أو رفضت ففي كل ذلك أن لا حول لك ولا قوة وللكلام تنمة نذكرها في محلها بإذن الله تعالى.

### طريق لتحصيل الرضا

اعلم إن من أهم الطرق لتحصيل الرضا أن يعلم الإنسان علماً يقينا أن كل ما في هذا الكون وما يحدث فيه من قضاء وقدر هو في مصلحته مهما لبس من لباس الكدورات والمنغصات ولينظر إليها كما ينظر إلى ما يفعله الطبيب من إجراء العملية وزرق الإبر بل المقام أعظم وإن فهمه قاصر عن إدراك ما يصلحه ويوجهه

نحو المنافع الحقيقية ولقصوره فهو ساخط لذا عد الأئمة عليهم السلام صبرنا أعظم من صبرهم على البلاء لأنهم يصبرون على ما يعلمون - ونحن نصبر على ما لا نعلم وإن يرسخ هذه الفكرة في نفسه ويعشقها حتى تستضيء له حقيقة هذه الفكرة ويياشرها قلبه وإن يقوم بمطالعة الروايات والأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام بكثرة ليعلم من خلالها إن القضاء الإلهي في الناس على مقتضى حكمته وعلمه بما يصلحهم فبعض الناس يقضي عليهم الفقر وآخر الغنى أو المرض أو الصحة وهكذا لعلمه بمقتضى الأمور وينور قلبه بهذه الحقيقة حتى تشرق نفسه نحو قوالب صناعة العالم ومعادن الناس وسوف نذكر جملة من الأحاديث المباركة بإذنه تعالى.

### الرضا بأفعال الحق تعالى

من غفلتنا نحن نقول عند سقوط الأمطار أو هبوب الرياح أو حرارة الجو ما ينافي التسليم له تعالى فنكره أفعاله تعالى فينا مع ابتنائها على المصلحة والواجب هو محبتها والإقرار بها وشرح الصدر إليها لكونها أفعال الحق تعالى ومن أحب أحدا أحب أفعاله وأقواله.

والمهم بيانه أن هذا الاعتراض والكلام الذي يصدر ومن دون وعي أخلاقي يجنبنا عن نيل المعارف والعروج للحق تعالى ويؤخرنا عن المنازل العظيمة يوم القيامة لذا نقول جميعا بلسان زين العابدين عليه السلام مستغفرين: - اللهم أني اعتذر إليك من جهلي واستوهبك سوء فعلي واطممني إلى كنف رحمتك تطولا واسترني بستر عافيتك تفضلا، اللهم إني أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك أو زال محبتك من خطرات قلبي ولحظات عيني وحكايات لساني توبة تسلم بها كل جارحة على حيالها من تبعاتك وتأمين مما يخاف المعتدون من أليم سطوتك<sup>(١)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية دعاءه عليه السلام في طلب التوبة.

## جولة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

لنأخذ جولة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام فإنها تجلي القلوب وتحث وترغب على اكتساب المكارم ومن الله التوفيق فقد ورد في الحديث القدسي: خلق الخير والشر فطوي لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل ثم ويل لمن قال: لم وكيف؟<sup>(١)</sup> من المعلوم أن القائل لم وكيف نابع عن الجهل والحماسة التي إذا لم تعالج استحق العقاب والوعيد فبعض الناس لا يعترضون على طيب كافر - لأجل خبرته ومهارته ولكن يسمح لنفسه أن يعترض على الحق تعالى الذي فعله لا يشوبه الباطل وخلق الخلق بعلمه وحكمته.

وفي خبر آخر:- أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليخذ ربا سواي<sup>(٢)</sup>.

وفي مناجاة موسى عليه السلام:- أي رب! أي خلقك أحب إليك؟ قال:- من إذا أخذت منه المحبوب سالمني قال:- فأأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال:- من يستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي<sup>(٣)</sup>.

وفي خبر أيضا: قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حيث يلقاني ومن سخط فله السخط مني حيث يلقاني.

وقال باقر العلوم عليه السلام:- من سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المحاسن ج ١ ص ٢٨٣.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٧٩.

(٣) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٧٩، ص ٩٠.

(٤) ج ٢ ص ٦٢.

وعن صادق أهل البيت عليه السلام:- كيف يكون المؤمن مؤمنا وهو يسخط قسمته ويحقر منزلته والحاكم عليه الله وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له<sup>(١)</sup>.

وفيما أوحى الله به إلى داوود عليه السلام:- تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن أسلمت لما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد.

### الشكر وضده الكفران

الحمد لله من أول الدنيا إلى فنائها، والحمد لله من أول الآخرة إلى بقائها، الحمد لله على كل نعمة، الحمد لله كما يستحقه حمدا دائما، الحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات العدم إلى نور الوجود، والحمد لله الذي اصطفانا من بين العدم في زمن كشفت فيه الظلم بنور النبي الأكرم، والحمد لله الذي رزقنا الإيمان فحرم أجسادنا على النار، والحمد لله الذي اختصنا بمحمد وآله الأطهار، والحمد لله الذي أسكننا أشرف البقاع والديار، والحمد لله الذي أزال عن قلوبنا الأغيار ورد عنا كيد الأشرار، والحمد لله الذي أولدني من أبوين مسلمين ومؤمنين وشيعيين ولو لم يكن ذلك كائن لما كان، والحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، والحمد لله الذي ألان لنا الحديد وعلمننا منطق الطير<sup>(٢)</sup> وذل لنا الجبال الرواسي ورزقنا كنوزها وأسكننا أرضه نتبوا منها حيث نشاء ورزقنا من بهيمة الأنعام وشفانا من الأسقام والأوهام وسلك بنا طريق الأعلام وأدركنا من العالم النظام وشرفنا في أشرف مقام وشق لنا طريق الفضائل في أعظم الموانع والزحام وأخرجنا من رق العوام وشرفنا بشرف الإسلام، والحمد لله والشكر على

(١) مشكاة الانوار ص ٣٠٢.

(٢) بالتدبر يعرف مراد الكاتب.

نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والحمد لله الذي رزقنا شكره وهدانا إليه وأخرجنا بشكره من مقام البهيمية إلى مقام الإنسانية.

فالإنسان أسم لا يصلح وضعه إلا على الشاكرين بشهادة العقل والوجدان فمن لم يشكر يكفر وينزع منه رداء الإنسانية ويجلس في حظيرة البهائم والعجاوايات بل قد تترفع عنه كما قال تعالى في كتابه (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)<sup>(١)</sup>.

فالحمار سخر لحمل الأثقال فهو يحمل ليل نهار عاملاً بوظيفته للشريف والوضيع على حد سواء ويسبح بحمد ربه - كما ذكر القرآن والسنة لا تضربوا البهائم على وجوهها فإنها تسبح الله تعالى (ورب دابة خير من ركبها). فشكر الحق تعالى فرض من العقل والمنطلق الأول للعبادة فهو المحرك الأول والمبدأ الأول الذي ينطلق منه الإنسان اتجاه الحق.

فأول ما أراد الإنسان الاعتراف بالإلهية والعبودية انطلق من مبدأ الشكر له تعالى فالشكر في ساحة النفس ارض لكل العبادات من الصلوات والزكوات وغيرها.

فالاهتمام به يعد من أهم الفرائض وترسيخه في النفس من أوجب ما وجب فطرة وعقلاً وقرآناً وسنة فشمع عن ساعدك وأوجب النزال لهذه النفس الجزوعة المليئة بالكفران ولا تطلق لها العنان فتخسر بذلك الجنان وبادر شكر الواحد المنان قبل فوت الأوان.

والقلم في هذا المقام يشعر بالنقصان والتقصير والكلالة اتجاه هذه الصفة وما يستحق أن يقال فيها من البيان فهي كما قلنا مبدأ لكل أطوار وأصناف العبودية وهي سور النعم كلها فالتقصير فيها معناه هدم السور وإذا هدم السور سهل العبور...

وكيف ما كان فنحن ذاكرون هنا ما يسمح به المقام وإن كان قد خالفنا  
الالتزام فالعذر لله ولكم.

## مراتب الشكر ومقاماته

### الشكر له أركان ونحن ذاكرون أهمها: -

- الأول: - معرفة صاحب النعمة ومعرفة صفاته وخصائصه وما يتعلق به من أمور؛ لأن الشكر مع عدم المعرفة للمنعّم كفر فمن لم يعرف الحق لم يشكره وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فيفضل الإنسان عن طريق المنعم ويتجاوز الحدود ويكون مسيئاً أكثر من أن يكون مطيعاً وشكوراً فلو جهل صفات المنعم وعرف المعرفة الإجمالية فسوف تكون هناك إخفاقات في حق المنعم ربما تؤدي إلى إسقاط العبد بنظر الحق تعالى وهناك تجاوزات تحصل من الكثير من عامة الناس بسبب جهلهم بالله تعالى وصفاته فيقوم بعض الناس بأفعال تسخره بدلاً من أن ترضيه من دون تعرض لما يحدث من العوام فإن ذكر أفعالهم يحدث زلل الأقدام ويشين شخص الأعلام.

وبذلك نطق القرآن الكريم بالثلة التي تشكر الحق تعالى قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) <sup>(١)</sup>.

- الركن الثاني: - معرفة النعمة: - بل يقال هكذا معرفة حجم النعمة لأن قول الحق تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) <sup>(٢)</sup>.

فالإنسان لو سجد طوال عمره حتى انخلعت مفاصله وتقطعت أوصاله لما أدى شكر نعمة واحدة لحجمها العظيم ولو عبد عبادة الثقلين لما استحق محو سيئة، هذا يأتي بالتأمل والتفكير والتدبر.

(١) سورة فاطر / آية ٢٨.

(٢) سورة النحل / آية ١٨.

فيروى إن هارون الرشيد قال لرجل حكيم:- سلني أعطيك ففي مثل هذا الحال طلب هارون شربة ماء وكان ذلك الحكيم والعالم جالسا.

فقال له الحكيم في مثل هذا الحال:- لو منعت عن هذه الشربة بكم تفتديها؟ قال:- بنصف مالي.

قال:- لو شربتها وحبست في داخلك بكم تفتديها لكي تخرج.

قال:- بالآخر! نصف المال الثاني.

قال:- ملك هذه قيمته فأنا به زاهد.

فيا أحبتي نحن نملك من النعم ما لو تركنا كل شيء لكي نتدبرها ونتصورها لما وصلنا إلى معشار قيمتها، بعض الناس تدفع الملايين من الدنانير لتحصل على مولود يؤنسهم وبعضهم الآخر يعطي لامراته الموانع للحمل فهل شعروا هؤلاء بالآم وفقدان الذين حرموا هذه النعمة من أصل ما لا نهاية من النعم.

وعليه فدورنا التفكير في حجم النعم التي نحن بها وعليها ليكون ذلك عاملا ومحفزا على تحصيل الشكر بمراته الثلاث بإذن الله تعالى ولكي لا يكون حالي كالحمار يحمل أسفارا.

- الثالث:- المعرفة بشكر كل نعمة وما يناسب معها فالشكر كما علمتم في غير مرة حصن وسور منيع للنعم ومن دونه تذهب وتتجافى صاحبها فما لم يبالغ الإنسان بشكرها الذي يناسب معها ذهبت عنه لكي يشعره الله تعالى بها بواسطة فقدان لها وهذا من أمر العقوبات لأن النعم إذا نفرت لا تعود وطالما حفل الناس بنعم ولكن لما لم يرعوها حق رعايتها ذهبت عنهم وأحلهم دار البوار - وهذا ليس كلام بالدقة وإنما نظري في هذا المقام إن كل نعمة لها كيفية من الشكر تتناسب معها فشكر نعمة الإسلام - بكيف خاص وشكر نعمة المعرفة الإلهية لها كذلك كيف خاص، وشكر اليد لها كيف خاص وشكر الرجل - والعين والأذن وإلى غير ذلك كل له شكر بكيفية خاصة.

فشكر العين ألا تنظر بها إلى الحرام وأن تمتع نظرك في القرآن وأن توصلها إلى أحوال المتدبرين في خلق هذا الكون والمنقطعين بالنظر إليه والمعتبرين بما يكون فيه.

وشكر السمع بأن لا يسمع كلام الزور والباطل والغناء وإلى غير ذلك وأن يسمع بها المواعظ والحكم وذكر الله تعالى فإن فعل فقد أدى شكرها وإلا فقد كفر.

### تأدية الشكر

إن تأدية الشكر للحق تعالى يتحقق بحسب مقتضى الحال والمقام بإظهار النعمة ضمن سلوكيات ثلاث:-

- الأول:- أن يظهر نعم الحق تعالى على لسانه (وأما بنعمة ربك فحدث) وأن لا تجردها بالضجر والكسل والشكاية كما عليه أغلب الناس لكي لا يظهروا نعم الله تعالى وكى لا يؤخذ من أموالهم شيء للنفقات أو لمساعدة الناس وهذا كله من سوء التوفيق بل وليعلموا هؤلاء أن الله تعالى يقول في كتابه (إن الله لا يحب كل خوان كفور)<sup>(١)</sup>.

فمن كان منه ذلك فقد خان الله في نعمته وكان كافرا وصريح الروايات والآيات عدت من لا يشكر كافرا ولكن ليس بمصطلح المتعارف نعم وإن كان الكافر بحسب إطلاق العرف هو ممن أنكر النعم أيضا ومن أنكر الحق فقد كفر الحق وغطاه قال تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)<sup>(٢)</sup>.

(١)سورة الحج /آية ٣٨.

(٢)سورة النمل /آية ٤٠.

وفي هذا المقام يكون الإنسان شاكرًا لله تعالى في مقام اللسان بأن يذكر الله تعالى عند كل نعمة وأن يشي على الله ويحمده بهذا اللسان الكال فإن لمقام اللسان دورًا فعالًا في تحقيق آثار لا تخطر على فكر الإنسان بدوا ما لم يمارس هذا العمل فهو جندي وهادي للوصول إلى مقامات أرفع وله انعكاسات على الشاكر كثيرة.

- منها:- أنه يبعث على السرور وترطيب القلب ويدعو إلى التذكير بنعم الله تعالى وأخطارها على القلب ويزيل الجزع والحزن والضجر ويدعو لانشراح النفس وإيجاد السرور بالإضافة إلى ذلك يكون ذلك داعيًا لله تعالى ويتعرض لزيادة النعم قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:- اغتتموا الشكر فأدنى نفعه الزيادة<sup>(١)</sup> - وهي أكثر ما تكون مطلوبة عند الإنسان - وقال عليه السلام:- شكر النعم عصمة من النقم وشكر الإله يدر النعم، النعم تدوم بالشكر، والشكر حصن النعم، والشكر زيادة، والشكر على النعمة جزاء لما فيها واجتلاب لإتيانها<sup>(٢)</sup>.

- ومنها: يعد صاحبه مزاوولا لأفضل العبادات قال أبو عبد الله عليه السلام: - من سجد سجدة لشكر نعمة وهو متوضئ كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات عظام<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: - ولو كان عند الله تعالى عبادة تعبد بها عبادة المخلصون أفضل من الشكر على كل حال لأطلق لفظة فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات وخص أربابها فقال (وقليل من عبادي الشكور)<sup>(٤)</sup>.

- ومنها:- الأمان من زوال النعم والعمل على تحصين النعم كما ذكر في قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وسوف يأتي ذلك في جملة من الأحاديث.

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٨٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٧٩.

(٣) بحار ج ٨٦ ص ٢١٩.

(٤) مصباح الشريعة ص ٢٤.

- ومنها:- يكون الشكر اللساني طريقا للرياضة القلبية التي يبتغيها العقلاء فالقلب كالطفل بآله اللسان يلتقط ما يقوله ويردده.

وأما الروايات التي تشير إلى الشكر اللساني:- عن أبي عبد الله عليه السلام:- ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال:- الحمد لله إلا أدى شكرها<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام:- وتمام الشكر قول الرجل (الحمد لله رب العالمين)<sup>(٢)</sup>.  
- الثاني:- العمل - أي الشكر العملي - قال تعالى (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور)<sup>(٣)</sup> بأن يعمل بطاعته تعالى بكل ما أمر وينتهي عما نهى وكما ذكرنا أن يؤدي حقوق الله في ما وجب على جوارحه وذكرنا جملة من ذلك وهناك خصوصيات يطول علينا ذكرها وشرحها نذكر بعض الروايات - تبين المراد قال أبو جعفر عليه السلام:- كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة ليلتها فقالت:- يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال:- يا عائشة ألا أكون عبدا شكورا؟

قال:- وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)<sup>(٤)</sup>.  
وعنه عليه السلام:- شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل (الحمد لله رب العالمين).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- شكر كل نعمة الورع عما حرم الله<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٩.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٧٨.

(٣) سورة سبأ / آية ١٣.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٧٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٤٢.

- الثالث:- الشكر القلبي: - وهذا من أعظم مقامات الشكر وأفضلها بعين الله تعالى إن الله لا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وهي أبلغ عند الله تعالى من ضرب السيوف ففي مواعظ الجواد عليه السلام: - القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال<sup>(١)</sup>.

بذلك ارتفع شأن الأولياء وعظم الله العلماء - وإلا فالإنسان من دون هذا الميدان القلبي يكون كالحمار يحمل أسفارا وكالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تركه يلهث والنخلة الخاوية - والرقعة البالية فالاهتمام بالأعمال القلبية كما ذكرنا من أهم الأدوار التي اعتنت بها الشريعة المقدسة وسوف نذكر جملة من الأحاديث المتعلقة بذلك بتوفيق منه تعالى.

فكل عمل وأمر خارجي له صورة ملكوتية في القلب وهذه الأفعال القلبية لصعوبتها ولأجل أنها تحقق الغاية المتوخاة من الأوامر والنواهي فهي بعين الله تعالى بل غاية الأعمال - هو لأجل أعمال القلب - فالذكر الكثير والصلاة والصوم... الخ لأجل القلب وليس غير فإن صلح صلح العالم كله وإن فسد فسد العالم كله وما فسد العالم إلا بفساد القلوب وعليك التدبر.

فلو لم يفسد قلب فلان وفلان ما أفسدوا العالم إلى يومك هذا و لو لم يفسد قلب ابن آدم حتى قتل أخاه ما عرف القتل إلى يومك هذا.

فلذا اهتموا به أهل البيت عليهم السلام وبينوا في خطبهم ومواعظهم ما يؤكد ذلك فعن الصادق عليه السلام أيضا: - القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من القصد إليه بالبدن وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال<sup>(٢)</sup>.

وعلى الأخوة مطالعة ومعرفة ما يفسد القلب والأمور التي تحييه ولا بأس بمراجعة كتاب - السيد السعيد - حسين دستغيب - القلب السليم - والأحاديث المروية في بيان ذلك.

(١) البحار ج ٧٨.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٢٧٥.

فالشكر القلبي ليس معناه أنك تذكره وتعظمه وتحمده في نفسك فقط بل لابد أن يبلغ من تصور النعم عندك حدا تشعر بضيق الصدر لأجل التقصير في شكره تعالى وأن تعظم النعمة عندك حتى ترى أنك أحقر من أن تستحق مثل هذه النعمة وغيرها وتصل إلى حال الغريق وأن تلاشى أعمالك كلها أمام نعمه تعالى وتصور زفريات أهل البيت عليهم السلام ما هو سببها؟

يقول إمامك زين العابدين عليه السلام:- لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك، قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك،.. وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء وقابلها بالتقصير وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع،.. فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد، تشكر من شكرك وأنت ألهمته شكرك، وتكافئ من حمدك وأنت علمته حمدك، اللهم إن أحدا لا يبلغ من شكرك غاية إلا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكرا، فأشكر عبادك عاجز عن شكرك - تشكر للمطيع ما أنت أوليته له، يا إلهي لو بكت إليك حتى تسقط أشفار عيني وانتحبت حتى ينقطع صوتي وقمت لك حتى تنتشر قدماي وركعت لك حتى ينخلع صلبي وسجدت لك حتى تتفقا حدقتاي وأكلت تراب الأرض طول عمري وشربت الرماد آخر دهري وذكرك في خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي<sup>(١)</sup>.

تأمل في كل ذلك وخصوصا الفقرة الأخيرة كيف يعيش الإمام نيران الحسرة والألم وتلتهب زفرياته لما يرى من نعم الحق تعالى وهذا كله حقيقة وفوق ما تتعقل وتصور حقيقة مثل هذه المعاني أصعب من جميع المطالب الأصولية والفلسفية

(١) الصحيفة السجادية (من دعائه عليه السلام إذا استقال من ذنوبه وتضرع في طلب العفو).

فإنها تحتاج في تعقلها وتصورها إلى معراج لا يناله إلا ذو حظ عظيم وإلا ما نراه غير ما هو عليه الحق.

فهل استشعرت أنفسنا نعم الحق وشهدت لله بالأنعام والأفضال - وكنا كإمامنا الذي نتسبب إليه أم كلامنا كلام فرعون وقارون إنما أتيته على علم من عندي - يا ترى من لم يقل هذه الكلمة؟ طوبى له وحسن مثاب.

وفي الختام نذكر ما ورد في ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام: - ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرّفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد<sup>(١)</sup> إن العبد إذا نظر إلى نعمه تعالى بقلبه وشكرها بلسانه أدى شكره .

### كيف بتحصيل الشكر

اعلم أن المؤمن يحتاج إلى ثلاثة في حياته إلى واعظ من نفسه وإلى من ينصحه وإلى توفيق من ربه وعمدة الأمور التوفيق فمن لم يوفق خسر كل شيء .  
وتفاوت العباد في الفوز بالمعاد في التوفيق والقرآن يخبر عن هذه الحقيقة ويربي المجتمع والناس على ذلك ولكن من لا يسمع ولا يبصر كيف يعقل قال تعالى (وما توفّقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) فطلب الشكر من الحق تعالى من أخلاق وسجايا الأنبياء والمرسلين والأئمة الهداة<sup>(١)</sup> عليهم السلام قال تعالى (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٨.

(١) سورة هود / آية ٨٨.

(٢) سورة الاحقاف / آية ١٥.

فالشكر وغيره لا يكون من العبد ما لم يوفق فأول الخطى أن يمنح الإنسان التوفيق وهناك بعض الأعمال البسيطة جدا لا يقدر عليها الإنسان مهما بلغ جهده وهناك أعمال عظيمة يبلغها رغم صعوبتها والفارق في ذلك هو التوفيق.

بالإضافة إلى ذلك لابد من تعقل الحياة الدنيا والسنن التي نسير عليها حتى يرى حقيقتها ويرضى بمسيرتها ويكون قانعا بما آناه الله منها وليتعرف على النعم الإلهية ويروض نفسه رياضة تفرح بأبسط الأشياء ومهما نظر إليها بعض الناس باحتقار فمن اعتاد أخذ ١٠٠.٠٠٠ دينار فإنه بعد فترة لا يفرح إذا آتاه ١٠٠٠ دينار!! وهذا من الجهل ومن سيء الأخلاق - لأن من الأخلاق السامية بأنك لو أعطاك صاحبك هدية - كعطر مثلا - لابد لك من قبوله وتقبيله وإظهار الفرح بذلك رغم عدم حاجتك إليه - فكيف بمن أغناك وربما أراد اختبارك ففشلت وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر<sup>(١)</sup>.

وفي قصة كان في جبل من الجبال رجل من العباد منزويا عن الناس وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويأتيه رزقه في كل ليلة رغيف من الخبز يفطر بنصف ويتسحر بالآخر وقضى على ذلك مدة طويلة وفي يوم انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي فاشتد جوعه وقل هجوعه فصلى العشاءين وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسر له شيء.

وكان في أسفل ذلك الجبل قرية سكانها نصارى فعندما أصبح العابد نزل إليهم واستطعم شيخا منهم فأعطاه رغيفين من خبز الشعير فأخذهما وتوجه إلى الجبل وكان في دار ذلك الشيخ كلب أجرب مهزول فلحق بالعابد ونبح عليه وتعلق بثيابه فألقى العابد إليه رغيفا ليشغله به عنه فأكله الكلب ثم لحق بالعابد ثانية وأخذ في النباح والهرير فألقى إليه العابد الرغيف الآخر فأكله ثم لحق تارة أخرى واشتد نباحه وهريره وتشبث بأذيال العابد يريد تمزيقها فقال العابد - :

(١) روضة الواعظين (ط. قديمة) ج٢، ص ٤١٣.

سبحان الله إني لم أر في حياتي كلبا أقل حياء منك! إن صاحبك لم يعطن إلا رغيفين وقد أخذتهما مني فماذا تطلب بهيريك وتمزيقك ثيابي؟  
فأنطق الله تعالى ذلك الكلب فقال:- لست أنا قليل الحياء اعلم أني ربيت في دار ذلك الشيخ أحرس غنمه وأحفظ داره وأقنع بما يدفعه لي من عظام أو خبز وربما نسيني فأبقى أياما لا أكل شيئا وربما يمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه طعاما ولا لي ومع ذلك لم أفارق داره منذ عرفت نفسي ولا توجهت إلى باب غيره بل كان دأبي أنه إن حصل شيء شكرت وإلا صبرت أما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان منك تحمل حتى توجهت من باب رازق العباد الذي لا ينسى أحدا إلى باب إنسان مثلك فأينا أقل حياء أنا أم أنت؟  
فلما سمع العابد ذلك ضرب بيده على رأسه وخر مغشيا عليه وما أجمل ما قيل على لسان هذا الكلب الوفي:-

أنا كلب حقير قذر ولكن لي قلب خال من الأدغال  
- وما يساعد على تحصيل الشكر هو الدعاء وكان الأولياء والصلحاء يدعون الله تعالى ليوفقههم لتأدية شكره تعالى - كما ذكرنا لكم في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام- وما ورد في بعض الآيات المباركة (رب أوزعني أن شكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه).  
- ثم ليتأمل كل واحد منا ما ورد من الدم من الله تعالى في حق هؤلاء الذين لا يشكرون قال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) فمن لم يشكر فهو في ساحة الذم والعصيان منسوب للكفر ومن أهل الشقاء.  
- وما يدعو كل واحد منا لأن يكون شاكرا له تعالى هو نفس حب النعم فإن بقائها مرتهن بالشكر كما ذكرنا لكم من أن الشكر حصن النعم ومن لم يشكر فقد عرضها للزوال عن أبي عبد الله عليه السلام: - لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير<sup>(١)</sup>.

## الطمع وضده اليأس

قد يتبادر بدوا أن الطمع هنا الصفة المذمومة التي يذمها العقل والنقل إلا أنه ليس كذلك لأننا نتكلم عن جنود العقل والطمع الصفة الذميمة ليس كذلك بل هي من جنود الجهل كما سيأتي وضدها القناعة إذا ما المراد من الطمع الذي ضده اليأس وهذه نقطة يجب تفهمها علميا حتى يمكن العمل بها.

هنا الطمع يراد منه توجه النفس بعامل الرغبة نحو عطاء الحق تعالى أي طمع في الرحمة الإلهية الواسعة وحث عليه القرآن (وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين)<sup>(١)</sup>.

ويقول في وصف المؤمنين (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)<sup>(٢)</sup>.

فكل صفة ذميمة مودعة في نفس الإنسان هي بالأصل كانت جند من جند الله تعالى ولكن لما طغى وكفر خرج عن ساحة الحق تعالى وصار عدوا له فالتكبر جند من جند الله ولكن لما كان لغير الله تعالى صار جندا من جنود الجهل اليأس فهو في أصل الحقيقة جند من جند الله ولكن لما صار في غير موضعه المخصص له أصبح جندا من جنود الجهل فلو كان هذا اليأس - اليأس عما في أيدي الناس - ما كان إلا جندا من جنود العقل ومن جنود الله تعالى.

وهكذا حال الطمع فلما كان في موضع سخط الله تعالى كالطمع بهذه الأشياء الفانية ويودع صاحبه في وثاق الذل أصبح من جنود الجهل إلا أنه إذا صار طمعا بعطاء الله وثوابه وجنته وجزائه وحرك العبد نحو العمل لكسب الجنان والمقامات الآخروية فهو من أعظم الجنود التي تدفع عامة الناس نحو العمل.

(١) سورة الأعراف / آية ٥٦.

(٢) سورة السجدة / آية ١٦.

والطمع يختلف عن الرجاء الذي ضده اليأس أيضا بأن الرجاء أن يعمل الإنسان عملا ويرجو بذلك العمل الثواب باستحقاق من دون أن يشربه بالجزم على الله تعالى فلا تجزم على الثواب فيقال يرجو لذا يقال للمزارع كم ترجو من زرعك هذا؟

فهو لما لم يجزم بالنتيجة وإن الأسباب ليس بيديه بتمامها فيقال كم ترجو فهو ترقب بعد العمل وقد يأتي الرجاء بمعنى - الطمع - أي يراد معنى الطمع. ويأتي بالطمع ويراد منه الرجاء توسعا وتسامحا وأما الطمع فهو الرجاء وزيادة ولم ينظر به العمل في كل أحواله وهي صفة نفسانية يجب التحلي بها اتجاه الحق تعالى قال تعالى حكاية عن عبده إبراهيم عليه السلام (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين).

فمن المعلوم أن توقع الغفران منه تعالى ليست باستحقاق فالعبد إذا أذنب لا يستحق الغفران بأي شكل من أشكاله فلما لم يكن كذلك فهو طمع بالغفران لا رجاء، نعم هذا الموضوع يحتاج إلى إيضاح أكثر لا يسعه المقام نسأل من الله التوفيق.

ويمكن أن يقال أيضا أن الطمع هو الرجاء وحسن الظن اتجاه الرحمة الإلهية من غير أخطار العمل في نفس العبد فلو كان الإنسان يعمل لله ليل نهار إلا أنه ليس في نفسه قيمة لإعماله اتجاه طلب الرحمة الإلهية فهو يطلب الرحمة عاري عن الأعمال مع وجودها.

وكذلك يصدق معنى الطمع ما لو رجا فوق استحقاقه من الثواب فالعبد المؤمن العاقل الذي يتأمل في خطى حياته أنه يرى عطاء الحق دائما أكثر مما يستحقه وفوق ما يتأمله فعطاء الحق في الغالب فوق ما يتمنى العبد لنفسه فكذلك يوم الدين ليطمع في المراتب العليا التي لا تنالها الخواطر ولا تتحملها الحواس والحال الذي نحن عليه فإننا نأمل من الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ونطلب

أن يعطينا جميعا فوق أمانينا وهذا كله طمع فإن الطمع بحسب العرف والعادة هو تجاوز الحد بالطلب فإذا مالت نفسه إلى ما لا يستحقه قيل لا تطمع فهذا ليس لك.

## الطمع

لما ذكرنا أن الطمع في فيض الله تعالى هو جند من جنود العقل لا بأس بصرف عنان الكلام عن الطمع عما في أيدي الناس من أنه جند من جنود الجهل وشر ما يهلك العبد ويصرف عنان العقل عن مسيرته ويخطو به الخطوات الواسعة نحو الباطل وارتكاب المآثم فهو من أقبح الصفات الخلقية وكثيرا ما أودت بحياة العباد وقصفت أعمارهم وسلبت في الدنيا والآخرة راحتهم.

وإن صفة الطمع إذا حلت في قلب العبد أحرقت بنيرانها التوحيد وسلبت منه العزة والكرامة فلا توحيد مع الطمع والطامع في وثاق الذل مهما ادعى العزة والكرامة ولا يصرف نفسه في كسب الفضائل ما لم يهذب النفس ويخلصها من هذه الصفة الذميمة فهي تمثل الخطر العظيم على دين الرجل فالطمع هو الذي جعل بني أمية يفعلوا ما فعلوا وكذلك بني العباس ومن سلك مسلكهم إلى يومك هذا.

فإذا لم يدعو العبد نفسه إلى تهذيب آثارها القبيحة فليدعوه إلى ذلك حب البقاء فالطمع كما تعلم يدفع الإنسان إلى المهالك التي تقصف الأعمار وسوف نذكر آثاره السلبية وفقا لما وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام.

أنه يخرج الإيمان من القلب:-

قيل لأبي عبد الله عليه السلام: - ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟

قال: - الورع.

والذي يخرج منه؟

قال: - الطمع<sup>(١)</sup>.

الطمع استلاب للعز:-

قال أبو عبد الله عليه السلام: - طلب الحوائج إلى الناس استلاب العز ومذهبة للحياء واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر<sup>(٢)</sup>.

صاحبه عبد:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام: - الطمع رق مؤبد، والطمع في وثاق الذل<sup>(٣)</sup>.

يصرع العقل:-

وعنه عليه السلام: - أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع<sup>(٤)</sup>.  
وهنا لنا وقفة مع هذا الحديث المبارك: - اعلم أن الإنسان يمتلك صفات عديدة في آن واحد لكن في الغالب ليس بمستوى متفق بل بعضها أكثر من بعض بالقوة وتختلف كل واحدة منها عن الأخرى .

فبعض الصفات تطغى على الإنسان فتغلب جميع الصفات فإن كانت من الفضائل رفعتة وإن كانت من الرذائل أرذلته وأسقطته وبهذا تنسب العناوين إلى الرجال، هذا لئيم وذاك غضوب وآخر طماع ورابع جبان وفي حالة الغلبة تخضع جميع الصفات تحت سلطان هذه الصفة الغالبة وتكون جندا لها وتحت سيطرتها فلو طغت صفة الانتقام - أي حب الانتقام - فسوف يكون القوة الشهوية والذكاوة والفظنة والتدبير وغير ذلك تحت سيطرة هذه الصفة فتكون أيدي عاملة ومطيعه لها ولهذا يخاف على الناس من انحراف العالم الطلق الذلق.

---

(١) الكافي ج ٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة.

(٤) نفس المصدر.

والطمع من هذه الصفات التي تصرع العقول لقوتها فقد تجد رجلا من أهل العقل والخبرة إلا أنه يدخل في مداخل لا يدخلها إلا الجاهل فيخسر التاجر العاقل بضاعته ورجل الدين دينه وإلى غير ذلك من الأمثلة...

كل ذلك لأجل بريق الطمع الذي يعمي البصيرة (ويطفئ نور العيون أي عيون القلوب) فلهذا عدت هذه الصفة من أشر الصفات وهي تهدم الدين في لحظات قصيرة من الزمن ولك عبرة في من سلف من أتباع الباطل أمثال عبيد الله بن زياد وشمر وغيره لكن تأمل يا عزيزي في أحوال هؤلاء وأمثالهم وكل من حدا حدوهم أين هم وإلى أين صاروا وماذا جمعوا وأين الذي ادخروه فلك فيهم عبرة.

أما والله ليتمنى العبد يوم القيامة أنه لو أعطي قوته فقط الذي يسد به رمقه!! لشدة وهول ما يراه:-

- يوم يرى الناس سكارى وما هم بسكارى.
- يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.
- ويوم تضع كل ذات حمل حملها.
- يوم القلوب لدى الحناجر كاظمين.
- يوم تشقق الأرض عنهم سراعا.
- يوم بكى به العصاة دما وقيحا.
- يوم الأيدي لدى الأعناق.
- يوم نار تأكل بعضها بعضا.
- نار تذر العظام رميما.
- نار يصول بعضها على بعض.
- سوداء لا نور فيها.
- لا ترحم متضرعها.
- تلق سكانها بأحر ما لديها.

- نار ترهب الملائكة الصالحين.
- نار تلتهب وتزداد لها كلما غضب مالك.
- فما أضعف أبداننا التي تؤلمها الوغزة وتمرض من أتفه الأسباب وقد جربناها بنار الدنيا التي أعددناها لطعامنا فكيف بنار أعدها جبار السموات والأرض لعظامنا!!! نسأل الله الرحمة والعفولنا ولكم أنه واسع عليم.

### الصورة الغيبية للطمع

اعلم أن معيار وميزان الصورة الغيبية والبرزخية ويوم القيامة هو القوى النفسية والملكات التي حصل عليها الإنسان من جراء أعماله اليومية وما اقتناه وجناه في مسيرته ففي هذا العالم لا تظهر الصورة الغيبية للإنسان فترى كل الناس على الأشكال التي هم عليها والمقبولة عندنا إلا أن الحقائق الآخروية سوف تظهر غير ذلك.

فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان فيكون مظهر الإنسان يوم القيامة بما يناسب تلك الملكات والقوى التي طبعت نفسه عليها:-

- فإن أصحاب العصبية يحشرون على هيئة الشياطين.
  - وأصحاب المكر كذلك هيئة الأبالسة.
  - وأصحاب الطمع كالنمل الذي يجمع ليل نهار.
  - وأصحاب الغضب كالحیوان المفترس وهكذا...
- والمتكبرون كالنمل فإن الوارد في حقهم أنهم نمل الآخر وذلك لمناسبة حقيقة أنفسهم فإن أنفسهم بهذا المستوى من الصغر والفراغ ولو نضجت نفوسهم لانحنت وتواضعت كما في السنبله فأنها إن نضجت انحنت وإن فرغت شمخت.

وألفت نظر الأحبة من الأخوة إن لكل صفة ومملكة صورتها البرزخية وإذا اجتمع عدة خصال فإن صورة صاحبها على هيئة تحسن عندها القردة والخنازير لنص الروايات والآيات (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي

سويا....<sup>(١)</sup>) هذا الذي تنقلب عنده الحقائق وينقلب أسفله أعلاه ملكوتيا وكأمثال الذين يرون المنكر معروفا والمعروف منكرا!!

## التوكل وضده الحرص

إن للتوكل معاني يعرفها الناس بمستوياتهم وكل هذه المعاني والبيانات لا تنفعنا في المقام إلا أنني أذكر كلاما يكون عاما في كثير من الألفاظ كالتوكل والعبادة والتوجه للحق تعالى والصبر.

فإن كل هذه الألفاظ نسبتها من المعرفة لدى الناس وما هي عليه من المعاني الحقيقية لا تتعدى المجاز لذا عندما تقول: - لأحد منهم توكل على الله.

قال: - إنما أنا متوكل وليس عندي غير الله، لكن لو فتشت قلبه لما وجدت شيئا ومعنى ينسب إلى الله.

وإذا قلت له: - ادعو الله.

قال: - إنما أنا أدعو!

سبح الله، أذكر الله.

قال: - أنا أفعل هذا وهذا وهذا!

الخلاصة:-

أنهم بعيدون كل البعد عن معرفة حقائق هذه الألفاظ ومعانيها ولنشرح في بيان المعرفة الحقيقية للأشياء وكيف تكون فإن معرفة الأشياء حقيقة وراء التصورات الذهنية والهواجس النفسانية ولها تجليات في النفس تحدث آثارها الحقيقية والمتوخاة منها وعدم حصول آثار بعض المعاني والمعتقدات هي نتيجة عدم حصول المعرفة الحققة وعدم وصولها إلى مرتبتها التي تقتضي حصول الآثار.

فتصور النار ورؤيتها شيء ومعرفتها شيء آخر فلا يقال لمن رأى النار أنه عرفها بل من أحرقته النار هو العارف بها ولذا كانوا يطلبون أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة من الله تعالى فهم والنار كمن أحرق بها واللجنة كمن تبوأ بها. ولهذا ترتعد فرائصهم عند سماع الوعيد وإلا أنا وأنت نتصور النار مئة مرة ما كان يحدث إلا التجري على المعاصي لذا فالجرم عندما يتوعدوه بالعذاب لا يعترف مع أنه يعرف التعذيب منهم لكن لما يذوق العذاب تجلت له الحقيقة وحقا ما قيل من لم يذوق لم يعرف وعليه فإن هذه الألفاظ التي نرددها على ألسنتنا من شهادة لا إله إلا الله، إياك نعبد وإياك نستعين... الخ.

كلمات لم تعرف معانيها إلا للخلص من عباده تعالى فكل من طرق باب الظالم واستعان به وتوجه إليه بقلبه وخضع لسطوته وغناه ما هلك ولا كبر ولا عبد ولا استعان بالله قط فحضه منها الألفاظ والقلقاة اللسانية وظلمات الجهل والنفاق.

فلو فتش الإنسان قلبه ماذا يجد من التهليل ومن التكبير كيف يعظم الله من عظم الملوك - فالله أكبر - كلمة ضد الكفر والإلحاد وضد الظلم والطغيان فهم يحاربوننا على مصداقية هذا اللفظ فلا تجد من كبر وهلك حقيقة يلجأ إلى من لا يساوي رجيعة على ما ذكره السيد حيدر الحلبي رحمه الله تعالى.

فإذا عرفنا ذلك لا بد أن تفرغ أنفسنا إلى معرفة حقائق هذه الألفاظ قبل أن يفوتنا العمر وينفذ الصبر من جراء ضعف القوة والبدن فليس لنا عمر نوح عليه السلام إنما أعمارنا من مضحكات الثكلى ثلاثون سنة سكر الشباب لا يدري ما يقول وبعدها ضعف في ضعف وشكاية ثم تفاجئنا النهاية وكأنه لا بداية وبذلك قد خسرنا الغاية.

وعلى أي حال ففي هذا المقام نريد التركيز على خصوص معرفة التوكل الذي نحن بصدده ومن الله التوفيق.

## معنى التوكل

يعد التوكل من أفضل درجات الموقنين وهو أحد الأسس التي يبتنى عليها الدين عند كل امرئ فمن لم يرزقه فاته الدين وأصبح العوبة السلاطين. وهو أن يفوض أموره كلها إلى الله تعالى وأن يكون بين يدي الله كالميت بين يدي غاسله وأن يكون كالطفل بالنسبة لأمه في مطعمه ومشربه وأن ينفي عن نفسه الحول والقوة وينسبهما لله تعالى وحده ويرى قلبيا أن المدبر لأموره هو الحق تعالى فالسابق منه كاللاحق ولا يضع موضعا لنفسه في تحقيق أموره ورفع شأنه فالذي أخرجه من الوجود إلى العدم هو الذي هداه من الظلمات إلى النور والذي غذاه في بطن أمه واعتناه في رحمها هو الذي رزقه في كبره هذا لهذا وأن يرى نفسه مصباحا نيرا وما نوره إلا بالله تعالى فلو انقطع الفيض والمدد الإلهي لكان هباء منثورا.

وإن نظر إليه الناس بما عنده من الإبداع والخير فإنه كنور المصباح، الفخر للتيار الكهربائي والنور فضل الكهرباء ليس غير فليرى نفسه هكذا ولا يكون عندما تتحقق أمانيه بفضل الله تعالى كقارون (إنما أوتيته على علم) فنسب الفضل لنفسه ولم ينسبه لله تعالى لذا طمس الله خيره ليريه ما هو عليه وهكذا يجب علينا أن نحذر من تسللات إبليس لهذه النفس الخبيثة المتحالفة مع علينا بأن لا نجعل ما عندنا من الخير هو نتيجة ذكائنا وما شاكل ذلك حتى يسقطنا من نظر الله ويطمس ما عندنا من العطاء بصورة ذكية جدا لا يلتفت إليها إلا من أنار الله له البصيرة... وليعتبر أحدنا بمركز الفيض الإلهي والعطاء الرباني الذي كان الوجود كله رشحه من رشحاته وشعاع من نوره النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه مع كل ذلك كان يقول: - (ربي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين...!!) نعم إن وكل الله العبد إلى نفسه طرفة عين هلك وما كان يحسن شيئا أخي الكلام في ذلك كثير فكن لنفسك نصير واسمع وتدبر.

انظر إلى الإنسان منذ أن خلقه تعالى كيف صارع الحق تعالى ونسب لنفسه عمارة الكون وأنه هو ليس غير فأين كان بعد تصرمه بتصرم الزمان فليكن لك في غيرك عبرة والعاقل من وعظ بغيره.

فإن كنت طبيبا فلا تتكل على طبابتك ومهارتك في ذلك فكم وكم أعياء الأطباء أمراضهم وأكثرهم يصابون بنفس اختصاصهم فأحدهم كان بارعا في معالجة الإسهال ولكنه مات به حتى لاموه الناس وقالوا له: - كيف أنت طبيب وبهذا المجال ولم تعالج نفسك فجمعهم في بيته ووضع طست من الماء ووضع فيه (مادة) فجمد الماء من ساعته فتعجبوا من ذلك!

وقال لهم: - هذا الدواء أخذته لكنه لم ينفعني فما أفعل بعد هذا (إذا فقد جاء أمر ربك) فسوف يجعل عاليها سافلها وإذا كنت حافظا فطالما تخونك في أبده الأشياء والمعلومات والمسلمات.

وإذا كنت عالما مفكرا فطالما أخفقوا وإن كنت ذا ثروة فانظر كم طمس الله أموالهم وأركس ديارهم فهي خاوية وتمرون عليهم بالليل والنهار أفلا تعقلون!! وإن كنت من أهل القوة الجسدية فقد أهلك من هو أقوى منك ممن كان مضربا للأمثال وربما خانت به قوته في أسوء حال مثل النمرود الذي لم يمرض قط إذ قتلته البعوضة وجالوت الحصى وهكذا كل العمالقة في العالم يقتلهم عادة جند لا يرون حتى بالمجهر ولا يعلم جنود ربك إلا هو وإن كنت تاجرا ماهرا فانظر إلى من هو أدق حسابا وأكثر رقابا كيف زلقت قدمه بما لا يقوم به حتى الأطفال!؟

وإن كنت من الملوك أو أصحاب السلاطين فانظر إلى من صحب السلطان من قبلك كيف انهارت بهم الأسانيد وخانهم القريب والبعيد وتخلت عنهم المعتمدات كلها وبرزوا للواحد القهار فانظر إلى الملوك الذين صرعهم الموت موت الملك الجبار الذي ترعد السماء من خشيته ودكت الجبال من هيئته وتخاف الملوك من سطوته وإن كنت من أصحاب القيادة الماهرة للسيارة فكم تردوا من أصحابك

بأتفه الأسباب فانظر إلى نفسك أنك كالألة بيد الله تعالى وضع نفسك بين يديه باختيارك واطلبه حثيثا ليل نهار لتفوز بصحبة الملك الجبار.

ولذ بجواره في أمورك كلها صغيرها وكبيرها ولا تنظر لعظائم الأمور فتجعل الله لك بها عوناً وأما الصغائر لا تعرف الحق تعالى لأجل أنها صغار الأمور وهل يهلك الناس إلا بصغائر الأمور نظير بعض الطلبة من أصحاب الامتحان فإنهم يقرؤون المواضيع الصعبة ويركزون عليها ولكن يفاجئهم أستاذهم بالأمور السهلة فتفوتهم الدرجات لأنهم لم يلتفتوا إليها فغابت عن أذهانهم وكانت لأستاذهم الحجة عليهم.

بل عود نفسك الاتكال على الحق تعالى في كل صغير وكبير في مأكلك، مشربك، جلوسك، قيامك، رفع يديك، بسطها، قبضها...!

لا يشعر الإنسان بجهده بالمرّة بل يأنس بها، فسائق السيارة فإنه لديه أعمال كثيرة في سياقته فإنه ينظر إلى الأمام والخلف واليمين والشمال وأجهزة السيارة والمنبهات في آن واحد ولكن لا يشعر بهذا الجهد كما في أول التعلم فإنما هي ملكات أولها عناء وآخرها سعادات.

ومع كل ذلك فأنت غافل لو بذلت قصارى جهدك إلا أن تتخذ عند الله عهداً أعهد إليك ربي أنه لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا حياتاً ولا موتاً ولا نشوراً أنت مولاي في الدنيا والآخرة، اللهم لك وبك وعليك حركاتي وسكناتي فكما دبّرت باطني من حركات قلبي ومعدتي وكبدتي... فأنت قد دبّرت ظاهري فأنت معتمدي فاغفر غفلي فأني مسكين ضعيف إن نظرت إلى هذا غاب عني هذا فضع عني جهد ما كلفتنني وأنت الغفور الرحيم ولا ينافي كل ذلك العمل وطلب عمارة الحياة كما سوف نبينه بإذن الله تعالى.

## تحصيل التوكل

من الأمور التي تساعد الإنسان على حصول التوكل على الله تعالى بأن يحفظ الإنسان ما يغيب عن أذهان الجهلاء مما ذكرناه وما نحن ذاكروه من تدبير الحق تعالى إليه قبل أن يشق لك لسانا وصوت تتكلم به وتطلب الحاجات قبل أن تكون لك أيدي وأرجل تعمل بها ما تشاء وما صرت إليه بعد ذلك وتساقت الأعاظم من الناس ممن اعتمدوا على أنفسهم ووكلوا أمورهم للأسباب الطبيعية وأخذوا ينازعون الطبيعة ويصارعونها كيف أردتهم صرعى لا حراك لهم ولا أثر فلينظر إلى يدي الطبيعة اليوم كيف تبطش بجبابرة الأرض وتهجم عليهم هنا وهناك وتتسلى وتهزئ بهم وتسخر كما يفعل المتناهي بالقوة بالمتناهي بالضعف فلو تأملتها لرأيت أن يد الله تعالى من الحوادث الطبيعية لو أرادت أن تبطش بهم لما أبقيت على الأرض من باقية فهنا بركان وهناك زلزال وبجر هائج وريح صارمة والبشر المسكين يكتشف الحلول بعدما أخذت منهم مأخذها فانظر كم الإنسان صغير خصوصا إذا نظرت في صور الحوادث من الزلازل والفيضانات والرياح والعواصف فليس همتهم إلا انقراض موتاهم أو تخليص أنفسهم فاعتبر بأي سبب تحارب هذه الجند التي ربما هي أبسط جند الله تعالى وهي تداعب البشر في أعظم الصراع فكيف لو أتت بكل ما عندها من قوة فأين قوة الإنسان وحوله وقدرته ومكتشفاته ومع كل ذلك تفكرون في ملك السماء؟! فهذه أشبه بشعارات السياسيين بل هي شعاراتهم ليخدعوا بها عديمي العقول أما والله لو كانت لكم أعين لما وجدتم شيئا أوضع وأضعف من الإنسان في هذه الطبيعة بل يتدارك به الحال لأن يكون أضعف من هذه النملة والبعوضة التي تتحمل الجوع لأيام!

وانظر إلى من اعتمد على الجيوش وآلات الحرب كيف سرعتهم الحياة وقتلتهم الآلات ولم تنفعهم كثرة الناس ولم تغن عنهم شيئا بل إدراك علمهم وذلوا وخذلوا فلم تنفعهم الحيل واعتبر بمن اعتمد على الحق وقواه في نفسه وأقام مملكته في قلبه مع قلته وضعف جسده وفقدان آله كيف علا اسمه ولنال من الدنيا

والآخرة عزة مثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم انظر كيف بدأ الإسلام - والحسين عليه السلام في واقعة كربلاء - كذلك.

وتأمل قول الله تعالى وما ذكره في كتابه العزيز (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)<sup>(١)</sup>.

هذا الجنس البشر عامة فهم كذلك مهما بلغوا من القوة والعزة فانظر إلى من استعان بالظالمين واستعلى بهم هل ملكوا لأنفسهم نفعاً ودفعوا عنها ضراً عندما جاء أجلهم.

وتأمل في قول إمامك زين العابدين عليه السلام في صحيفته المباركة: - (ولا تكنني إلى خلقك بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي وانظر إلي وانظر لي في جميع أموري فإنك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم أقم ما فيه مصلحتها وإن وكلتني إلى خلقك تجهموني وإن ألبأتني إلى قرابتي حرموني وإن أعطوا أعطوا قليلا نكدا ومنوا علي طويلا وذموا كثيرا فبفضلك اللهم أغني).

نعم هذا عطاء الناس وعطاء الأقارب وأما عطاء الظالمين فبيع الدين!... ثم يقول عليه السلام (ويا من لا تفني خزائنه المسائل ورأيت إن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه وضله من عقله فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا وراموا الثروة من سواك فافتقروا وحاولوا الارتفاع فاتضعوا فصح بمعينة أمثالهم حازم وفقه اعتباره وأرشده إلى طريق صوابه اختياره فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي ودون كل مطلوب إليه ولي حاجتي).

- فتأمل في دعاءه عليه السلام كيف ينتفع الإمام عليه السلام بأحوال هؤلاء الذين ذكرتهم لك ويعتبر بهم وينتفع من تقلب الأحوال بهم مما يجعل العبد يتجه نحو الحق تعالى والاستعانة به دون غيره ويبين أن في النظر إليه تصحو به البصيرة ويقوى به النظر وتحصل منه العبر.

- وإن يتعد عن الذين يتكلون في كل أمورهم على الأسباب خصوصا المادية بحيث عندما تراهم تنكر وجود الإله فهؤلاء الذين يصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بالموتى) ويا ليتهم موتى حتى يريح الله العباد منهم الذين أخذوا يغزون أفكار العالم بالسموم القاتلة للتوحيد.
- أن يمارس الخلوة والذكر الإلهي - أي يواظب على التهليل من قول لا إله إلا الله والحوقة كذلك فإنه أفضل وأعظم الأذكار وأن يباشر قلبه بذلك.
- وأن يعمل الفكر في مبادئ الأمور ومنتهاها - ليرى أن أسبابه المادية التي يتكل عليها ويجعلها عمادا له بنفسها متكلة على الحق تعالى.

### لا تيأس

اعلم أن اليأس من روح الله من أشد الذنوب وله تفرعات سيئة في حياة العبد كثيرة جدا خصوصا في كسب الفضائل فأول سبيل للشيطان على العبد إحداث اليأس في نفسه كي لا يواجه ويصل إلى هدفه - لكن الإصرار وشدة العزم والنظر في عواقب الأمور يساعد الإنسان على قطع الأيادي الإبلسية عنه. وهنا أذكرك أيها العبد أنك الآن إنسان ومحترم المظهر ومجهز بمكارم البدن والنفس وربما الآن أنت موظف أو أستاذ أو طبيب أو غير ذلك فهل سألت نفسك من أين بدايتك...؟؟ أليس من نطفة قدرة نستقدرها أنا وأنت أليس كذلك فصرنا علماء وحكماء وأساتذة... الخ.

فالذي سواك من هذا بشرا سويا أليس بقادر على هدايتك لأن يمنحك بعد المجاهدة الفضائل ومنها فضيلة التوكل ولو كانت صعبة للغاية لما ذم الحق تعالى عباده على ترك تلك الفضيلة.

أخي استخلص نفسك من قذارات النفس فإن في ترك تلك الفضيلة رذائل وليس رذيلة واحدة فإذا لم تحصل على التوكل سوف تكون ذليلا ملقا منافقا فاقدا للشخصية وللعزة والكرامة جبانا خائفا وضيعا... الخ فلا بد من تحصيلها.

واعلم أن من علمائك وحكمائك كانوا كما كنت وربما أكثر ولكن روضوا أنفسهم على ذلك حتى وصلوا وإلا فهل كان أبو ذر الغفاري أو سلمان أو عمار من الأساتذة أو الأطباء أو المهندسين أو من أصحاب الشهادات! حتى وصلوا إلى هذه المقامات الرفيعة والعظيمة ولكن السبب هو أن منافستنا اليوم على الرذائل وحب النفس والدعوة إليها لا على اكتساب الفضائل.

وأصبحنا في زمن لا تحمد عقباه الزمن الذي إذا سجد أحدنا سجدة لربيع ساعة أو نصف.. قالوا:- متصوف أو كلام لا يرحم... ومن أصحاب العلم الذين يأمرون الناس بالعبادة فأصبحت صلاة الليل من العجائب ومن يقدم إليها يداخله الرياء والعجب لهجرانها وتركها من قبل الأخوة المؤمنين...!  
والامر من ذلك هو ان البعض اصبح يبث عبادته وزيارته للائمة عليه السلام على الانترنت ليراه الناس !!!.

### **التوكل لا ينافي الطلب والسعي**

اعلم إن أكثر ما تخفق فيه العامة الموازنة في الأمور والصفات فأغلب الناس بين الإفراط والتفريط وقلنا سبب ذلك يعود إلى الجهل ولا بد أن يجعل العبد قانون الموازنة ساري في كل أموره الحياتية ويغلبه على طباعه ولا ترى إنسانا ناجحا في حياته إلا وقد وفق لقانون الموازنة وفتش عن صحة هذه المقولة حتى ترى الحق.

وهنا عندما نتكلم عن التوكل فإننا لا نقصد ترك الأعمال والسعي في كسب الرزق فإن مثل هذا يؤدي إلى ضياع الدين بأدنى تأمل ولا ينطلق من لسان عاقل قط فالمقصود هو اتخاذ الأسباب والعمل بها ومباشرتها بالبدن والنفس وإقامة الأعمال لصناعة الحياة ومع كل ذلك يكون القلب معتمدا على الحق تعالى ولا يرى لهذه الأسباب أي دور في تحقيق المآرب والأغراض سوى أنها وسائل لا تغني ولا تسمن و أما المحرك الأول هو الحق فالصورة الظاهرية للأعمال غير

الباطنية فانت تتوسل بالمحل للحصول على الرزق لكن في قلبك الرازق الحقيقي والمعطي والسبب هو الحق تعالى فلما أمر الحق تعالى مريم بهز جذع النخلة لتسقط رطباً جنياً فأراد منها تحقيق السعي والتسبب بالأسباب الظاهرية وإلا فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يسقط عليها الرطب كما كان يأتيها رزقها في المحراب - فالعبد يقوم بالأعمال ولكن يجب في كل أعماله أن لا يركن القلب إلى الأسباب وأنها الفاعل لحدوث النتائج المتوخاة منها.

وبعبارة أصرح:- الله تعالى يريد القلب له وليس فيه أحد سواه وافعل ما شئت ولو ملكت الدنيا برحبها وعملت ليل نهار وخضت البحار والأرض القفار فلما علم الله من سليمان عليه السلام أن قلبه لله تعالى أعطاه ملكاً لم يعطه أحداً من العالمين وهكذا لكثير من عباده المؤمنين فإن نزهت ساحة القلب من آثار الأسباب الطبيعية سوف ترتفع في نظر الحق تعالى بدلاً من أن توضع وهذا هو الميدان الحقيقي لنصرة الحق تعالى فليس الميدان بالأفعال الظاهرية والقوة العضلية وإنما نصرة الحق تعالى الحقيقية كامنة في توجه القلوب إليه وعدم شوبها بالأسباب المادية وجمع القول أحد الحكماء قال:- اللسان للناس!

واليد للعيال!

والقلب لله!

وقول الفصل عن أمير المؤمنين عليه السلام:- أنه مر على قوم فرأهم أصحاباً جالسين في زاوية المسجد فقال عليه السلام:- من أنتم؟ قالوا:- نحن المتوكلون.

قال عليه السلام:- لا بل أنت المتأكلة<sup>(١)</sup>....

ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوماً لا يزرعون قال:- ما أنتم؟ قالوا:- نحن المتوكلون.

(١) مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٢٢٠.

قال:- لا بل أنتم المتكلمون<sup>(١)</sup>.

### السبب الغيبي والسبب الطبيعي (المادي):

اعلم ان الله تبارك وتعالى انه جعل لكل امر طبيعي وسبب مادي أمراً وسبباً غيبياً ولا يتحقق احدهما دون اعمال الاخر وهذا شأن جميع الامور في هذه الحياة فان الولد يتحقق بعاملين : الزواج الشرعي وهو وضع النطفة في موضعها. و اليد الغيبية قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)<sup>(٢)</sup> وهكذا بالنسبة للفلاح والمزارع (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)<sup>(٣)</sup> وما هو الصحيح اعتماد السبب الغيبي فلماً بعد اعمال المادي قلباً فافهم.

### جولة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

لنتطلع في ما جاء على لسان الحق تعالى لسان أهل البيت عليهم السلام:-

#### التوكل مجلبة للعز والغنى:-

عن أبي عبد الله عليه السلام:- إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٢١٧.

(٢) سورة الواقعة / آية ٥٩.

(٣) سورة الواقعة / آية ٦٤.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٥.

## يوجب الكفاية: -

وعنه عليه السلام: - من أعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا: - من أعطي الدعاء أعطي الإجابة من أعطي الشكر أعطي الزيادة ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية....<sup>(١)</sup>.

## محل للفيوضات الإلهية والمنن الربانية: -

عن الصادق عليه السلام عن علي عليه السلام قال: - كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله نارا فكلمه الله عز وجل فرجع نبيا وخرج ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين<sup>(٢)</sup>.

بمعنى أن الذي ترجوه في طلبك ودعائك لا يكون أرجى مما غفلت عنه ولم ترجوه فإن موسى عليه السلام ما كان يرجو النبوة و إنما ذهب لأجل النار شيء بخيس من الدنيا فأعطي الدنيا بأجمعها والآخرة وملكة سبأ كذلك وسحرة فرعون أيضا طلبوا العزة عند فرعون فرجعوا وعليهم خلع العزة الإلهية.

وهكذا الكثير من علمائنا الذين أحيوا السنن والشريعة وأصبحوا منارا للناس فمنهم خرج ليكتسب لقمة العيش لشدة الفقر فرجع عالما ملأ الدنيا اسمه ومنهم من خرج ليرعى البقر فرجع العلم المقدس ومنهم من ذهب ليكون خادما فرجع مخدوما ولا أظن أحد من الناس إلا وحصلت له هذه النعمة الإلهية فيخرج ليحصل على أمر مهين وإذا ينال ما لم يخطر على باله في الدين والدنيا فمع غفلته فكيف لو رزق صدق التوكل وصدق العبودية ولينظر أصحاب المقامات العالية هل كان في خاطرهم ما هم عليه عندما طلبوا!

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) البحار ج ٧١ ص ١٣٤.

فليذكروا الحق تعالى ويعلموا أنه مدبر الأمور وهو القادر على كل شيء.... وليحدثوا أنفسهم كيف بهم لو صدقوا ما عاهدوا الله عليه.... وصدق مولانا الباقر عليه السلام:- يا جابر من هذا الذي سأل الله فلم يعطيه أو توكل عليه فلم يكفه وأوثق فلم ينجه؟

وعن أبي عبد الله عليه السلام: - في قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)<sup>(١)</sup>.

قال:- هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لأصب كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي إلا أنه قد جعل شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟  
قال: - قلت: - فيقول: - لولا أن الله من علي بفلان لهلكت قال: - نعم لا بأس بهذا<sup>(٢)</sup>.

هنا يجب أن يلتفت أن أكثر الناس على هذه المعمورة يعيشون في الدين على قشوره ولم يتغذ أحد على لبه إلا الخلص من عباده فربما نقول لولا أن من الله علي بفلان لهلكت لكن هل الذي في قلبك هو نفس ما جرى على لسانك؟ فإن القلب لو قال هذه المقولة وقال:- اللسان لولا فلان لهلك لما كان يضر لأن الصدق تبع لسان القلب لا الجارحة الخارجية فالمراد إنطاق القلب بذلك وإلا فاللسان لا عبرة به ولو كان اللسان مصداقا للإيمان لكان كل الناس موحدين!  
نعم لا يخفى على الأخوة والأحبة أن الواجب على من أسديه له النعمة أن يشكر اليد التي أعطته ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق وهناك روايات تصعق لها النفوس توجب شدة العقوبة على من لا يشكر والشكر لا ينافي ما ذكرناه.

### علامة أقوى الناس:-

(١) سورة يوسف / آية ١١٦.

(٢) البحار ج ٧١ ص ١٥٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله<sup>(١)</sup>.

### ينظر الله إلى نية العبد: -

قال أبو عبد الله عليه السلام: - أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام أنه ما اعتصم عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات من بين يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال في أي واد تهالك<sup>(٢)</sup>.

الالتفات إلى القلوب وحركاتها وتصرفاتها قليل من قبل الناس ويكاد أن يكون معدوما عند الكثير منهم ولهذا يكثر شر الناس وتحدث المشاكل والمصائب مع أن حركات القلوب وتقلباتها هي التي تحرك الأبدان فالخير منها كله والشر منها كله.

فيحركه إبليس حيث يشاء فيقول: - أنا فكرت فلا يعرف فكره من فكر إبليس ولا يشعر بذلك حتى يكون هو إبليس بنفسه ويدخل في ساحة الأبالسة ويخرج من ساحة الرحمان بالمرّة فتجده لا يعمل عملا إلا وكان للشيطان له فيه نصيب حتى لو عبد طريق الحسين عليه السلام ذهباً وأقام الدين قدماً وأحيا الإسلام أبداً وأطعم الفقراء عسلاً وصلى وصام وحج، عدداً.. الخ فلا تراه يعمل ذلك لله ولو بأدنى درجة وهذا أسوء الناس حالاً.

فلا بد من الالتفات إلى كل فكرة من أفكارك وهو اجسك وتعرضها على عقلك وكتاب ربك وسنة نبيك وشور العقلاء حتى تعرف هل هذه من إبليس اللعين ومن النفس الخبيثة أم من العقل وجند الرحمان.

(١) البحار ج ٧١ ص ١٥١.

(٢) البحار ج ٧١ ص ١٥٨.

وهناك ضابطة وليست كل شيء أنك إذا تذكرت في المشاجرات بالخير الذي فعله لك فإن هذا من الرحمان وأما إذا ذكرك بالآلام وما يجرحك فهذا من إبليس حتى يحزنك أولا ويدعوك للانتقام ثانيا....

وأقول أننا نتصفح أبداننا كل يوم ونغسلها بالماء والصابون ومع ذلك فيها ما فيها فكيف بأنفسنا وهي أسرع وأسرع للاتساخ من البدن والحال أننا تركناها سنين طوال!!

وأخبر الأخوة الأعزاء الذين استجابوا لربهم وأخذوا يفتشوا عن عيوب النفس كم سوف يشاهدون من القبائح وسوف يرون لو أن لهم عمر نوح عليه السلام لما قدروا على إصلاحها والله الموفق فكلما أصلحوا عييا وجدوا آخر وهكذا وعندها يفهم الأحاديث التي تقول طوبى من شغله عييه عن عيوب الناس - فيعرف معنى كلمة شغله.

### الرفافة وضدها القسوة

اعلم أن الرفافة من صفات الحق تعالى ومن أوثق عرى العبد لدى الحق تعالى وأوسع سبلنا إليه وأقرب طرق العصاة وهي تعد من أفضل الحبائل التي يتعلق بها الإنسان اتجاه ربه ومن منعشات القلب وأعذب ما يخاطب به الله تعالى فإن الأنفس القدسية خطاباتها بالرحمة والرفافة والسماحة والألفة والرقعة أعذب ما لديها بخلاف الجبابة فإن أنفسهم تميل وتحب الخطابات المشحونة بالكبرياء والتجبر والعنفوان وما شاكل ذلك.

والرؤوف يحب الرؤوف لأنه من جنسه وهناك أمور غيبية لا تحسها الحواس ولا تدركها الناس وهي أنه هناك خطابات واتفاقات بين الأنفس الموحدة فكريا وخلقيا وهذا ملحوظ لدى أهل البصيرة والحق تعالى كذلك مع خلقه فكان أقرب ما لديه النبي الأكرم لأنه أعظم الناس أخلاقا وهذا سر القرب ومدحه بذلك ولم يمتدحه بغيره مع رسوخ علم النبي الذي هو من رشحات علم الحق تعالى وكان

أهل البيت بالقرب كذلك والسبب نفسه وهكذا الأقرب من الحق هو قربه بالصفات والملكات وهذا الحسين عليه السلام يتشبه بعطاء الخالق فقد سأله سائل أن يعطيه على قدر مروءته؟

قال له الحسين عليه السلام:- هذا لا يكون فلو أعطيتك الدنيا لما وفى بمعنى أنه مروءتي وإنسانيتي لا يمكن أن توزنها بالعطاء المحدود.

وهكذا فلما كانت الرأفة هكذا توجب القرب نحو الحق تعالى ونحو أهل البيت عليهم السلام ولرأفتهم حصل بهم ما حصل من البلاء والشدة وفي رؤيا لرجل عاتب بها أمير المؤمنين لماذا لم تفعلوا بأعدائكم كما فعلوا بكم؟ أجابه عليه السلام اذهب إلى فلان الرجل واسأله عن أبيات قالها البارحة. فذهب إليه وكان منها:-

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتهم قتل الاسارى وطالما

غدونا عن الاسرى نعف ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

وكل اناء بالذي فيه ينضح

بمعنى أن هذا الذي عندنا فيض من الرحمة والرأفة فمن أين أتيتك بالانتقام والقسوة فما أعذب ذكر هذه الأنفس على القلوب وأعظم رؤيتها للعيون فهم جنة الله الخالدة التي ليس فيها نهي ولا أمر - لا يوجد فيها لا تقرب هذه الشجرة فتكون من الظالمين - بل فيها تبوء حيث تشاء فكلوا منها رغدا.

وهكذا ينبغي ويجب أن تكون أنفسنا حتى تقرب من هذه الحقيقة ولا نخرج من الدنيا في مصطلحات وعناوين الإسلام.

## معنى الرأفة: -

قيل فيها أنها أشد الرحمة وذروتها وسنامها وأنها أرق من الرحمة وأخص منها لأنها لا تقع بما تكرهه النفس حتى لو فيه المصلحة والرحمة بخلافها فحتى العذاب والعقوبة تعد من الرحمة ويمكن أن يقال أن لكل صفة تشعبات وأنوار تنعكس عن وجودها المستمر في الإنسان بحسب الواقع وليس تشقيقات عنوانيه فقط ليس الأمر كذلك ولا يمنع النظر إليها كونها صفة وسجية بخيالها واستقلالها فلا يوجد مانع بأن يلون لها ما يقومها ويصونها وينميها فكل ذلك لا مانع منه. والرأفة من هذا القبيل فهي من رشحات الرحمة ومنسوبة إليها وهي منها روحا وجوهرا لكنها أخص كما علمت وهي بالدقة حسبما بينا تختلف عنها كولادة العالم من الفاضل.

## تأثيراتها

إن جانب الرأفة يعد من أهم الجوانب التي يجب على الإنسان أن يراعيها وينميها في حياته اليومية وأن يسقيها بماء الحياة على قدم وساق فصفة الرأفة تعد من أكثر الصفات محاربة من قبل الواقع الاجتماعي وخصوصا في تزايد الأحداث والانحرافات الخلقية فاليوم أكثر صفة تتعرض للانهيان من قبل الحروب والقتل والتشريد هي هذه الصفة.

فالقسوة نمت في أكثر أهل الأرض وجند الناس لها إلا من عصمه الله وإن وجدت الرأفة فهي متزلزلة وفي مرتبة واطئة لا تناهض الواقع المرير فقد تجدها اليوم عند فلان لكن بعد فترة تجدها قد تصرمت منه وباتت لم يكن شيئا مذكورا وتجدها سلطنة القسوة ظاهرة حتى على وجهه فأغلب وجوه القسوة ممسوخة يراها أهل البصائر بأدنى بصيرة ومع أن الرأفة منبع الخيرات للإنسان في هذا العالم كما علمت فبالرأفة تحملوا الأنبياء جهلنا وتجاوزنا عليهم ألا ترى وتسمع كلام رسول الله عندما كانوا يضربونه بالحجارة ويلقون عليه الفرث والدم يقول رب اغفر لهم

أنهم لا يعلمون بل أخذ يحمل نفسه ما تهد له الجبال حسرة على الناس فتجد القرآن يسلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما أنت عليهم بوكيل) (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (انك لا تهدي من أحببت... الخ).

وبالرحمة تحملونا أهل البيت عليهم السلام وأخذوا يدعون لنا بالرحمة والمغفرة فلولا دعاء أهل البيت لنا لما صبرنا ساعة وهناك آيات وروايات تصرح بذلك فبقائنا بدعاء أهل البيت عليهم السلام فهم الشفعاء لنا في الدنيا والآخرة.

وبالرأفة تحملتنا الأمهات في البطون وإلا لما قدمت امرأة على ذلك العذاب مرة بعد مرة لتنجب الأطفال بل لمنعت نفسها عندما ترى صاحبته التي تلد من النساء - وبالرأفة سهرت علينا الليالي وبالرأفة أفدى الأبوان الغالي والنفيس وبالرأفة تحمل الله أفعالنا وذنوبنا وطغياننا ونسياننا له أمدا طويلا فسنين العبد يرتع ويلعب ويلهو ويفعل ما يشاء وكأنه لم يكن هناك خالق ومدبر له فيصبر عليه الله تعالى حتى يقبل الله عليه بمعروف ويجاهره ربك بالهداية الخاصة له ثم يلتفت ويرجع إليه فيقبله الله تعالى وكأنه لا ذنب له لأن الله يغفر الذنوب جميعا.

وهذه الرأفة هي التي جعلت الحسين عليه السلام يجري عليه ما جرى في أرض كربلاء.

فالرأفة هي التي ربطت المجتمع بعضه مع البعض الآخر وصانت الأنفس والأعراض وإلا كل واحد لو سلبت منه الرأفة لما وجدته إلا سبعا وذئبا ضاريا ولا ترى أثرا للإنسانية فيه قط.

### ضد الرأفة القسوة

اعلم أن ضد الرأفة القسوة وهي من أخطر الأمراض النفسية وأقبحها عند الله تعالى لأنها تمثل هلاك الإنسان وموته وموضعها القلب أي النفس وصاحبها في أقبح الأحوال الدنيوية والآخروية وهي الحجاب المانع عن كسب المواعظ والحكم وينطلق منها كل شر في هذا العالم فلولا القسوة ما سفكت دماء على

وجه الأرض ولا هتكت الأعراض ولم تنهب الأموال ولم تدك الجبال ولم تحدث الأمراض الفتاكة في البدن فكل ما يحدث في هذا العالم انتقاما من أصحاب القسوة وأسقط ما يكون العبد عندما يكون قاسيا قال تعالى (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) <sup>(١)</sup> ولو نظرت الآية بقلب غير قاس لعجبت مما يصوره الحق تعالى في حقهم.

## مقسيات القلب

### النظر إلى البخيل:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام: - النظر إلى البخيل يقسي القلب. فيجدر بأن يعاهد الإنسان نفسه رؤية الكرماء وأصحاب السماحة والجود والكرم والعلماء وأهل العبادة والتقوى فسوف يرى آثارا جلية ظاهرة للعيان وإذا رأى بعض الناس ثقل رؤية هؤلاء فليكون هذا مؤشرا على خبث سريرته ولا بد له من علاجها (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) <sup>(٢)</sup>.

### خمس تقسي القلب:-

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- خمس تقسي القلب قيل وما هي يا رسول الله؟

- قال:- ترادف الذنب على الذنب

---

(١) سورة البقرة / آية ٧٤.

(٢) سورة الزمر / آية ٤٥.

- ومجارة الأحمق
  - وكثرة مناقشة النساء
  - وطول ملازمة المنزل
  - والجلوس مع الموتى
  - قيل وما الموتى؟
- قال:- كل عبد مترف فهو ميت وكل من لا يعمل لآخرته فهو ميت.

### حب الراحة:-

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - ثلاثة تورث القسوة
- حب النوم
  - وحب الراحة
  - وحب الأكل<sup>(١)</sup>.

### ثلاثة يقسين القلب:-

- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - ثلاثة يقسين القلب
- استماع اللهو
  - وطلب الصيد
  - وإتيان باب السلطان<sup>(٢)</sup>.

### الجزارة (القسابة) تقسي القلب:-

- قال الإمام الصادق عليه السلام: - إن الجزارة تسلب منه الرحمة.

---

(١) دار السلام للمحدث الثوري.

(٢) من لا يحضره الفقيه.

### كثرة الطعام:-

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - إياكم وفضول المطعم فإنه يسم القلب بالقسوة<sup>(١)</sup>، فلو نظرت وتأملت ما عبر به النبي صلى الله عليه وآله عن القسوة بأنها سم القلب!!

### طول الأمل:-

فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: - يا موسى لا تطولن في الدنيا أملك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد<sup>(٢)</sup>، أقول لو لم يكن في القسوة إلا البعد عن الله عقوبة لكفى!

### الجلوس مع الأندال:-

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - ثلاثة مجالستهم تميمت القلب  
- الجلوس مع الأندال  
- والحديث مع النساء  
- والجلوس مع الأغنياء<sup>(٣)</sup>.

### الغفلة:-

قال أبو جعفر عليه السلام لجابر:- وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب<sup>(٤)</sup>.

### ترك ذكر الله عزوجل:-

(١)العدة ص١٠٤.

(٢)الكافي ج ٢ باب القسوة.

(٣)الكافي ج ٢ باب من تكره مجالسه.

(٤) مكاتيب الائمة ج ٣ ص ٢٧١ في وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي.

فيما أوحى الله لموسى عليه السلام:- وإن ترك ذكري يقسي القلوب.

### كثرة الذنوب:-

عن أمير المؤمنين عليه السلام:- ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب<sup>(١)</sup>.

### كثرة الكلام:-

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- كان المسيح عليه السلام يقول:- لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون<sup>(٢)</sup>.

### كثرة المال:-

عن أمير المؤمنين عليه السلام:- إن كثرة المال مفسدة للدين مقساة- للقلب- للقلوب<sup>(٣)</sup>.

### خمسة تقسي القلب أيضا:-

وعدد منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- الأكل على الشبع وظلم الناس وتأخير الصلاة والأكل والشرب بالشمال.

---

(١) علل الشرائع ص ٧٥.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ١٤٤.

(٣) تحف العقول ص ١٩٩.

## مرققات القلب

ليس من السهل لدى العقلاء أن يتسامحوا في حياة قلوبهم بل من أهم ما يشغل بالهم هو صلاح القلوب وترقيتها فإذا رقت القلوب رقت السماء على أهل الأرض وإذا قست القلوب قست السماء على أهل الأرض وبما أن كل ما في الأرض اليوم مدعاة للقسوة وصلابة القلوب اقتضى الحال لزوم والتزام كل ما يمكن أن يوازن حالة القلب ونحن ذاكرون ما يوفق الله لنا وما يتبقى ونغفل عنه نسأل الله لكم ولنا التوفيق إليه أنه سميع مجيب الدعاء...

### قراءة أحاديث أهل البيت عليهم السلام:-

إن كلام أهل البيت عليهم السلام هو كلام الله تعالى ومن فيض مواهبه تعالى عليهم فقراءتها تضي نوراً ملموساً ومحسوساً عند كل الناس ولذا ترى البهجة والسرور على وجوه الناس عندما نذكرها في مجالسهم وما ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:- يا فضيل إن حديثنا يحيي القلوب.

### خمسة تنور القلب:-

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- خمسة تنور القلب

- كثرة قراءة (قل هو الله أحد).

- وقلة الأكل

- ومجالسة العلماء

- والصلاة في الليل

- والمشي في المساجد.

### وخمسة تذهب بالقساوة أيضاً:-

- مجالسة العالم

- ومسح رأس اليتيم
- وكثرة الاستغفار بالأسحار
- والسهر الكثير
- والصوم

### رؤية العالم:-

فإنها ترقق القلوب - لأن الوارد أن من لم يزر العالم أربعين يوما قسا قلبه  
- فبمفهوم مخالف ندرك أنه من زاره رق قلبه وورد في حق رؤيتهم بأنها عبادة  
وأن مجالسهم لا يُرد الدعاء والحث على مزاحمتهم.. إلى غير ذلك من الأخبار.  
عن الباقر عليه السلام:- وتعرض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات...  
وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب<sup>(١)</sup>...

### البكاء:-

وما هو مجرب لرقة القلب البكاء فهو وسيلة جيدة لإيجاد الرقة وفي الوقت  
نفسه يعد من علامات الرقة ويحصل بأمور ذكرت جملة منها في كتاب - آداب  
الدعاء - وأشار هنا إلى بعضها مؤيدا ذلك بذكر الروايات المباركة.  
فالبكاء: ورد في مدحه روايات كثيرة وكان يتخذ عبادة ولا زال عند الأولياء  
والعلماء ويواظبون عليه ليل نهار، وفيما ورد عن الصادق عليه السلام قال:-  
بكى يحيى بن زكريا عليه السلام حتى ذهب لحم خديه من الدموع فوضع على  
العظم لبودا تجري عليها الدموع.  
فقال له أبوه:- يا بني إني سألت الله تعالى أن يهبك لي لتقر عيني بك  
فقال:- يا أبة أن على نيران ربنا معاشر لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله عز  
وجل وأتخوف أن آتيها فأزل منها فبكى زكريا حتى غشي عليه من البكاء<sup>(١)</sup>.

اللهم نسألك بحق الأئمة الهداة أن تكتب لنا من هذه المعاصر النجاة... وعن الامام الحسين عليه السلام:- بكاء العيون وخشية القلوب رحمة من الله. وتحصيله ليكن بأي شكل لا ينافي الشريعة المقدسة كالبكاء على الأحبة ثم صرفه إلى الخشية من الله أو البكاء على الحسين عليه السلام وإن البكاء عليه يعد من أفضل العبادات.

قال أبو عبد الله عليه السلام:- لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام:- من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار<sup>(٣)</sup>. وعنه عليه السلام:- من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح بعوضة غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر<sup>(٤)</sup> ومن هذا الكثير.

### ماذا يكون لو نقى القلب؟

القلب محل نظر الله تعالى وحرمة وهو المرأة التي تنعكس عليها عوالم الملكوت وإدارات الحق تعالى فمن مثل قلبه لله تعالى واستجاب فإنه سوف يرى عجائب الملكوت ويتطلع لمعرفة أهل العصمة ولا يكون عنده أمر العصمة أمرا مهما كما عند البعض من أصحاب الخسة والوضاعة فإنهما استصعبوها بعدما أركست وانتكست قلوبهم بسبب المعاصي وإلا فليس من العجيب أن الإنسان يكون معصوما بل العجيب من ألا يكون معصوما مع وجود مثل هذه الشريعة

(١) مكارم الاخلاق ص ٣١٧.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٦.

(٣) كامل الزيارات ص ١٠٤.

(٤) الاصول الستة عشر (ط. دار الحديث) ص ١٢٧.

المقدسة فما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت<sup>(١)</sup>.

وقال أبو جعفر عليه السلام:- إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا:- يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال:- ولم تخافون ذلك؟

قالوا:- إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء. أفنتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء<sup>(٢)</sup>.

فالمتأمل يرى أن هذا واقع كل أحد منا فكيف يستكثر بعض الجهلاء العلم الغيبي لأهل البيت عليهم السلام وهم أهل العبادة وسنام التقوى وكيف كان فإن إصلاح القلوب نقطة هامة في حياة الإنسان والتخلي عنها معناه موت الإنسان والبقاء في حظيرة البهائم لأن الإنسان في أول نشأته يكون غارقا في غرائز البهائم حتى لو وصل إلى صرح الرجولة ما لم يهذب النفس ويصلحها فإن الإنسانية صناعة وليست من الأمور التكوينية التي توجد بمجرد وجود عللها.

(١) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٦٧ ص ٥٩.

(٢) مرآة العقول ج ١١ ص ٢٦٤.

## الرحمة وضدها الغضب

يكفي في عظمة هذه الصفة العظيمة أنها رداء الأولياء والصلحاء والمتبادر من رؤيتهم عند عامة الناس وهي الطاغية عليهم وسربالهم وخلعهم التي يباهون بها الطغاة وأصحاب العصبية والأفكار البهيمية فبالتحلي بها صرعوا نفوس الطغاة وهذبوا الأمم وأوصلوهم إلى القمم الشاخحة ومن هذه الصفة انبثق العالم من ظلمات العدم إلى نور الوجود.

ومنها بعثت الأنبياء والرسل وبها تنعم الكفار والعصاة بنعم الحق تعالى وغطى على من جاهره بالعصيان وحلم عن الظالم العنود فهي منبع الخيرات. فالتحلي بها ضروري كما مر في الرأفة ولا يحتاج إلى برهان بعد شهادة الوجدان وإن العالم الذي تشتعل فيه القسوة ويحرقه الغضب لا يعالج إلا بهذه الصفات - الرأفة والرحمة - ونحن اليوم نحتاج في ساحتنا الواقعية أناس يتصدون إلى تربية الناس وتعليمهم مثل هذه الصفات أكثر من كل شيء في هذا العالم فلو أقمنا صفة الرحمة في الأنفس لعطلت الأسلحة ومعداتها بالكامل ولصرفنا أموالها الطائلة في فرص أخرى لبناء الحياة.

فاليوم ٩٠٪ من أموال كل دولة في العالم تصرف في تجهيز المعدات الحربية و١٠٪ منها لخدمة الناس وأعوذ بالله من أن أبالغ فيما أقول وأطلب منه العفو والرحمة.

وصفة الرحمة لها دور كبير في تحقيق سعادة المجتمعات وفي جميع المجالات الحياتية من دون استثناء من صفة الرحمة انبثق التعليم والخلق (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ومنها ترشحت صفات اللين والرحمة على الرسل حتى تحملوا أعباء الرسالة ووصل الأذى بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إن أذاه لم يكن له نظير (فبما رحمة من الله لنت لهم).

ولعظمة هذه الصفة ابتدرها الحق تعالى وابتدأها لخلقه فأول ما أشهدهم من صفاته الرحمة وأول ما أسمعههم من أسمائه الرحمة ويجب أن يري عباده أنه

رحيم رؤوف بهم وما أسمعهم أنه ذو عقاب شديد إلى من باب رحمته ولولا ذلك ما أسمعهم (سنفرغ لكم آيه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان) <sup>(١)</sup> وقال تعالى - بسم الله - الرحمن الرحيم - باسمي أنا الله - الرحمن الرحيم - ولم يقل باسمي أنا المنتقم - فتدبر تعتبر.

(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) فأراد الحق تعالى أن تكون هذه الصفة هي الغالبة على عباده المؤمنين - رحماء بينهم أشداء على الكفار - وأن يعرف الناس المؤمن بالرحمة قبل كل شيء كما عرف نفسه بالرحمة قبل كل الصفات والنعوت - لذا جاء في وصف المؤمن - أنه الشر منه مأمون والخير منه مأمول - ويدعو إمام الساجدين عليه السلام - حتى يأمن عدوي مني.

بخلاف العصاة يريدون أن يعرفوا بعلوا القدر والسطوة والإجرام لذا تراهم عندما يسرون في الشوارع بلباس التجبر والتكبر وخيلاء ووجوههم مكفهرة ويرتدون خلع الغضب دوما وأبدا وهيجان القسوة والانتقام عندهم حتى مع عوائلهم خصوصا أصحاب المناصب - حتى يصل بهم الأمر يذهب عنهم سمات الصالحين ووقار المؤمنين ويذهب عنهم ماء الوجه وتتغير بشرتهم إلى السواد ونوع من القباحة يراها أهل النور والبصائر وهذا علامة المسخ الروحي الذي سوف يتجلى في عالم البرزخ فيحشرون على هيئة البهائم المفترسة وهذا لبئس الزاد إلى المعاد- يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أنك لم تحرق الأرض ولم تبلغ الجبال طولاً- فانظر إلى من ملك الدنيا برحبها فهل غادرها بغير القطن والكفن- وأرسلت سفنهم ذنوبا ومحملات بالويلات والمحن فما كانت مناهم إلا- يا ليتني كنت ترابا- ليتني كنت بعرة- ليتني لم تلدني أمي..

وعليه فالعبد الصالح الذي يتمنى لنفسه الرحمة الإلهية والنفحات الربانية كان ملزما لأن يتصف بها لعباد الله فبقدر ما ترحم وبقدر ما تنقم ينتقم

منك فإذا رحمتك وسعت كل الناس وسعتك الرحمة الإلهية وتجاوزت عنك الذات الربانية.

ولا تنس ما ذكرته لك من كلام شيخنا وأستاذنا الفياض - دام ظله الشريف<sup>(١)</sup> - مما يحمله في نفسه من الرحمة لعباد الله وهكذا جميع العلماء والأولياء فانظر إلى إمامك الحسين عليه السلام كيف بكى على أعدائه يوم الطف لأنهم سوف يدخلون النار بسببه مستمدها من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمدوها من جدهم إبراهيم عليه السلام فلما أراد أن ينزل العذاب بقوم لوط دافع عنهم دفاعا لا مثيل له ولا نظير

فقال لهم:- هل تعذبون قوما فيهم مئة من المؤمنين

قالوا:- لا واستمر في نقصان العدد إلى الواحد

قالوا:- لا

قال لهم:- أن لوطا فيهم.

كل ذلك ليدفع عنهم العذاب فقالوا له:- يا إبراهيم قد جاء أمر ربك... وخاطب الحق تعالى فيهم (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام\* رب أنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)<sup>(٢)</sup>. فانظر وتأمل في قوله عليه السلام - رب أنهن أي الأصنام أضللن كثيرا من عبادك فنسب الإضلال للأصنام ولم يقل أضلوا أنفسهم بها ليشير عند الله الرحمة على عباده ولا يخاطبه بالنقمة عليهم فمن تبعني - فإنه مني ليس عليه سبيل لأنك أردت إتباعي وقد تبعوني ومن عصاني - فإنك الغفور الرحيم أي فلمن تدخر غفرانك أو ليس أنت الغفور أو ليس أنت الرحيم.

---

(١) مفاده ان كل الناس ستدخل الجنة حتى اليهود والنصار فإنهم مستضعفون من قبل المضلين والسلطين.

(٢) سورة إبراهيم / آية ٣٦.

فلم أر أعجب من هذا الخطاب وكأنه نفى سبيل العذاب إليهم مع ما هم عليه من العصيان.

وبهذا المقام أخذ مقام الإمامة وهذا أمر وجداني فأنت لا تسلم أمور المنزل إلى كل أحد من أولادك إلا لمن اتصف بأعلى درجات الرحمة والشفقة ولذا أعطى الله تعالى الولاية التكوينية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحساب والعقاب لأهل البيت عليهم السلام لما هم عليه من الرحمة ولا يتصرفون إلا بحض الإرادة الإلهية والصفة الربانية.

ومن هذا المنطلق نصب إمام الهدى أمير المؤمنين عليه السلام في غدیر خم ليكون للناس إماما لا لمن لا يعرف ما الأب - ولا لمن يعتريه الشيطان ويقول قوموني ولا لمن يعثو في الأرض فسادا يقتل الصالحاء وينهب أموال النبلاء ولا إلى من عرف بالغدر والنكراء ولا إلى من حملت به أمه في منى عن أبيه كذا من الصحراء...

فالرحمة هي أساس الولاية - والتفويض - وموقعها من العلم بمثابة اليد له؛ لأنه بالرحمة يعامل العالم الناس كما ذكرت الآية المباركة وفي المروي أن العالم من لم يقنط الناس من رحمة الله -

## العلم وضده الجهل

يعد العلم جناحا للعقل يخلق فيه في أجواء المعارف والهداية وهو ركيزة من ركائز الهداية وباعث لتحقيق الولاية ولولاها ما عبد الله فأول العبادة معرفته تعالى التي لا تحصل إلا بالعلم فالعلم ضده العدم لأن الجهل عدم والعدم عدم من حيث نفعه ووجود من حيث ضره وهذا واضح بالتأمل.

وقد ورد في الكتاب ما يشير إلى تعظيم العلم وسوف نذكر جملة منها ومن الروايات أيضا لكن ليعلم أن العلم يقسم إلى أصناف وإن كان أغلبه خيرا:-

العلم النافع:- علم معرفة الحق وصفاته وأفعاله وعلم المنجيات والمهلكات وعلم المعاد الذي لا تفقهه الناس مع توجههم إليه وهذا طلبه يكون عينيا كفرض الصلاة والصوم... ومن غفل عنه غفل عن نفسه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم)<sup>(١)</sup> والعلم الذي لا يضر ولا ينفع:- كعلم الأنساب وعلم التنجيم وعلوم كثيرة في زماننا هذا فلا تقع منفعتها للعقلاء... واعلم أن العلم الذي لا ينفع - فإنه يضر - لأنه سوف يصرف العمر الذي هو أثن ما يكنزه الإنسان في حياته ألا ترى إلى الجهلاء عند حضور الموت يتمنى لو يبقى لدقيقة واحدة.. مع أنه طالما فرط في سنين من عمره لعبا ولهوا... فكلمة لا يضر ولا ينفع مني مسامحة....

والعلم الضار:- علم السحر وعلوم الضلالة وعلوم لا يسمح التصريح بها لقباحتها في عصرنا الحاضر.

وعلوم قليلة النفع:- كالعلوم الأثرية وغيرها....

وهناك صنف من العلم تعلمه واجب كفائي - كالعلوم الحياتية:- التي تقع

نتيجتها في الصالح العام.. كالفيزياء والكيمياء - وبقية العلوم العصرية.

ثم اعلم أنه لما كان العمر قصير فخذ من كل علم أحسنه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فأنت تسمع هنا وهناك بعلوم شتى - فاذهب إلى خيرها - حتى في مورد الاختصاصات الأكاديمية فإذا خيرت بين الطب وبين الميكانيك فاختر الطب نعم وإن كان الصلحاء لا ينصحون بهذا لأن الطب عليه ضريبة كبيرة جدا لا يسع المقام للتكلم عنها، وإذا خيرت بين علم الفيزياء وبين علم الطرق... فاختر ما ينمي الذهن لا كما يذهب الأحبة للسهولة كاختيار كلية الفندقية ويسميها كلية..!!

فليعلم هؤلاء أن أذهانهم سوف تموت ويصبحوا كالفنادق التي سعوا لمعرفة هذا نتيجة ضعف الهمة وسوف نتكلم عن ذلك بعض الشيء.

فالمتحصل أن أشرف العلوم ما شرف الإنسان في معرفته ويقع في معرفة أشرف وأعظم شيء وهو معرفة الحق تعالى ومعرفة نواحيه وأوامره ولأن فائدتها تعم الدنيا والآخرة وقليل من يعقل...

وأما العلوم التي تكون محصورة المنفعة في الدنيا فجزاءه جزاءها خصوصا وإن أصحاب هذه المهن ينعدم عندهم الإخلاص وموت مشاعرهم الدينية وأحاسيسهم النفسية نظرا لكثرة الانشغال بها وعدم التنبيه والتذكر ومن جراء ما ينعكس عليه من وظائفهم لأن كل علم وعمل له تجلي في مقام القلب وانعكاس عليه وعلى أفعاله الخارجية فأصحاب المهن السلطوية تكون عندهم القوة الغضبية طاغية على الرقة والرحمة وأصحاب الأموال - عندهم الطمع والحرص وحب الفلس والسنت وما يلزم منه الربح وصاحب السلطان - يصحبه التكبر..... والخ.

وأما صاحب العلم فلباسه التواضع وأن لا يرائي في ذلك وان راءا يوما فسوف يدعوه علمه إلى الإخلاص في آخر المطاف.. وفي الحديث تعلموا العلم ولو لغير الله فإنه سيكون لله.

## مدح العلم

ما ورد في مدحه ليس من السهل استقصاؤه.. فأما القرآن الكريم قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يذكر أولوا الألباب...) (١).

وقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٢) (وقل رب زدني علما) (٣).

(١) سورة الزمر / آية ٩.

(٢) سورة المجادلة / آية ١١.

(٣) سورة طه / آية ١١٤.

فلا تجد الحث على طلب شيء كما في طلب العلم فقد أمر نبيه بطلب  
الزيادة في العلم وأما الرزق فقد تكفل به وأمر بالخفض عنه.. وذم الزيادة وقوله  
تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ)<sup>(١)</sup>.

وأما ما ورد من الأحاديث :-

قال الإمام الصادق عليه السلام: - لو علم الناس ما في العلم لطلبوه ولو  
بسفك المهج وخوض اللجج<sup>(٢)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - من خرج من بيته ليلتمس بابا من  
العلم لينتفع به ويعلمه غيره كتب الله له بكل خطوة عبادة ألف سنة صيامها  
وقيامها وحفته الملائكة بأجنتها وصلى عليه طيور السماء وحيتان البحر ودواب  
البر وأنزله الله منزلة سبعين صديقا وكان خيرا له من أن كانت الدنيا كلها له  
فجعلها في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: - من تعلم مسألة واحدة قلده الله يوم  
القيامة ألف قلائد من النور وغفر له ألف ذنب وبنى له مدينة من ذهب وكتب له  
بكل شعرة على جسده حجة<sup>(٤)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: - إذا جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي  
الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة<sup>(٥)</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - من سلك طريقا يطلب فيه  
علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وانه  
ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل

(١)سورة آل عمران / آية ١٨.

(٢)بحار الأنوار ج١ ص ١٣٧.

(٣)بحار الأنوار ج١ ص ١٧٧.

(٤)بحار الأنوار ج١ ص ١٨٠.

(٥)بحار الأنوار ج١ ص ١٨٤.

العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: - تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلقتهم يمسخونهم بأجنحتهم في صلاتهم.

لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف وينزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة بالعلم يطاع الله ويعبد وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام والعلم إمام العقل والعقل تابعة يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء<sup>(٢)</sup>.

بعدما عرفت من كلامه عليه السلام عن فضل العلم ما يوقفك إلا سوء التوفيق - والشقاء - والرزالة من الله تعالى فإن الوارد في روايات أهل البيت عليهم السلام إذا أرذل الله عبدا حضر عليه العلم - أي منعه من طلبه واكتسابه وسد عليه منافذه ومن كان هذا حاله فهو في بحر الجهل والظلام ويعد نفسه من الأموات بل أشرفهم ونسأل من الله العفو والرحمة والتوفيق لمعرفته في واضح الطريق.

---

(١) البحار ج ١ ص ١٦٤.

(٢) البحار ج ١ ص ١٦٦.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة<sup>(١)</sup>.

أقول هذا التسييح الوارد هنا وفي الآيات المباركة تسييحا حقيقيا بلسان المقال الذي يتناسب مع شأنها لا بلسان الحال التكويني أو ما شاكل ذلك - فعدم العلم ليس دليلا على العدم - والعاقل لا ينكر ما لا يعلم وصرح بهذا الرأي مجموعة من الأعلام... فانكشف بهم وبالقلب السليم الظلام.

أقول إذا كان هذا حال طالب العلم فكيف بالعلماء وكيف بالذين يسبونهم حتى شغلهم سب العلماء عن ذكر الله تعالى وطاعة ربهم.

فليعدوا لأنفسهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة وحر الحديد وضيق الحبس ومرارة العيش وسوء العاقبة وفقدان الإيمان وخلع الجحود أقول ذلك عن علم ودراية كيف وقد ورد في حقهم من زار العالم لله وطلب العلم لوجه الله فكأنه زار الله وأن النظر لوجه العالم عبادة.....

وأذكر أن الله أوحى إلى نبيه دانيال:- أن أمقت عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للإقتداء بهم<sup>(٢)</sup>.

## أفضل العلوم

وأما ما ورد أنه أفضل العلوم فقد مر بيانه في الحديث المروي عن أمير المؤمنين بالإضافة إلى ما جاء في الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:- أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع<sup>(٣)</sup>..

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) الجواهر السنوية ص ١٩٦.

(٣) الخصال ج ١ ص ٣٠.

فالفقه بالوجدان والعيان وجدناه كذلك وصاحبه مباركا ومدفوعا عنه العناء والبلاء وهو في رخاء وبهاء وكفنه بيضاء إمارته مرفوعة وأوزاره موضوعة.. وأما من أعرض عن ذكره فإن معيشته لضنكا وخسر من الدنيا الصفقة وباتت بضاعته بورا... وعقائده على شفا جرف هار كالذين توغلوا بالعلوم العقلية وأعطوها جل أعمارهم وكنوز شبابهم.

اللهم أسلكنا في أقرب الطرق للوفود إليك وأهدنا لأحب الأعمال وأرضاها لديك.. نعم لا يخفى أنني لا أقصد الأعراض جملة وتفصيلا لكن بقدر الحاجة وما زاد منه خسران بين.

وعن أبي عبد الله عليه السلام:- أنني وجدت علم الناس كلهم في أربع:-

أولها:- أن تعرف ربك

والثانية:- أن تعرف ما صنع بك

والثالثة:- أن تعرف ما أراد منك

والرابعة:- أن تعرف ما يخرجك عن دينك<sup>(١)</sup>.

نعم لا يخفى على البصير أهمية بقية العلوم وأشرنا إلى سلوك أفضلها وأهمها - كالعلوم الصناعية والاقتصادية والاجتماعية ولكن لا بد من أن يقصد بها طالبها قصد القربة الى الله تبارك وتعالى وإلا كان كالشمعة تضيء لغيرها وتحرق نفسها وطلبها واجب كفائي وصاحبها لا يبخل على نفسه طلب المعارف الإلهية وما ذكر في الرواية المباركة تعرف ما يخرجك عن دينك وإلا ما ينفع العلم صاحبه ولو شق الشعرة في مشابك العلوم - فقد فاز الأعراب والعجائز بمجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخسرها أصحاب الكنى والألقاب فطوبى لهم وحسن مأب.....

وكيفية طلب العلوم أقربه لك بمثال:- أنك لو احترق بيتك فما الذي تخرجه أولا...؟ أولها بالطبع أن تخرج عيالك فإن كان هناك فرصة بعد أخرجت مالك

من النقود وغيرها ثم إن كان هناك مجالاً أخرجت الفرش والأثاث وكلما كان هناك فرصة أخرج الأقر حتى لو كان نعلك هكذا الحال في الدنيا فالعمر قصير والأجل مباحث ومحفي عنك فأول شيء تبتدئ به الأهم فالأهم ثم المهم... فأول ما تتعلم دينك ما يخرجك منه وما يدخلك فيه ثم اهتم بالعلوم الأخرى واحمل ما شئت ولن تبلغ....

وأما الذين يقضون جل أعمارهم في تعلم العلوم التي تفني الأعمار وليس لها أثر آخروي هؤلاء أقرب للجنون من العقل فإن هذا العمر لا يعرف الإنسان قيمته في هذه الدنيا مهما بالغ في معرفته ولا سيما المتكلم ما لم يأتيه الموت فيقول رب أرجعوني لعلني أعمل صالحاً فيما تركت - يوم التغابن يوم الحسرة على منازل الأولياء الذين بلغوا منازل الآخرة بأعمارهم واغتنام فرصهم عندها يعرف قيمة العمر أما ما تقوله اليوم فهو مجرد لقلقة لسان كالأطفال الذين يحفظون مصطلحات الفلاسفة والكتب العقلية ولا يعقلون شيئاً من معانيها.

وسيسأل الله تبارك وتعالى الذين يدرسون في الجامعات وكل من حصل على شهادة وسعى للحصول على الأخرى وهكذا حتى يفوته العمر بسلة من الشهادات هلا فرغت نفسك لتعلم دينك من حلال وحرام سنتين وصرت تبحث فيها للحصول على معرفة الحق قبال شهادة الماجستير ؟ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)!

وفي الختام يذكر أفقر الأقلام كلاماً لخير الأنام ليطمئن به النظام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - العلم أكثر من أن يحصى فخذ من كل شيء أحسنه<sup>(١)</sup>.

## أهم ما يرتكز عليه العلم

### للعلم ركائز مهمة:-

- أهمها التواضع:- وتكلمنا ضمن بعض الأبحاث عنه فصاحبه يرزق العلم بالفيض وبالاكتساب معا فمن لم يصبر على ذل العلم ساعة بقى في ذل الجهل طول العمر وهذا حال أكثر هذه الناس.
- والحلم:- زينه وعينه وأغصانه وإلا كان صاحبه شريط ملقى ينفره الجميع فيذهب بعلمه لترك حلمه والله الموفق.
- العبادة لله تعالى:- فإذا لم ترافقه دل على الخسران.
- اختيار الأستاذ:- فإن للأستاذ دورا لا ينكر ويعلوا على الآباء والأمهات ويسرق عقائد الطالب ويضع فيها ما يشاء ومن دون كلفة افهم واغتم.
- مجالسة العالم الناصح:- عن موسى بن جعفر عليه السلام:- لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس:-
  - من الشك إلى اليقين
  - ومن التكبر إلى التواضع
  - ومن الرياء إلى الإخلاص
  - ومن العداوة إلى النصيحة
  - ومن الرغبة إلى الزهد<sup>(١)</sup>.
- وتفريغ القلب من الشواغل:- فالعلم لمن تفرغ له وان أعطيته كلك أعطاك بعضه وبعضه كثير.

- الورع عن محارم الله تعالى:- وقد ورد عنهم عليه السلام إن لم يتورع بيتله الله بخصال أما أن يمته شابا أو بيتله بأهل الرساتيق وفي بعض ينسيه ما تعلم وقد شهدت به وقائع كثيرة.

فاعلم:-

أن للعلم لطائف وكرامات يعجز عن إحصائها كتاب وقد أخفاها أصحابها كي لا يقول قائل بزيف أفكارهم من الجهلاء وممن حرموا تلك الفضائل .  
ولهم من العناية ما لا يكاد أن تصدق فهو خير كله وبركة كله رفعه في الدنيا ورفعته في الآخرة ملك صاحبه وجدان الطغاة الجبابرة وله البهجة في صدور المؤمنين والسيادة على القلوب الواعية حظوا بخطاب الله وأوليائه وبنوا بفضلهم عن أعداءه جميل الاحدوثة مؤنس في الوحشة لا يظلم صاحبه ولا يغتر طالبه العمل القليل معه أنفع لا يعطيه الله إلا لمن يحب.

### الجهل سلاح السلاطين

لا يخفى على ذوي الأبصار إن ركيزة أهل الجور من السلاطين هو الجهل فإن معاوية حارب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأناس لم يميزوا بين الناقاة والجمل ومن لم يعرف عدد ركعات الصلاة ويزيد حارب الإمام الحسين عليه السلام بأقوام لم يفقهوا الدين ولا آية من كتاب الله .  
واليوم تسمع على الفضائيات إن الزرقاوي وأمثاله حاربوا بأناس لم يحفظوا من القرآن آيتين وهكذا لو فتشت جميع البلدان لوجدت هذه الحقيقة ومن هذا المنطلق أخذ الجهلاء من السلاطين يقتلون حملة العلم لأن أصحاب العلوم والمعارف الحققة لا يغيرهم زخرف القول ولا الأمانى أو الأكاذيب .  
الله يعلم أنني أقول هذا القول ولا أبالغ به وهو أن بعض القادة لا يصلحون لأن يكون رعاة بقر ولكن من هوان الدنيا على الله أن ملكهم الله بها بل أدل دليل على هوان الدنيا هو حكم مثل هؤلاء وارتفاع شأنهم وانزوائها عن أولياء الله تعالى .

نعم جل طغيانهم كان من أيدي شعوبهم وإلا ما ذنب عجل بني إسرائيل فإذا كان القادة اليوم يغرونهم بفعل أو قول لكن عجل بني إسرائيل ما الذي فعله

حتى عبوده فبهذه العقول يحكم الجائرون لا بعقل لا يجب الآفلين ولا يرى شيئاً إلا ورأى الله قبله وبعده وفيه.

## الفهم وضده الحمق

الفهم:- قد يطلق على سرعة الانتقال إلى المعنى المقصود وسهولة أخذ المعلوم ونزع المجهول وقد يطلق أيضا على صفاء الباطن والحق أنهما واحد والفرق بينهما كباطن الشيء وظاهره فالفهم الذي بمعنى سرعة الانتقال منشأه ومرتكزه صفاء الباطن والبدال الوجدان والشاهد لنا في العيان خصوصا في هذه الأزمان التي كثر فيها النسيان لانشغال باطن الإنسان.

فالحمق والبلادة والضد لهذه الصفة منشأها كدورة الأنفس وظلمتها وغياب النور بأدنى درجاته عن ساحتها وهذا من أهم مراكز العلم والحكمة وقوته تدل على الزمن الذي أكرم به الإنسان العقل كما مر في الحديث...

وعده جندا من جنود العقل لما يقوم فيه من مساهمة فعالة في اقتناص الحق من أجمة الباطل وعامل تقويه يعتمد على الممارسات العملية والفعلية لتلقي العلوم العقلية وعدم إهمال هذه القوة إلى آخر العمر.

ويواظب على تغذيتها كما يغذي الجسد بأنواع الأطعمة ومن أهم أغذيتها الفعالة طهارة النفس من المعاصي.

وبالإيمان بالله تعالى ونيل التقوى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)<sup>(١)</sup> (وأشرق الأرض بنور ربها)<sup>(٢)</sup>.

نعم لا يمنع من وجوده عند أهل الرياضات النفسية مع عدم تحليهم بالإيمان بالله تعالى وهذا لم ينكر لكن له بحث مفصل لبيان أن بعض الرياضات النفسية

(١) سورة البقرة / آية ٢٥٧.

(٢) سورة الإسراء / آية ٤٦.

تقتضي حدوث الآثار لكن مع كل ذلك أن الفهم المراد في واقع الحال هو أخص الخاص.

فالعاصي أحمق وغبي وإن تحلى بحسب الظاهر ما يحكم به أنه من الفهم كما هو الحال في من تزين بالعلم وهو جاهل.

### من الحمافة: -

من الحمافة أن يحلف المتكلم بعد كل كلام وإن يتدخل الرجل بما لا يعنيه ومن أنكر عيوب الناس وارتضاها لنفسه والفضول وكثير اللهو ومن غلب هزله جده والمغرور والفقير المتكبر ومن يمنع البر ويطلب الشكر ويفعل الشر ويتوقع الثواب ومن ركب المهالك والمتهور في الأمور وجوابه عما لا يسأل عنه والمحتمل وقت الحاجة ومن آخى الفجار ومن كثر تلونه والمتكل على الأمل واعلم انه لكل داء دواء إلا الحمافة فان عيسى عليه السلام قال داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم اقدر على إصلاحه فقيل: - يا روح الله وما الأحمق؟ قال المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقاً فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته<sup>(١)</sup>. فالنتيجة أن لكل داء دواء إلا الحمافة فلا علاج لها .

### **العفة وضدها التهتك**

العفة:- هي كف النفس عما لا يحل والامتناع عن كل ما ينقص الإنسان ويسقطه بنظر الحق تعالى ولا ينافي الاستقامة في الطلب بل هو عينها في شهوة الأكل والفرج والمتعفف من اعتدل في طلبه للشهوات والرغبات.

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٣٩.

وتحصل العفة بانقياد قوة الشهوة للمعيار العام وهو العقل ولا ينافي كونه جنديا من جنوده فيعد البقية له معيارا وميزانا يوزن به الطلب فالعدالة وترك الطمع... بمثابة المعيار لها وفي لسان الشرع يظهر كون الورع من أركانها والعمل بها مستحب شرعا ففي حال الاقتصار على الواجب وترك المحرم لا تظهر ولا تقوى بل لا زالت سقيمة ما لم تنهض إلى مستوى فعل المستحبات العرفية والشرعية وترك المكروهات العرفية والشرعية ولذا قيل العفة زهاده وأفضل الفتوة والشيم للأكياس وأنها رأس كل خير وصاحبها أشرف الأشراف ومصون عن المرديات الدنيا وبها تزكوا الأعمال وتنمو وأنها تاج الرجال وصيانة النفس عن المرديات وأفضل ما تعرف به الرجال والنساء وتلبس صاحبها العزة والكرامة وتؤمنه الندامة وأمن العز وأنها كمال المكارم - كيف لا تكون كمال المكارم وأنها تجعل صاحبها لا يزني قط وأنها دليل العقل.

وفيما ورد في مدحها(العفة) على لسان بيت العصمة كثير نذكر جملة

منها:-

أنها من صفات الشيعة:-

عن أبي عبد الله عليه السلام: - إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه...  
فإن رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر<sup>(١)</sup>.

بمعنى إن لم يتحل بهذه الصفة وبقية ما ذكره عليه السلام لم يدخل بعد  
صرح شيعة جعفر عليه السلام!!

ملك من الملائكة:-

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: - لكاد العفيف أن يكون ملكا من  
الملائكة<sup>(٢)</sup>.

(١)الوسائل ج ١٥ ص ٢٥١.

(٢)نهج البلاغة.

أول من يدخل الجنة:-

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من يدخل الجنة: -  
...ورجل عفيف متعفف ذو عبادة<sup>(١)</sup>.

أفضل العفة:-

تقع العفة في موارد أبرزهما البطن والفرج:-

- فأما البطن:- المقصود أن يكون الأكل للقوة لا للشهوة هذا في أصل النية ويروض نفسه على ذلك حتى تكتمل نيته ويبلغ مناه ومرتجأه وأما تطبيقاً وفعلاً أن يأكل عند الجوع ويقوم مشتهياً بعيداً عن التخمّة وأن يأكل حلالاً طيباً من حله والله الموفق في هذا الزمان للرزق الحلال لندرتّه ويلزم الطالب لبناء المملكة الرجوع إلى الفصول التي تتكلم عن آداب الطعام.

- وأما المنكح:- بأن يكون حلالاً ويكون هدفه تحصين النفس وغايات مرجوحة من إثم الأرض بلا إله إلا الله ولو لزم التعدد فالمرء مأخوذ بنيته وللخلق غايات تختلف من شخص لآخر ويجب التحفظ من الوقوع في بركة حب اللذائذ ولا يعلو ما يشتهي ويبغي حرم الله تعالى وهو القلب فإذا كان القلب لله سليماً فلا يضر الإنسان شيئاً ولو ملك الدنيا برحبها والله المسدد للصواب.

بعض الطرق لتحصيلها:-

تقوية جانب العدالة وعدم الإفراط والتفريط فإن الله جعلنا أمة وسطاً وبهذا كنا شهداء على الناس ولولا أخذ الوسطية فلا انتخاب من قبله تعالى وعليه لزم تقوية ميزان الاعتدال من عدم التقصير في الطلب ولا المبالغة فيه وهذا يحتاج قوة التفات ومراقبة وعلم ودراية.

فمن أكل ما يشتهي ابتعدت عنه العفة ومن نال قوى سلطانه ويجب الاعتدال في المنع لأمن ثوران النفس قبل اكتمال العقل خصوصاً في بداية الطلب

والله الموفق للسداد وأن يجتهد في تحصيل الحلال وترك الشبهات وأن يقوي كما ذكرنا جانب الورع والعمل بالمستحبات وترك المكروهات فلها آثار واضحة عند مبتغيها.

وأن يتعاهد ذلك على الدوام قراءة ومطالعة وعملا ليحصل على ما يريد فمن قرأ يوما نسى فكيف يرجو منه العمل ولذا يخفق الكثير في طلب الفضائل وعدم المنفعة من الوعاظ لأنه لا يبالغ في الطلب ولا يتعاهد طلب ما يريد من الفضائل مع قلة الصبر فقبل الاكتمال ونضوج الفضيلة لازالت فرصة الشيطان وكان صاحبها في الخذلان لذا قلنا الصبر على رؤوس الجميع من الفضائل والمكارم ولا تخلو منه فضيلة .

وأن يلح في دعائه عند طلب جميع الفضائل وهذا ديدن أهل البيت عليهم السلام ما من شيء إلا طلبوه بالعمل والدعاء معا والاقتصار على أحدهما لا يجدي قال زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:- وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر، أي من آفة الأخلاق وغيرها وهو الفخر وليكن فخرك وعزك بالله تعالى وقال عليه السلام أيضا:- وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح وأجازي من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبذل و أكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة.

أقول:-

هل طلبنا ذلك كما كان يطلبه أهل البيت عليهم السلام وهل طلبناها كما نطلب في دعائنا عند أهل البيت والمراقد المشرفة من حطام الدنيا فتجدنا كم نبالغ في دعائنا عند طلب الدنيا لكن لا تجد شيئا مما ذكره عليهم السلام في دعائنا وهذا مشير لأهل الضمائر.

أحبتني اللازم عندما نذهب للزيارات ونبتهل في الصلوات أن نطلب هذه المكرمات فأنت ترى كيف يلح الإمام عليه السلام في طلبها مع عصمته فكيف بنا

نحن المساكين الذين لا حول ولا قوة لنا على أنفسنا والشيطان ثم يقول عليه السلام:- ولا تفتني بالسعة.. وامنعني من السرف.

### نصيحة للشباب

الشباب أعزتنا وسؤددنا في بلادنا الإسلامية فيعز علينا أن نجدهم يعبدون ما يقبح ذكره ويحل القلم عن نقله فيلبون للجنس ويأكلون له ويعملون له ويدرسون له وما أرخصهم عند ذلك وأهونهم بعين الله وأهزئهم بعين الشيطان فيملي عليهم ما يريد ثم إذا هرموا وضعفت قواهم ودنس أنفسهم ولى عنهم هاربا - قائلًا لهم أنا أخاف الله رب العالمين وإن الله وعدكم وعد الحق وأنا وعدتكم فاتبعتموني ما كان لي عليكم من سلطان فلا أنا ناصركم اليوم ولا أنتم ناصرني فيلقى اللوم عليهم لذا وجب الالتفات لهذه الحقيقة وإن طال حينها فكل ما هو آت قريب وعفو عن النساء كي تعف نساؤكم فإن هذا دين يقضى فيه الناس في الحياة الدنيا وإياكم والخيانة فإن الله لا يهدي القوم الخائنين ولا يخرج العبد من الدنيا حتى يبتله بما خان الناس في عرضهم لذا حصنوا وسوسوا نساءكم بعفتكم عن نساء الناس وإن تعرضتم لما تعرض إليه يوسف الصديق عليه السلام وبعض الأنبياء وبعض الصالحاء والفضلاء والنبلاء فافعلوا كما فعلوا والله لا يبخر أعمالكم فإنه سوف يجازيكم في لذة الدنيا لا تضاهيها لذة الحرام والله العاصم.

### أهل التوبة هم الأبطال

لتجد أكثر قوة وعزما وممن يستحق الاحترام والتقدير هم أهل التوبة الذين تداركوا العمر بعدما أوشك على الضياع وأصلحوا النفس بعدما قاربت على الهلاك وأنضجوا العقل بعدما شارفوا على الجنون فمن تمكن من طرد جنود الجهل والشيطان من ساحة النفس هذا جدير بالاحترام فأحدنا ربما يقدر أن يغلب شعبا كاملا ويسيطر على دولة ولكن ليس من السهل أن يسيطر على صفة من

صفاته الرذيلة بل أقول لو استطاعوا الحكام ذلك لما ظلموا أحدا في هذا العالم فمن غلب نفسه غلب العالم بأجمعه وهؤلاء يجب أن لا يحقروا في المجتمع بل يحترموا؛

- لأنهم استجابوا لنعمة وأمر ربهم.
- ولأنهم حرروا مملكة النفس بعد الاستيطان من قبل الهوى والشيطان.
- ولأنهم عمروا ما خرب الشيطان والبناء أمر عظيم.
- ولأنهم تركوا الملاذ ونازعوا المنازعة التي ربما تغلب حتى بعض المتدينين.
- ولأنهم أهانوا النفس وحقروها وصرعوها بعدما تجبرت وهذا كله ليس بالأمر السهل.
- ولأنهم نالوا محبة الله - لأن الله ذكر في كتابه العزيز وعلى ألسن أهل البيت يحب التوابين.

وعليه فالذين (يعيرون) ويعيرون على أمثال هؤلاء - بأنكم اليوم جئتم للدين أمس كنتم تفعلوا كذا وكذا ويستعلون على أهل التوبة أنهم بفعلهم هذا سوف يسقطهم الله ويرفع أهل التوبة وقد فعلوا ما هو الأقبح فهؤلاء رجعوا لله ولكن من يعيب ويصد عن أمر الله فيرجعه الله إلى أسفل سافلين ويجعلهم من صدود رحمته ولا يخرج من الدنيا حتى يلبسه عار ما عير به أصحاب التوبة ولبئس ما وضع نفسه لذا يجب أن يحترموا ولا يذكروا بما فعلوا ويحتضنوا أكثر فكونوا لهم أبواب رحمة لا نقمة.. وسوف يأتيك البيان فيما بعد بإذن الله تعالى في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام.

## الزهد وضده الرغبة

الزهد كما هو واضح خلاف الرغبة ويراد به بلسان أهل الدين الإعراض عن الدنيا قالبا وقلبا مع القدرة عليها وإمكان نيلها ولا معنى له عند من حرّمها ولم يكن له حظ فيها فإن أقبلت عليه وهو رافض مبتغيا في ذلك الحق تعالى

ولامان الآخرة كان عند الله زاهدا وأما تركها مع عدم القدرة وقلبه يهفو نحوها فلا زهادة كما يقع لكثير من الناس يتظاهر بالزهادة دهرًا ويعيب على أصحاب الحظوظ ولكن ما إن وقع في يده شيئاً منها استعالى وانتهزها كما ينتهز الأسد فريسته وهو في أشد حالات الجوع.

الزهد يعرف بغايته وهو تفرغ الحرم الإلهي وهو القلب لله تعالى لكي يسمو بصاحبه نحو العبادة وذوق الحب الإلهي فإذا استطعم الحب صعق بلا إفاقة قال زين العابدين عليه السلام:- من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى من دونك حولا<sup>(١)</sup>.

وقال أبوه الحسين عليه السلام:- وهم ذرية بعضها من بعض، ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك، خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبد الله عليه السلام:- إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله<sup>(٣)</sup>، وقال أيضا:- إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو<sup>(٤)</sup>.

ولكي يحصل على حلاوة الإيمان لا بد أن يستقر على حالة واحدة وقضية فاردة ويترك القيل والقال وكل شاردة وواردة فما عن أبي عبد الله عليه السلام:- حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا<sup>(٥)</sup> وعنه عليه السلام:- وإنما أرادوا الزهد لتفرغ قلوبهم للآخرة.

(١) الصحيفة السجادية المناجاة الخمسة عشر وايضاً بحار الانوار ج ٩١ ص ١٤٨.

(٢) دعاءه عليه السلام يوم عرفة.

(٣) الكافي (ط. الاسلامية) ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ١٣.

(٥) مشكاة الانوار ص ١١٤.

ولا يحصل مهما أعرض عن الدنيا بجوارحه مع طول الأمل ففيما ورد عن سيد الزاهدين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:- ليس الزهد في الدنيا لبس الحشن وأكل الجشب ولكن الزهد في الدنيا قصر الأمل<sup>(١)</sup>.  
لذا أفضل ما يعين على تحصيله كثرة ذكر الموت ولا تجد علاجاً أفضل منه البتة ولذا لا أذهب بك يمينا ولا شمالا فعليك به وسلطنا الضوء في كتاب معرفة المعاد عين السداد. فراجع.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام:- أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

### نيل الدنيا لا ينافي الزهد فيها:-

يقع في أذهان الصوفية وبعض من جهل حقيقة الزهد أنه لا ينال مع شيء من حطامها فلا بد من لبس الصوف القصير والرديء الحقير وأكل الجشب وغير ذلك ولكن علمت مما سبق أن الحق خلافه بل للإنسان أن يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويكتب عند الله من الزاهدين كما كان ذلك لسليمان ابن داود والاسكندر عليهم السلام.

وفي يوم سألت البعض الشيخ بهجت قدس سره عن اجتماع العلم مع المال فقال لهم ما مضمونه كان فلان وفلان... من العلماء الكبار وعندهم من الكتب العظيمة ومع كل ذلك كانوا يملكون أسواقاً وضيعات فما حجبتهم عن العلم والمعرفة شيء والقضية راجعة إلى التوفيق.

بل أقول لا يغري الحجر إلا الحجر فالبعض يخاف من الجلوس على الكرسي خوفاً من أبعثته ولكن غفل أن الكرسي جماد وكان حال الكرسي يقول أنا لا أنطق ولا أتحرك ولا عيب مني وإنما المشكلة في أنفسكم الحقيرة التي غرما

(١) مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٤٤.

(٢) مشكاة الانوار ص ٣٠٥.

الحجر والمدر والحديد الذي لا ينفع ولا يضر وتذكروا عبادة العجل من بني إسرائيل وتكرارها من لدن الكثير من الناس فهل دعاهم العجل لعبادة نفسه أم أغراهم بسلطته وغزارة علمه وحكمته وطلاقة لسانه بل إنما عدوكم أنفسكم.

ولا يظهر جوهر الرجل إلا في الميدان كيف جلس علي عليه السلام على الكرسي وفي نفسه أن الملك عنده لا يساوي عفة عنز وعراق خنزير في يد مجذومة أو لا يساوي شسع نعل.

والغاية من الزهد كما ذكرنا ليتفرغ القلب من حب الدنيا والابتعاد عن هذه التوافه سبيل من سبل الزهادة وليس كلها وإلا فما أكثر الزاهدين إذا أحصينا كل من فقد ولم يجد فإذا حقق الإنسان فراغ القلب وعدم اشتغال اللب فقد نال الحظين قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين ما يدل على ذلك بأفضل دليل ويشفي المريض العليل من أصحاب الشبهات.

حيث قال:- واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحفظوا منها بما حظى به المترفون وأخذوا منها ما أخذ الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابع أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب لذة.

ثم ينبئنا عليه السلام بكلام يفزع العقول:- فاحذروا عباد الله الموت وقربه وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها ومن أقرب إلى النار من عاملها وأتم طرداء الموت إن أقمتهم أخذكم وإن فررتهم أدرككم وهو ألزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوي من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد

وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة<sup>(١)</sup>.

أقول:-

اسمعوا أذانكم هذا الكلام وأحفظوه في قلوبكم وتأملوا به على الدوام في أذهانكم وادخلوا فيه صدوركم ثم توجه لمشاهدة المهازل التي تظهر على الفضائيات التي تتجاوز على الحرمات وتنزل النقمات...

### كرامة الزاهدين عند الله تعالى:-

قال تعالى مخاطبا نبيه في ليلة المعراج:- يا أحمد هل تعرف ما للزاهدين عندي في الآخرة؟

قال:- لا يا رب.

قال:- يبعث الخلق ويناقشون بالحساب وهم من ذلك آمنون، إن أدنى ما أعطي للزاهدين في الآخرة أن أعطيهم مفاتيح الجنان كلها حتى يفتحوا أي باب شاءوا.

ولا أحجب عنهم وجهي

ولأنعمهم بألوان التلذذ من كلامي.

ولأجلسنهم في مقعد صدق

وأذكرنهم ما صنعوا وتعبوا في دار الدنيا وأفتح لهم أربعة أبواب:-

- باب تدخل عليهم الهدايا بكرة وعشيا من عندي

- وباب ينظرون منه إلي كيف شاءوا بلا صعوبة

- وباب يطلعون منه إلى النار فينظرون منه إلى الظالمين كيف يعذبون

- وباب تدخل عليهم الوصايف والخور العين<sup>(٢)</sup>.

(١) الغارات ج ١ ص ٢٣٨ (ط. حديثه).

(٢) مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٤٩.

تأمل في هذه الفقرات ولا تبغي الإكثار فإنها خير منار واجعلها لك دثارا وشعارا والله الموفق.

مما يكون للزاهدين في هذه الدنيا خلوا القلب وراحة البال وأما أهل الدنيا فهم في عناء وشقاء ويذلون ما شقوا من أجله وأتعبوا أنفسهم على أخس الأشياء يسهر الليل ويقارع الأعداء ويتحمل خطر الموت في طلب المال ثم ينفقه على المرطبات والأكلات وما يجلب القلم عن ذكره.

لهذا نتعب وننصب ولأجله نهزم لا والله ما لهذا خلقنا ولا أريد منا أنما الغاية أكبر من البداية ولا تخفى على ذي عقل ودراية.

### الرفق وضده الخرق

قال الله تعالى في كتابه المبارك مخاطبا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..)<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: - (و اخفض جناحك للمؤمنين)<sup>(٢)</sup>.

مبيننا له أن الرفق في الناس ومن تحت يدك العامل الأساسي في نجاح الدعوة ومن دونه لا تجد استجابة تمتد طوال القرون فإن ما مكث في الأبدان زال بزوالها وما مكث في الأرواح بقى ببقائها.

ويراد بالرفق:- لين الجانب والتلطف مع من جانسته في حياتك اليومية والرأفة وترك العنف والغلظة في الأفعال والأقوال مع عامة الناس وقد تحلى بهذه الصفات أئمة الهدى ومنار التقى عليهم آلاف التحية والسلام.

فقد جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشتر لما ولاه على مصر:- أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فاستر العورة ما

(١) سورة آل عمران / آية ١٥٩.

(٢) سورة الحجر / آية ٨٨.

استطعت، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما فإنهما صنفان أما أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق<sup>(١)</sup>.

فمن هذه الوصية الأخيرة يتضح لنا عمومية الرفق حتى بغير المسلم كائنا من يكون كما وقع ذلك من نبينا إبراهيم عليه السلام في دفاعه عن قوم لوط.

بل يعم الرفق حتى في الحيوان قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمال الضرائب على البلاد عندما يجمعون الزكوات، فإن كان له ماشية - أي صاحب الزكاة - أو ابل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له، فإذا أتيها فلا تدخلن عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفرعنها ولا تسؤن صاحبها فيها.... فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها - أي ولدها الرضيع - ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بولدها - أي لا تبالغ في حلبها فيقل لبنها على ولدها - ولا يجهدنها ركوبا.

وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب - أي ليريح المتعب منها - وليستأن بالنقب والظالع - أي ليرفق بالحيوان الذي تحرق خفه وحافره فصار يتعثر في مشيه - وليوردها ما تمر به من الغدر - أي إذا مر في آبار الماء وموارده فليسقها ولا يعجل عليها - ولا يعدل بها عن ثبث الأرض إلى جواد الطريق - أي عادة الرعاة في سفرهم يغيرون الطرق للماشية إلى التي لا عشب فيها كي لا تتباطأ في المسير لأكلها منه فيعدلون بها عن العشب فيأمره عليه السلام بأنك إذا مررت بالعشب فدعها تأكل وتستريح واصبر عليها فإن هذا حق لها فلا تخالف - و ليروحها في الساعات - أي يوقفها لتستريح من تعب المسير ولا يواصل السفر على الدوام - وليمهلهما عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله تعالى.

بدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات - أي المطلوب أن تأتيني بها وكأنها لم تمر بسفر ولم تر تعب السفر قط وكأنها في بلدها الذي تعيش به أريدها تأتيني سميئة وليس عليها غبار التعب.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- إن الله يحب الرفق ويعين عليه فإذا ركبتم الدواب العجف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجذبه فأنجوا عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها وقد ورد أيضا في آداب الذبح اسقائها الماء وعدم ذبحها أمام جنسها المماثل لها وحد الشفرة ليريحها عند الذبح ولا يجوز سلخها إلا بعد خروج الروح ولا يجوز قطع الرأس عند الذبح.. الخ. ومن ذلك الكثير الذي منعني عنه الاشتغال.

فأقول:-

تأملوا في دينكم وأخلاق أئمتكم ورحمة ولا تكلم فلو أمرنا عليا عليه السلام كيف سوف تكون حياتنا فإذا كان هذا تعاملهم مع الحيوان فكيف بمن كرمه الله تعالى وخلق له السموات والأرض والذي يظهر من كلامه عليه السلام أن الإسلام مظلوم حتى من قبل أهله ومدعيه لا من أعدائه فقط.

فلو تخلقنا بهذه الأخلاق العظيمة والفضائل القويمية لا يبقى كافر لم يدخل الإسلام إلا الأشقياء فإني أرى أن هذا الخلق والنبيل والرفق يأخذ بمجامع القلوب مهما كانت مستنفرة ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله نحتسب ألم ذلك عند ربنا فالיום لا نجد من يرفق بأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فكيف تأمل منه الرفق في الحيوان.

لكن أقول من لم يكن الرفق خلقاً له فلا يأمل الرفق من الله تعالى ارحم من في الأرض وأرفق به يرحمك الله فكما تظلم تظلم ولو في ذريتك ولبس الميراث لهم.

## الرفق مع الأعداء:-

إذا عاديتهم فأرفقوا في أعدائكم وأنصفوهم ولا تبالغوا فيهم العداة فتأثموا في ما فعلتم فتصبحوا نادمين وقد أمر الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام أن يخاطب فرعون باللين (فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) هذا مع فرعون. وفيما ورد من الأحاديث التي تحث على الرفق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- أعقل الناس أشدهم مداراة للناس وأذل الناس من أهان الناس<sup>(١)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- من مات مدارياً مات شهيداً<sup>(٢)</sup>.

ثم أقول:-

اعلم أن الرفق سعادة المرء في عيشه ويدر الرزق ويطيل الأعمار لأنه نوع من البر وأحد أقسامه وأكثر الناس تعيش بالبر لا بالآجال وأنه ما تحلى به رجل إلا زانه وما خلى عنه إلا هانه وشانه وأنه قفل الإيمان ومفتاح التحمل والبركة في الأمور كلها ورأس العلم والمعرفة وأساس العبادة وأفضل ما يهون الصعاب وعلامة العاقل ولأهل السياسة أعظم سلاح وعنوان الفوز والفلاح وأمان من مكر الناس وغدرهم واحد حبال المودة ويقيك الندم وكاشف لغوامض الأمور وجهالات الأحوال وعند الأولياء يمن وبركة وأفضل شيم الرجال والعقلاء.

## **الرفق جندي من جنود العقل**

قبل كل شيء نوضح أمراً ذكرناه ضمناً وهو أن هذا الخلق لا يخلو منه عمل أو تعامل فهو يدخل في التعامل مع الناس عموماً وقلنا حتى مع الحيوان والنفس كذلك عندما يعلمها الدين وممارسة الوظائف العبادية وحتى الوظائف المعيشية

---

(١) البحار ج ٧٢ ص ٥٥ باب الرفق.

(٢) المصدر السابق.

النفقة على العيال لذا عد الرفق من علامات العاقل البارزة التي يمكن أن يعرف بها في خليط مجتمعه فهو دلالة نضوج عقله والخرق دلالة ضعف العقل ولما عرفت أنه شريك كل شيء فلا يبقى السؤال من دون جواب من أنه كيف كان جنديا من جنود العقل بل من دونه تحقق الكثير من جنود العقل ويضعف تكوينها وقوامها بالإضافة إلى ما يضيفي عليها من جمال.

فلا يحسن العبد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلاة والصوم وسائر العبادات والحزم والعزم والشجاعة والرهبنة والتوبة والنشاط والألفة والبركة ولا توجد السعادة إلا به وله دور كبير في رياضة العقل في مرحلته التكاملية ومن دونه لا تتحقق الكثير من جنوده ، بل لو حصل الإنسان جميع الجنود لبقى فاقده في هلاك.

### أفضل الرفق

أفضل ما يرفق به العبد هو العفو عن الذي ظلمه أمام الحق تعالى ومن يستوهب ما ألم به من ظلم العباد لوجه الله تعالى وأن يأخذ على نفسه ألا يوقف أحدا للقصاص منه يوم القيامة تأسيا بإمامه علي بن الحسين عليه السلام ولقد جاء في دعاءه عليه السلام:- اللهم و أيما عبد نال مني ما حضرت عليه وانتهك مني ما حجرت عليه فمضى بظلامتي ميتا أو حصلت لي قبله حيا فاغفر له ما ألم به مني واعف له عما أدبر به عني ولا تقفه على ما ارتكب في، ولا تكشفه عما اكتسب بي واجعل ما سمعت به من العفو عنهم وتبرعت به من الصدقة عليهم أركى صدقات المتصدقين وأعلى صلوات المتقربين وعوضني من عفوي عنهم عفوك ومن دعائي لهم رحمتك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك وينجو كل منا بمنك<sup>(١)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية (دعاء مكارم الاخلاق).

وليعلم أن هذا من أسمى أخلاق المتخلقين ومثل هؤلاء يحق لهم إمامة الناس وقيادتهم فلا تجد أوسع من هذه الأنفس رحمة ورفقا والذي ينبغي علينا نحن الموالين والمحيين لهم والمتسمين باسمهم أن نتخلق بأخلاقهم كي نسعد في الدنيا والآخرة ويجعلنا الله سادة الأمم إذا جادت أنفسنا بالعمو والرحمة والسماحة.

## الرهبية وضدها الجرأة

فالرهبية مرتبة من مراتب الخوف أي إحدى مراقيه وشعبة من شعبه وهي أعلى منه وبعلوها اكتست معنى يكاد أن يكون مخالفا لمعنى الخوف قال تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) ولذا يقال الرهبية من الله والرغبة إليه - كما يقال الخوف من الله والطمع بما عنده فهو يوافق الخوف بكل ما فيه من معنى أولي ويفارقه في علوه.

ولذا يقال أن أنواع الخوف خمسة:-

- خوف

- وخشية

- ووجل

- ورهبة

- وهيبة.

فالخوف للعاصين:- لأجل الذنوب قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان)<sup>(١)</sup> والخشية للعالمين لأجل رؤيته تعالى بعين العلم والمعرفة قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)<sup>(٢)</sup> والوجل للمخبتين لعدم الوفاء بالخدمة (الذين إذا

---

(١) سورة الرحمن / آية ٤٦.

(٢) سورة فاطر / آية ٢٨.

ذكر الله وجلت قلوبهم) <sup>(١)</sup> والرهبه للعابدين لرؤية التقصير الذي قطع على ألسنتهم الكلام والهيبة للعارفين لأجل ما شاهدوه واستيقنوه بفضل المشاهدة فتكشفت عنهم سحائب الحجب.

والخوف إذا تعالت مرتبته فارق المرتبة الأولى مفارقة الشجرة للبذرة فأوله عذاب وهو الذي يغلب على العامة ولذا يفرض منهم الزلل في حقه تعالى ويسيء الظن مع خوفهم من الله تعالى وهو ملح أجاج وثانيه أعذب خوف وهو خوف الخاصة وثالثه خوف احتجاج لتقطع الأسباب قال أمير المؤمنين عليه السلام:- من خاف قلت مخافته، وكلما ارتفع كان أعذب لاصطحابه الرجاء بعدما كان مفارقا له في مرتبته الأولى لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:- وان أدخلتني النار أعلمت أهلها إنني احبك <sup>(٢)</sup>.

والرهبه في المقام ملكة تغشى النفس بكل قواها ومحتواها فيكل لها اللسان ويصعق لها الجنان وبخلافها الجرأة المرتكزة على الجهل - عموما أو خصوصا - بالمتجرأ عليه وبعواقب الأمور والتي يخلو صاحبها من تمرکز الحكمة والعلم والدراية ولذا يقال لا يتجرأ إلا الجاهل.

ويراد بمعناها التطبيق الأعم من السلوك معه تعالى ومع عبادته وكل بحسبه قال تعالى (واضمم إليك جناحك من الرهب) <sup>(٣)</sup> أي من الخوف الذي يعتريك عندما ترى انقلاب العصا إلى الحية تسعى وقد دعا الحق تعالى إلى الرهبه (وأوفوا بعهدي أوفى بعهدكم وإياي فارهبون) <sup>(٤)</sup> وقال (إنما هو إله واحد فيايي فارهبون) <sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الانفال / آية ٢.

(٢) زاد المعاد ص ٤٨.

(٣) سورة القصص / آية ٣٢.

(٤) سورة البقرة / آية ٤٠.

(٥) سورة النحل / آية ٥١.

### تحصيلها:-

يقع تحصيلها في سلسلة تحصيل الخوف كما قد عرفت وبمحاربة الجهل بالعلم والمعرفة قال أبو عبد الله عليه السلام: - الخائف من لم يدع له الرهبة لسانا ينطق به<sup>(١)</sup>.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح:- من ذا الذي يعرف قدرك فلا يخافك ومن ذا الذي يعلم ما أنت فلا يهابك.

ولهذا تأخذهم المسارعة في فعل الخيرات فإن الذي عنده أمر الرهبة سارع في النجاة قال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)<sup>(٢)</sup>.

كل ذلك لتوقي الغضب الإلهي وسطوة التقصير في أمره تعالى وعليه لا بد من مواصلة مسيرة الخوف كي تحصل عند العبد مراتبه العظيمة ويأمن من الزلل والوقوع في خسة الجرأة على الله وعلى أوليائه وعامة خلقه. ويقع تحصيلها بالتفكير في مجاري عظمة خلقه تعالى ومكاشفة النفس بأحوال القيامة وهول المطلع.

### **التواضع وضده الكبر**

اعلم لا حسب وشرف كالتواضع وبه تتم النعم ولا يعطيه الله تعالى إلا لمن يحب وعد زينة الشريف وسنام العلم بل مفتاحه وأكثر حتى قال من لا يقبل قوله الخلاف أنه رأس العلم ومن حرم التواضع حرم العلم وكان أميا مهما علا واستعلى فإن العلم ربما أخذ من القطة والكلب والخنزير والديدان وأبسط الناس

---

(١) البحار ج ٧١ ص ٣٨٤.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٩٠.

و أوضعهم بل تارة العلم لا تجده بحسن المظهر ورقي المنظر و إنما تجده في الطين والوحل فلاحظ للمتكبر فيما ذكرت.

وحيث أن العلم عند من طرد من الدنيا وبهذا قل ماله وذهب سلطانه فهو عند الناس ضعيف ولا يدنو منه المتكبر وبذلك حرم العلم والمعرفة فإن ممن أراد العلم ترك الدكان وهجر الأخوان واغتنم الزمان لذا فالتكبر جهل كله وقلبه صلد محروم الحكمة قال أبو عبد الله عليه السلام يا هشام:- إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار لأن الله جعل التواضع آلة العقل وجعل التكبر آلة الجهل.

ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجه ومن خفض رأسه استظل تحته وأكثه كذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه الله بل هو ثمرة العلم فيفرح الجاهل بما عنده لجهله أنه أدرك كل شيء ويخشع العالم لأنه أدرك كل شيء أنه لا يساوي شيء والكل أفضل.

وبه تنتظم الأمور وتستقيم فصاحبه مدارس العلماء ومشاور للأتقياء والعقلاء وبذلك بلغوا الكرامة ويمنح الله به العزة للأولياء فكم رفع البئر يوسف عليه السلام ووضع الصرح النمرود!!

وكم رفع غار حراء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووضع قارون وفرعون قصورهم.

يا عزيزي:-

إذا أردت الشرف والعز والكرامة فهذه بضائع لا يوجد لها خبر ولا أثر إلا عند الله تعالى واختص توزيعها بنفسه قال تعالى (أيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)<sup>(١)</sup>.

أي بجميع أقسامها وأنواعها وأفرادها كلها عنده وهو القاسم الفارد لها ليس غير وما عند بعض المدعين وهم في وهم تكشفه سطوة الموت وحسرة الفوت قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)<sup>(١)</sup>.  
وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:- الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من أعزته طاعتك<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسين ابن علي عليهما آلاف التحية والسلام:- ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك<sup>(٣)</sup>، أي بمعنى من فقد الحب والقرب الإلهي والحلية الربانية وزبي العبودية لم يحظى بشيء من العزة والكرامة.

لذا يجدر بنا أننا نطلبها من منبعها و مستودعها وهو الحق تعالى بأن نخرج من ذل معصيته إلى عز طاعته ونلبس ثوب عبوديته ونترك رذائيه وهو التكبر. فلا يليق بمن أوله نظفه وآخره جيفه وبين ذلك يحمل العذرة وبمن بعد حين تذرره الرياح ولم يكن شيئاً مذكوراً وبمن إذا جاع عوى وإذا شبع هوى وإذا سقم تبرم وإذا صح ظلم وبمن إذا افتقر كفر وإذا استغنى بطر ولا يحق التكبر بمن يستعلي ويستعظم بجند غيره والتي متى ما أمرها صاحبها الحقيقي استجابت وعنه غابت.

ألا تعلم أن أعضائك وخلايا جسمك هي جند الرحمان تعمل عندك فمتى ما أمرها الحق تعالى بأن تتوقف وتهجم عليك استجابت من دون تأخر وأنت لا تملك شيء من أمرها.

حتى الطبيب فإنه يموت باختصاصه والله غالب على أمره والله جنود السموات والأرض كل صائر إليه مطيع مذعن لذا فالإنسان فقر كله ضعف كله.

---

(١) سورة المنافقين / آية ٨.

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٥٨.

(٣) دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة .

ولهذا قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:- إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي.

لذا فلا تنس ما أنت أوله وما أنت آخره وما بين ذلك أنت حامله وضع نفسك لكي يرفعك الله تعالى مكاناً علياً أزلياً وإياك ومنازعة الحق ردائه فتكون من ألد أعدائه فيأخذك أخذ عزيز مقتدر ويخرجك ذليلاً منكسراً ليريك حقيقة أمرك.

ومن اغتربك من الناس بما أنت عليه من الذل والهوان لكي لا يجرأ أحد على ردائه واعتبر بالنمرود وغمروود زمانك كيف أذاقه الله الخزي والعار في الحياة الدنيا ولا تعتمد على قلم فقير في بيان ذلك بل اعمد على مطالعة الكتب ومزاولة الحكم كي لا تندم!

### تحصيل التواضع:-

يقع تحصيله بالتأمل في منافع التواضع ومضار التكبر حيثما تطلع على عواقبه المهلكة تجد نفسك رافضة رفضاً لا رجعة فيه على أن يكون ذلك التأمل والتفكير ملكة راسخة في النفس ولا ينفك مطالعة يوم وترك عشرة كما يفعل محروم التوفيق.

بل يراد من كلامي المرابطة والمعاودة بين الحين والآخر خصوصاً روايات أهل البيت عليهم السلام ولنذكر جملة من الروايات:-

### فأما التواضع:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- إنه من أعظم العبادات ويكسبك السلامة<sup>(١)</sup>.

(١) البحار ج ٧٥ ، ص ١١٩-١٢٠ باب التواضع.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:- فيما أوحى الله عز وجل إلى داوود عليه السلام:- يا داوود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعدهم الناس من الله المتكبرون<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضا فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام:- أن يا موسى أتدري لم اصطفتك بكلامي دون خلقي؟ قال:- يا رب ولم ذلك؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه:- أن يا موسى إني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم أجد فيهم أحدا أذل لي نفسا منك يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الروايات فوائد جلييلة:- منها أن الصلاة قائمة لله على الدوام ومن دون انقطاع ولذا عرف الأنبياء بالصلاة والخلوة قبل البعثة كما كان نبينا صلى الله عليه وآله وأنه معصوم عن الذنب قبل البعثة كما في الرواية وفي الآية المباركة (إن خير من استأجرت القوي الأمين) التي أشارت إلى عفة موسى وطهارة نفسه وأنهم على خلق عظيم مع الله تعالى ومع الناس.

ومحل الشاهد هو أن التواضع يرفع العبد بقدر تواضعه فكلما وضعت من نفسك درجة رفعتك الله درجة والعكس بالعكس.

وأما التكبر:- فيكفي في ذمه وشره أنه يجعلك مع علمك ويقينك في قعر جهنم فطالما عرف المتكبرون الحق وشهدوه ولكن تعمدوا الخطأ وارتكبوه فإبليس اللعين من أصحاب العلم بل من أصحاب اليقين لقد شهد ما لم تشهد أنت ورأى عرش ربه ولكن غلب الكبر والاستعلاء فكان من الغاوين.

وفيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:- لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر<sup>(٣)</sup>، والبعض يؤولها على غير ما صرح به ولكن من غير

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠١، ح ١١.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٠ ح ٧.

(٣) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٧٠ ص ١٩٢.

جدوى فإن مخالفة الظاهر تكلف فضلا عن تواترها المعنوي فالجنة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر حتى يخلع لباس الكبرياء ولو بهذا المقدار في نزعات الموت أو البرزخ أو كذا حقب من أحقاب العذاب الآخروي.

فالجنة مكان طاهر لا يدخله إلا طاهر وقد ورد هذا الحديث عن الصادق عليه السلام أيضا نعم ما ورد من الاستثناء هو عدم الدخول الأبدي الذي يراد به الجحود الوارد في رواياتهم عليهم السلام وألا يبقى ما ذكرناه على حياله وهو أن الجنة يدخلها العبد طاهر من كل دنس. فلا يتعارض الاستثناء ما ذكرناه من البيان.

### ومن طرق كسب التواضع:-

أن تجلس دون مجلسك وتحمل متاعك بنفسك وألا تعتاد على سلوك واحد ونمط معين فيوم تركب سيارتك ويوم تمشي مع الناس وتركب معهم ويوم تصلي في الصف الأول ويوم تتأخر في آخر الصف ويوم مع السادة ويوم مع الأطفال ويوم إمام جماعة ويوم تصلي مأموما ويوم تخطب ويوم تسمع.

فاعتبروا أحبتي بتواضع النبي عيسى عليه السلام:- ففي يوم من الأيام قال لخاصته من الحواريين:- لي إليكم حاجة اقضوها لي - أي طلبها بأسلوب لا يمكن تخلف القبول منهم.

فقالوا له:- قضيت حاجتك يا روح الله.

فقام إليهم النبي عيسى عليه السلام وأخذ أقدامهم فغسلها ومع هذا لم يستطيعوا رده عن ذلك بعد أن قبلوا منه.

فقالوا له:- يا روح الله نحن أحق بهذا منك المفروض علينا أن نقوم بمثل

هذه الخدمة لك!! إنما أحق الناس بالخدمة العالم!!

فقال لهم عليه السلام:- إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في

الناس كتواضعي لكم.

ثم قال عليه السلام:- بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل  
ينبت الزرع لا في الجبل<sup>(١)</sup>.

وكان النبي موسى عليه السلام لا يرى نفسه أفضل من غيره مطلقا ولو  
الكلب العقور وأما نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا جلس مجلسا لا  
يعرف حتى يقول القائل أيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

### التواضع مذموم في موارد:-

التواضع للأغنياء لغناهم عن أمير المؤمنين عليه السلام: - من أتى غنيا  
فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه<sup>(٢)</sup>.

بل يجب عندما يرى المتكبرون أن يتكبر عليهم عن النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم:- إذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار<sup>(٣)</sup>.

## **التؤدة وضدها التسرع**

التؤدة:- هو التأنى والتمهل والرزانة التي لا بد من أن تعتلي جميع الأمور  
ومنها وبها يحصل التروي وكشف ما تخفي الأمور من محاسن أو مساوئ.

فما من أمر تحلى بها إلا ونجح وما من أمر لم يحف بها إلا خسر وهي وإن  
كانت جنديا منفردا على حياله ألا أن للصبر في تحقيقها حظا وافرا لذا نعدها من  
شعب الصبر وقلنا ما من فضيلة إلا والصبر رأسها وعينها.

ومنها يحصل الثبت ومعرفة العواقب وتعد من أجنحة العقل لنيل الحقائق  
وهلك كل من لم يعمل بها لأنها إذا رفعت حلت بدلها رذيلة التسرع والعجلة وما  
أشرها من صفة فهي العمى بعينه و الهلكة بنفسها.

(١) الكافي (ط. حديثة) ج ١ ص ٨٩.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) مجموع ورام ج ١ ص ٢٠١.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- إنما أهلك الناس العجلة ولو أن الناس تثبتوا لم يهلك أحد<sup>(١)</sup>.

أقول:-

هذه حقيقة لم ينكرها أحد فإن جل المهالك ومصارع العباد جراء العجلة وعدم التروي عند اتخاذ المواقف فإن في اتخاذ القرارات يحتاج مجال واسع لاتخاذها فكل جندي من جنود العقل من العلم والفتنة تحتاج إلى مساحة من الزمن كي تكشف الموانع والعواقب.

ففي التسرع والعجلة يضيق الخناق على العلم والذي هو جندي لا يستهان به فلا يأخذ دوره بالمرّة وبالتالي كان العمل عن جهل وتخبط وكذا بقيه الجنود فإن التأني يعد المنتفس لها لأخذ دورها الفعال في العمل افهم ذلك فإنه دقيق.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبدا قيل وما هن؟  
قال:- العجلة واللجاجة والعجب والتواني<sup>(٢)</sup>.

الأناة من الله:-

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- الأناة من الله والعجلة من الشيطان<sup>(٣)</sup>.

للأعمال أوقات:-

قد يكون الزمن ظرفا في تحقيق المطالب وقد يكون الزمن موضوعا وروحا لتحقق العمل فإذا لم تعط الفسحة فقد جئت بالعمل بغير أوانه وبالتالي كمن

---

(١) المحاسن ج ١ ص ٢١٥.

(٢) تحف العقول ص ٢٢٣.

(٣) تحف العقول ص ٤٣.

قطف الثمار قبل نضجها.

عن أبان بن تغلب قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:- مع الثبت تكون السلامة ومع العجلة تكون الندامة ومن ابتدأ بعمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه<sup>(١)</sup>.

### لكل شيء أجل:-

قد يلح الإنسان بحسب عادته في قضاء الحاجة وكل أمر يقوم به أو يطلبه من الآخرين يريد الساعة وهذا لم يتناسب مع شأن الدنيا التي سن الله بها السنن والتي منها أنها بنيت أطوارا.

وعليه فإن الذي يجب أن يعلم جيدا ما من حاجة يقوم بها العبد إلا وجعل الله فيها أجلا موقوتا فلا تتقدمه ولا تتأخره فلو اجتمع الإنس والجن على أن يقدموه أو يؤخروه ما حركوه قدر شعرة مرهون قضاؤها في أجلها فلا بد من الصبر عليه ولذا قد ورد أن الرجل ليستجاب له دعاؤه لكنه يؤخر إلى عشرين سنة فلا بد أن يطلب قضاء الحوائج بتأني وتصبر.

### بركة العجلة:-

ليعلم أحبتي إن الإنسان يولد وهو مرتكس في تلك البركة وذلك الوحل فلا بد من الخروج وتطهير النفس منها كي تأمن من الندم والهلاك وقد عرفت بما لا مزيد عليه إن الذي أهلك الناس هو العجلة والتسرع في اتخاذ المواقف.

- قال تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الخصال ج ١ ص ١٠٠.

(٢) سورة الإسراء / آية ١١.

- وقال تعالى (خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) (١)  
فهذه الآيات المباركة تبين ما عليه الإنسان من هذه الصفة التي تعد آفة النجاح.

### التفاته:-

يعلم أن الحركات الظاهرية في أغلب حالات صدورها تكون انعكاسا للحركات الباطنية فتكون كاشفة عن حركات النفس السريعة أو البطيئة فالذين يتصرفون وكأنهم مجانين فحقيقة ذلك موجود في أنفسهم ولهذا الذي يريد أن يكون سليما من هذه الآفة عليه أن يلتفت جيدا إلى حركاته الخارجية وأن تكون بصورة منتظمة وهادئة حتى يغلب على طبعه ذلك وهذا أحد الركائز التي يركز عليها إصلاح هذه الرذيلة فإن الباطن والظاهر في تبادل من حيث الفضيلة والرذيلة يعطي أحدهما للآخر فلا يستهان بالحركات الظاهرية في دور علاجها للباطن.

## الحلم وضده السفه

الحلم هو إحكام النفس وضبطها عند الغضب أو ما يثير الغضب وينبثق منه الأناة فالحلم رحم الأناة ويعد الحلم رائد الفضائل وغنيمة العبد وصاحبه ممدوح وإن كان فاسقا وما حل في إنسان إلا رفعه وما فارق عبد إلا خفضه وهو غير كظم الغيظ وأعلى منه وكظم الغيظ والمداراة والتصبر والتحمل وحفظ النفس من الانفعال من ثماره وشعبه.

ويقوى بأمور:-

منها تقوية بصفة الصبر وجعلها بنظر الاعتبار ويلزم الكل فيها شدة الطلب، وعلو الهمة في كسب الفضائل، واعتياد المغفرة والعفو والتجاوز عن الإساءة، ولزوم الصفح عن الناس، وإلزام التغافل وعدم النقنقة والدقة فإنها من أسوء ما

يعرف به الإنسان، وإلزام الصمت فإنه نعم العون على بناء تلك الصفة، و كثرة التروي في الأمور حتى يكون ذلك ملكة من ملكاته فإن بالتروي يكون تعقل الأمور ويقوى تنفس العقل ويضيق الخناق على الأوهام التي هي مادة إبليس لإحداث الغضب، ومرافقة أهل الحلم وقوة الصبر فإن هذا الأمر نعم العون للحصول على تلك الصفة، ومجانبة الأصدقاء أصحاب الأمزجة الحادة فإنهم آفة الأخلاق، اعتياد كثرة الاحتمال ومشاركة النفس على تحملها والصبر على اجتيازها،

ومنها: النظر إلى الأخبار التي تتكلم عن الحلم ليقوى بذلك ويزيد من شحنته ويعرف ثمرته من خلالهم ليكون دوماً شديد الرغبة في طلبه، وليعلم الإنسان أن الحلم سعادة وسفينة يجتاز بها أمواج الهلاك فمن لم يحلم لا ينفعه علم ولا مال فهو نعم الناصر ويكسب صاحبه الأنصار.

### فضيلته في الأخبار: -

صاحبه محبوب عند الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - إن الله يحب الحي الحليم العفيف المتعفف<sup>(١)</sup>.

التحجب لله تعالى وكسب حبه يقع بأمور عديدة كالتقوى والإيمان والإحسان ومنها الحلم ولا يخفى ما في صفة الحلم من التشبه بأخلاق الله تعالى وبذلك يكون للعبد ما يربطه بالله تعالى رابطة قوية كالحلم والصبر ولهذا يحب الله تعالى بعض العباد مع أنهم لهم بعض الأعمال غير المرغوب فيها فالحليم أو الكريم أو الصبور قريب من الله تعالى.

### حضور الملكين: -

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٩٢.

فيما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال- : إذا وقع بين رجلين  
منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما:- قلت وقلت وأنت أهل لما قلت  
ستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما:- صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن  
أتممت ذلك فإن رد الحليم عليه ارتفع الملكان<sup>(١)</sup>.

وكلام لأمير المؤمنين عليه السلام مع قنبر عندما كان هناك رجل يشتم قنبرا  
فهم قنبر بالرد عليه!

قال:- مهلا يا قنبر دع شاتمك مهانا ترضى الرحمان وتسخط الشيطان  
وتعاقب عدوك فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أَرْضَى لمؤمن ربه بمثل الحلم ولا  
أسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه<sup>(٢)</sup>.  
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كاد الحليم أن يكون نبيا<sup>(٣)</sup>.  
من هذا الحديث وأمثاله تعرف قيمة هذه الخلة العظيمة والسجية الجسيمة.

### بعض مكاسب الحلم:-

- مما يكسبه الحليم بحلمه بأنه يسد أفواه الجهال والسفهاء الذين يقصدون  
كل شجرة مثمرة ليرموها بالحجارة بالسن حداد تقطر قيحا يوم المعاد.  
فالحلم نعم العون على مثل هؤلاء وأنه يكسبك الأنصار على خصمك  
الجاهل عن أمير المؤمنين عليه السلام:- أول عوض الحليم من حلمه أن الناس  
أنصاره على الجاهل<sup>(٤)</sup> وهذا ليس بالأمر الرخيص الذي يمكن إلغاء اعتباره.

(١) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢٦٧.

(٢) الآمالي (للمفيد) ص ١١٨.

(٣) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٤٣ ص ٧٠.

(٤) كنز الفوائد ج ١ ص ٣١٩.

- ومن مكاسبه أن الحلم يستر الخلل والعيب الذي يعتريك ويحافظ على مكانتك الاجتماعية والتي لا بد لك منها فإن الناس بالناس ولا غنى إلا لله الواحد القهار.

## النظرية والتطبيق

يعاني الكثير من حالة الإخفاق في التطبيق ويرى نفسه دائما فاشلة وخاسرة في الميدان ويعاتب نفسه ويلومها على ذلك لماذا أنا أكون حليما ثم أغضب أو يحصل مني السفة أو أكون متواضعا فأتكبر... الخ وبالتالي قد يقع في ظلمات الملالة والجزع ويستشهد بدعاء أبي حمزة الشمالي كلما قلت صلحت سريرتي عرضت لي بلية أزالتي قديمي.

لكن أقول يا عزيزي أنت عندك خلط بين النظرية والتطبيق ولم تفصل أحدهما عن الآخر والحق أنك لم تطبق وإنما كنت تعيش قناعة في نظرية وتشعر أنك في مرحلة التطبيق ثم ما أن تعرضت للميدان والاختبار والتطبيق فشلت وقولي فشلت مسامحة بل أقول لم تعمل بعد ولم تقوم بتطبيق ما قرأته وسمعته واتعظت به من كلام في الحلم أو الحسد أو الغضب.. الخ.

فيظن الظان أنه عندما يقرأ أحاديث أهل البيت عليهم السلام أصبح حاملا ومطيعا فيجعل من ارتياح نفسه للأخبار عملا وتطبيقا وهذا وهم وخداع وخط بل يعد هذا كله بعيد كل البعد عن التطبيق فأنتم متى طبقت وعملت ثم تقول عرضت لي بلية أزالتي قديمي - هذا الكلام يأتي بعد العمل الطويل تحصل هناك كبوات - ولكل جواد كبوة (ولكل حكيم عثرة) أما أنت لا زلت في بحر الأوهام ما لم تطبق .

وعليه فيلزم بعد قراءتك للأحاديث وسماعك لها من محاضر أو ما شاكل ذلك تستعد نفسيا وفكريا للميدان وجعل ذلك في ذهنك منتظرا التطبيق فالحقيقة

أن الواجب عليك انتظار الميدان لكي تمارس وتتحدى بهذا الخلق وما لم تعرض نفسك لذلك فلا تحلم أنك من أهل الحلم أو الصبر أو الشجاعة.  
فإذا نجحت في العمل حينها اشكر الله واطلب العون كي لا يخذلك في التطبيق ويعينك على نفسك وإذا لم ير منك ذلك فسوف يبتليك بالخذلان لأن الطعام إذا لم يعط لمن يأكل يكون هدرا وإسرافا تعالى الله علوا كبيرا عن ذلك فالنتيجة عندما تقرؤا انتظروا الميدان.....

### الصمت وضده الهدر

الصمت هو إقلال الكلام والتكلم عند الضرورة وبقدر الحاجة ومما لا بد منه وليس هو قطع الكلام بالمرّة فالأمر ليس كذلك وإلا بماذا ينتشر العلم وينصح الناس بعضهم البعض الآخر.

ولا يخفى أن للكلام شهية ورغبة عند عامة الناس بل الأعم الأغلب يكرر الكلمة الواحدة مئة مرة وهذا من أعظم ما يدل على سخف العقل وضيق التعبير وغلبه الجهل ولهذا يعد أمثال هؤلاء أثقل من حمل الحجر على العلماء ومن البلاء رجل يهدر عند عالم يجب الصمت.

وللصمت أهمية مهما بالغت بها لن تعطى حقها فقد عد الصمت من صفات الشيعة ومن لم يصمت فهو محب ليس غير.

قال أبو جعفر عليه السلام:-(إنما شيعتنا الخرس)<sup>(١)</sup> وأنه من أهم الخصال التي تجر إلى الجنة.

بل لا يعرف العبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه وأنه أول العبادة فلا يبتدئ بها إلا به ولذا كان العابد من بني إسرائيل يصمت عشر سنين ثم يبدأ

بالعبادة وأما أصحابنا اليوم يود الكلام مع الناس حتى في الصلاة بل لا يصلي إلا وهو يتحدث مع نفسه بحديث الدنيا لذا لا نجد أثر العبادة لا في دين ولا دنيا. ومن آثار الصمت أنه يكسب الحكمة ويعطي صفاء للقلب ويأمن الصحبة من الزوال.

وأما إذا وقع الخلاف وهو الهذر فالويلات تجر عليك من غير هوادة من كثرة المشاكل والمعاناة التي لا تعد ولا تحصى وأضرها قسوة القلوب فإذا قسا القلب انفتح باب الشر على مصراعيه فقد ورد (أن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون).

وليعلم الأحبة من الأخوة إن الإنسان ما يلفظ من قول إلا كان عليه رقيب عتيد قال تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) <sup>(١)</sup> وإن الله تعالى يكتب ويحصى عليه كل شيء من الألفاظ والأقوال حتى النفخة وحتى حركات الوجه واليد عندما يقع منه الغيبة بها على الناس.

فهو مفتاح كل خير وشر ويكتب العبد محسنا ما دام حابس للسانه إذا تكلم وقعت الواقعة وإن الجوارح تخاطب اللسان في كل يوم تقول له:- نحن بخير إذا سلمنا منك وأنه لم يدخل أحد النار إلا بهذا اللسان.

عن نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل طلب منه الوصية:- احفظ لسانك فقال الرجل مرة أخرى:- أوصني يا رسول الله .

قال:- احفظ لسانك ثم أعادها مرة ثالثة، قال:- احفظ لسانك

قال:- ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم <sup>(٢)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح.

---

(١)سورة ق /آية ١٨.

(٢)الكافي (ط. الاسلامية) ج ٢ ص ١١٥.

فيقول:- أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا؟!  
فيقال:- خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها  
الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام وعزتي وجلالتي  
لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك<sup>(١)</sup>.

#### تنبيه صحي:-

قد يخفى على الناس أن الكلام أثقل الجوارح عملا على الجسد وإن الجهد  
الذي يبذله الجسد تجاه الكلام يعدل جهد جميع الجوارح وقد اتفق أهل الفن من  
الأطباء أن كثير الكلام يموت مبكرا ودلت على ذلك روايات أهل البيت عليهم  
السلام وذكرنا شيئا منها في كتاب المعاد.. من أن حيلة الصحة في ثلاث قلة الطعام  
- وقلة المشي - وقلة الكلام هذا القانون سار حتى في البهائم فالتى تحدث  
الأصوات بكثرة يعجل ذلك بموتها.

#### الكلام والندم:-

كثيرا ما يحدث الندم عند الإنسان في أمورهِ التي يقوم بها والندم حالة أسمى  
على القلب ويكون ذو حشرات وقد يصعب تحملها بحسب العادة ويعد الندم نوع  
من الألم النفسي ولذا عد شرط التوبة والرجوع من الذنب وغفران المعاصي.  
وإذا عرفت هذا فاعلم وأنت تعلم أن جل ما يحدث الندم من جراء الكلام  
أكثر من الأفعال بل حتى الندم الذي يكون من الأفعال يكون مسبوقا غالبا  
بالكلام ولولا الكلام ما حدث الفعل الذي ندم عليه الإنسان ولهذا قال أهل  
العقل الندم على السكوت مرة واحدة إذا حصل وأما على الكلام فهو مرات  
متعددة تعصف براحة وسعادة الإنسان إلى حد الشقاء.

### للکلام شهوة لا بد من إخمادها:-

قد يتصور الإنسان إن كثرة الكلام منه شيء عفوي لا سبب يستند عليه ويرجع إليه غفلة بل الحق أن للكلام شهوة عارمة عند عامة الناس فالهذر والترثرة من الشهوات والأمراض النفسية وتستند على ضعف العقل وحب الفضول ولذا تجد أمثال هؤلاء يعيد الكلام مئة مرة حتى تكره نفسك الحديث معه ومما يؤسفني قوله أن الترثرة عند أقوام كانوا أولى بأن لا يتلوا بها.

### صمت العلماء:-

لا بأس بأن نخرج على شبهة داخلت المجتمع الديني الذي لم يختمر الدين بعد في بطنه وهو أنهم يلومون العلماء عند سكوتهم وكثرة صمتهم ويتذرعون في بعض الأحاديث الواردة عن بيت العصمة - إذا كثرت البدع على العالم أن يظهر علمه - أو القواعد - التي تقول الساكت عن الحق شيطان أخرس جرأة منهم على الله ورسوله وقد أمرا باحترام العلماء وفضل مدادهم على دماء الشهداء وإن الراد عليهم كالراد على الله تعالى وغيرها من الأحاديث التي فاقت حد التواتر وفي معرض الكلام نذكر ما قاله الشيخ بهجت قدس سره يقول الناس كانت تقلد العلماء لكي يتبعوهم ويتعلمون منهم وأما اليوم يقلدون لكي يتبعهم العلماء فلا يقلدون إلا لمن يستجيب لأهوائهم نسوا أن السكوت ربما قمعت به الفتنة وفقأت به عينها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عندما سكت وصبر على أذى الزهراء عليها السلام وأخذت منه البيعة لأشر خلق الله ومن المتوقع لو كنا في زمنه لألقين عليه اللائمة وخاطبناه بما خوطب به الحسن بن علي عليه السلام الإمام المعصوم:- يا مذل المؤمنين، جل سيدي ومولاي عن هذا القول لكن أقول حقا أن الذي قال للحسن هذه المقولة أنجب شعبا وهم هؤلاء الذين يخاطبون العلماء بهذه اللهجة الجارحة ولو كانوا في زمن الرضا عليه السلام لقالوا نسي الدين وركن إلى السلطان أين هؤلاء عن قول أبي عبد الله عليه السلام في صفات

المؤمنين:- ألسنتهم مسجونة وقلوبهم وعاء لسر الله إن وجدوا له أهلا نبذوا إليه نبذا وإن لم يجدوا له أهلا ألقوا على ألسنتهم أقفالا غيبوا مفاتيحها، وجعلوا على أفواههم أوكية، صلب صلاب أصلب من الجبال لا ينحت منهم شيء، خزان العلم، ومعدن الحلم والحكم، وتباع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، أكياس يحسبهم المنافق خرساء عمياء بلهاء، وما بالقوم من خرس ولا عمى ولا بله، إنهم لأكياس فصحاء حلماء حكماء أتقياء بررة صفوة الله، أسكنتهم الحشية لله وأعيتهم ألسنتهم خوفا من الله وكتمانا لسره...<sup>(١)</sup>.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:- جمع الخير كله في ثلاث خصال النظر والسكوت والكلام فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو وكل سكوت ليس فيه فكر فهو غفلة وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو فطوبى لمن كان نظره عبرا وسكوته فكرا وكلامه ذكرا وبكى على خطيئته وآمن الناس شره<sup>(٢)</sup>.

### الصمت إلا عن خير

اعلم يا عزيزي قسما بالواحد الأحد أن مرارة الكلام عند الأولياء والعلماء لأشد من مرارة العمل ولولا تكليف الله لهم لم يتفوهوا بكلمة في مثل هذه المجتمعات مستمعهم ساهي وعاملهم لاهي إذا أبلغ الواعظ بوعظه عبثوا بأنوفهم وطاشوا بأفكارهم.

ومنهم كالحمار يحمل أسفارا لا يروق له إلا الاستماع لا حظ له في العمل يستمع لوعظ الوعاظ ساعات متتالية ولا يقوى لإصلاح ما فسد ولو لدقيقة واحدة حبس العلم في قفص الذهن فكان مستند حجة عليه يهلكه في الدنيا ويخزيه يوم القيامة.

(١) المستدرك ج ٩ ص ٢٦ ح ٣.

(٢) البحار ج ٧١ ص ٢٧٥ باب السكوت ح ٢.

فالدنيا لمن علم وعمل وأخلص ومع كل ذلك فهو على خطر عظيم حتى يوارى في التراب وعلى ما مر من الكلام فإن الصمت راحة واستراحة إلا لمن اشترى منك أيها الواعظ فلا تسرف القول على من جبلت نفسه على العصيان وخسر الدنيا والجنان وكن ذاكرا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حاله مع من عاش في قربه وصحبه وجاوره فهل كانوا من الفائزين.

إذ يصحبك البعض كما يصحب الأمير الحمير فلا ينطق طوال حياته إلا النهيق فتكلموا وأجزلوا الخطاب فإن الصحة في قلة الطعام والمشى والكلام.

### الاستسلام وضده الاستكبار

الاستسلام سيأتي تمام معناه فيما بعد مقابل الشك حيث أن التسليم والاستسلام بمعنى واحد ويراد منها الانصياع والانقياد إلى الحق وإن كان في حالة المقابلة بالشك يراد منه تمام الانقياد على نحو لازم ولا يوجد ما يمنع أن يكون معنى مقابل لمعنيين وقد يتحد في معناه عند مقابلتها معا وقد يختلف.

فكل من دعي إلى الحق وأبى واستكف كان مستكبرا وغير مستسلم وكثيرا ما ذم القرآن الكريم الذين لا يستسلمون ولا يستجيبون لدعوته وعلى هرم العصيان إبليس لعنه الله تعالى.

- قال تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهو مستكبرون...) <sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة / آية ٣٤.

(٢) سورة النحل / آية ٢٢.

- وقال تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم  
داخرين)<sup>(١)</sup>.

وأكثر ما يظهر الاستسلام المقابل للاستكبار عند الدعوة منه تعالى أو من  
قبل أوليائه.

ويظهر الاستكبار من المكلف عند مخالفة تلك الدعوة قال تعالى (ومن  
يستكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم إليه جميعا)<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى (قال يا أيها الملؤأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني  
مسلمين)<sup>(٣)</sup>.

### الاستكبار:-

اعلم أن الاستكبار آفة الدين والدنيا حيث أخذ الله تعالى على نفسه أن  
يذيقه في الدنيا الذل والهوان ويركس بارقته ويرغم أنفه ليعتبر به غيره فلا يخرج  
منها حتى يذله الله تعالى وإذا كان من بعض من عرف الحق كما هو عليه بعض  
المؤمنين والمتدينين كان التطهر له ألزم وأوجب فلا يخرج حتى يطأ التراب بأنفه  
وخده ويرى عوز الحياة في الدنيا قبل الممات والذي يدل على ذلك شهادة العيان  
والوجدان فأنت ترى الظالمين مشفقين في ساعة العسرة والآخرة لهم شر مآب  
حتى أنهم لا يدخلون النار إلا داخرين أذلاء ولا يكون لهم مظهر يوم القيامة إلا  
بمظهر النمل لكي تسحقهم الخلائق وتدوسهم بأرجلهم حتى يفرغ من الحساب  
قال تعالى (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبسوا مثوى المتكبرين)<sup>(٤)</sup>.

---

(١)سورة المؤمنون /آية ٦٠.

(٢)سورة النساء /آية ١٧٢.

(٣)سورة النمل /آية ٣٨.

(٤)سورة الزمر /آية ٧٢.

وجعل الحق تعالى دخولهم الجنة من المستحيل حيث قال (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين)<sup>(١)</sup>.

وتتغذى هذه الآفة على الغذاء النتن من الاستعلاء على الناس والإيمان بالطبقية (وهل مثلي يكلم فلانا، وأنا لابد أن يعرف في الناس قدري؛ ولولاي لهلك الناس ولما كان لهم مكان وموضع؛ وأنا الذي أنجز هذا العمل؛ وهذا ليس من استحقاقي؛ وإن قدرتي ليس كمقدار عامة الناس؛ وإن حرمتي ليس كحرمتهم؛ والذين يميزون أنفسهم في المجالس.

فلا يجلسون عند كل أحد إلا أصحاب المناصب والثروات ولا يدخلون كل مسجد وحسنية إلا أن تكون تلك ذات شهرة ولا يصلون خلف كل أحد مهما كان إيمانه وتقواه إلا من رضوه لدينهم ولا يسمعون محاضرة فلان ما لم يكن مشهورا ولا يدخلون كل موكب من المواكب الحسينية إلا أن يكون يعسوب النحل وهكذا تنمو تلك الصفة الجهنمية على مثل هذه القذارات فيهلك العبد ويحسبون أنهم محسنون صنعا.

### التسليم وضده الشك

التسليم والاستسلام بمعنى واحد وقلب فارد ويراد منهما تمام الانقياد والقبول والإذعان النفسي لما يطراً على العبد منه تعالى من حكم شرعي أو حكم تكويني أمراً ونهياً قضاء وقدراً فإذا استولى الإذعان القلبي والانقياد النفسي على تمام المملكة النفسية وأصبحت منقادة له تعالى في ذروة الانقياد لا يشوبه شك أو ريب كان ذلك تسليماً فالعبد الذي يخلص من الحزازات النفسية الاختيارية

والاضطرارية اتجاه أحكامه تعالى يكون مسلما لأمره ومن لم تلوه صفة الانقياد لم يكن من المسلمين الذين مدحهم الله تعالى في مواطن كثيرة.

وطالما تقرب نبينا إبراهيم عليه السلام إلى الله تعالى بالتسليم له تعالى بل كان ذلك أفضل ما ترقى به عليه السلام مع الحق تعالى فيما حكى عنه تعالى (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا....)<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)<sup>(٢)</sup>.

- (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)<sup>(٣)</sup>.

والإسلام لم يكن معناه إلا وليد ذلك الانقياد قال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)<sup>(٤)</sup>.

فالذين لم يرتابوا ولم يشكوا بأمره تعالى ولم يعترضوا على سنة من سننه الكونية أو أوامره التشريعية ولم يقول لو كان هذا مكان هذا ولو كان كذلك ولم يكن كذلك أولئك هم الصادقون في إسلامهم ولذا عز اسم الإسلام الحقيقي في الانطباق وعز مصداقه من الرجال ومن النساء أعز ولذا لا بد من تفتيش الاعتقادات القلبية والنظر إلى عمق الإذعانات النفسية كي يظهر المضمحل من القول فلربما بيتنا من القول ما لا يرضي الله تعالى فيكون علينا حسرة وندامة في ساعة لا ينفع الندم حيث لا رجوع بعدها ولا إياب ويلزم العبد بعدها الاكتئاب.

فغياب الإنسان عن نفسه هو الذي يحدث المصائب والويلات فيظن أنه من أهل الاعتقاد الحق وأنه من المسلمين له تعالى غافل عن حقيقة أمره وشأنه الذي

(١) سورة الأنعام / آية ٧٩.

(٢) سورة البقرة / آية ١٣١.

(٣) سورة البقرة / آية ١٣٢.

(٤) سورة الحجرات / آية ١٥.

هو عليه فوت السنين الطوال وذهب رأس ماله هدرا فلم يصلح نفسه لا في اعتقاد ولا عمل (خدره اسمه شيعي ومسلم) ونسى أن إبراهيم خليل الله يقول أنا مسلم وهو يدعي كذلك أنه مسلم وطلب ان يكون من شيعة علي عليه السلام قال تعالى (وإن من شيعته لابراهيم) فأين هذا من هذا.

فالإسلام والاستسلام والتسليم شهادة عظيمة وهوية جسيمة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم تزعمته الألفاظ الإلهية والترتية الربانية وغابت عنه اليد الإبلسية فلم يعترض على ما جاء في كتابه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم متبعا الهدى على بصيرة من أمره لم يوزن الله بشيء في حياته ولا حتى بعد مماته تناسى الجنان بحبه وأسكنه موضع قلبه وأثار بنوره دربه.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا وإياكم التسليم ويمتنا ونحن مسلمين فأين نحن من قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدو في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)<sup>(١)</sup>.

### التسليم والرضا:-

لا يخفى أن التسليم مرتبة فوق الرضا ولهذا نسب الإسلام إليه في لسان أمير المؤمنين عليه السلام:- لأنسب الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك وإن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء<sup>(٢)</sup>.

إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله...

ويشير هذا الكلام منه عليه السلام إلى سلم تحصيل التسليم والإسلام وبين ذلك في ضمن شرح فقرات الحديث المبارك.

(١) سورة النساء / آية ٦٥.

(٢) المحاسن ج ١ ص ٢٢٢.

## أقسام التسليم: -

يقع التسليم في موارد ثلاث:-

- التسليم لله تعالى كما ذكرت الآيات المباركة وفيما أوحى الله إلى داود عليه السلام:- يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد<sup>(١)</sup>.  
فمنهج المؤمن في تحصيل إراداته منه تعالى هو إتباع إرادة الحق تعالى وإلا حاله كطالب من الماء جذوة نار تأمل في هذا الحديث وأعمد على التطبيق وإلا فلا تنفعك يا عزيزي كثرة القراءة فرب حامل كتاب لا يعلم ما فيه ولا يفقه منه كالحمار يحمل أسفارا وكالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

- والتسليم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم:- (قال أبو عبد الله عليه السلام:- لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ألا صنع خلاف الذي صنع أو وجد ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين)<sup>(٢)</sup> ثم تلا الآية المباركة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال عليه السلام:- عليكم بالتسليم<sup>(٣)</sup>.

- والتسليم للائمة عليهم السلام:- عن أبي يعفور قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام:- والله لو فلقت رمانة بنصفين فقلت هذا حرام وهذا حلال، لشهدت

---

(١) التوحيد (للصدوق) ص ٣٣٧.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٩٠.

(٣) مرآة العقول ج ٤ ص ٢٨٠.

أن الذي قلت حلال حلال وأن الذي قلت حرام حرام قال:- رحمك الله رحمتك الله<sup>(١)</sup>.

نعم هذا وأمثاله عرفوا الدين والإسلام أما الذين اعترضوا على الإمام الحسن عليه السلام حتى سحبوا البساط من تحته وأنجبوا اليوم أولادا يتهمون على العلماء والمراجع ويريدون من العلماء تقليدهم كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم فليس لهم من الإسلام إلا ما جرى على ألسنتهم نسأل الله التسليم بكل ما جاء به بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

### دور العقل في تصحيح المفاهيم الخاطئة

ذكرتني إحدى المباحث الأصولية في خطر المفاهيم الخاطئة التي يعيشها الإنسان في منحة الإلهية والنعمة الربانية وكيف لها الأثر السلبي على اعتقاداته وسلوكه الخارجي وتعامله مع الناس وأن المفهوم الخاطئ والصورة غير الصحيحة تكون مادة أولية لإغواء الإنسان من قبل الشيطان وربما كانت هناك مجتمعات كاملة برمتها مرتكز في نفوسها المفاهيم الخاطئة عن الحياة وهناك من يصفق لها من أصحاب الجهل والأقلام الفارغة عن الكرامة والعزة - أي المرتزقة منهم. وقلنا في حال علاجها يواجه الإنسان مشكلة الأتقاض المتبقية من بعد زوال هذه المفاهيم والمعتقدات ومن الصعب جدا إصلاحها ومنها ما يكون خفيا عن بصيرة الإنسان حتى السوي.

فبعض منهم يفهم عن حقيقة السعادة هو الاسترخاء وعدم القيام بمهام الأمور وتوفر المال والمركب الهنيء وغفل عن أن هذه الأمور توفرت عند غيره ولم ير صاحبها شيئا اسمه سعادة بل أورثته النكد وكثرة الحسد فتراه يساق كما ساق الحمير حول الطلب الذي يجر إلى الحرب وإضاعة المال.

(١) رجال الكشي اختيار معرفة الرجال ص ٢٤٩.

وأما التصورات والتوهيمات اتجاه الحق تعالى مما يعطل مسيرة الإنسان التكاملية فحدث ولا حرج.

وعليه فنحن لا نجد مثل العقل آلة لتطهير النفس من هذه التوهيمات والشكوك والصورة الذهنية القبيحة عن واقع الأشياء لذا آليت على نفسي توضيح هذه الحقيقة.

وعمدت إلى بيانها بهذه الأسطر عسى أن ينفعني الله بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ووجدنا أن العقل إذا قوى حطم مملكة الجهل وأباد آثارها وجعلها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا كي يتسنى لها النهوض من رقدتها قال الإمام زين العابدين عليه السلام:- واقشع عن بصائرنا سحاب الارتباب واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب وأزهق الباطل عن ضمائرنا وأثبت الحق في سرائرنا فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن ومكدرة لصفوة المناجح والمنن، فهذه الأمور كلها تحجب الألفاف الإلهية والنعم الربانية عصمنا الله وإياكم منها بحق النبي المختار.

## الصبر ووضده الجزع

يعد الصبر من أهم الجنود وما تحلى به امرء إلا لاح ضوءه للأبصار وعلا الأضواء كلها وصاحبه جدير بنيل الفضائل كلها وما من فضيلة إلا وكان للصبر يد في بنائها بل هو أساسها ومن دونه لا فضيلة قط ولا يعلو مجد الإنسان إلا بالصبر ولا ينتصر السلطان إلا بالصبر ولا يكتسب الجنان إلا بالصبر.

فالحلم والعزم والهمة والتأني والمداراة والتقية والطاعة والحفظ والغنى كل هذه وغيرها الصبر فيها أساس.

فأنت لا تترك الغضب وتحلم إلا بالصبر وهكذا وعليه وجب أن يسלט الضوء على اكتسابها أكثر من غيرها وأن تعطى جل الاهتمام لما عرفت من وقعها

في بناء جنود العقل وأنها لو حلت في بهيمة لأعطتها شرفا فكيف بمن شرفه وكرمه الحق تعالى؟!!

ولقد جمع سادة العقلاء الكلام للأنام في أحسن نظم ونظام ووفروا الجهد على السادة والعوام فقالوا فيه عليهم آلاف التحية والسلام:- رأس الإيمان الصبر. ومنزلة الصبر من الإيمان منزلة الرأس من الجسد.

والمعنى واضح جلي بأن الجسد لو قطع منه اليد أو الرجل أو أي عضو آخر يحتمل بقاء الحياة كما هو ظاهر لكن لا بقاء له بعد قطع الرأس .

وأنه لا يحصل العبد على شيء اسمه إيمان وهو فاقد للصبر فكلما بناه سنين طوال سوف يهوي في أول ريح للغضب أو الطمع أو هوى وما شاكل ذلك.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي:- كلما قلت صلحت سريرتي وقرب من مجلس التوابين مجلسي عرض لي بلية أزالته قلمي، وهكذا حتى تتم تلك الفضيلة في الإنسان.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بيان تعميم الصبر في جميع الأمور: - الصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور<sup>(١)</sup>.

فالصبر إذا حصن حصين وعبادة الموقنين وحزام الحازم وهمة القادم به تهون النوائب ويسلو عن الغائب وهو كنز الإيمان ومفتاح الجنان والمعين على البلاء ويقهر به الأعداء ومصيبة على الشامت.

والصبر ظفر وجنة من الفاقة وعدة الأولياء وذخيرتهم في دنياهم ومعادهم وهو عنوان النصر وعلامته على الأعداء ومن أفضل العدد وهو حصان لا يكبو وسيف لا ينبو وأقوى ما لبسه الأولياء وأعظم ما قهر الأعداء ولا فضيلة إلا به وعليه تقوم وبه تنال المراتب العظيمة وترقى الأنفس السليمة وتدرك الرغائب

ويمحق الرزية ولو ألقنا المجلدات في فضله لما أدركنا فضله وأدينا حقه ونحن ذاكرون جملة من منافعه.

- منها:- أنه يمنح صاحبه مرتبة عظيمة يوم القيامة فيدخله الله تعالى الجنة بغير حساب قال تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والوارد في حق أهل الصبر أنه يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون:- نحن أهل الصبر. فيقال لهم:- على ما صبرتم؟ فيقولون:- كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول الله عز وجل:- صدقوا أدخلوهم الجنة.

فيظهر من حالهم أنهم يسرون في تلك المشاهد العظيمة بنفس مطمئنة غير قلقة وهذا ما لا يزهد به إلا من تمحض الجهل فيه.

- ومنها:- أنه يعطي درجة لا يبلغها أحد بعمله.

- ومنها:- أنه يلبس لباس الحق الذي أذن بلبسه ويتحلى بخلقه تعالى فإن الصبر من صفات الله تعالى إذا تحلى العبد بصفات الحق قرب منه ومن قرب من الحق تعالى كان الله أقرب إليه.

فينظر الله له نظرة لم ينظرها للخلائق كلها - فما نظر للأولياء إلا لصبرهم على البلاء ولقد أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام:- تخلق بأخلاقى أنى أنا الصبور والصابر إن مات مع الصبر مات شهيدا وإن عاش عاش عزيزاً<sup>(١)</sup>.

- ومنها:- يستر العورات والعيوب فما ظهر عيب امرء إلا بعد أن يفقد الصبر ويتلى بالجزع.

- ومنها:- يعطيك الصبر ما قسم الله لك فإن الله يقدر للعبد مرتبة في العلم أو الجاه أو المال ولا يحجزه إلا الجزع فيترك المسير ويخيب عن طلبه وأما إذا صبر نال ما قسم الله له وكثيرا ما يقسم الله للعباد مراتب عظيمة في نيل الدنيا والآخرة ولكن تركوها لأنهم لم يتحلوا بالصبر.

فكم ممن ترك العلم وكان عند الله أنه يمنح ذروته فيما لو صبر ولكن حال عنه الجزع أه لو صبر الناس.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة: - أنها صبر ساعة لذا قالوا عليهم السلام من صبر ظفر ولو بعد حين وإن طال به الزمان. هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: لاتعدم الصبر الظفر وإن طال به الزمان<sup>(١)</sup>.

- ومنها:- أنه يفوت على الأعداء والشامتين فرحهم بخلاف الجزع و الشكاية فإنه يحزن الصديق ويفرح الأعداء والشامتين.

- ومنها:- أن الوارد في حقه - الصابر - أن الله يستحي منه أن ينشر له ديوان أو ينصب له ميزان فطوبى لهم وحسن مآب وفي ذلك ليتنافس المتنافسون.

- ومنها:- يسلم الأجساد من المرض والأنفس كذلك ويزيد في قوة النفس والعقل فجعل الأمراض سببها الجزع من البلاء وعدم الصبر على الشدة ونوائب الدهر.

- ومنها:- حصوله على المعية الإلهية والصحبة الربانية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)<sup>(٢)</sup>.

وتحصي له يكون بحبس النفس عن الوقوع في مهابط الجزع فليتأمل بما يخلفه الجزع وما يخلفه الصبر فإن الصبر يخلف الظفر والجزع يكون صاحبه كالمختنق والمنشوق كلما رفس ازداد اختناقاً.

بل عليه أن يظأطئ للبلية ويمنع نفسه عن الشكوى ويرابط على الطاعة ويكون عالي الهمة في ترك المعصية عفيف النفس كأمثال يوسف الصديق عليه السلام ومن حذا حذوهم عليهم السلام فهم القادة وتابعيهم سادة.

نصيحة: أيها الشباب لو راودتك فتاة أو امرأة شابة فانظر أننا في سفينة إن خرقت من قبل أحد غرق الجميع لا من خرقتها فقط وهذه نفسها في يوم سوف

(١) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢٦٤ باب استحباب الصبر في جميع الامور.

(٢) سورة البقرة / آية ١٥٣.

تكون إما زوجة لأخيك أو لابن عمك أو صديقك ولو مستقبلاً ألا تستحي أن تعتدي على نساء هؤلاء فإن فعلت سفلت بل ردها إن كنت بطلاً وغيوراً برد حسن تجمع فيه عقلها وهمها فأنت اليوم تبحث عن الشابة العفيفة مع ما أنكم أيها الشباب الذين أفسدتم النساء حتى وصل بكم الأمر لا تثقون بهن لكثرة خيانتكم معهن.

وفكروا أيها الشباب ماذا تتركون لأبنائكم من النساء فإذا أتم اليوم تقولون لا نجد من نتزوج والحال أتم فتحتم أذرعكم لغوايتهن فما يبقى لأولادكم وأولاد أولادكم فكروا وانظروا بعين الاعتبار وإلا فدواء الناظر يوم القيامة المسمار وأحر النار ولبس سراويل القطران.

فالصابر من صبر في مثل هذه المواقف والله لا يضيع عنده مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض أحصى كل شيء عدداً وما ذلك على الله بعزيز.

### طرق تحصيل الصبر

• أن يقوم بمطالعة الآيات والروايات التي تمدح الصبر ويعاودها ويتعاهدها على الدوام كي تختمر في ذهنه وتتعلقها نفسه وتخضع لها جوارحه وأما إذا ارتادها لمرة واحدة أو عدة مرات وترك فلا فائدة.

• أن يتفكر في عاقبة ما يمر به فما فائدة الجزع سوى ما ذكرناه من تراكم المصائب وليحفظ ما أخذ الله على نفسه من مجازاة الصابرين بالفوز في الدنيا والآخرة.

• أن يمارس الأعمال التي تروض النفس على الصبر كالصوم ومواقف التي يجزع فيها بحسب العادة فليتعاهدها ويروض نفسه شيئاً فشيئاً حتى تتسع رقعة الصدر لينال فوق ما أمل بفضل الله ومنته فإذا كان لا يصبر عندما يطرق الباب على أهله حتى يخرجوا فيعمد على طرقها هدوءاً حتى يصبر وهكذا كل مورد.

- العمل على تقوية الصفات التي تنعكس ثمارها على تلك الصفة كالأنفة والحزم والعزم لأن الصفات يقوي بعضها الآخر.
- يضعف جوانب الهوى ويخفض الشهوات التي تفضي إلى المنازعة.
- مرافقة الأصحاب من أهل الصبر وهذا عامل نافع جدا والابتعاد عن أصحاب العجلة والجزع واللجاجة فلا تجرد أضرم منهم.
- محاربة صفة الضجر وكثرة الشكوى فإنها تهدم الصبر وتعد من أشد العوامل ضراوة على تلك الصفة.
- اعتياد ذكر النعم وكثرة مزاوله التفكير في ما أسدي له من النعم وترك أهل الجحود بل رافق الذين يتذكرون النعم على الدوام.
- ليتذكر أنه بعين الله تعالى وما الله بغافل عنه وإن البلاء ثمن يتقاضاه بإزاء الدنيا والآخرة قال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا)<sup>(١)</sup>.

### طاقات النفس الكامنة

هذا الإنسان يعد من أغرب ما خلق الله تعالى من الخلق ففيه طاقات عجيبة لا يعلمها الإنسان نفسه وغير مدرك لحقيقة ما يحويه من تلك الطاقات الكامنة في النفس وهذا الجهل هو الذي يستدعي تأخره عن نيل الكمالات والمراقبي العظيمة ولذا تأخر من تأخر عن ركب العلماء وهوية الصلحاء.

وهذه الطاقات ربما تكشفها النوائب وقد يهلكها الجزع وقلة الصبر لذا يعد الجزع من آفات اكتشاف هذه الطاقات العظيمة فلما يسيطر الجزع على مملكة النفس يرسل خيال الوهم ضبابه وريحه السوداء ويهبط عزيمة الإنسان حتى يفقده توازنه ويوحي له نفوذ طاقاته كاملا وينسيه أن للإنسان طاقات تتجدد عند مآل الأمور إلى الأنهيان فيضعف عندها وينهار مع تلك الثروة العظيمة من الطاقات

(١) سورة السجدة / آية ٢٤.

الفكرية أو الجسمية أو النفسية وذلك كله بسبب تلك الصفة الذميمة والذي يجب علينا التغلب عليها مهما كلف الثمن بعزائم الصبر فإن حقيقة الصبر هو أن النفس تنشأ طاقة ذاتية تعمل على حفظ التوازن عند الشدائد وإبقاء المملكة تحت تصرف العقل وبخلافه الجزع.

فكم كان البعض أنه لا يتصور وجود صبر عند الأمر الكذائي ولكن لما حل به علا بقدمه عليه وأصبح له ثروة علمية هائلة.

بل رأينا ذلك في برامج الحق تعالى وستته أنه يروض الإنسان والعبد على ذلك فيبتليه بالصغار فإن صبر وإلا ابتلاه بالأكبر فإن صبر وإلا ابتلاه بالأكبر حتى يصبر عندها يعفو الله عنه.

واعتبر بالصوم والذين يقون تحت الأتقاض عشرة أيام من دون أكل ولا شرب وغيرهم تجد حقيقة ما ذكرناه بينا وكان يظن بعض العلماء بأنفسهم أنهم بلداء وأغبياء ولكن بالعزم والصبر وعلو الهمة تبينت حقيقة أمرهم أنهم علماء وأذكياء ومن الراسخين في العلم. ثم اعلم جيداً ان هذا الانسان لا يكشف طاقاته ويعرف ذاته الا اذا التحق بركب أهل العلم فان العالم من عرف ذاته.

## الصفح وضده الانتقام

الصفح من أسمى ما عرف به أهل البيت عليهم السلام (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)<sup>(١)</sup> ودعا إليه القرآن الكريم.  
- (وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل)<sup>(٢)</sup>.  
- (فاصفح عنهم وقل سلاما فسوف يعلمون)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران / آية ١٤٣.

(٢) سورة الحجر / آية ٨٥.

(٣) سورة الزخرف / آية ٨٩.

- (فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) (١).
  - (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (٢).
  - (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) (٣).
  - (فأعفو عنهم وأصفح إن الله يحب المحسنين) (٤).
- يعد الصفح من أشهر الصفات التي اتسم بها أهل البيت عليهم آلاف التحية والسلام وكان من سجيتهم العفو والرحمة وعدم مؤاخذة من يتجاوز عليهم وبذلك عاشوا سعادة الدارين وآمنوا شرور الناس وندب إلى ذلك الخلق الكريم القرآن العظيم بشكل لم يكن له نظير من حيث الأسلوب وموضع الاستخدام فأنت تجد في المواضع التي نقطع بوجوب الانتقام ولزوم المؤاخذة أن القرآن يعكس هذا المفهوم ويلزمنا بالصفح والعفو ويقاضينا على ذلك بما لا يزهده إلا الجاهل المعاند وهو العفو والرحمة والمغفرة منه تعالى قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) (٥).

نحن في مثل هذا الحال وهو ظهور العداوة من الأزواج والأولاد يهيج عندنا الحرص على الانتقام والأخذ بالعقوبة من طلاق الأزواج وإبعادهن أو استبدالهن والأولاد بما يعبر عن الانتقام من لفظ أو فعل إلا أن الحق تعالى في مثل ذلك يريد منا تطبيق ذلك الخلق الحسن وإن نجانس أخلاقه تعالى وبصفاته العظيمة من العفو والرحمة والمغفرة فيأمرنا بالحدز لا بالانتقام وبالعفو والصفح والمغفرة لأنه تعالى غفور رحيم.

---

(١) سورة البقرة/ آية ١٠٩

(٢) سورة النور/ آية ٢٢.

(٣) سورة التغابن/ آية ١٤.

(٤) سورة المائدة/ آية ١٣.

(٥) سورة التغابن/ آية ١٤.

فكما أن الله تعالى يدخر رحمته للعصاة فأنت كذلك لمن تدخر عفوك وصفحك ومغفرتك هل للمحسن لك أو لمن أساء وإلا سوف ينبئ ذلك عن خلوك من هذه الصفات والتي تعد من أنبل جنود العقل وأفضل ما يتحلى به العبد.

### وأما مع أصحاب العطاء المالي:-

الكثير من يعطي المال للفقراء والمساكين يريدون دوماً على خلق عظيم وعبادة تامة وثناء عليه حسن وإلا حرمة العطاء خصوصاً إذا صدر منهم ما لا يحبه من فعل أو قول ولكن القرآن يرفض ذلك رفضاً قاطعاً بل يريد الاستمرار وذكرنا في كتاب (من ورع العلماء) أن شيخنا الخراساني قدس سره أعطى مبلغاً ضخماً لأحد الخطباء الذين يسبونهم على المنابر فأخبروه جماعة بذلك وأعلمه الخطيب نفسه وقال له:- يا شيخ كيف تعطيني المال وأنا من الذين يسبونك ويفترون عليك!!

قال له الشيخ الخراساني قدس سره:- يا شيخ لم أجد في كتبنا الفقهية إن استحقاق العطاء الشرعي مشروط بموالاتة الأخند الخراساني.  
وقال تعالى فيه ذلك (ولا يأتل أول الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا)<sup>(١)</sup>.

فلما أراد أهل السعة قطع الإمدادات عن الفقراء والقربى لأجل بعض الخطايا أمرهم تعالى بالعفو والصفح والاستمرار على ذلك تأسيماً به تعالى ألا ترى أن الله تعالى يرزق العاصي والمطيع ويفتقده برزقه ويعطف عليه بشدائده وتمطر سمائه على المؤمن والكافر.

نعم أحبتي بعض الناس إذا لم تمدحه لا يمد يده بجيبه ليعطيك وهذا خلق الملوك ولا يعد ذلك صدقة ولا إكراماً منهم أبداً.

### الصفح حتى مع الكافرين:-

قد يتصور البعض أن هذا الخلق يكون مع المسلم والمحب لله تعالى والموالي لأهل البيت عليهم السلام.

نقول الأمر ليس كذلك فالحق تعالى يأمر به حتى مع الحاسدين من الكفار الذين يسعون جاهدين ليردوا المؤمنين عن دينهم قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم فاصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير)<sup>(١)</sup>.

هنا يتضح لك حقيقة وأهمية هذا الخلق وكم هو مهم في حياة العبد لتمشية الأمور ومجانبة الويلات التي تعقب الانتقام والمؤاخذة على كل فعل أو كلام فالله تبارك وتعالى يأمر عباده بالدفع بالتي هي أحسن حتى يأتيهم بالفرج الذي لا ضنك بعده.

### الصبر على أهل الخيانة:-

الإنسان المؤمن يعاني الكثير من أصحاب الخلق السيئ ولا يقدر على مواجهه بالانتقام فدوما يسمع ما لا يجب من الناس ولو بالحق فإذا كان علي عليه السلام مع رحمته وعفوه وصفحته وخلقه القويم وأنت خير يسمونه قتال العرب، وما قام هذا الدين إلا بالسيف... الخ.

نسوا صفحه للطلاق وأولادهم فكيف بك أنت أيها المسكين فإذا تجاوز عليك شخص فرددت عليه ثم عقبه الآخر وهكذا فسوف يقال أنك من أهل الشر والمشاكل مع ما أنك لم تأخذ إلا حقلك.

أنت خير اليوم كم نسوا الناس أخلاقهم وربهم وعبدوا الفضائيات فلا يأخذون بهدى القرآن و إنما ماذا تقول لهم الفضائيات فكل ثقافته وعلمه منها.

---

(١) سورة البقرة / آية ١٠٩.

ولهذا وغيره أمر تعالى بهذه الفضيلة ليعيش الإنسان حياته بسلام حتى مع أهل الخيانة قال تعالى (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)<sup>(١)</sup>.

أمر الله تعالى مع كل هؤلاء وغيرهم بالعفو والمغفرة والصفح وإن تتخذ كمال الاغماض والأعراض عن مثل هؤلاء وألا تظهر شيء من العداة والانتقام وتغض الطرف عنهم لديمومة الحياة حتى يأتي الله بأمره وينجيك مما أنت فيه من العناء من أخلاقهم السيئة وإن الله تعالى يحب المحسنين ولا يضيع عنده مثقال ذرة من فعل الخير.

### نصح: -

أحبتى الناس يفرون من علم الأخلاق ولا يباليون بما يتلوا من سيء الأخلاق ولكنهم غفلوا كم يموت فى اليوم والليلة ويخسر أمواله من جراء سوء الأخلاق وعدم الاعتناء بها.

فكم يموت بالخفة والتكبر والعجلة والحسد

وكم من الناس يخسر أمواله من جراء الطمع

وكم من الناس من أهلكته صفة الاستبداد بالرأى وعدم المشورة.

وعليه فاعلموا أنما نؤكد لكم جانب الأخلاق لا لضرورة دينية فقط كما

يظن بعض من يجهل نعيم الأخلاق.. لا، الأمر ليس كذلك بل لكي تعيشوا بسلام

أمينين فى أوطانكم أنتم وأبنائكم لكي تحصنوا أنفسكم من المهالك ولكي تأمنوا

أموالكم من الخسران وتوسوسوا أعراضكم من الهتك ودمائكم من السفك.

وأما الدين والعبادة فلها أهلها نأجاهم الله فى كنه عقولهم فقاموا له بين

يديه متملقين يدعونه ليل نهار قد غارت عيونهم من كثرة البكاء خالطوا الناس

بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الاعلى فالعبادة لأهلها وإنما أراد الأنبياء غير ما خطر في أذهان الجهلاء.

أحبتى أعد عليكم كم من أناس سكنوا القبور من صفة الغضب وحب الدنيا وكم من الناس أصابه المرض من سوء الأخلاق.

فالواجب إذا بناء ألف مستشفى للأخلاق وواحدة للأمراض الفسلجية ولو كان هذا لما تعدى زوار المستشفى الفسلجية عدد الأصابع أقول هذا ليس مبالغاً بل عين الحقيقة ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

### العقوبة على عدم التسليم: -

في هذه الوقفة الوجيزة أردت بيان نقطتين هامتين في حياة المكلف والعبد:-  
- الأولى:- أن عدم التسليم لله تعالى ولأوامره التشريعية والتكوينية يجلب لك الويلات فطالما يمتحن العبد ببعض الأوامر وبعض العطاءات الكونية ويأبى التسليم لله فيها فيبتلى بما هو أعظم ولو اقتصر الطريق بالرضا والتسليم لهانت عليه ولا تقطع عنه ما يضره وهكذا بعض المصائب يجزع الإنسان فيها ويعترض عليها فيبتليه الله بما هو أعظم منها وهكذا حتى ينجح.

لذا أقول للأخوة التفتوا جيداً لهذه الحقيقة كي تبادى ديمومة البلاء والمصائب وما تكرهه نفسك بأن تسلم بأمر الله تعالى وترضى بكل ما جاء ولا تشدد فيشدد الله عليك كما شدد بنو إسرائيل على أنفسهم فشدد الله عليهم.

- والثانية:- إن بعض المصائب والبلاءات نتيجة الشك في العقائد الحقّة والاعتراض على سننه الكونية أو التشريعية فأنت عندما تنظر تقول فلان مبتلى دائماً حتى أقعده البلاء عن أبسط أدوار الحياة وربما تساءلت كثيراً عن ذلك غافلاً عن أن هذا الشخص يحمل نوايا وعقائد باطلة وغير صحيحة ولو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولهذا لا يبلغ أحد اليقين حتى لا يلوم على ما لم يأت به الله تعالى وللناس أيضاً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- إذا فسدت النية وقعت البلية<sup>(١)</sup> فكثير من البلاءات سببها فساد العقائد وسوء الضمائر وخبث السرائر وقبح النوايا ومنها الشك فيما ورد من كتاب وسنه وهذا يقتضي أعمال وصيانة للنفس وتطهيرها من كل ما يحجب عن الحق تعالى.

نعم لا أعني من كلامي أنه ليس هناك بلاء وابتلاء إلا وهو مسبب عما ذكرت، الأمر ليس كذلك فإن الأولياء والأنبياء الابتلاء لهم هدية الرحمان ويتنعمون به كما يتنعم أحدنا بالرخاء وأشد من ذلك ولكن ليس من أمر عام إلا وقد خص فلا يدخل في هذا من خبثت سريرته وقدرت طينته وفسدت عقيدته.

### الغنى وضده الفقر

لا يخفى على ذوي الدين أن الفقر ممدوح في صريح الروايات وقد بلغت فوق التواتر كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- الفقراء ملوك أهل الجنة<sup>(٢)</sup>. وقوله صلى الله عليه وآله:- الفقر فخري، والفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة<sup>(٣)</sup>:- وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:- اطلعت إلى الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء والمساكين وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء<sup>(٤)</sup>. وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام في كلام مع أبي يعفور:- إن الفقراء المسلمين يتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين فريقا<sup>(٥)</sup>... إلى غير ذلك مما يطول علينا ذكره.

(١) غرر الحكم ص ٢٨٣.

(٢) جامع الاخبار ص ١١١.

(٣) بحار الانوار ج ٦٩ ص ٤٩.

(٤) عدة الداعي ص ١٢٤.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٦٠.

فإذا عرفت هذا فما هو المراد بالغنى الذي عد في المقام من جنود العقل والذي لا يكتمل العقل دونه؟

فنقول:- اعلم أن الغنى يقع في عدة أمور:-

• الغنى في المال وهذا أكثر ما يتبادر عند إطلاقه ولا يمنع من أن يكون جنديا من جنود العقل إذا كان بقدر يدفع عنك سؤال لئام الناس ويستتر العورة ويسد الخلة ويكرمك عند الأولاد والنساء عن الازدراء بك فإن الفاقة مهلكة للدين والدنيا وتضع العبد مع علو حقيقي ولقد تضافرت الروايات في بيان ذلك وإليك جملة منها:-

- قال أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام:- لا تلم إنسانا يطلب قوته فمن عدم قوته كثر خطاياها، يا بني الفقير حقير لا يسمع كلامه ولا يعرف مقامه، لو كان الفقير صادقا يسمونه كاذبا ولو كان زاهدا يسمونه جاهلا، يا بني من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال:- بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والرقعة في دينه وقلة الحياء في وجهه فنعوذ بالله من الفقر<sup>(١)</sup>.

فيظهر من كلامه أراد الغنى بالمال وطلب ما هو حلال وإن عدم ذلك آفة العقل والدين وليس فقدان جندي من جنوده فحسب بل عدة جنود كاليقين والحياء وغيرهما التي لها صلة في الدين والعقل مما أشار إليه عليه السلام في كلامه بقوله - والنقصان في عقله.

- وقوله عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى:- يا بني أني أخاف عليك الفقر فاستعد بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت<sup>(٢)</sup>.

وعليه لا بد للعبد من مكسب يكسب منه الغنى عن الناس ويحفظ دينه.

(١) جامع الاخبار ص ١١٠.

(٢) بحار الانوار ج ٦٩ ص ٥٣.

وقد ورد في مدحه الشيء الكثير قولهم عليهم السلام:- أحط دينك بدنياك ولا تحط دنياك بدنياك فإن الفقير مسترق الدين عند العامة من الناس قليل الحظ عندهم وإن كان عند ربه عظيما وأمره في الإسلام جسيما.

والغنى هنا ليس المراد منه كثرة المال الذي يثقل الظهر بالذنوب ويجلب الويلات والعيوب فهذا مذموم البتة لأنه يلهي عن الآخرة ويصد عن الطاعة ولا يمكن أن يكون ممدوحا بحال وإنما يحقق غناك عن الناس الذين لا يعطون شيئاً من حطاماً حتى يأخذوا دينك ويسقطوا مروءتك.

• ويقع معنى الغنى بمعنى غنى النفس حيث لا يتحقق الغنى الحقيقي من دونه ولو ملك الدنيا برحبها بل من لم يكن غناه في نفسه لم يذق لذة ما يملك ومن كان غني النفس حصل على لذة ملك لا يبلى ولو لم يكن عنده دينار.

فيما ورد أن رجلا موسرا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقي الثياب فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رجل معسر درن الثياب فجلس إلى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- أخفت أن يمسك من فقره شيء؟

قال:- لا؟

قال له النبي صلى الله عليه وآله أيضا:- فخفت أن يصبه من غناك شيء؟

قال:- لا.

قال:- فهل خفت أن يوسخ ثيابك؟

قال:- لا.

قال:- فما حملك على ما صنعت.

فقال الرجل:- يا رسول الله أن لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل

حسن وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر:- أتقبل؟

قال:- لا.

فقال الرجل:- ولم؟

قال:- أخاف أن يدخلني ما دخلك<sup>(١)</sup>.

ويراد من الغنى الغنى بالله تعالى:- وهو أفضل الغنى وبه يحصل الغنى والعز بلا عشيرة ولا مال ولا جاه. قال الامام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة (ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك).

وهناك معاني أخرى أيضا كالغنى بالدين والعلم ولا يوجد ما يمنع أنه يراد كل هذه المعاني فتأمل تجد حقيقة ما ذكرناه في ذروة الوضوح.

### تذكرة

أيها العبد الذي تلاقفتك مخالب المنية لا تغتر بغناك بكل ما أنت فيه من مال وصحة وجاه وشهرة وأولاد.

فأما المال فكلما زاد ازددت فقرا فأحوج الناس أصحاب الأموال والتجارات لذا فهم لا وقت لهم للراحة قط ويعبدون الثقات لندرتهم ويتوسلون بالسلطين لشدة حاجتهم إليهم فالأثرياء وإن ظهروا في مظهر الغنى ولكنهم بالتمعن يتبين لك إن حاجتهم تتضاعف بقدر تزايد ثروتهم فهم فقراء في مظهر الأغنياء ومحتاجون في زي من لا يحتاج.

فمن الناس لا صاحب مخلص لهم ومن العبادات كل واحد منهم مفلس وأما الصحة فالأعضاء والخلايا وكل ما فيك عبد الرحمان متى ما أمرهم الله تعالى بالتوقف خذلوك ولو بنفس واحد.

وأما الجاه فبالمظهر والمال والسلطة وبعد أن تحمل على الأعواد وتصبح جيفة ترش عليك الروائح والطور لا قيمة لكل ذلك وتعطى كل مساوئ الدنيا بعد ما كنت تحفل منها بكل المحاسن حتى التي لم تكن لك.

وأما الشهرة فسوف تذهب بذهابك حيث لا ساقى لها بعدك و لا ممول ولا داعي لها ولا مروج وتكون لغيرك ممن يصارع لأجلها الأبطال.  
وأما الأولاد فينظرون ما خلفت من الميراث فالذي لا يؤدي فرضه ويقصر عن خدمة نفسه وفي حياتك كيف يخدمك بعد مماتك لذا فاركن وولي وجهك شطر الواحد الباقي الأزل الغني الذي لا يشوبه الفقر واسمع كلمة الفصل من سيدك ومولاك الحسين عليه السلام واعتبر ومن الله التوفيق (الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي، إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك معنا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء)<sup>(١)</sup>.

### التذكرو ضده السهو

السهو:- قال بعض أنه النسيان للشيء والغفلة عنه والحق أنه ليس كذلك بل حالة تطرأ على النفس فيها تغفل النفس عما كانت عليه من الالتفات والحضور فلو عاد لوجد عنده ما فقدته وتركه ومما كان يذكره أو كان عليه من الأمر وهو الغفلة بلا خلاف وأما النسيان فهو ضياع ما حفظ عن الذاكرة مصحوباً بالالتفات ويقابل النسيان الحفظ كما سيأتي بإذن الله تعالى بيانه فيما بعد.

وهو من صفات الجهال ومر في أول البحث أن الجاهل إذا سكت سها أي غفل عن كل ما يراه ويدور حوله ويسمى هؤلاء بعرفنا أصحاب الشرود الذهني خصوصاً الذين لم يعتادوا على مزاوله العلوم النظرية فعندما يتلون بدراستها يكثر عندهم ذلك ولذا نقول أكثر ما يقرب معنى السهو هو حالة الشرود الذهني فمن لم يربط على الالتفات فهو ساه الذين يصحبون الناس في المجالس وبأجساد ليس فيها أرواح حيث تذهب قلوبهم إلى غير ما هم فيه من كلام وحديث فهم في

(١) دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

المجلس وليس فيه فقد يكون ملكة وقد يكون طارئ كالمدافع للحدث أو الضان بزوجه وصاحب القلق وغير ذلك.

فالجاهل ضعيف المرابطة على التذكر ثم لا يخفى عليك أن هذه الصفة إذا داخلت النفس أصابها العفن وكثرة الزلل وحرمت الحكمة والعلم والعبادة فإن التذكر نعم العون على حضور القلب في الأمور العبادية.

والعبد الذي يطلب الكمال والعصمة من الزلل وقوام الدين كالورع والتقوى لا يقدر على ذلك إلا بالتذكر للقوانين العاصمة والأخلاق الفاضلة فإذا لم يستحضر هذه الأمور بقوة التذكر فلا عصمة له بل لو غلب السهو على حاله تاه أمره في دينه ودنيا ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - من عصى الله فقد نسي الله<sup>(١)</sup>.

وتشتت همته وتلاعب به الأوهام وأصبح وكرا للأسقام الذهنية والعبد إذا سقم ذهنه سقم كل شيء فيه.

ويكون التذكر من جنود العقل وذلك لأنه قوام المعارف لا تكون إلا به ولا منفعة بما عنده من الأمور التي علمها إلا بالتذكر فهو يمثل استحضارها ومراعتها كي تأخذ أثرها الحقيقي فمع السهو والغفلة يضيع جهده فيكون كالحمار يحمل أسفارا فلا ينتفع بما عنده بالمرة.

وهذه الصفة أي التذكر يكون بها استحضار الحق وتتجلى منفعة أوامره بل حتى أدائها فلا يكون العمل تاما من دون التذكر وما كان مع السهو لا قيمة له بل ضياع.

فبالسهو ضيع إبليس علينا الصلاة التي لا تتعدى ثلاثة دقائق فلا يقوى أحد على حفظ قلبه مهما جهد فهذه الصفة شر الصفات بل آفة العلم والديانات.

---

(١) معاني الاخبار ص ٣٩٩.

فهي آفة الذكر وقد مدح الحق تعالى صاحب الذكر في أصحاب الغفلة ما يدل على عظم صفة التذكر وخطر الغفلة عن أبي عبد الله عليه السلام:- الذكر لله عز وجل في الغافلين كالمقاتل في المحاربين.

وأكثر أصحاب السهو والغفلة هم السوقة الذين يمتنون السوق قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة وغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر<sup>(١)</sup>.

### كيفية الحصول على التذكر:-

لابد لك من معرفة أن التذكر يمثل حالة وجودية يتعايشها الإنسان مع ما في نفسه وحوله وما يعنيه من أمره الديني والديني وأي شيء قراره النفس وليس هو طلبا بل هو نتيجة الطلب وثمار الجهد المبذول ويحصل بأمور نذكر شيئا منها:-

- الأول:- التفكير: هذه العبادة التي عطلها أحببنا من المؤمنين مما حدا بهم إلى هلاك الدين والدنيا وقد ذكر أن تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين عاما وليس الساعة المقصود منها ٦٠ دقيقة بل ما هو أقل حيث لم يعرف هذا الاصطلاح في عهد سابق كما تعلم وهذا الاهتمام بالتفكير لم يكن جزافا فرب تفكر ساعة يفتح لك أبوابا من المعارف والهداية ما لم تكن تحصل مع السهو.

لو أعطيت عمر نوح وصبر أيوب عليهما السلام بل لا نجد في تأريخ الذين تابوا وحصلوا المعارف من الخالص إلا وكان المنطلق لهم هو التفكير فإن الحر عليه السلام أخذ يفكر في أمره لحظات فنقلته من أسفل سافلين إلى أعلى عليين ولك أن تتبع الأخبار تجد الكثير من الاعتبار.

- ومنها:- ترك كل شيء يوجب النسيان كما سيأتيك في محله بإذن الله تعالى.

- ومنها:- الاستمرار على الأذكار الإلهية التي تفتح لها القلوب.
- ومنها:- مجانية ما يوجب الغفلة كمرافقة أصحاب اللهو والأغنياء ومناقشة النساء.
- ومنها:- ترك كل ما يجلب الخصومة والجدال فأنها تؤثر ولو بصورة غير مباشرة.
- ومنها:- مجانية أكل الحرام فإنه يورث السهو.
- ومنها:- مجانية الذنوب فإن كثرتها تحدث السهو والنسيان وفي ذلك روايات عن أهل البيت عليهم السلام.

### أين نجد الموعدة

قد يتساءل البعض أين نجد الحكمة وضالتنا من الموعدة وسمعناها كثيرا من الأخوة والأصحاب نريد درسا في الأخلاق لماذا لا يعطون العلماء الدروس الأخلاقية بمعنى يلقون اللوم عليهم ويتهمون الأساتذة بالتقصير في ذلك الميدان. والحق أن المشكلة لم تكمن فيما ذكروه فاليوم أهدنا يسمع المواعظ والحكم وعلى الدوام فما الذي أنتجته في القلوب غير الواعية والقاسية. فالمشكلة في القلب فإذا كان القلب واعيا تعظ من كل شيء واستفاد من كل شيء كائن ما يكون ذلك الشيء فقال بعض:- أنا تعلمت من القط والكلب والخنزير والغراب وبعضهم قال:- تعلمت من الحبل الذي حز في الحجر حتى أثر به فعندما كنت لا أفهم عند قراءة الدروس قلت في نفسي هل عقلي أشد صلابة من هذا الحجر الذي أثر به مثل هذا الحبل وقيل أنه ماء.....

والآخر تعلم من الخنفساء بقيت ليلة كاملة تصعد الجدار وأصرت حتى الصباح لتحقق مطلوبها والآخر غير ذلك.

وقال العالم الجليل الشيخ بهجت:- الأساس للاتعاض والانتفاع من المواعظ هو أن يحمل الإنسان روح الاتعاض والانتفاع من العبر والمواعظ وعندئذ فحيثما

التفت سوف تجد المواعظ وقال أيضا بالمضمون:- أن الطالب للمعرفة بصدق يعلمه حتى الباب والجدار.

وأما المعرض الغافل فلن ينفعه حتى تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعم كم هناك من عاش مع الأنبياء فتأثر بهم جذع النخلة والجدار ولم يتأثروا بشيء من المواعظ وقص القرآن على سمعك ما فيه الكفاية قال الله تبارك وتعالى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (١).

وقال أهل العصمة:- من لم يكن له واعظ من نفسه لا ينفعه وعظ غيره، وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- ما أكثر العبر وأقل الاعتبار (٢).

وما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله فيه بلى أحبتي الدنيا كلها مدرسة وكل ما فيها موعظة لكن لمن يعي ذلك ويفقهه وآخر كلمة أقولها إن الذي نعانيه أمران كثرة العلم مع عدم العمل وكثرة النعم وقلة الشكر فلو عملنا بما علمنا وشكرنا النعم لما حل فينا العذاب.

### الحفظ وضده النسيان

الحفظ المقابل للنسيان هو أن لا يغيب ولا يعزب عنه من الأمور التي زاولها والمسدية إليه حيث يجعلها في حرز حارز عن النسيان والضياع فيكون مستذكرا لها وراعيا.

ويقع ضده النسيان:- وهو ضياع ما كان مسترعيا له وللنسيان لوازم قد تأتي في بيانه في بعض المواضع كالترك وعدم الاهتمام وانقطاع تأثير ما في خاطره.

(١) سورة الحج / آية ٤٧.

(٢) بحار الانوار ج ٦٨ ص ٣٢٨.

كما في قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء)<sup>(١)</sup> فلما لم يكن ما عندهم من أمر الله رادعا وزاجرا عن المعصية ولم يكن أمره هاديا ولم يحصل مما عندهم استقامة كان ذلك نسيانا. فكل من لم يفعل ما عنده من العلم والحكمة يعد ناسيا لما عنده فقد غاب أثره عن الباطن.

والحاصل أن ما عندهم من معرفة فهي في عداد النسيان فقد غاب وعظها عن مقام النفس فهو كجهاز إذاعي لا يشعر بما يقول ولو كان لبان. أما لو حصل الحفظ الحقيقي وغادر النسيان بكل معانيه لتجلت الصور الحقيقية للمعارف وكان الإنسان واللجنة كمن تنعم بها وتقلب بين أشجارها وأغصانها ومع النار كمن أدخل فيها وتقلقل بين أطباقها فهو فيها معذب وبهذا يكون تاركا للمعصية مجانبا للسخط الإلهي.

فيظهر أن ما يجري على الألسن ألقاظ غابت معانيها عن صفحت النفس وحظ صاحبها منها الدنيا الزائفة فقط وسوف تذهب هذه التي نسميها معارفا في أول هول من أهوال الموت ولهذا يقال لمن يصلي ويصوم... من ربك فلا يجب ويتعق في جوابه مع ما أنه كان عبيد المأذنه كل ذلك لأنه لم يحضر قلبه درسا واحدا ولا عبادة واحدة وما أتى به لغير الله تعالى.

### الأعمال الظاهرية ومقام الغيب:-

الذي يجب أن نعلمه ونحفظه جيدا وأن لا يغيب عن ذاكرتنا كما غاب عن الكثير أن الأعمال الجوارحية التي تقوم بها بأبداننا لا يكون لها سوقا في الآخرة ولا حتى أدنى حظ ما لم تكون مصحوبة بالتوجه القلبي والأثر اللببي فتذهب أدراج الرياح فالجهد لا بد أن يبذل على الرعاية لا الشكلية والرواية وكثيرا ما يتخلف حصول الأثر نتيجة عدم الاهتمام بجانب الباطن للعمل ولم يصحب

بالتوجه القلبي بل نصلي بأبدان فارغة من الروح والعقل ولذا الصلاة التي نصليها لا تنهى عن الفحشاء والمنكر.

### ما يورث النسيان:-

- وهي قسمان منها معنوي والآخر مادي ونذكرها على نحو الاشتراك:-
- المعاصي.
- كثرة الهموم والأحزان في الأمور الدنيوية.
- كثرة الانشغال والروابط التي لا تناسب مع وضع الإنسان.
- أكل الكزبرة.
- وأكل التفاح الحامض.
- وسؤر الفار.
- وقراءة كتابة القبور وقيل القديمة فقط.
- والمشي بين امرأتين.
- وطرح القملة.
- والحجامة في النقرة.
- والبول في الماء الراكد.
- والنظر إلى المصلوب.
- والمرور بين قطار الجمال.
- وفي زماننا هذا كثرة النظر إلى التلفاز.

### ما يورث الحفظ:-

- الجدد.
- والمواظبة.
- وتقليل الغذاء.
- وصلاة الليل بالخضوع والخشوع.

- وقراءة القرآن حسب ما جاء في روايتهم عليهم السلام بل هو أفضلها.
- وإكثار الصلوات على محمد وآله (اللهم صل على محمد وآل محمد).
- والسواك.
- وشرب العسل.
- ومضغ اللبان (علك البستج).
- وأكل الكندر مع السكر.
- أكل ٢١ زبيبة حمراء كل يوم على الريق.
- وكل ما يقلل من البلغم فإنه يزيد في الحفظ.

### التعطف وضده القطيعة

التعطف:- هو الصلة وما يقع من التودد من أصحاب الخلق السوي الذين يرجعون بفضلهم على أرحامهم وعامة الناس ولها شعب كثيرة تلتبس من متعلقاتها كالتعطف على الزوج أو الزوجة أو الولد وغير ذلك. ويقع ضدها القطيعة والقطيعة قبيحة عقلا ونقلا وعرفا وأقبح ما تعلقت به الأرحام وعدها الحق تعالى من الكبائر التي توجب الخلود في نار جهنم (العياذ بالله منها) قال تعالى (...واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا...)<sup>(١)</sup>.

قال تعالى في مقام ذم:- القاطع لما يجب أن يوصل (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)<sup>(٢)</sup>.

فعلى العبد أن يدرك أن هناك بعض الأمور لا يتسامح بها مهما بلغت به الأسباب ولا معذريه فيها وإن قال أحد بمعذريتها فهو مخادع فليس كل الأحكام

(١) سورة النساء / آية ١.

(٢) سورة الرعد / آية ٢٥.

فيها تنزلات ومراتب من أحكام أولية وثانية بل هناك خطوط لا يمكن لأحد أن يتعدها مهما بلغ به الحرج والضرر.

- منها:- بر الوالدين فإن برهما غير مشروط بالقداسة والإيمان أو التدين وما شاكل ذلك بل أن برهما واجب على كل حال ولو كانا كافرين وبعض من ضعف عقله وقل فهمه يرى خلاف ذلك وأنه سوف يحاسب والده ويعقهما ويلزمهما الحجة وهذا من أسخف ما تسمعه ولو بلغ ما بلغ.

بل ليعلم جيدا أن العاق لا يخرج من الدنيا حتى يلاقي جزائه من العذاب فإن الله أخذ على نفسه معاجلة عقوبة من عق والديه ولا ينتظر به إلى الآخرة.

- والمورد الآخر الذي يجب أن يوصل ولا يمكن إيجاد فرصة للتعذر - الأرحام - فإن صلتها واجبة حتى ولو لم يكن أحدهم بمستوى من التدين كما يتذرع به البعض إن رحمي ليس عنده التزام ديني وغير ذلك من الأعذار.

فليعلم أن هذه المبررات لا ينظر إليها الله بحال بل يلزمه صلتهم بالشكل الذي يصدق معه الصلة وعدم القطيعة.

وأختصر القول بأن الأرحام يجب أن توصل مطلقا وفي جميع الأحوال والقاطع من أصحاب الكبائر.

### نوع التواصل:-

إن للتواصل طرقا عديدة فحملها على الزيارة فقط ليس بلازم بل لك أن توصلهم بأي نوع من أنواع التواصل ولو هاتفيا أو المراسلات عن طريق الأجهزة الأخرى والهدايا وإيصال السلام مع الأصحاب والأصدقاء وقضاء حوائجهم والدعاء لهم وهبتهم ما فعلوا من أذى لكن لا يعني أن يقطع زيارتهم بالمرّة اكتفاء ببعض السبل.

الأمر ليس كذلك لكن تقدر الضرورات بقدرها فمن كان رحمه في بلد وهو في بلد آخر يمكن مثل هذه الأمور التي ذكرناها.

أو يمكن حصول بعض التأخير بالشكل الذي لا يصدق معه القطيعة مثل الاتصال الهاتفي وغيره إلى حين التمكن من التواصل.

### قطع الأعدان:-

فيما ورد أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له:- يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلا توثبا علي - أي أرادوا ظلمي - وقطيعة لي وشتيمة فأرفضهم؟ - أي بمعنى أيقظ لي القطيعة كما فعلوا بي وأرادوا؟ أجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجواب لزم أن نحفظه جيدا ولا يقف على الأسماع فقط وهو:-

إذا يرفضكم الله جميعا!!

قال له الرجل:- فكيف أصنع؟

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- تصل من قطعك وتصل من حرملك وتعفو عمن ظلمك فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير<sup>(١)</sup>.

أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألزمه بالصلة مع القطيعة والزمه ذلك ولو رفضوه وأن يعفو عما ظلموه به وحينها لا ينسى الله ذلك بل سوف يكون الله ناصرا له وقبل أن يخرجوا من الدنيا يلاقوا عاقبة قطيعتهم أي قبل الممات وقد نصت على ذلك رواياتهم عليهم السلام.

### آثار قطيعة الرحم:-

- أنها تحجب الدعاء فإن دعاء قاطع الرحم لا يستجاب.
- لا يشم رائحة الجنة.
- تقصر العمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- إن المرء يقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى.

- أنها تورث الفقر.
- تعجل العقوبة الدنيوية.

### أثار صلة الرحم:-

- أنها تزيد في العمر.
- تحسن الخلق.
- تطيب النفس.
- تزيد في الرزق.
- وتعطي السماحة.
- وأنها أعجل الخير ثوابا في الدنيا قبل الآخرة.
- وترضي الرب تبارك وتعالى.
- وتقي مصارع السوء.

### تنبيه:-

إن قطيعة الرحم من أكبر الكبائر التي توعد الله تعالى عليها عباده النار والخلود فيها ولهذا لا بد لك من سبيل للخلاص من هذا التكليف ولو كلفك أعز شيء عندك فنحن كثيرا ما نعتقد أن مجاورة الأقارب شيء حسن ويجلب الحب والود بين الأقارب ولذا تجاوز أحدنا الآخر وقد تلغى الفواصل بين البيوت وهذا خطأ لا بد من صرف العنان عنه بل الأفضل والأحسن لذوي العقول الراجحة أن يكون هناك بعد مسافة لا إفراط ولا تفريط التي تلغى التحاسد والتدخلات غير المشروعة التي توجب الابتلاء بالقطيعة المحرمة ولذا يجب إحكام العلاقات بضوابط لا تنفر الأقارب وهي كثيرة يجب طلبها من مظانها ولو بالسؤال للذين عندهم معرفة في البحوث الاجتماعية.

## هجر الأخوان:-

إن هذا الدين ينعم به الملايين من الناس ولكن ما عرف حقيقته إلا عدد لا يصعب على اللبيب إحصاؤهم فعامة الناس يفهمون الدين - على غير ما قصد منه ففي حال الخصومة عندما تطلب منه الإصلاح والرجوع إلى حبل الوصال يتذرع بأن فلان ظلمي ، فلان لا يستحق المواصلة بل يتعدى الأمر به لأن يخرج من الدين وينفي عنه الحرمه وهذا لا يمر للإسلام بصله فإن الله تعالى اخذ على نفسه معاقبة الظالم والمظلوم معا ويلعنهما معا ولا يستجيب لهم دعوة ولا يقبل منهما عمل حتى يصطلحا ويرجع الود بينهما ولو كان ما كان ولا يجوز للمسلم الهجر أكثر من ثلاث أيام وإليك جملة من الروايات.

عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة وربما استحق ذلك كلاهما.

فقال له معتب:- جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟

قال:- لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتغامس له عن كلامه.

سمعت أبي يقول:- إذا تنازع اثنان فعاز أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه:- أخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم<sup>(١)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وفي وصيته صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر:- يا أبا ذر أنهاك عن الهجران وإن كنت لا بد فاعلا فلا تهجره فوق ثلاثة أيام كملا فمن مات فيها مهاجرا لأخيه كانت النار أولى به<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٤٤.

(٢) ارشاد القلوب ج ١ ص ١٧٨.

وعن أبي جعفر عليه السلام:- ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئت منهما في الثالثة. قيل هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال:- ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول:- أنا الظالم حتى يصطلحا<sup>(٢)</sup>.

فيجد المتأمل في هذه الأحاديث المباركة والتي تنعش الضمير وتريح خاطر بأننا مع طريقتنا هذه لسنا على هدى أهل البيت عليهم السلام ولا من الذين لهم عند الله المقام العظيم الذي يتوهمه البعض ما لم نقيم هذه المبادئ والقيم العظيمة ونتحمل في سبيل إقامة الحق ما فرضه الله تعالى علينا ولا نستغرب من ابتعاد الحق عنا بعدما بعدنا عنه وصحبناه بأعمالنا هذه ولا من عدم إجابة الدعاء والتوفيق بالأعمال أي توفيق هذا ورضا مع ما نرتكبه يوميا من خصومات وجدال فارغ وهل يوجد أحد لم يتل بخصومه ولهذا أن للشيطان يدا عندنا ولم تكن لله تعالى وعليه الذي يطلب النجاة والقرب فليسحق هذا الصنم الكبير والشيطان المتمرد - النفس - بنعله وينتفض لنجاته قبل الفوات والحسرة وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم.

### القنوع وضده الحرص

القناعة:- أن ترضى من الله تعالى باليسير من المعاش وهو لازم على العبد وألزم منه الرضا بما قسم وأن يخلص من إلهام الطلب وغلبة الشهوة والعمل على ترك طلب الزيادة فإن الطلب مؤونته الذل والهوان ويجلب الهم وانشغال البال وشدة التعب وضياح عمل الآخرة ويشتت أمره وضياح الدرجات الرفيعة وتكاليف الخصال الذميمة من الحرص وطول الأمل وسوء الظن بالآخرين وشكايه الحق تعالى والتدخل بما لا يعنيه وكثرة منازعة الناس وذهاب اليقين من القلب وغلبة

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١١.

(٢) الخصال ج ١ ص ١٨٣.

الشك على الطباع وعدم الشعور باللذة لما عنده من النعم وهذا من أشد بلاء أهل الدنيا، حيث أنهم يطلبون لذتها بما يجرمهم منها ولهذا لم يهنأ احدهم بالعيش ولو ملك الدنيا بربحها.

وسوف يبتلى بكثرة الهم والغم الذي يجلب السقم للأبدان وفقدان الروح والراحة وعدم القناعة يسلب العفة ويضطرب الإنسان على الدوام ويزداد عنده الشره ويسلب العز فإن العز مقرون بعدم الطلب والحاجة وعدم السؤال وعدم القناعة تقتضي كل ذلك بل أكثر.

الحرص:- شر الصفات وآفة الدين وهلاك المتدينين أخرج إبليس من نعيم الجنة وقرب الملائكة الذي تمناه دوما فلم ينفعه مع هذه الصفة لا علمه ولا يقينه فهاج به الحرص وعلا واستعلى ونازع الملك المتعال.

فالحرص شقاء وعناء ويورث الفقر ويعدم الرزق وعد عند أهل بيت العصمة من أصول الكفر.

بل أساس المعاصي ومفتاح التعب ومطية النصب ومقحم للذنوب مكثر للعيوب وأن إبليس قال لنوح عليه السلام:- إياك والحرص، وهو أول معصية عصي بها الله تعالى

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: - إن أذل الذل - أي لا أذل منه - هو الحرص<sup>(١)</sup>. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحرص فقال:- هو طلب القليل بإضاعة الكثير<sup>(٢)</sup>.

فلو تأملت فيما قاله لوجدت حقيقة خافية على الكثير من أن أكثر ما فقدت الناس اليوم أموالها وملياراتها جاء لشدة طلب القليل والحرص عليه وإن آدم عليه السلام طلب شجرة واحدة فأضاع الجنة بربحها. وهكذا لو حفظت هذه الكلمة البليغة وطبقتها على واقعك لوجدت الغنائم.

(١) بالمضمون.

(٢) بحار الانوار ج٧٠ ص١٦٨.

وربما الحرص أضاع القليل والكثير معا فكثيرا ما نحرص على أمر ما لكي نناله ولو طلبناه بتأني وتصبر لوصل إلينا ولكن لما أصابتنا اللجاجة في طلبه والحرص لنيله ذهب عنا وأفلسنا منه ولو صبرنا لأتى إلينا بارتياح وعدم مؤونة فصرنا بالحرص مضيعين مذمومين غير ممدوحين.

وكذلك فإن الحرص آفة الاستراحة فلا استراحة معه ويذهب بجيأ المرء ويورثه الوقاحة ولا يقين معه وربما كانت عاقبته الموت كما يحدث في زماننا هذا.

### كيفية الخلاص منه:-

يقع الخلاص منه بالتوكل على الله تعالى وترك شدة الطلب وعدم اللجاجة ومجانبة أهل الشره ومن ساء ظنه بالله تعالى فإن أمثال هؤلاء آفة الدين والدنيا وصحبة الأخيار ومن ذوي القناعة وكثرة ذكر الموت يقصر الأمل وكثرة التفكير بما سوف يؤول إليه العبد بعد هذا الجمع والنظر إلى الدنيا وما تستحقه والتأمل بأخبار من جمع بماذا ارتحل وفيمن نزل والله الموفق للسداد.

### **حبس الجنود في مرحلة المفهوم**

كثيرا ما يخادع الشيطان الإنسان في مجال التهذيب وعندما يقطع الفرد مرحلة في الرياضات بأنك كم جاهدت فلا ثمرة من جهادك كم قرأت وكم تكلمت فأين حلمك وأين صبرك وأين خلقك فعليك أن تيأس منه والكثير يترك المجاهدة جراء هذه التسويات الشيطانية.

فيجد الإنسان في نفسه هذه الفكرة (فعلا) واذ مر عليه من الزمن ولا منفعة فيما قرأ وتكلم وسمع ورأى.

وعليه إذا كان منه ذلك فليكتفت إلى أنه هناك خطأ في المسيرة وقد سلك طريقا خاطئا أو قد يكون قصر في إعداد العدة فالسيارة مثلا لو تكاملت من كل شيء ونقص منها سلك واحد فإنه يعمل على إيقافها أي أنك قد يكون انتفعت

وأينعت الثمار ولكن هناك عقبة وجب أن تزولها وسوف نتكلم في البحث عن ذلك.

وفي المقام ننبه على أن الفرد المستقيم الذي يريد أن يصنع جند العقل في نفسه عليه أن يرى في أي مرحلة يكون الجندي عنده فللجندي مراحل في نفس الإنسان منها مرحلة التصور والفهم والتعقل ومرحلة التطبيق ومرحلة الملكة التي تأتي من خلال كثرة المزاولة.

وما لم تحصل هذه المرحلة فما عنده من الجند وهم في وهم فعليه أن يقوم بالعمل الخارجي لكل جندي من جنود العقل فلا يكون حليماً بقراءته للكتب التي تحكي عن الحلم ولو ألف في ذلك ألف مجلد بل يكون الجندي عنده محبوساً في مرحلة التصور وقفص الذهن فقط وهذا منه خلط.

لذا الأخوة الذين يقرؤون هذه الجند لا يتصورون حصول الثمرة بالقراءة فقط بل نقرأ لكي نفهم التطبيق ونعرف مزاولة هذا الخلق لكي يصبح ملكة راسخة في النفس حينها تظهر الثمار.

وهذا المقام يعد من أهم ما يجب فهمه من قبل الأخوة أصحاب الرياضات والذين يحاولون تهذيب أنفسهم وحفظها عن الوقوع في مهابط الشيطان نسأل الله لنا ولكم العصمة والإعانة على النفس بحق محمد وآل محمد أنه سميع مجيب الدعاء.

## المواساة وضدها المنع

تنبتق هذه الخصلة الحميدة وتنطلق من أعماق من يهتم بأمور أبناء جنسه وتعتمد على خصال كالغيرة على الدين والحريم والتحلي بالمروءة والإنسانية والشعور بالآخرين والنبل ومجانبة القسوة والتوحد والتفرد والتكبر والحسد. فإن من ابتلي بهذه الخصال لا ينبع منه ينبوع المواساة وتمثل المواساة أحد العناصر التي يفترق بها الإنسان عن الحيوان فإن من لم يواس أبناء جنسه ووطنه

لا خير فيه عقلا وشرعا وعرفا فأما العقل فبالوجدان نجد نفور العقل وذمه لكل من لم يتحلّ بالمواساة.

وأما الشرع فقد ورد الشيء الكثير في ذم من لم يواسِ الناس عن الباقر عليه السلام:- من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجة إلا أبتلي بالقيام بمعونة من يآثم عليه ولا يؤجر<sup>(١)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام:- أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه فاستعان به في حاجة ولم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام:- من كانت له دار فاحتاج مؤمن إلى سكنها فمنعه إياها قال الله تعالى:- يا ملائكتي أيخل عبدي على عبد يسكن الدنيا؟! وعزتي وجلالتي لا يسكن جناتي أبدا<sup>(٣)</sup>.

وذكر ما هو أعظم من ذلك:- عن أبي جعفر عليه السلام:- من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرج كربته ويقضي دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده<sup>(٤)</sup>.

وفي ما ورد من ذكر بعض الحقوق على لسان أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:- ألا تشبع ويجوع وتروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى وأن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه..... إلى أن يقول عليه السلام:- وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألها ولكن تبادره<sup>(٥)</sup>.

(١) الوافي ج ٤ ص ٩٨٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٣٨٥

(٣) المعاني ج ١١ ص ١٠١

(٤) مشكاة الانوار ص ١٩١.

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٦٩.

أقول هذا الدين القويم والعرفان الصحيح لا أن العرفان والتقوى ألا تسلم على الناس ولا تنظر إليهم ولا تجالسهم وتراهم أنهم همج رعاك وأنت أنت لا غير.

يرى الإمام عليه السلام أن الحق أن لا تلجئ المؤمن لسؤالك وتجعله يبذل ماء وجهه بل بادره إلى ذلك وأما اليوم أحببتنا ومحبي أهل البيت عليهم السلام يحتاج إلى كتاب فيه يذكر الألقاب والكنى والعناوين والمدح والثناء (كتابنا وكتابكم) ومن ثم يسمع ما تقول فلا يبقى لك لا دين ولا دنيا ولا ماء وجه ولا توحيد لله تعالى لأنك سوف تسمعه ما لم يسمعه الحق تعالى من المدح والثناء. فإذا أنت أردت منه حاجة وجب أن تقول يا أخي لولاك لهلكت لولاك لما كنت، لولاك لما وصلت إلى هذا الحال ويجب أن تسمعه ذلك بين الحين والآخر كالصلوات اليومية.

وإلا فأنت ناكر للجميل وعديم الإحسان وهذا لو قارنته بما ذكرنا وما هو موجود في رواياتهم عليهم السلام لوجدته بعيد كل البعد عن الدين وعن ولاء أهل البيت عليهم السلام.

وعليه فمن يريد الاستقامة ويؤمن الندامة أن يتعدى إلى تطبيق هذه التعاليم التربوية الإنسانية ولا يضرب بها عرض الجدار ويجدع نفسه بالإسلام والإيمان وفي الحقيقة أنه لا يحمل شيئاً منهما .

فالإسلام ليس شعارات سياسية وحظوظ بهيمية بل الإسلام قيم ومبادئ وميدان للجوارح والجوانح وحزم وعزم وتعاهد الفضائل ومجانبة الرذائل... وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح.

### المواساة ترفع العذاب ولو عزم عزمًا:-

قد لا يخطر في بالك أن الله يرحم الأمة التي يرحم بعضها بعضا ولو كانت تلك الأمة كافرة ويسلط العذاب على الأمة التي لا تراحم فيها ولو كانت مسلمة وفيما كانت لنا ولكم فيه الموعدة في موضعين من سير الهادين للطريق المستقيم:-

حيث جاء في كتب السير أن ذا القرنين مر بأمة عادلة فوجد فيها العجائب ومنها ما ظهر من سؤاله إياهم حيث قال:- ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟

قالوا:- لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا!

قال:- فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا:- ليس فينا متهم ولا ظنين ولا لص وليس فينا إلا أمين

قال:- فما بالكم ليس عليكم أمراء؟

قالوا:- لا نتظالم.

قال:- فما بالكم ليس بينكم حكام؟

قالوا:- لا نختصم

قال:- فما بالكم ليس منكم ملوك؟

قالوا:- لا نتكاثر

قال:- فما بالكم ليس فيكم أشرف

قالوا:- لا تتنافس

قال:- فما بالكم لا تتفاضلون؟

قالوا:- من قبل انا متواسون متراحمون...!!

قال:- فما بالكم لا تتنازعون ولا تغتالون؟

قالوا:- من قبل ألفة قلوبنا وإصلاح ذات البين

قال:- فما بالكم لا تسبون ولا تقتلون

قالوا:- من قبل انا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم

قال:- فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟

قالوا:- من قبل إنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا.

قال:- فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا:- من قبل إنا نقسم بالسوية

قال:- فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ

قالوا:- من قبل الذل والتواضع  
قال:- فلم جعلكم الله أطول أعمارا  
قالوا:- من قبل إنا نتعاطى بالحق ونحكم بالعدل  
قال:- فما بالكم لا تقحطون؟  
قالوا:- من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار  
قال:- فما بالكم لا تحزنون؟  
قالوا:- من قبل إنا وطننا أنفسنا على البلاء وحرصنا عليه فعزينا أنفسنا  
قال:- فما بالكم لا تصيبكم الآفات  
قالوا:- من قبل إنا لا نتوكل على غير الله تعالى ولا نستمطر بالأنواء  
والنجوم

قال:- فحدثوني أهكذا وجدتم آبائكم يفعلون؟  
قالوا:- وجدنا آبائنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن  
ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم  
ويؤدون أماناتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله بذلك أمرهم<sup>(١)</sup>.  
حينها أقام عندهم ذو القرنين حتى قبضه الله إليه حيث عندهم حسن  
الإقامة وذروة الاستقامة فأنت تجد في هذه الحادثة من المعارف والمناهج التربوية  
بل العلمية ما يغني ويسمن ويروي كل ظمئان فالملاحظ فيها أن الذي عليه  
الشعوب من الدمار وكثرة المؤن في سبيل حفظ النظام وجعل السلاطين والملوك  
والوزراء والرقابة كلها سببها الرذائل هي التي أوجدت هذه الأمور التي باتت  
تكلفنا المبالغ الطائلة وذهبت بالعيش الرغيد.

فاليوم لا راحة لا لغني ولا فقير ولا لسلطان ولا لآمر ولا مأمور الكل  
سواسية في محن وبلاء جراء ما حوينا من الظلم والعدوان وحب التكاثر والتنافس  
وإطاعة الشهوات وغلبة الطبائع والخذاع ونسيان الفقير والتكبر على الآخرين

وبغض العدل والغفلة عن الاستغفار وترك التوكل على الله تعالى والركون إلى الأسباب الطبيعية والإخلاق إليها.

ومن هذا يتضح إن الشعب المثقف فعلا هو من يندر عنده عناصر الوقاية وأما الذي لا تأمنه على دينار إلا ما دمت عليه واقفا لا يسمى شعبه شعبا مثقفا ولا يدعي ذلك بأي سبيل بل لم يصل بعد أفقه الحقيقي ولم يلوح له طرفها.

نعم إنا نجد المخالفات صادرة ممن ينبغي ألا تصدر منه كالمسؤول وصاحب الشهادة وفضلاء الناس حسبما يدعون وفي الحتام أرجو ألا يفهم من كلامي نشوب نيران اليأس وفقدان الأمل.

بل لا زلنا نأمل بتطور ونضوج الأفكار ونأمل أن نحصل على شعب يتحلى في الشارع والبيت وفي كل مكان بالنبل والطرافة وحسن السلوك وإلا فلماذا نصرف جل أعمارنا بالبحث والتأليف والمحاضرات ونؤثرها على أعظم الأعمال!

### المواساة أنسجة المجتمع:-

إن هذه المجتمعات برمتها وعلى إطلاقها تمثل بدنا واحد كما تتداعى صحته كذلك سقمه وشيء منه يبتلى بسقم يؤلم الجميع سواء كانت عربية أو غربية أو غير ذلك إلا أن النظرة السطحية ينبثق منها هذا المرتكز لدى الأذهان وهو أن بعضها لا يرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا لكن المتأمل وأصحاب العقول واضح لديهم ذلك حيث نحن نرى البلاد مع عدائها المتواصل ونبذ أحدها للآخر فإنهم مع كل ذلك يتبادلون تجاريا ويعقدون صفقات مع بعضهم الآخر وتذهب مقاطعاتهم أدراج الرياح فيمكث الحق ويزهق الباطل وذلك لأنهم لا يجدوا بدا من ذلك وهكذا إذا اضطرت بلدة جرت أختها إلى ما ابتليت به بالأمراض وغيرها حتى يلزم الجميع معالجة من أصابها المرض الخطير تحصنا من انتشاره للمجتمعات نسيج لا يمكن إدخال أي فجوة فيه وهكذا الأفراد.

فبالمواساة تأمن أوطانها وتكسب أمانها أي بمواساة الفقير من قبل الغني أمن الغني على أمواله ونفسه في الشارع وعلى أولاده أيضا.

أما إذا ترك الغني الفقير يتلوى من الجوع ويأن من آلام البرد والحر سوف يزهد بما بقي من عمره وينفقه في الشر والانتقام وهذا ما يحصل اليوم مع الساسة من قبل شعبهم فساسة اليوم كالبهيمة السائمة.

وعلى ذلك لابد أن يفهم تلك الحقيقة ويتعقلها شبابنا الواعي والمدرك لقيمة الحياة والسنن التي أوجدها الله تعالى في عباده وهي أن العالم بأسره (يركب سفينة واحدة فاردة شاخصة) إذا خرقتها فرد أو شعب أو مجتمع أغرق الجميع قال تعالى (من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) <sup>(١)</sup>.

وهذه الثقافة التي لابد وأن يؤمن بها الشعب والعالم بأجمعه وسوف يتبين لك فيما بعد كي يزهد الباطل ويظهر الحق في كثير من المفاهيم التي أرادوا تزيفها ولكن صرعتهم بأحقيتها فأركستهم وأخزتهم.

### المودة وضدها العداوة

أسمى خلع العبد أن تراه ذا مودة ومحبة ولا خير فيمن لا يحب ولا يجب فإن مثل هذا تنتزه عنه حتى البهائم فإنها تحب أولادها بل أبناء جنسها إلا ابن آدم فإنه لا يحب بني جنسه حسبما جاء على لسان لقمان الحكيم عليه السلام ولهذا تترفع البهائم عن مثل هؤلاء والجماد كذلك على ما دلت الأخبار تمتعت بالحب أيضا فإن الجذع الذي خطب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وعندما تركه صلى الله عليه وآله وسلم وصعد المنبر كان يأن على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله ويسمع أنينه حتى الصحابة فلم يسكن أنينه حتى وضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده عليه.

فالإنسان الذي رزقه الله القلب والمشاعر أولى بذلك لا أنه يتأخر بمسيرته إلى حد لا يساوي الجماد والحيوان.

فاللازم أن ننظر إلى هذا الخلق بعين الله تعالى فإنه يجب خلقه حبا لا ترقى على فهمه العقول ولا ينبغي أن نطلق من هذه الأنفس الجوفاء فنخسر الحياتين الدنيا والآخرة فأما الدنيا فنعيش الحسد وألم الانتقام وكثرة المشاكل ونذهب إلى الآخرة بنخب السرائر وسوء الضمائر.

وأما الآخرة فإن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد:-  
وجبت محبتي للمتحابين في ووجبت محبتي للمتعاطفين في ووجبت محبتي للمتواصلين في ووجبت محبتي للمتوكلين علي.

وليس لمحبتني علم ولا غاية ولا نهاية وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم علما أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم<sup>(١)</sup>.

فلو دقت النظر في كلام الله تعالى لاحت لك الغنيمة وهو أن الذي يجب علينا أن ننظر لهذا الخلق بنظر الله إليه لا إننا ننظر بنظرنا الخاص المزاجي الشهوائي النظر القاصر الأناني.

فإن الله يجب من وما خلق فبهذه السعة والأفق الواسع يجب أن ننظر وهذا يتطلب منا مراجعة النفس وإعادة النظر في كل ما سرنا عليه وبنينا بنيانا عليه نظرة تصحيح واعداد وأما إذا بقينا على هذا الحال في النهار نعمل وفي الليل ننام وإذا نظرنا سهونا وإذا ذكرنا نسينا وإذا ابتعدنا غفلنا فعلى هذه القيم المنجية السلام.

لم يكن حظنا من المكاتب إلا الصور التي نأخذها بجنبها ومثل هذا ما ذكره القرآن الكريم كالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث وكالحمار يحمل أسفارا وما ذكر على ألسن المعصومين كم قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ولم يزدنا إلا بعدا وخسارة.

وعليه أقول:-

أيها العبد الذي تألمه البقة وتخنقه الشرقة وتنتنه العرقة إذا مات نتن وظهرت ريحه ويحمل البول والغائط أين ما حل.

انتبه لنفسك واستعد ليوم رمسك وأصلح يومك وامسك واخلع نعليك ونزعات نفسك قبل أن تطهرها نيران جهنم وقد قدم لك قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل فإن الله لا يجاور بهذه النفس الخبيثة فإنها تؤذي العلماء الطاهرين وجلوسك مع هذه النفس الخبيثة على قلوبهم كالجبال الراسيات وقد وردت الأحاديث ألا فتعظروا بالاستغفار فإن لذنوبكم روائح فكيف تجاور الله تعالى وأنت تحمل هذه الأحقاد والأدران فالرحيم يحب الرحيم والحبيب يحب المحب.

### دور العاطفة في الحياة: -

نقول غير مبالغين في هذه الحقيقة لو بذلنا قصارى جهدنا لبيان دور العاطفة في ترسيخ أو اصر المحبة في المجتمعات لما استطعنا بيان أهميتها حقيقة ومفهوما وأن ضياعها أو انعدامها يمثل انعدام الحياة وإلغاء فكرة السعادة ونحن لا نعطي قيمة للشيء من دونها مهما علت.

فلو بلغ العلم والفكر ذروته فمن دون العاطفة فإنه عار عن الفائدة كالأرض الجرداء التي تعصف بها الرياح ليل نهار عديمة المنفعة من كل جانب فنفس لا تسكنها العاطفة لا قيمة لها وكلما أرادوا محاربتها الذين تخلوا عن وجدانهم هاجمتهم في جميع تصرفاتهم وبذلك فضحوا كالذين يذمون البكاء على الموتى ويأبون ذكر أهل القبور لكن انظر إلى مصائبهم ماذا يفعلون فيها.

ابن تيمية حرم التبرك ولكن لما مات أخذوا منه كل شيء ومزقوه تبركا لاعتقادهم بأنه ولي فهذه وأمثالها أمور وجدانية ومحاربها مجازف بشخصه فاقد لعقله ولها القدرة على سحق أكبر عالم يقف أمامها مهما بلغ في علمه.

فالعاطفة والتي تعطف القلوب بعضها على البعض الآخر هي التي خلقت هذه الأجواء المتماسكة في المجتمع هي التي ربطت الإنسان بمهنته وبوطنه وأرضه وبولده وزوجته وجاره.

العاطفة هي التي دعت إلى رحمة الضعفاء ومساعدة الفقراء فلا يعطي الرجل حتى يستعطف العاطفة التي بنت الأسر وربت الرجال والنساء والذين حرموها سرحوا نسائهم وتركوا أولادهم آفة على المجتمع.  
ولا بأس بذكر الحقيقة الكبرى التي لا ينكرها إلا مكابر قضية الإمام الحسين عليه السلام فلما تحالف الفكر والعاطفة معا منذ قيامه عليه السلام بالثورة شيئا أمرا غير متوقع في أذهان أكبر الدهات في الإسلام والمسلمين.  
وأخذ ذكره يعلو إلى حد يكاد أن لا يصدق ماذا يحدث اليوم من ذكر الإمام الحسين عليه السلام على الساحة ونشر الإسلام وللكلام مقام نسأل الله التوفيق.

### لم كل هذا العداء

اعلم يا عزيزي لا يوجد ما يستحق العداء في هذه الدنيا فالتنافس فيها كالتنافس على الجيفة التنتة فالمناصب شر عواقب والمال صاحبه في أسوء حال وطويل العمر في أرذله وقصيره في غفلته والصحيح متعب والمريض محزون والعاقل مسجون والجاهل أسوء حالا من المجنون أهذه تؤثرون أم عليها تحرصون فإن حب الناس أذى وبغضهم أذى كذلك واعتبر بيوسف الصديق عليه السلام ماذا جنى من حب عمته سوى التهمة بالسرقة وماذا جنى من حب أبيه إلا حسد أخوته والإلقاء في البئر وماذا جنى من حب زليخا إلا السجن.  
وماذا جنى من حبنا له سوى ان مثلنا جماله بجمال النساء فإذا صرت شابا جميلا حسدتك النساء وسحرتك السواحر وإذا صرت قبيحا أنكرت فكل ما فيها مضر فابتغي عند الله المقعد الصدق واعلم أن غيره كاذب ولو كان ذو لسان طلق ذلق وقد أنبأ الله عنها (إنما الدنيا لعب ولهو وتفاخر)<sup>(١)</sup>.

### ونصيحتي إلى نفسي وأخوتي:-

أن الناس تنافست على الجيفة التنتة وتركت عبادة الحق من غير منافس وقد جعل الله الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة فاغتنم عبادته.  
فالיום وغدا أنت في جواره ويخسر المبطلون وتظهر الحقائق والدقائق وتفضح السرائر فأحسن السريرة واشتغل بعبيك عن عيوب غيرك فنفسك أولى بإصلاحك من غيرك والله الموفق للسداد جعلنا الله وإياكم ممن ربح زاد الدنيا والمعاد إنه كريم جواد.

### من أحب شيئاً أحب فعله وآثاره: -

لا تجد بدا من أنك إذا أحببت شيئاً ما أو شخصاً أنك تحب آثاره وأفعاله وكل دلائله وآياته وأما أنك تحبه ولا تحب ما ينسب إليه ودليله فان هذا مخالف للعقل والوجدان وعليه فالمحب لله تعالى لزم عليه محبة خلقه كائناً ما يكون لأنها أفعاله وآثار قدرته ودلائله وإلا ففي الحقيقة الأمر يكشف عن عدم محبته ولهذا جزئنا محبة الخلق حسب المشتبهات.

## الوفاء وضده الغدر

خير الكلام لرب الأنام قال تعالى مادحا لمن وفى بعهده (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا)<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً)<sup>(٢)</sup> فمدحه بالوفاء قبل أن يعنونه بالرسالة والنبوة لما لها من الأثر عنده تعالى ومن ذلك كثير.

(١) سورة البقرة / آية ١٧٧.

(٢) سورة مريم / آية ٥٤.

- وأما موارد الذم جاءت في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون... كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)<sup>(١)</sup>.

- وقوله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)<sup>(٢)</sup>.

فالوفاء يعم الجميع من المعاهدات والندور وأداء الأمانة والعقود والوعود والمكاتبات التي تكون بين الناس ولا يقصر به على مورد خاص ويقابله الغدر في الجميع من غير اختلاف أو تخلف فإن أنجز صاحبه في تلك الموارد فقد كان عند الله بمكان وإلا أعقبه الله تعالى نفاقا بعدها لا يجد حلاوة الإيمان في قلبه.

ولهذا في زماننا أصبحت القلوب كالخربة جوفاء لا نور فيها مع كثرة الأذكار والزيارات لأنهم نبذوا ما عاهدوا الله عليه الإيمان والتقوى والعمل بالشرعية لأنهم خانوا وغدروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ما أدى وفي ذريته وصاحب الغدر لا يطمع في رضا الله تعالى قط بل حظه مهما عبد المقت منه كما جاء في الآية الكريمة.

وعليه فالحق أن تعلم أن الوفاء هو الصدق منك والمروءة وأصل الدين الذي تدعيه والوعد رق وعبودية حتى تفي وأنت مريض وسقيم حتى توفي فإن وفيت فك رقابك وإلا فأنت مؤاخذ منه تعالى والمخاصم لك هو الله تعالى ليس غير ولو كان الوعد أو الأمانة لكافر فانه في مثل ذلك يجب الوفاء وقد علمت من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أنه أأتمن فأدها لأعدائه وأرجع كل شيء لهم وهم أعدائه وأعداء الله تعالى.

(١) سورة الصف / آية ٢-٣.

(٢) سورة البقرة / آية ١٠٠.

### اسمع قول إمامك: -

قال أبو عبد الله عليه السلام: - عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له فمن أخلف فبخلف الله بدأ و لقمته تعرض.... وثلاثة من كن فيه كان منافقا وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا ائتمن خان.... وقال أيضا إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله عز وجل صادق الوعد وإن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل عليه السلام: - ما زلت منتظرا لك<sup>(١)</sup>.

نعم أحبتي هنا في مثل هذه الأحاديث نضع النقاط على الحروف ونذكر بعبادتنا وزيارتنا لأهل البيت القرب والإيمان وإلا فما ينفع المقرب الواحد مع ألف مبعده؟! فمن لا يوفي لا يطمع في حلاوة الإيمان وسكنى الجنان.

### يجب أن تفي للجميع: -

لا تتذرع فلان كافر وفلا فاسق وفلان لا يستحق وبذلك تجد لنفسك مبررا لعدم الوفاء بالوعد أو العهد أو الأمانة أو غير ذلك.  
يقول لك الدين الوفاء واجب للكافر وللفاسق ومهما كان بعده عن الله تعالى وليس لك رخصة في ذلك أبدا قال أبو جعفر عليه السلام ثلاثة لم يجعل الله فيهن لأحد رخصة: - أداء الأمانة إلى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبر والفاجر وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين<sup>(٢)</sup> وقال في موضع آخر أربعة أسرع شيء عقوبة: - وعد منها رجل عاهدته على أمر، فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٦٣.

(٢) الكافي (ط. الإسلامية) ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) تحف العقول ص ٩.

### وعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:-

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم وعد رجلا في مكان معين فيه صخرة فانتظره عندها واقفا على قدميه.

وفي ذلك الحين اشتدت حرارة الشمس وأصبحت لا تطاق ورسول الله مع كل ذلك ينتظر،

فقالوا له أصحابه ترفقا بحاله صلى الله عليه وآله وسلم:- يا رسول الله لو أنك تحولت إلى الظل وكان الظل قريب بحيث كان يراه صاحبه،

قال صلى الله عليه وآله وسلم:- قد وعدته إلى هاهنا وإن لم يجيء كان منه المحشر<sup>(١)</sup>.

نعم:- بهذه الأخلاق بقي ذكره في المآذن ليومك هذا!!

### دور الأخلاق في حفظ المعاهدات:-

عانت الأخلاق والقيم الإنسانية جفاء من لدن أهلها وأعدائها أيضا وقاموا بالتشكيك في دورها وأهميتها القصوى في بناء الحياة وقال بعض أن اللجوء للأخلاق سببه الضعف والهوان الذي يصيب الشخص أو الشعب ونسب ذلك للمسلمين.

ولكن لما كانت الأخلاق هي من الأمور الوجدانية والتي يعد دورها في بناء الحياة لا يقبل النقص والإبرام ولا التشكيك أخذت دورها مؤخرا وعلى ألسن الداميين لها كالغرب وغيرهم من المسلمين المتسلطين على رقاب الناس.

فكان احدهم يهزأ بأهل الأخلاق ومن يتكلم بها وينتسب إليها أما اليوم فهم في كل مورد دفاعي عن ملكهم يضعون الأخلاق وأهمية القيم والمبادئ الإنسانية ليحفظوا عروشهم ورأيت ممن هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام يقول

---

(١) علل الشرائع ج١ ص٧٨.

في قفص السجن وأمام الحاكم:- حاكمونا بقول الإمام علي عليه السلام:- العدل البطيء ظلم والآخر يقول بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- لا تمثلوا ولو بالكلب العقور<sup>(١)</sup> وفرعون هذا الزمان يقول انبثقت لرحمة الأيتام والأرامل من الوحي الإلهي.

وهناك من يخطب خطبة في الدين والأخلاق مع كفره بالله العظيم والقيم الأخلاقية فإن هذا الرجوع اليوم للأخلاق ليس جزافيا بل لأن الأخلاق تمثل أرضية الحياة ولا يمكن التخلي عنها واستبدالها بشيء فلما كانوا أهل الكفر يملكون الأسلحة المحذورة يقولون (أنا ربكم الأعلى).

ولما ملكها غيرهم أن هذا مخالف للإنسانية ويهدد حياة البشر ومنافي للأخلاق ويجب حفظ الحدود وغير مشروع في الدين ولذا أبرموا المعاهدات والعقود ولكن ما قيمة العقود إذا لم يكن هناك باعث خلقي كالوفاء وخلو النفس عن رذيلة الغدر يعملان على تقويمها وحفظها فرجع الأمر بالتالي للأخلاق أيضا فرجعوا لما فروا منه.

فالأخلاق هي التي تحفظ المعاهدات وهي التي تحفظ الأموال، والغيرة هي التي تحفظ الأعراض والجوار.

فإذا لم يكن عند المرء دين يحجزه ويكرمه فليكن عنده أخلاق ولقد نقل لي رجل عن أبيه وقد كان من السراق يقول في يوم دخل والدي مع أصحابه ليسرقوا دار شخص فلما دخلوا معا إلى الدار وكانت مظلمة أخذوا يفتشون عن مآربهم وبغيتهم فأحس والدي بشيء فلمسه بيده فأراد أن يتذوقه ليعرف ما هذا الشيء من الطعام فوضعه على لسانه وإذا به ملح

حينها أخذ سلاحه ووضعه بوجه أصحابه!

قالوا:- له ما الخبر؟

قال لهم:- ارفعوا أيديكم عن صاحبي - أي صاحب الدار فأني قد تذوقت منه ملحا.

قالوا له:- لك ما تريد فأرجعوا أمتعة الرجل وأيقظوه من منامه وقالوا له الخبر.

فهذا لم يحكمه الدين بل حكمه الخلق.

إمامكم أمير المؤمنين عليه السلام يقول:- ما زنى غيور قط <sup>(١)</sup> (عنده دين أو ليس عنده دين) المهم عنده غيرة فإذا كان عنده لا يزني أبدا ولا يخون أحدا في عرضه ولو تعلق بأذيله.

واليوم شبابنا يضحك أحدهما على الآخر والنتيجة أصبحوا جميعا سخرية ومضحكة فلا الشاب يجد الشابة العفيفة ولا الشابة تجد الرجل الذي يتحلى بملامح الرجال بل تجد أن ما أمامها امرأة أخرى ولا ذوق لامرأة بأخرى.

فالشباب أفسدوا النساء بأيديهم ثم إذا سألتهم لماذا لم تتزوجوا بعد؟ يقولون:- لا نجد من تحفظنا في شرفنا وسمعتنا.

أقول:- ألم تكونوا أنتم الذين رببتموهن على ذلك ورغبتموهن فيه.

فبالنتيجة الكل يطالب أيضا بالعفة مع نبذها، المرأة التي تعيب على الرجل المتدين الخلق فعندما تتزوج رجلا سيء الخلق تعرف قيمة الأخلاق وقيمة الإيمان.

فالحب بين الزوجين لا يحافظ عليه الجمال البدني لأنهما سوف يألف أحدهما الآخر وأجمل شيء في الدنيا يذهب جماله مع كثرة المشاهدة والألفة بل جمال الحياة متصارع ويصرع أحدهما الآخر ولا ربح لأحدهما على الآخر ولا قناعة في واحد منها لدى البشر.

فالجمال الذي يحفظ بقاء الحياة الزوجية المعنوي الروحي والعلقة الروحية بين الزوجين يجعل من الزوج أن يرى زوجته أجمل نساء العالم وإلا بالوجدان لا تستطيع أن تصارع جمال غيرها من النساء والمرأة كذلك مع الرجل. ولذلك نحن نقول أن جمال يوسف عليه السلام لم يكن نسائيا النبي أجل مما وصفه السفهاء واعتقده الجهلاء.

بل جماله كان في روحه الذي أشرق على شخصه فهيبة الرجل جماله ولذا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان أجمل من يوسف عليه السلام فلما تعجبوا من جماله قال يوسف عليه السلام:- فكيف بجمال نبي آخر الزمان ولم يخطر ببال أحد أن جماله بالعيون الزرقاء والشفاه الحمراء فماذا بقي للنساء إذا. وذكرت كثيرا أننا سوف نعود يوما إلى كل ما جاءت به الأنبياء وأنكرناه بجهلنا بل لا يمضي عمر الإنسان حتى يطلب ما أنكره ليخلص به نفسه فأحفظ ذلك.

### الطاعة وضدها المعصية

قد اتضح لك مما سبق أن الطاعة تمثل الأثر الوحيد الذي يكشف عن وجود العقل ولكن خصوص الطاعة لله تعالى وبما أنزل على عبده لا مطلق الطاعة وإن تخلفت في مسيرة العبد التربوية فلا قيمة لها ولا وجود للعقل بعد ما مر عليك مرارا أن العقل هو ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان وتمثل سنام العقل وعز المؤمن ومن لم يتحلل بها فقد ذل فإن معصيته تعالى ذل.

وقد ورد الكثير في كلماتهم عليهم السلام العزيز من عزته طاعتك والذليل من ذلته معصيتك وليست هذه دعوة كدعاوي السياسيين بل أن تحليل الطاعة لله تعالى مردها للعز والكرامة ومعصيته مردها للذل والهوان وذلك بشهادة الوجدان فإن الواقع الخارجي يجد أن الذين عصوا الله تعالى وتمردوا عليه وخذلوا نصرته

الدين وحاولوا طمس سنن المرسلين وقتلوا المؤمنين قد ارتحلوا في غاية الذل والهوان وأذاقهم الله تبارك وتعالى الخزي في الحياة الدنيا.

وإن العصاة الذين أبوا عبادة الله تعالى وخرجوا من ربة الإسلام والدين فقد دخلوا في عالم الشهوات فهم خضع ركع لها تأمرهم بما لا يطيقون وأتعبتهم وخرجوا وهم يتحسرون بل في أشد الحسرة.

فيوم أنا ربكم الأعلى ويوم أنا أخوكم أنا خادم الشعب أنا المضحى كرجوع فرعون ولكن (أ الآن وقد عصيت) بعدما أحسوا بأس الله فإذا هم يركضون فأضرب بطرفك إلى أعماق التاريخ كم ذل الله العصاة كفرعون والنمرود وقارون وقوم لوط وما هي من الظالمين اليوم ببعيد كما ترى في عصرك الحاضر.

مكاشفة العبر لك بأمثال هذه الزلازل والفيضانات والأوبئة والأمراض التي تجعل أكبر الدول عاجزة ومكتوفة الأيدي وتتوسل بالدول المجاورة لإغاثتها وتصبر بسطاء الناس على تحمل الظروف القاسية ويحدث ذلك الزلزال في لحظات وذلك لتعلم الأمم وعامة الناس أن الله تعالى قال في عقاب الأمم السالفة أن هذا العقاب ليس من الظالمين ببعيد أي أن سنتي أخذ الظالمين وإذلالهم على جميع المستويات النوعي والفردى.

فلك أن تتأمل يا عزيزي بالذين تكبروا من أصحابك أو من دويرتك في آخر حياتهم كيف أركسهم الله في الذل والهوان فكل من عصى سنة الله فيه الذل والخزي ولا يخرج من الدنيا حتى يرتدي تلك الخلعة وفي الآخرة ما لا يخطر على البال وما تهد له الجبال من العذاب.

### وترتكز الطاعة على عدة ركائز: -

- الأولى: - المعرفة: - فإن المعرفة روح الطاعة وإلا فكم قارئ للقرآن والقرآن يلعنه وكم مطيع عند الناس وهو عاص عند الله تعالى وكم من متقرب إليه تعالى وهو في غاية البعد وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: - المتعبد من غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح.

- والثانية:- اليقين بما يعمل: فإن اليقين تثبيت الأساس للدين ومن دونه لا خير فيما يأتي قال عليه السلام:- ركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل<sup>(١)</sup> لأن العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه وتأتي الجاهل فتتسفه نسفا.

- الثالثة:- الإقرار قلبا بما أنزل إليه من قبل ربه تعالى:- فإن الله تعالى ليس كسلطان جائر يكتفي بالأثر الخارجي منك تعالى الله علوا كبيرا بل موضع نظره القلب فإن أطاع كتبت مطيعا وإلا فلا قيمة لما تأتي به فإن الله تعالى غني عن العالمين.

### بارقة أمل:-

الشیطان على الدوام يلوح للعبد العاصي الذي يدرك حق الطاعة وبطلان المعصية عدم إمكان التغير في نفسه ويضع له معوقات يكاد يغرق فكره بها ويفقد أمل النجاة حتى يجعله لا يبصر الذي يجنبه.

فالكثير من العصاة في محلته تابوا وأنابوا إلى الله تعالى والعمر حافل بذلك والقرآن شاهد الذي قبل توبة السحرة والحر عليه السلام وبشر الحافي وغيرهم الكثير والمجتمع معبئ بذلك فيعرج من أقبح الرذائل إلى أوج الفضائل ولكن بتغريز منه عليه اللعنة يحطم قواه كي لا يصل بغيته المنشودة.

والذي يجب أن يعتقد العاصي أن هذا كله من الشيطان فما أن يحصل في قلبك ذلك فأعلم علما يقينا أنه خاطر شيطاني فالإياس منه هو الذي يضعه في قلبك بل عليك نبذ وعدم الاصغاء اليه بعد أن علمت أنه خاطر شيطاني لأن الله نهى عن الإياس كما تعلم وجعله معصية أكبر من قتل الأنبياء وأن تتجه بعزم وإرادة وتسلق الجادة المستقيمة وأن تقيم صرح العوامل التي تبني الطاعة من ترك المعصية والعزم النفسي على ذلك وهجرة أصدقاء السوء وهذا أهمها واختيار

الصالحين من الناس وهذا من الأمور التي تعينك على كسب الفضائل ويجب أن تختار أهل الورع والصدق والأمانة ولو بشق الأنفس وإنفاق الأموال.

وأن تعلم أن التغيير مقدور بقدره العبد وربّه فإن الله يغير كل شيء إلى ما يريد يقلب القلوب ويصلح العيوب ويرد كل ما هو مسلوب من التوفيق فالحق تعالى له أن يغير المجريات التكوينية وله أن يجعل النار بردا وسلاما وله أن يجعل الثلج حارا فكيف نحن الذي فطرنا الله تعالى على الخير ولولا الخير الذي فيك ما خطر على قلبك حب الطاعة واستحسانها فأنت مليء بالخير ولولا المحاسن ولكن مكبل بقيود إبليس كاليأس والغفلة وطول الأمل وصحبة أهل السوء وغيرهما وإلا فليس كل من عصى فهو شرير ومن أهل النار.

الأمر ليس كذلك فلا بد أن يكون لك أمل بالتغيير فإذا لم يكن بقدرتك فإن الله تعالى قادر على كل شيء فقد يعطيك الصلاح والطاعة لسعيك وحبك الطاعة مع أن سعيك لا يجدي شيئا وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه عن فضله قال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلا)<sup>(١)</sup> (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا)<sup>(٢)</sup>.

فأعلم أن المهتدي من هداه الله والكل على تلك الشاكلة والله واسع عليم فله أن يقلب قلبك حيث يشاء فتبتغي من فضله ما يشاء جعلنا الله وإياكم ممن ينعم بفضل الهداية والصلاح.

## الخضوع وضده التناول

الخضوع شعبة من شعب التواضع وأحد اشراقاته على الجوارح والجوانح فيما لو حل التواضع في النفس ويتحلى به القلب وظاهر الإنسان فالقلب يحدث منه المطامنة والموافقة واللين عند سماع الحق ولقائه أيا كان الحق من الاعتراف

(١) سورة النساء / آية ٨٣.

(٢) سورة النور / آية ٢١.

بالمولوية الحقّة لله تعالى ولأوليائه ولمن أمر بإتباعهم كالعلماء ويشمل حتى الآباء والأمهات وعدول المؤمنين ويسطع نور الخضوع على جوارح العبد.

فالأولياء كان أحدهم يسير وكأن على رؤوسهم الطير ويحصل بتذليل النفس ورفع التكبر وترويضها على قول الحق ومزاولته وترك ما يؤدي ويشجع على التطاول كمخالطة السفهاء من الجهال الذين يستعلون على الآباء والأمهات ولا يعترفون بالعلماء أصحاب الأمزجة المتقلبة فإن هؤلاء أشد خطرا والوقاية والابتعاد منهم واجبة ولا تجد أخطر منهم على دين الرجل هؤلاء أصحاب الألسن الجارحة الذين يتقي العباد شر محادثتهم ومعاملتهم إذا تكلمت بكلمة رد بعشر لا يعطون لأحد اهتماما ولا قيمة وما أكثرهم في هذا الزمان الذي حكمت به الصبية وعلت واعتلت المناصب والمنابر حتى بات التطاول منهم فخرا بعدما كان عارا بين الأصحاب.

وأعظم ركيخته الوقاحة والتهتك والمكاشفة وسوء الخلق فإنها تفضي هذه الخصال إلى التطاول والتعدي على من لا يجوز التطاول عليه.

وعدها أهل البيت عليهم السلام من صفات الجاهل الذي لا عقل له فإذا أردت معرفة الجاهل الذي لم يحظ بشرف العقل فانظر إلى المتطاولين على الناس عامة والعلماء خاصة ويقع بخلافه أهل العقل فإن لهم سبق في طلب الفضيلة من العقلاء والذين هم أفضل منه.

والتطاول دائما لا حظ له من العلم والمعرفة شيء وذلك أن الجميع قد اتقى شر لسانه فلا يحفل في مشاهد العلم فهو يوحش القريب وينفر البعيد ويبلي كل ما هو جديد وفي نفسه وحقيقته شيطان مرید ذات نفس لم يصل لها نور الأخلاق قط قد حجز عنه ألسن الصلحاء وأورث من ذلك طول العناء.

### نصيحة للأحبة:-

أحبتني أن التطاول يورث الحرمان ويذهب بالحياء ويمنع من العلم والحكمة ومن تطاول أزرى بنفسه وكل هذه جواهر إذا رفعت من الإنسان لا قيمة له يصبح

كالأغلفة التي استهلك ما فيها من لباب وأعلموا أن الناس لا يسعدوا حتى يتركوا التناول ويخضع بعضهم للآخر وأما إذا أصبح كل فرد في نفسه - أنا ربكم الأعلى - فإنه سوف يتمزق نسيج المجتمع وتتلاشى عناصره التي تربطه وليس في ذلك من سعادة ولا محمده لأن الناس بالناس فلا تعتقد أنك الفرد الأوحده الذي قامت عليه البلاد والأصل الذي مد أذرعة الحياة بل قام هذا التطور والتحضر على كل جزء من هذا الكون وعلى كل فرد عربيا كان أو أعجميا بارا أو فاجرا حتى دينك الذي أنت عليه يكون قد ساهم فيه بعض الفسقة وقد ورد أن هذا الدين مؤيد من البر والفاجر.

وعليه فعود نفسك الخضوع لله تعالى ولما أراد الله إتباعه إياك والتناول فإنه مانع عن رقيق المادي والمعنوي ويكره الناس معاملتك ولا يطيق أحد سماعك ويحذرك الجميع ويتحاشاك كل من يعرفك ولا تجد عند الله عبدا أشر من هذا ولتعلم جيدا أن للتناول موادا يقوم بها منها بذاءة اللسان وخبث الجنان والفحش وما شئت فحدث ولن تبلغ قبح تلك الرذيلة بل من خواصها أنها تدعو كل الرذائل وتنتهي إليها جميع القبائح.

وأما الخضوع فبالعكس تماما ولو حل في عدو الله لما مضى من دون ثواب ولقد روي عن موسى عليه السلام أنه قال:- يا رب أنك أمهلت فرعون أربعمئة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويجحد رسلك ويكذب بآياتك فأوحى الله إليه أنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه<sup>(١)</sup>.

### المتناول في وحشة ليس لها نظير

قد يخفى عليك يا عزيزي أن المتكبرين والمرائين وأصحاب التناول ومن لا يخضع إلى أحد من الناس الذين أمر العقل بالخضوع لهم أنهم في وحشة وظلمة

(١) بحار الانوار (ط بيروت) ج ١٣ ص ١٢٩.

نفسانية وربما تعصف بهم ولا تبقى لهم باقية لا من دين ولا دنيا وربما نغصت عليهم العيش السعيد وسلطت عليهم الشيطان المرید لأنهم في تطاولهم على الغير وعدم الخضوع لأحد كمن احترق بيته وقام بإغلاق النوافذ جميعا فمنع أصحاب الإيقاظ من أن يدخلوا وينقضوه خوفا من السرقة والنهب ولا تجد أجهل من هذا الفعل بل هو في غاية حماقة.

فكثيرا ما يعيشون نيرانا لا هوادة لها من الجهل ويعانون من أزمات نفسية فييقون بها الى أبد عكس أهل الخضوع وأصحاب الأنفس المتواضعة فأنهم ما أن حلت بهم مشكلة اجتماعية أو اقتصادية إلا وطرحوها على من هو أهل لحلها فلما يطرح عليه الحل في أمر ما قبله مسلما وأخذه على أنه هو الدواء الأعظم فلا يتجاهله أما أهل الكبرياء والذين لا يعتقدون هناك من هو أفضل منهم فالأمر ليس كذلك أبدا بل حالهم أشر حال ولا يصف مراتبهم مقال.

ومن أمثال هؤلاء أصحاب الوسوسة في الطهارة فيظنون أن الناس جميعا ليس على طهارة وبفعلهم هذا قد أصابوا الواقع ولذا يعذبون أنفسهم ولا يخضعون لقول عالم قط وغيرهم ممن نبذ ميثاق الله وعهده في وجوب طاعة العلماء والصلحاء وعامة المؤمنين الذين تعتبر فراستهم يقين وظنونهم حجة عند الله لأنهم ينظرون بنور الله تعالى.

فالنفس المتواضعة إذا مرت بمأزق وجاءها الحل قبلته من المؤمن وكأنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الأنفس العصية المتكبرة المتجبرة تود لو ينزل عليها كتاب من السماء وما هي بمؤمنة به ولو كان للكتاب ظهير من الرسل والملائكة.

فخطر هذه الصفة ليست دينيا فحسب بل دنويا فإن أصحاب التطاول لا عيش هنيء لهم بعدما عرفت أن الإنسان لا بد له من بلاء في أمر معاشي أو اجتماعي أو سياسي.

وليعلم أحبتي من الأخوة أن الناس بالناس والغنى والكمال كله لله تعالى فلا بد من أن تعرف سبل النجاح في هذه الدنيا كي تحفل بالنجاح وإلا فليست الدنيا كما تظن كللق العسل فإنها لم تصف لمن خلقت له فكيف بك أيها الضعيف حليف الفقر والفاقة والله المسدد للصواب بمنه....

### قبول المجتمع أحد أنواع الإغراء

يبدأ الإنسان مسيرته متزنا في كلامه وحركاته وجميع تصرفاته ويحسب لما يقوم به من عمل ألف حساب فيحقق نجاحا باهرا ويكون مقبولا عند مجتمعه فيلاقي كلامه بالترحيب والإصغاء وبعد هذه المرحلة من القبول العالي بدأ قبول الناس منه.

فتبتدئ مرحلة الإفلاس فبعدها ربح استماع الناس إليه له واصغائهم وعلو كلامه عندهم ابتداءً يخسر ما ربح وذلك يعد من أخطر ما يمر به القادة والسادة والخطباء والوعاظ والمرشدين فيغيريهم قبول الكلام وكثرة الاستماع والتفاف الناس حولهم.

وهنا ننبه على هذه المرحلة التي فقد الرجل شخصيته ومروءته ونقول إذا أقبلت عليك الناس فأنها أقبلت لأنك كنت تحسب أفعالك وتصرفاتك وتلنفت إلى ما تقول فإذا أصبحت اليوم لا تبالي بما تقول وما تفعل فاعلم أنك خالفت القواعد التي كسبت بها مجتمعك ولا بد أن تبقى مسيرتك واحدة من حيث الالتفات فلا تتنازل عن كلامك المتقن الحكيم فبعد الحكمة ترتع بالفضول وبعد الصلاح تفعل الفساد.

فالبعض يهجم على مجتمعه والآخر يذكر بعض الألفاظ القبيحة غير اللائقة طرحها على أسماع الناس من حيث أنها فاحشة أو مهيجة للغرائز أو معكرة للأمزجة أو فيها نوع من الاهانة أو تبثلي بصفة الكبر والاستعلاء فيبدأ الكلام على

العلماء فتقول في نفسك أين العلماء عن كسب كل هذه الناس وإصلاحهم ولم  
يقم أحد بالوظيفة كما قمت بها أنا.

لا يخفى أن هذا الحديث لم ينج منه حتى خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه  
السلام وصاحب عيسى عليه السلام.

لذا يا أحبتي أدمنوا الرجوع للنفس والتفتيش عن معاييبها والحذر كل الحذر  
من إقبال الناس على الفرد الواحد والله لم أجد أسلوب منه للعقل والله العاصم  
من الزلل عصمنا الله وإياكم بمحمد وآله.

### السلامة وضدها البلاء

فقد قيل انه يراد بها السلامة من العيوب والبلايا والآفات من خلال  
التخلص من الأمور المسببة لها كأخذ الحيطة والحذر عند مزاولة الأمور الحياتية  
والمعاشية وهي من شعب البلاء واحتمل الشيخ البهائي رحمه الله غير ذلك بان  
المراد بالسلامة سلامة الناس من يده ولسانه ويراد بالبلاء ابتلاء الناس به.

والبلاء هدية من الحق يتعاهدها لعبده على الدوام ما لم يتوقاها بدعاء أو  
صدقة أو غير ذلك مما يدفع به البلاء وقد ورد مدحه للمؤمن بلغ فوق حد التواتر.  
فما عن الصادق عليه السلام أنه قال:- إن الله عز وجل ليتعاهد المؤمن  
بالبلاء لا يمر عليه أن يقوم ليلة إلا تعاهده بمرض في جسده أو بمصيبة من مصائب  
الدنيا ليأجره عليها<sup>(١)</sup>.

بل عد البلاء من هدياه تعالى لعبده في بعض الروايات عن أبي جعفر عليه  
السلام:- إن الله ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة  
ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع الاخبار (للشعيري) ص ١١٤.

(٢) الكافي (ط. الإسلامية) ج ٢ ص ٢٥٥.

وكان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم من الأولياء ثم الأمثال فالأمثال كل حسب درجته؛ وذلك لأن البلاء فيه منافع جمّة يصعب استقصاؤها:-

- منها:- المغفرة ونيل الثواب قال الإمام الصادق عليه السلام:- إذا أحب الله عبدا ابتلاه ببليّة وأجازه بمجازة المغفرة.

- ومنها:- ردعه عن الطغيان: فالعبد إذا دامت عافيته طغى واستعلى فإن النمرود لم تصبه حمه ثلاثون عاما.

- ومنها:- التبصرة في الحياة ومعرفة حقائق الأمور.

- ومنها:- نضوج العقل إذا كان بمستوى لا يؤدي إلى وهنه وبذلك تعلق درجته يوم القيامة لان الثواب على قدر العقل.

- ومنها:- معرفة جواهر الناس فإن الكثير لا تعرف جواهرهم إلا بالبلاء والامتحان.

ولكن مع كل هذا يعد البلاء مشغلة للقلب مدهشة للعقل مضعفا للقوى فإذا تسلط على الدوام هدم الكثير من بناء مملكة العقل ولهذا كان أهل البيت عليهم السلام مع حبههم له يطلبون العافية والسلامة: ففي ما ورد من دعاء زين العابدين عليه السلام (ولا تفرق بيني وبين عافيتك في الدنيا والآخرة).

فإن المبتلى في البدن أو المال أو الأهل مبتلى بالعقل ولذا وجب علينا إقالة عشرات أصحاب البلاء لأنهم في معزل عن قوى الإدراك حتى قيل عند العرف من ذهب ولده أو ماله ذهب عقله.

ثم لا يخفى عليك أن البلاء يقع تارة في الدين وأخرى في الدنيا ومعلوم أن مصيبة الدين والبلاء فيه من أشد المصائب فالسلامة فيه جند من جنود العقل والبلاء جند من جنود الجهل لما آل إليه البلاء من الخسران قال الإمام زين العابدين عليه السلام:- وأمن علي بالصحة والأمن والسلامة في ديني وبدني<sup>(١)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية (دعاءه عليه السلام عند طلب العافية) .

فالسلامة المطلوبة في المقام هي سلامة الدين والدنيا والعافية عافيتهما معا ومن جميع الآفات حينها تكون السلامة والعافية هنا جنديا من جنود العقل وهذا لا ينافي دورة النقاهاة والتطهير إذا جاء بنسبة لا تضر في دين الرجل أو دنياه.

### أسأل الله لنا ولكم:-

اللهم أسألك أن لا تجعل بلاءنا في ديننا ولا دنيانا وإذا عافيتنا اجعلها عافية منمية لدينك عندنا ولا تجعلها عافية منمية للكفر والطغيان واجعلنا بها من الذين مدحتهم وقلت فيهم (الذين إذا مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)<sup>(١)</sup>.  
اتخذوا سفن عافيتك لمرضاتك لا للتمرد والطغيان عليك اللهم وإن بدر منا ما يخالف إعطاء العافية والسلامة فانظر لنا بعين العفو والرحمة والغفران وانظر لما أنت عليه من القدرة ثم انظر لما نحن عليه من الضعف والفقر والحاجة إليك.  
إلهي نحن عبيدك المتجبرون والمتكبرون والكافرون والعاصون لم نخرج عن حد المسكنة والفقر إليك وقد غرنا سحابة من العافية ونسيم من السلامة ما ذلك إلا لضعف عقولنا وقلة بصيرتنا فارحمنا لأننا خلقك ولضعفنا الذي حدا بنا أن نكون تحت لواء الوهم فمن حطم أركانه الوهم كيف يدعي القوة والجبروت.  
إلهي قويتنا بجندك فنحن نعيش بها وهي ما أودعت بنا من الأعصاب والغضاريف والخلايا والعظام والأعضاء كالقلب.. والخ كلها جنودك يا رب فمتى ما أمرتها استجابت لك فالطيب لا يدفع عن نفسه حتفه لو جاء.  
فيا من يعفو والعفو أحب إليه ويا من يغفر والمغفرة أحب إليه ويا من يرحم والرحمة أحب إليه صلي على محمد وآله وأعف واغفر وارحم عبادك كلها بحق محمد وآله فإننا لا طاقة لنا لما أعددت من العذاب للعاصين من نار تأكل بعضها الآخر ونار تذر العظام رميما من نار عمقها سبعين خريفا من نار نورها ظلمة.

## أشد الناس بلاء

البلاء كثير ولكن أشده وأضره على العبد هو أن العبد يرى نفسه الكمل وغيره لا شيء محقرا لغيره زاهيا بنفسه مستعليا على من أسدى إليه المعروف يرى علم غيره جهلا ويرى جهله علما فمثل هؤلاء لا صحوة لهم يرى لنفسه من الحق ما لم يكن حتى لأعظم الناس قدرا فهو الكل الذي لا يدانيه في العقل أحد أحبتي هذه النظرة التي أسقطت إبليس بعد العلم واليقين والكشف والشهود وعظيم العبادة ولمدة قصيرة ولحظة من العصيان فكان ما عمله هباء منثورا لم يجعل الله لعمله وزنا.

وعليه لا بد أن تأخذ استحقاقك ولا تعدو بنفسك قدرها فإن الشيطان يحتاج إلى من يؤنسه ولا يؤنسه أحد مثل المتكبر وأصحاب الخيلاء عصمنا الله وإياكم من كل آفة بحق النبي المختار وآله الأطهار.

## بلاء هذا الزمان

من الغريب جدا أنك تسمع هذه الأحداث التي مر بها الناس والشعوب وأن البلاء له سطوة لم يعهدها أحد من قبل إلا قوم عاد وثمود ومثل هؤلاء أقوام كفر وجحود والمصيبة أن بلائهم أصبح يعم حتى المسلمين وأصحاب الدين فما هو السر في ذلك مع أننا نعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا يدفع بالرجل المسلم البلاء عن دويرته وما دار حولها وربما رحم أمة كاملة لرجل واحد أليس منكم رجل رشيد.

فالظاهر أن البلاء ليس له دافع في هذا الزمان وأكثر ما يجلبه خبث السرائر وسوء الضمائر فالشخص قد يكون مصليا صائما حاجا ولكن هذا عمله وأما نفسه فهي أخبث من كل خبيث على وجه الأرض فالله لما يفتش عما يدفع البلاء

عن الناس ينظر إلى السرائر كما ينظر إلى الأعمال بل لا تنفع الأعمال مع خبث السريرة وربما لا تضر مع حسنها.

ومن بلاء هذا الزمان كثرة النعم مع قلة الشكر وكثرة العلم مع قلة العمل فيسمع احدنا الواعظ لساعات وإذا أكمل عاد لما نهى عنه فأصبحت معاصينا مسبوقه بالإصرار ولهذا أخذنا بعذاب عاد وثمود.

### العلاقة بين المحن الدنيوية والعبادات

كثيرا ما يقصر النظر إلى الأشياء فيغبن حقيقتها ويغير واقعيتها بخلاف ما لو أعطى واحد منا أبعاداً واسعة لمعانيها ومفاهيمها حتى التي لم يفهمها بعد ولو الجزء اليسير منها فلا بد في ذلك من حملها على الجهل ولا يحق التكهن بواقعيتها التي لم تظهر.

وفي المقام إن الكثير منا لا يرى علاقة بين الابتلاءات والمحن الدنيوية وبين عبادة التوكل والرجاء والدعاء والتوبة والإنابة والرضا فلا يرى أن هناك علاقة وثيقة ومتمينة جدا وأن أحدهما يبني الآخر وأقرب لك بالمثال فإن التوكل لو لم يكن هناك مخاطر تتحدى الإنسان وابتلاءات تكدر مسيرته لا يؤخذ دوره ولا يتحلى بها أبدا وكذلك في مسألة الرجاء فإن المحن وصعوبة الحياة هي التي تجعل العبد راجيا لربه وتكون موضعا لتطبيق تلك العبادة وحدث الذنوب هي التي من خلالها تكون الإنابة والرضا كذلك فلو لم يحدث ما يخالف المزاج ويحقق الإزعاج لا معنى للرضا والتسليم فلما يوجد البلاء والابتلاء يلزم العبد بالرضا والتسليم بما حل به.

إذ أن الحياة لو كانت كالجنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين حينها لا معنى للرضا والتسليم وستكون النتيجة حرمان العبد من أعظم القربات الإلهية وأفضل الصفات الربانية التي تقرب العبد من ربه إذ أن هذه الصفات تشكل علائق وثيقة وروابط متمينة للعبد بربه لأنها تؤول إليه تعالى فالتوبة رجوع إليه تعالى

فالحق تعالى أشد فرحا بتوبة العبد من فقد الرجل ضالته ثم وجدها حسبما جاء في الأخبار والتوكل عليه جل وعلا وجعله هو المدبر للأمور لا غير من أسمى الروابط الإلهية وأفضل صرحا للعبودية وبخلاف ذلك لو سجد العبد طوال الدهر وكسر منه الظهر لم يذق طعم العبودية فالصلاة هي تلك المعاني من التوكل والرجوع والإنابة والرضا والدعاء والتسليم له إلى غير ذلك وكل هذه الأمور تبنيتها وتشيدها المحن وما يمر به الإنسان من البلاء ويعد ما ذكرناه من أسمى ما يحصله العبد من تحف البلاء فالنتيجة أن الصورة الواقعية للبلاء هي محض عبادة ليس غير فنسأل الله لنا ولكم العافية وألا يجعل بلاءنا في ديننا.

### الحب وضده البغض

الإنسان مجهز بكل مايؤول به إلى الكمال وإلى ما يلزم به العيش في هذه الحياة فإن الحب يعد من أقوى العناصر التي ترتبط بها الأسر فيما بينها وبين أفرادها وأفضل ما يربط المجتمعات.

فالحب يرتبط الناس بعضهم بالآخر وإن بعدت المسافات ومن آثاره الشوق الذي جعله الله سلطانا على العبد كي يتحرك نحو من يحب ولولاه لتلاشت الأسر والمجتمعات.

وبالحب يمكث الإنسان في وادي ليس فيه زرع ولا شجر ولا ثمر حتى يعلو صرحه ويصبح بصورة لم يكن عليها في السابق.

أي أن الحب هو الذي عمر الأوطان وغير الأزمان ونحن في عادتنا نلوم بعض الناس على سكناهم في مكان ما ونقول ما الذي يحدو بك للبقاء في هذا المكان وهذه الأرض؟ والحق لو أن الأمر اتبع أهوائنا لاصحرت الأراضي وضائق المواطن وخربت الأرض برحبها.

ولذا فهو من أسمى هدايا الحق تعالى فإذا أعطاك الله تعالى قلبا محبا لزم شكره تعالى على ما أسدى إليك مثل هذه النعمة العظيمة حيث منها الألفة التي

يقول فيها الله تعالى أن العبد لو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم - أي العباد - ولكن الله بمنه ولطفه ورحمته ألف بين قلوبهم.

وإذا علا الحب مملكة القلب وصار محبا وانطفأت نار البغض أصبح العبد ربانيا ساميا ومنح سعادة الدارين وأما إذا عكس الحال وهيمن البغض عليه وعلى مملكة نفسه سوف يتعدى حدوده إلى بغض الله تعالى وأفعاله من الأمور الكونية والتشريعية وذلك الخسران المبين.

فأول خطي البغض حقة ولها مبررها الخاص ولكن بالنتيجة الكفر بالله تعالى بل لا بد من حفظ التوازن في هذه الصفة وأن نجعل بين أيدينا ضابطة الحب والبغض وهو أن يكون المحبوب عندنا ما حبه الله تعالى والمبغوض ما أبغضه الله تعالى.

ويكون الحب من أسمى جنود العقل فيما لو كان الحب لله تعالى فإن أفضل عبادة العابدين وسلوك السالكين ومعراج المتقربين هو الحب ولا تجد أسمى منه أبدا.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:- واغرس في أفئدتنا أشجار محبتك<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام:- أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني إليك وأن تجعلك أحب إلي مما سواك<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:- وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا.

كل ذلك لأن الحب يقود المحب لأفضل طاعة يحبها المحبوب لأنك عرفت أن للحب لوعة وسطوة تقود المحب تلقائيا ولو كلفه الدنيا برحبها وكل ما يملك ونفسه كذلك .

(١) بحار الانوار ج٩١ ص١٥٣.

(٢) اقبال الاعمال ج٢ ص٦١٢.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:- وإن تجعل حبي إياك قائدا إلى رضوانك وشوقي ذائدا - مانعا - عن عصيانك.

ويقول في مقام آخر واجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم فهم إلى أوكار الأفكار يأوون...

وذلك لأن عبادة المحب تقع على أفضل وجه من جهة العبد وربّه فالعبد فإنه يقوم بها وبلوازمها ومقوماتها لإرضاء من يحب وبارتياح وانسراح ولهذا يقول عليه السلام:- وما أطيب طعم حبك وما أعذب شرب قربك<sup>(١)</sup>، فيذهب عنه ألم الطاعة ومشقة العبادة وهذا إمامك زين العابدين عليه السلام يرى تقطيعه بالسيوف في حب الله تعالى أعذب عنده من شرب الظمئان وألذ من نومة الوسنان.

### حب الله فرض لا بد من إقامته:-

يغفل بعض المؤمنين عن أمر هام جدا وهو أنهم يصلون ويصومون وإلى غير ذلك وحتى يتولون أهل البيت عليهم السلام وهذا سنام الدين والإيمان ولكن يغفلون عن محبة الله تعالى والشوق إليه في قلوبهم مع أن هذا الأمر يجب أن يكون في صدارة الأمور كلها.

فإن الحب الإلهي فرض على العبد كيف ونحن العباد لا نرضى بالعمل من دون حب فهل تقبل الزوجات من أزواجهن النفقة من دون حبهن ولذا يقول الصادق عليه السلام:- القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله<sup>(٢)</sup>.

(١) زاد المعاد ص ٤١٥.

(٢) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٦٧ ص ٢٥.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- المحبة أساس المعرفة. وعن الصادق عليه السلام أيضا حديث يقول فيه:- من لم يعرف الله حق معرفته ولم يحبه حق محبته فلا يغرنكم صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فإنهم حمر مستنفرة<sup>(١)</sup>. فلا بد أن لحب الله السبقة في قلوبنا ثم لا يخفى عليك أن لتحصيل حب الله طريقا لا بد من معرفته والعمل به.

### حبوا الأشياء جميعا لأنها أفعال الله تعالى

إذا نظرت إلى ما ينفعك من الأشياء كي تحبها أبغضت الجميع فأما المال فلم يعرف إلا بالخذلان حيث أحوج ما تكون إليه وشهامته وكرمه قطعة من قطن وأما الأولاد فتقل إن عاشوا فتنوا وإن عدموا أحزنوا وفي الحياة يفضل التافه عليك ويغفل عنك فكيف بعد الممات وأما الزوجة فالرابط الشهوة ولبس العلاقة الموقته وأما الأصحاب وهذا معنى غاب وجهل معناه واختصر القول سيد العقلاء أمير المؤمنين عليه السلام قال:- أبعدم سفرنا من يبحث عن صديق. وأما السلاطين فمعاشرتهم تفسد الدنيا والدين ولا أمان لهم عند الغضب وأما الأرض والسماء فقد أصحرتا لشدة المعاصي فالحق والأسلم أن تنظر إلى هذا العالم كله بما فيه أنه فعل الله تعالى وصنعه وبضاعته وإتقانه وحكمته وتجه لأجل ذلك فإن من أحب شيئا أحب آثاره وأفعاله ولو كان أحقر الأشياء فكم نعتر بالتوافه من المحبين وتتحمل صفعات المقربين فاغتنم ولا تكن من الغافلين.

### إصلاح النفس لأجل الحياة

يتوقع الناس ويدور في خلدتهم أن كل ما يأمرهم به الإسلام من أحكام ونظام وأخلاق لأجل أن يكونوا متدينين ومؤمنين وليس هناك غاية أخرى.

(١) كفاية الاثر في النص على الائمة الاثنا عشر ص ٢٥٨.

لذا نقول نعم يا أحبتي هذا تصور صحيح في الجملة ويعد ذلك من أسمى ما يتوخى ويطلب من هذه التعاليم وهو الفوز بالحياة الأبدية ولكن أن القضية أوسع مما يتوقع ويدور في الأذهان فهو يأمرنا لنبذ الغرائز والحد منها لا كبتها ومحاربة الرياء والعجب والفخر والحسد لأجل حياتنا الدنيا التي نحب البقاء بها والعيش فيها بسلام لأجل سلامة أبداننا وسلامة أنفسنا وحفظ أموالنا وأولادنا.

فلا يسرق مال أحدنا إلا لتفشي الأخلاق السيئة من جند الجهل ولا تهتك الأعراس إلا من قبل من لا اهتمام لهم بأنفسهم ومن سقطت مرؤته وإنسانيته لا تشب الحروب إلا من أهل الغضب والحسد.

لم تمرض الأجساد وتملأ المستشفيات والمقابر والسجون إلا من جراء هذه الصفات كالحسد والغضب والنميمة والطمع وذكرنا غير مرة لو سلطنا الضوء على الأخلاق الفاضلة والتربية النبيلة لأنفسنا وأجيالنا لما احتجنا الى كل هذا العدد من المستشفيات أبدا فتشوا المقابر تجدون جل من مات بسبب سوء الأخلاق كذلك فتشوا المستشفيات الكل سبب رقوده سوء الأخلاق من حسده لفلان ومن غضبه على فلان ومن شدة طمعه أصابته كذا مصيبة في بدنه وهكذا السجون.

ولو سلمنا ترضى الحسد لنفسك لكن لا ترضاه من غيرك في حقك وهكذا الغضب ولكن إذا لم تقلعه من نفسك وأنا كذلك فكيف يطهر المجتمع من هذه الرذائل لذا لزم لزوما عقليا قبل أن يكون شرعيا تطهير هذه النفس من قبائحها لكي نعيش بسلام وإلا فعلى حياتنا الدنيا والآخرة السلام!

### طرق تحصيل الحب الإلهي:-

لتحصيل الحب الإلهي في القلب أمور كثيرة نذكر جملة منها والباقي يلزم على الطالب مراجعته في مظانه وإلا ما ذكرته لا يساوي شيء:-

- التخلي عن حب الدنيا، ما عن أبي عبد الله عليه السلام:- إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله<sup>(١)</sup>.
- الإتيان بالفرائض في وقتها ومداومة النوافل ففي الحديث - وأنه - أي العبد ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه.
- موالاتة أهل البيت عليهم السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام:- من سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا<sup>(٢)</sup>....
- تذكر نعمه تعالى وأياديه عليك وأن تكثر من ذلك وألا تجالس إلا أمثال هؤلاء الذين يحمدون الله ويشكرونه على الدوام فسوف تجد طريقا قريبا لنيل حبه تعالى.
- الإكثار من ذكره تعالى وكثرة الخلوة والمناجاة فكثرة التوجه تعكس أنوار محبته تعالى.
- كثرة الشوق إليه والتودد إليه ومقارنة أفعاله بما يفعل بك الناس وحتى الأهل فأين هذا من هذا.
- محادثة النفس في أن حبه تعالى أكبر أم حب العيال والمال ويعرض على القلب ذلك بين الحين والآخر حتى ينصف الحق من نفسه ويحكم الله تعالى في حقه وليتذكر قول الإمام الحسين عليه السلام:- ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك<sup>(٣)</sup>، فليتأمل في مثل هذه العبارات جيدا ويعرضها على قلبه.
- مزاولة أدعية أهل البيت عليهم السلام التي يطلبون بها حب الله في قلوبهم وذكرنا مقاطع منها في ما سبق فيقول الإمام زين العابدين عليه السلام:-

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٣٧.

(٢) الكافي ج ٨ ص ١٤.

(٣) اقبال الاعمال (ط. قديمة) ج ١ ص ٣٤٩.

أسألك حبك وحب من يحبك وكل عمل يوصلني إلى قربك وأن تجعلك أحب إلي مما سواك وأن تجعل حبي قائدا إلى رضوانك<sup>(١)</sup>.

## الصدق وضده الكذب

ليعلم الأحبة والأخوة جميعا ومن يطلع على هذه الأوراق أن الكاتب لا يعني في هذه الأوراق أنه قد تناول ما يستحق كل موضوع من الكلام ولهذا أرجو ألا يكون كتابي هذا مخدرا للعقول عن المطالعة ومن جملة موضوع الصدق الذي يعد في الإسلام وسام الأتقياء وسنام ولاية الأولياء فإنه نقطة انطلاق الفرد فإن بدأ بها انتهى بها وان ابتدأ حياته بالكذب والعياذ بالله فقد انتهى به الأمر في آخر المطاف إلى ما ابتدأ منه ولهذا نصيحتي لأحبي إياكم وأن تبدووا مستقبلكم وأعمالكم بالكذب فأنها غلطة العمر التي لا تصحح بل كن صادقا فإن عاقبة الصدق حسنة.

ولقد ورد عن إمامكم أبي جعفر عليه السلام أنه يقول:- انظر ما بلغ علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالزمه فإن عليا عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق الحديث وأداء الأمانة<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام أيضا أنه قال:- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطننتهم بالليل ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة<sup>(٣)</sup>.

(١) زاد المعاد ص ٤١٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٤.

(٣) الامالي (للصدق) ص ٣٠٣.

وبعدما عرفت معيار قبولك عند أهل البيت عليهم السلام وهو كونك صادقا أميناً وإلا فلا تنفع الأعمال الخيرة من دون الصدق بان يعلو ساحة النفس وتبرئتها عن الكذب بالمرة ولو رأس ابره ونحن اليوم نشكوا من ذلك فعلا تجد أن للعبد ثروة هائلة من الأعمال ولكن لو اطلعت عليه لوليت منه فرارا.

### كيف حصول الصدق:-

إذا أردت أن تكون صادقا فتعاهده دوما في الجد والهزل وإياك وإياك أن تكذب ولو مزاحا فإنه يسلمح روح الإيمان من قلبك ويستهن الله بك ويسقط مروءتك ولا يزكى لك عملا أبدا ورافق أهل الصدق وإياك وأهل الكذب وأقلل من الكلام فإنه شر حسام.

ولا تخن وجدانك وأفعل ما تقول فإن لم تقدر فلا تقل شيئا وإياك وكثرة المواعيد فقد قرن الكذب مع كثرة المواعيد ولو كنت ما كنت ولا تعد إلا إذا كنت تقدر على الوفاء وألزم الحزم وحارب الكسل فإنهما مادتا الكذب فمن لم يكن حازما ونشيطا كذب مهما بالغ في مقام نفسه ولا تحمل نفسك ما لا تطيق بل تكلم دون قدرتك حتى تقوى على رهانك وتصفح مذمة الكذب فو الله ما وجدت أقبح من الكاذب وأن مجالسته والاقتراب منه كالاقتراب من الجيفة أرواح ممسوخة ولكن لا تشعرون ولو كشف الغطاء عنهم لما رأيت إنسانا يمشي على الأرض.

واجتني فوائد الأمانة فالأمانة ثروة وغنى ورضا الرب تعالى وموالاته أهل البيت عليهم السلام ومنحة التوفيق فإن في الصدق من التوفيقات ما لا يخطر على البال فإن الصادق قريب من الله تعالى قريب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قريب من أهل البيت عليهم السلام ومن كان قريبا من هذه المقدسات ما ظنك به .

## مشكلة تعترض الصادقين

يعاني الكثير في حال التحلي بالصدق من مشاكل تعترضه من عدم القبول بعض المواعيد فإذا صرفته لموعد بعيد الأجل صرف بوجهه عنك فلا بد من مصانعتة ومداهنته أو إذا قلت له إن هذه العين المباعة ايجابياتها كذا وكذا وذكرت سلبياتها ذهب إلى من لا يذكر إلا الايجابيات وبارت سلعتك وما شاكل ذلك من المشاكل.

لذلك أقول:-

اعلم أن القلوب ما دامت بيد الله يقلبها حيث يشاء ويصرفها حسبما يريد فاطمئن فهناك بعض من الناس دفعوا المليارات ليقبل الناس عليهم ولم يكن حظهم إلا الخسران وأقبلوا على من دفع الناس عنه خوفا من الله تعالى والأحاديث كثيرة أن العبد إذا أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس فلا تصغ لنداء الشيطان واصبر فإن الله لا يضيع أجر الصابرين.

تعالى درجات الصدق:-

إن النفس التي تعاهدت الصدق على الدوام يكون عندها طاردة لخواطر الكذب وحاجز عن المخالفات التي ينبذها الحق تعالى ويبدأ بالموافقة بين القول والفعل فيخرج من ذمه تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم...) (١). حتى لو أراد من نفسه الكذب في حال طارئة لما استطاع ذلك بل الذي وجدناه من العنايات الربانية أن البعض من الناس لو كذب لصدقه الله تعالى فيقول قولاً لا لقصد الكذب بل لحالة اضطرارية فيصدق الله قوله فيكون ذلك الشيء فعلاً كما أيد الله تعالى الشيخ كاشف الغطاء عندما تحداه رجل بأنه سوف يوقعه في الحرام مخالفاً بذلك لما سمع عنه قدس سره بأنه لا يأكل الحرام فقام ذلك

---

(١) سورة البقرة / آية ٤٤.

الرجل بسرقة كبش من رجل وأخذه وذبحه وطبخه للشيخ وأعد له فأكل الشيخ قدس سره وبعدما انتهى قال الرجل صاحب الضيافة:- كيف تقول لا نأكل الحرام والآن أنت قد أكلت لحم كبش مسروق؟

قال قدس سره:- اذهب إلى صاحب الكبش وسله لمن هذا الكبش؟

فرجع ذلك الرجل السارق لصاحب الكبش وسأله عن الأمر؟

فقال له:- هذا الكبش كان نذرا للشيخ قدس سره!!

فإذا داوم الإنسان على الصدق أو الورع والعبادة أيده الله بما لا يخطر على بال أحد فالعابد لو تأخر يوما ما عن عبادته لكتب الله له ذلك وفي ذلك روايات كثيرة.

ثم أن الصدق إذا تعالى في النفس يعطي اشراقا على النفس فتخرج منها الروائح الطيبة فتهدأ عندها النفوس المضطربة فإن الطاعات أو المعاصي التي استحوذت على مملكة النفس لا بد وأن تخرج إلى أرض البدن فكما أن الملوحة في الأرض لا بد لها من ساعة تخرج إلى سطح الأرض كذلك الطاعات والمعاصي ولذا قد تلمس جمالا عند رجل أو امرأة لم يرجع إلى البدن وسره الإيمان والتقوى وما يملأ النفس من الفضائل ولهذا كان جمال يوسف الطاعة لا ما صوره من لا يفقه إلا جمال النساء وكان ذلك تعديا على ساحة الأنبياء.

## الحق وضده الباطل

الحق ملكة في النفس تحفظ النفس من الميول إلى ما يخلفه من الباطل أي بمزاولة الحق وعدم ارتكاب الباطل ولو في أنفه المواقف ولهذا كان الحق مع علي يدور حيثما دار فإنه عليه السلام حق محض لا يشوبه باطل لا في فعل ولا قول ولا صفة ولا أثر للباطل قلبا وقالبا فهو عين الحق ومثاله الأسمى.

فلا مانع أن يكون الحق في الأحداث التي تقع على الساحة تدور مع علي عليه السلام فإن الحق منهم وإليهم يرجع ولا يحفل به عبد إلا إذا لم يجعل للباطل

في نفسه أثرا فيؤمن بكل ما جاء به تعالى مدعنا مسلما فمن أراد الحق جنح له على إطلاقه ومن أخذ منه شيئا وترك آخر فإن نفسه لا تحفل به قط مثله كمن خلط العسل بالخل فالنتيجة كما ترى وصاحبه لا يظهر عليه راية الحق على الدوام وليس هو مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

ولذا يلزم العبد أن يجنح لأمر الله وقمع هوى النفس فإن هوى النفس من أعظم الحواجز التي تبعد عن إتباع الحق.

بل ما خالف الحق إلا بإتباع الهوى يقول أمير المؤمنين عليه السلام:- فأما إتباع الهوى فيصد عن الحق<sup>(١)</sup>، نعم يحصل بالطلب والدعاء، أن يحبب الله للعبد الإيمان ويزينه في قلبه ويكره له الكفر والفسوق والعصيان. فلا تبقى تبعة للباطل في قلب من يشاء الله أن يحق الحق فيه فيكون ذلك العبد إلهيا بتوفيق الله ومنتته.

### بم يتمثل الحق؟

الحق له مثل أعلى يتمثل به وهم الأنبياء والرسل عليهم السلام وما أنزل عليهم الكتب السماوية والمعاجز التي أجراها لهم الحق تعالى قال الله تعالى (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق)<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)<sup>(٣)</sup> وقال تعالى (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤.

(٢) سورة الأحقاف / آية ٣٠.

(٣) سورة الفتح / آية ٢٨.

(٤) سورة الزخرف / آية ٣٠.

وكيف ما كان فهو حامل لما أمر الله تعالى به ونهى عنه فإتباع الجميع إتباع الحق والتأخر عن الإتباع ارتكاب للباطل.

### معرفة الحق:-

أعسر شيء في زماننا هذا معرفة الحق وكلما جاء جيل غير سابقه فالأمر عليهم أشد عسرة ممن كان قبلهم وذلك لاختلاط الحق بالباطل. فإن الحق لو خالص والباطل كذلك لاتبع الحق وترك الباطل ولكن إمامكم عليه السلام يقول أخذ ضغثا من الحق وضغثا من الباطل وخلطفا فاشتبه الحق بالباطل وصار الباطل يشبه الحق أي أن هذا هو الذي خلط الأوراق على عامة الناس فابتلوا بالضلالة لأن المضلين دوما يخلطون الأمور عليهم ويصورون الباطل بصور الحق ويدسون السم في العسل وبذلك يضلوهم ولو أفرد الحق عن الباطل وأخذ كل مساحته لاهتدت الناس وعرفوا الصواب.

### ولكن أنى لكم ذلك:-

وقد قال إمامكم أمير المؤمنين عليه السلام: - وأنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر.....<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضا عليه السلام:- قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم<sup>(٢)</sup>، أي قد نتنت السرائر وفسدت الضمائر.

(١) شرح نهج البلاغة لآين أبي الحديد ج٩ ص١٠٤.

(٢) بحار الانوار (ط.بيروت) ج٩٨ ص٢٢.

ويقول عليه السلام:- فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية... وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فإذا كان ذلك كان الولد غيظا أي يشب عاقا لوالديه والمطر فيظأ. أي لعدم فائدته وتفيض اللثام فيضا وتغيض الكرام غيضا وكان أهل ذلك الزمان ذئابا وسلطينه سباعا وأوساطه أكالا وققراؤه أمواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا<sup>(١)</sup>.

أقول:-

إننا نعيش هذا الزمان فإن القلوب خربت وفارقت الصفاء بل باتت لا تعرفه أبدا ولا تذكره وأصبح العفاف عجبا فيتعجبون من وجود العفة عند امرأة أو رجل وإذا لبست رداء الحياء قال من نسب نفسه للدين والذي لبس الإسلام مقلوبا هذه معقدة ولكن جرت هذه الكلمة الويلات إلى أن وصل الشاب إلى حد انه لا يجد امرأة تحفظه إذا غاب عنها ولهذا عزفوا عن الزواج وبارت النساء وأصبحت أبور سلعة ولا تجد أبور منها في عالمنا هذا فلتنفع الحرية أصحابها والديمقراطية طلابها والانفتاحية أنصارها فقد انقلب السحر على الساحر والله العاصم من الزلل.

ولهذا أقول ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام:- ولا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا<sup>(٢)</sup> أي لا نجاة إلا بالتقوى فإن المتقي لا تهجم عليه اللوابس ولا يشتبه عليه الحق فغر في ميدانه والله الموفق للسداد.

(١) غرر الحكم ص٤٢١.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص٣٤٦.

## جنود الجهل حبال الشيطان

الكل يشكو الشيطان وعدائه للإنسان وما من فعل إلا ورمى به على عاتقه ولكن نسى الإنسان نفسه أنه هو الذي سلط الشيطان على نفسه (وليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه وهم به مشركون) <sup>(١)</sup> فسلطوه بغرائزهم وإتباع شهواتهم.

فالشيطان ما لم يكن عندك غريزة وجند من جنود الجهل لا يستطيع قيادتك للمعصية فهل ترى أن الشيطان أغراك في يوم ما في شرب البول أو أكل الغائط؟ وذلك لعدم وجود شهوة في ذلك ولكن لما وجد من حب النفس للمال والحرص على الدنيا وحب الشهرة وعبادة السلطنة والكرسي أغرانا في تشويه سمعة الغير وأخذ الغيبة والانتقاص ممن يزاحمنا من الناس والتمادي على أموالهم.

فلا يقطع دابر الشيطان ويتخلص منه ما لم نقلع هذه الصفات القبيحة في النفس وإلا فهي حباله وكلما كانت الغريزة قوية في الإنسان كان حبله أقوى وسلطانه أقوم فنحن الذين مكناه من أنفسنا فهو إذا فتنة لأصحاب الشهوات الذين يغفلون عن تهذيب أنفسهم ومراقبتها ليل نهار يتركونها ترعى وتترى على لحوم الناس وذمهم - كإبل غفل عنها رعاتها.

لذا فاعلم أن ولاية الإنسان للشيطان على قدر هذه الجنود والشهوات فمادمت قصابا وجزارا فالكلب لا يتركك وأما الحداد لا منفعة للكلب به لذا فهو لا يقربه ومن لا يحمل الوقود- لا يحترق ويمكن أن يقال أن الشيطان والعياذ بالله تعالى جهاز فحص للعبد يكشف غرائزه وشهواته التي تهلكه في الدنيا والآخرة.

ولقد علمت مما سبق أن هذه الجنود - أي جنود الجهل كم أهلكت العباد فكم من رجل أهلكه الطمع وحب السلطان والشهرة وشهوة الطعام فلو فتشت

المقابر لوجدت تلك الحقيقة ولو تأملت في هذه الحروب وسفك الدماء لعلى صوت الحق في السماء أن جنود الجهل هي البلاء.  
وعليه اقتضى التهذيب وتنقية النفس من الهلكات والله الموفق والميسر لما يحب ويرضى.

### الكثرة لا تمثل الحق:-

قد يكون في أذهان غالب الناس أن ميزان الحق متمثل بالكثرة ولهذا يأنس وينتمي إليها فسرعان ما يرى شيوع الأمر في كثرة من الناس ويحتج:- وهل الكثرة والغلبة برأيك باطلة هذا مما لا يصدق فيجعل ميزانه ومعياره في معرفة الحق هو الكثرة وهذا مما خطأه القرآن وأهل بيت النبوة.

ففي الكافي روي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال لهشام بن الحكم رضوان الله تعالى عليه:- يا هشام ثم ذم الله الكثرة

- فقال:- (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) (١).

- (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (٢).

- وقال:- (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) (٣).

يا هشام ثم مدح القلة فقال:- (وقليل من عبادي الشكور) (٤).

- وقال:- (وقليل ما هم) (٥).

---

(١) سورة الانعام / آية ١١٦.

(٢) سورة لقمان / آية ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت / آية ٦٣.

(٤) سورة سبأ / آية ١٣.

(٥) سورة ص / آية ٢٤.

- فقال:- (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) <sup>(١)</sup>.

- وقال:- (ومن آمن وما آمن معه إلا القليل) <sup>(٢)</sup>.

- وقال:- (ولكن أكثرهم لا يعلمون) <sup>(٣)</sup>.

- وقال:- (وأكثرهم لا يعقلون) <sup>(٤)</sup>.

- وقال:- (أموات غير أحياء وما يشعرون) <sup>(٥)</sup>.

فتبين لك واضحا أن الكثرة لا يصح التعويل عليها والركون إليها ما لم يكن هناك طلب جاد حقيقي متمثل في معرفة الحق نفسه ومن ثم عرف رجالاته وأن رجالاته القلة على مر الأزمان وقلنا لا يكون الإنسان عارفا للحق مهما بالغ في معرفته حتى يكون تقيا ورعا لأن التقوى تعطي النور الذي يفرق به بين الحق والباطل بل الطريق الوحيد للمعرفة - أي معرفة الحق هو التقوى قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا..) <sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) <sup>(٧)</sup> وقال (واتقوا الله ويعلمكم الله) <sup>(٨)</sup> فالطريق الأوحى هو التقوى بعدما عرفت من أن الحق قد خلط في الباطل وامتزج به وهذه فتنة الله تعالى لعباده ولهذا يقول بعض العلماء بوجوبها وقد اتضح لك ذلك.

---

(١)سورة غافر /آية ٢٨.

(٢)سورة هود/آية ٤٠.

(٣)سورة الانعام /آية ٣٧.

(٤)سورة المائدة/آية ١٠٣.

(٥)سورة النحل/آية ٢١.

(٦)سورة الانفال /آية ٢٩.

(٧)سورة الطلاق/آية ٢.

(٨)سورة البقرة/آية ٢٨٢.

أعجب ما تمر به !!

من عجائب ما تراه وتسمعه أنك تجد بعض من تعظمهم ويسمعون المواعظ ويقرؤون مثل هذه القوانين والديساتير أنهم يطبقونها على غير مصداقها الحقيقي وبدعوة أنه قد عرف الحق مطبقا لقانون معرفته ففي يوم جاءني من كنت أعظه بأن لا يقع في الفتن ومضلاتها وان يحذر أهل البدع وسراق العناوين وقال لي شاكرا:- أنت صاحب فضل علي جدا ولا أعرف كيف أرد لك الجميل وأخذ بالثناء

قلت:- لماذا

قال:- أنت حذرتني من الفتن والوقوع فيها وأصحاب الضلالة والحمد لله الآن أنا وصلت لما أريد.

قلت:- وأين وصلت؟

قال:- وصلت إلى الحق الذي يجب أن لا يترك

قلت:- وما هو؟

قال:- بإتباع فلان!!

ولعمري أن فلان لا يفقه من الدين شيء ومن أقطاب الضلالة ومما انفقت عليه الكلمة عند أهل البصيرة، نعم القرآن الكريم تكلم عن هؤلاء كثيرا فذكر أن هؤلاء يفسدون ويحسبون أنهم محسنون.

وعليه لا بد أن تأخذ القاعدة وتطبقها على المصداق الحقيقي وإلا للقاعدة ألف وجه فهناك أصحاب ضلالة لا يتبعهم إلا عشرة أفراد فهل تقول هؤلاء أهل القلة الذين مدحهم الله تعالى وهناك شيوع لأهل الصلاح فهل تقول فيهم ذم الله الكثرة إذا يبقى عامل التقوى هو الفيصل الأوحى في المقام وعنه لا تحيد بهذا وقد وضعت لك النقاط على الحروف وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير سائلا من الله العلي الأعلى أن لا يجرمني من دعواتكم المباركة.

## الأمانة وضدها الخيانة

ما يقال في الأمانة أنها سمو الإيمان وصيانة الأعراض وفوز معاد وسمة أهل السداد ودليل الصدق والوفاء ومن رعى الأمانة صان الديانة وسلمت له الدنيا والآخرة ويصبح من أغنى الناس وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)<sup>(١)</sup> حيث وجه خطابه المبارك إلى المؤمنين أن يقوموا بأماناتهم وأن يرعوها حق الرعاية قال تعالى (والذين هم لأماناتهم وعدهم راعون)<sup>(٢)</sup>.

وقيل في الخائن والخيانة:- أنها مجانبة الدين والإيمان والإسلام ولو كانت في حق كافر وأنها أقبح الأخلاق وعلامة النفاق ودليل على عدم الورع والديانة وصاحب الخيانة غادر مهما تلبس بالدين ولا عذر لأحد في رد الأمانة ولو بلغ ما بلغ صاحبها من الفجور والغدر.

فإنك إذا لم تؤد أمانتك إليه فقد كان شينك أكبر مما هو عليه قال أبو عبد الله عليه السلام:- ثلاثة لا بد من أدائهن على كل حال الأمانة إلى البر والفاجر..... والوفاء بالعهد للبر والفاجر وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين<sup>(٣)</sup>.

### الخائن ليس من أهل البيت عليهم السلام:-

اليوم يتلى أهل البيت عليهم السلام بأناس كفأوا الإسلام كما يكفأ الإنياء بما فيه ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوبا يدعون التمسك بأهل البيت والسير على نهجهم ومع كل ما يفعلون من المساوي ما يندى له الجبين ومنها الخيانة لبعضهم الآخر في العرض والمال.

(١) سورة الأنفال / آية ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون / آية ٨.

(٣) الخصال ج ١ ص ١٢٤.

فالشاب الذي خان جاره فلا يعد نفسه مسلماً أو شيعياً أو موالياً لأهل البيت ويرر البعض بمبررات مضحكة للشكلى (بأن الفتاة هي التي راودتني وأنا أفضل من غيري).

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبرأ من مثل هؤلاء حيث يقول:-  
وليس منا من خان مسلماً في أهله وماله<sup>(١)</sup>.

فاللازم على العبد أن يرد تلك الفتاة أو الشابة إلى وعيها ويرجعها إلى عقلها تأسياً بالصالحين وإلا متى يقال هذا مسلم ومؤمن وهل عندما تكون جيفة لا تضر ولا تنفع وليس فيها حراك أو عندما تكون نائماً تحت اللحاف.

ففي هذه الميادين يظهر الإيمان وإلا فلا تعد نفسك وأن ادعيت فقد سرت عنوان الدين والإسلام والورع والتقوى وعلى من يفعل ذلك اللعنة ولهذا يختبر الله الجميع بذلك حتى يعلم جواهرهم وحقائقهم.

فالذين يسيل لعابهم من أول كلمة والله ما بلغوا مقدار شعرة في الإيمان ومعرفة الله ولو عرفوا الله كما تعرفه البهائم لاستحووا من أنفسهم ولقاء ربهم.

وليعلموا أن من يفعل ذلك ويدعي التشيع فعليه ذنبان ذنب الارتكاب للمعصية وذنب الادعاء وقد وردت روايات في ذلك لعل الله يوفقنا لبيانها وذكرها.

ثم اقول هل ذكر الله تعالى يوسف عليه السلام للتسلية وهو يقول إن في قصصهم لعبرة وأن كتابه كتاب هدى وبشرى للمؤمنين فأين نحن من عفة يوسف الصديق ومن عفة أهل البيت عليهم السلام ومن عفة بن سينا نقلاً عن شيخنا المامقاني في مجلس كان يعظنا فيه فذكر لنا أن ابن سينا دعت امرأة في بيتها ليعالجها من مرض أعياها إلى حد لا تقدر على الخروج للعلاج فذهب إليها ودخل إلى الدار فرأى امرأة ليس عليها علامات المرض فقالت اجلس حتى تأتي المرأة

المريضة وبعد ساعة دخلت عليه امرأة بمظهر كالتي تدخل على زوجها وقالت  
اقضي لي حاجتي وإلا فضحتك!!

قال:- نعم ولكن بعد أن أذهب إلى بيت الخلاء لقضاء الحاجة فدخل إلى  
بيت الخلاء - المرافق - ولطخ نفسه بالعدرة تمام بدنه ودخل عليها فلما رآته  
استقدرته وأمرته بالخروج

فقال:- في نفسه هذا مرادي وذهب مسرعا فارا من بلائه نعم هكذا الرجال  
وليس من يترك الحلال لإرضاء الناس ويفعل الحرام فيستحي من التعدد ولا  
يستحي من الحرام والنظر المحرم.

### الأمانة ضرورة اجتماعية:-

هناك بعض المفاهيم يلزم الإنسان المسلم الإقرار بها على نحو الخصوص  
والبعض الآخر تعم الجميع المسلم وغيره والمتدين وغير المتدين والأعم الأغلب  
من القيم والمبادئ والأخلاق والآداب يلزم الجميع أن يقروا بها ويسيروا على  
نهجها بل ينبغي عليهم الدفاع والتضحية من أجلها ولا يحق لأحد تجاهلها لأنها  
تمثل شريان الحياة للجميع وعندما يحاول أحد الجهال تجاوزها وجب على الجميع  
أن يقفوا وقفة رجل واحد قبال ما يفعل أو يقول به إذا كان بصدد تهديم تلك  
الصفة المحترمة ومنها الأمانة حيث لا يخفى عليكم ماذا تمثل من دور في حياتنا  
الاجتماعية والاقتصادية بل لا يخلو صعيد منها.

ومن دونها ينسلخ عالمنا عن عالم الإنسانية ويصبح عالمان في كتب القصص  
والخيالات الباطلة والتي لا تصدق ويدخل في حظيرة البهائم والوحوش المتوحشة  
غير الأليفة يأكل قويا ضعيفا وعزيزها ذليلها ويتأخر الجميع عن ركب التطور  
والحدائث والتمدن بل الأمر أكثر من ذلك وأدهى وأمر فإن حظيرة البهائم تنتزه  
عن ما نحن عليه إذا خالفنا تلك المبادئ التي تمثل شعار الإنسانية.

ولهذا جعلوا أئمة الهدى المسلم من سلم الناس من يده ولسانه فأنت لا تجد الجرائم التي نحن عليها في صنف من أصناف الحيوانات ولا حتى في أشدها ضراوة.

فاليوم يقتل الواحد الملايين ويسرق بحر من دمائهم وأموالهم ولا نجد معشار هذا في جرائم الحيوانات على مستوى الكرة الأرضية ولهذا لا بد من حفظها في دستور الأنظمة وخصوصا صفحة النفس عند كل فرد ولا يمد العون لأصحاب الخيانات مهما كلفه الأمر ولقد تصدى علماءنا لهؤلاء وحتى من يريد أن يتنفس ذلك النفس الخبيث من إخواننا بالفتاوى التي لا تسمح لمد اليد على أموال الدولة والناس بحجج ما أنزل الله بها من سلطان.

### نقطة انطلاق:-

قد يتصور الكثير أن الأخلاق قد تنمو في مدرسة أو حوزة علمية وأن النقطة الرئيسية تكون من تلك الميادين والحق هذا وهم في وهم.

فقد أثبت بالوجدان والعيان أن الأمر ليس كذلك فإن المنطلق الأول يكون من البيت والباقي مكمل وما لم يبنى الأساس في البيت ففي غيره لا ينفع البناء بل تصبح تلك المواقع إفرازا لما يحمل من سوء الأخلاق ولذا أنت تجد الطالب في المدرسة يكون أكثر مشاققة من غيرها من الميادين حتى البيت.

وكلامنا في الأمانة ليعلم الأحبة أن حجر الأساس يكون هو البيت فإن تربي الفرد في البيت على الأمانة والعفة أصبح في الخارج كذلك وإلا فلا.

ولذا قال بعض رجال الدين لولده في حديث عن الحوزة وكيف تكون بدايتها فقال له:- بني إن بداية الحوزة من البيت وإذا ابتدأتها من الحوزة فشلت وأصبحت إبليس.

وفي البيت تربينا على العفة والأمانة وانتفعنا بهذه التربية في الحوزة وأما غيرنا الذي ابتدئها من الحوزة انقلب كل شيء ضده وخسر الدارين.

فيا أحبتي لا بد أن تغتموا البيوت لتربية أولادكم قبل فوات الأوان ويجب أن تحملوا مسؤوليتهم وأن لا تدعوهم يفلتوا من أيديكم ليقعوا في حبال الشيطان فإن الشيطان لم يرحم بنفسه حيث أرداها في نار جهنم مع علم ودراية ويقين فكيف بغيره من أولاد آدم الذي حسده على ما آتاه الله نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

### الإخلاص وضده الشوب

الخلوص والإخلاص:- هو ما صفا من الأشياء ولم يمتزج بغيره أيا كان ذلك الشيء.

وفي المقام:- أريد به القصد في العمل وجه الله تعالى منزلها للعمل عن كل شوب من رياء وغيره وقد يتعالى إلى درجات عظمى بأن ينزه العمل من جزاء الدارين معا فيقصد بالعمل الحق تعالى لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره كعبادة أمير المؤمنين عليه السلام وأما تخليص العمل من المنافع الدنيوية فبالأولوية كتخليص الصوم من منفعة الحمية وإدراك الصحة وتخليص صلاة المسجد من كون أن المسجد بارد وفيه خدمات من ماء وكهرباء وغير ذلك.

فلو قام العبد بالعمل قاصدا وجهه تعالى غير متخطر لشيء غير الله تعالى ولم يلتفت لا لغرض دنيوي ولا آخروي ولا أي اعتبار كان، سمي مخلصا.

### فضيلته:-

ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال: - لا يكون العبد عابدا لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كلهم إليه فحينئذ يقول: - هذا خالص لي فيقبله بكرمه<sup>(١)</sup>، وعن الجواد عليه السلام: - إن فضل العبادة الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

(١) عدة الداعي ص ٢١٨.

(٢) عدة الداعي ص ٢١٩.

وعن الإمام العسكري عليه السلام: - لو جعلت الدنيا كلها لقمة واحدة  
لقمتها من يعبد الله مخلصا لرأيت أنني مقصر في حقه ولو منعت الكافر منها حتى  
يموت جوعا وعطشا ثم أذقته شربة من الماء لرأيت أنني قد أسرفت<sup>(١)</sup>.

فاعلم:-

إن الأعمال من دون الإخلاص هباء منثور ولا ينظر الله إليه قط بل يدعه  
لمن أشركه به كائنا ما يكون فهو أكرم الشريكين وأني ناقل لك حديثا عليك حفظه  
وتعاهده كي تتدارك أعمال ما بقي من العمر وإن فاتك الكثير فلا يفوتك القليل  
فإن القليل مع الإخلاص كثير.

ففي يوم سأل رجل معاذ بن جبل أن يحدثه بحديث سمعه من رسول الله  
صلى الله عليه وآله فقال لمعاذ:- حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله  
عليه وآله حفظته وذكرته في كل يوم من دقة ما حدثك به؟

- قال:- نعم فحينها بكى معاذ

- فقال الرجل:- اسكت، فسكت، ثم نادى بأبي وأمي حدثني وأنا رديفه

- قال:- فبينا نسير إذ يرفع بصره إلى السماء

- فقال:- الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحب.

- قال:- يا معاذ

- قلت:- لبيك يا رسول الله إمام الخير ونبي الرحمة

- فقال:- أحدثك ما حدث نبي أمته، إن حفظته نفعك عيشك وإن سمعته

ولم تحفظه انقطعت حججتك عند الله

- ثم قال:- إن الله خلق سبعة املاك قبل أن يخلق السموات فجعل في كل

سماة ملكا قد جليلها بعظمته وجعل على كل باب منها ملكا بوابا فتكتب الحفظة

على العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ثم ترتفع الحفظة بعمله له نور كنور

الشمس حتى إذا بلغ سماء الدنيا فيزيكه ويكثره فيقول له:- قف، فاضرب بهذا

(١) نفس الصدر السابق.

العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري أمرني بذلك ربي!!

- قال:- ثم يجيء من الغد معه عمل صالح فيمر به ويزكيه ويكثره حتى يبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية:- قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا العمل غرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري.

- قال:- ثم يصعد بعمل مبتهجا بصدقه وصلاة فتعجب الحفظة ويجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك:- قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه وظهره أنا ملك صاحب الكبر فيقول:- أنه عمل تكبر فيه على الناس في مجالسهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري.

- قال:- وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرّي في السماء له دوي بالتسيح والصوم والحج فيمر به إلى السماء الرابعة فيقول له:- قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه أنا ملك العجب فإنه كان يعجب بنفسه وأنه عمل وأدخل نفسه العجب أمرني ربي لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري واضرب به وجه صاحبه.

- قال:- وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها فيمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهد والصلاة ما بين الصلاتين، ولذلك رنين كرنين الإبل عليه ضوء كضوء الشمس فيقول الملك:- قف أنا ملك الحسد فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه وحمله على عاتقك، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل لله بطاعته فإذا رأى لأحد فضلا في العمل والعبادة حسده ووقع فيه فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله قال:- ويصعد الحفظة فيمر بهم إلى ملك السماء السادسة فيقول الملك:- قف أنا صاحب الرحمة اضرب بهذا العمل وجه صاحبه واطمس عينيه لأن صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبدا من عباد الله ذنبا للأخرة أو ضرا في الدنيا يشمت به أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري.

- وقال:- وتصعد الحفظة بعمل العبد أعمالا بفقته واجتهاد وورع له صوت كالرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاثة آلاف فيمر بهم إلى ملك السماء السابعة فيقول الملك:- قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب احجب كل عمل ليس لله إنه أراد رفعه القواد وذكرنا في المجالس وصوتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ما لم يكن خالصا.

- وقال:- وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا به من خلق حسن وصمت وذكر كثير تتبعه ملائكة السماوات السبعة بجماعتهم فيطئون الحجب كلها حتى يقوموا بين يديه فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء فيقول الله:- أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على نفسه عليه لم يردني لهذا العمل عليه لعنتي! فيقول الملائكة:- عليه لعنتك ولعنتنا!!

- قال:- ثم بكى معاذ وقال:- قلت:- يا رسول الله ما أعمل؟ قال:- اقتد بنبيك يا معاذ في اليقين قال:- قلت:- إنك أنت رسول الله وأنا معاذ بن جبل قال:- وإن كان في عملك تقصير يا معاذ فاقطع لسانك عن إخوانك وعن حملة القرآن ولتكن ذنوبك عليك ولا تحملها على إخوانك ولا تزك نفسك بتذميم إخوانك ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك ولا تراء بعملك ولا تدخلن من الدنيا في الآخرة ولا تفحش في مجلسك لكي يحدروك بسوء خلقك ولا تناج مع رجل وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فيقطع عنك خيرات الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب أهل النار قال الله تعالى (والناشطات نشطا) أتدري ما الناشطات؟ كلاب أهل النار تشط اللحم والعظم.

- قلت:- من يطبق هذه الخصال؟

- قال:- يا معاذ أما انه يسير على من يسر الله عليه

- وقال الرجل:- ما رأيت معاذا يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا

الحديث! (١).

### تعليق:-

إن كلامه صلى الله عليه وآله لمعاذ إن حفظته نفعك عيشك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك نحن مشمولون به بعدما قرئناه في هذا الموضوع أو غيره وإذا أردنا قبول الأعمال لابد لنا معرفة آلية قبولها قبل الإتيان بها وهو تخليص أنفسنا من وثاق الغيبة والرياء والعجب والشماتة وحب إشاعة الفحشاء في الذين آمنوا وكثير مما ذكرناه فلا يكون عملنا ارخص شيء عندنا فالمواكبة والمداومة لمطالعة هذه الأحاديث أمر لا يستهين به إلا جاهل نسأل الله لنا ولكم السداد.

## الشهامة وضدها البلادة

الشهامة:- وهي ذكاوة الفؤاد وتوقده ومن حرص على الأعمال العظام سمي شهما وبالتأمل يظهر أنهما من واد واحد وقالب فارد فإن صاحب الأمر العظيم وطالبه لا يكون إلا نابعا عن ذكاوة الفؤاد وليس من حظ كل أحد إلا أصحاب القلوب العظيمة ويقابلها البلادة أي ما يضاد الذكاء ونفوذ الأمور.

ويعلم من خلال كون هذه الصفة - الشهامة - من شعب الشجاعة بل هي من فضائل حدوثها فإن بنائها يكون ببناء صفة الشجاعة وما يكمن في الشجاعة من الفضائل لا يزهد بها إلا بادي الرأي فمن فضائلها كبر النفس وعظم الهمة والثبات والصبر والحلم وعدم الطيش والتحمل والعفة وترك الأعمال الخسيسة والمشينة وترك الكذب ولذا عد أن أمهات الفضائل هي أربع - الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة - وسوف يأتي بيانها بعد حين.

ثم لا يخفى عليك من أن الفضائل تعزز بعضها الآخر وما من فضيلة إلا وأنتجت فضائل أخرى فإننا وإن فصلنا القول بهذا الشكل والتقطيع لكن مع ذلك لا ينسى أن الإتيان بأحدها يأتي بالآخر فأنت لو بنيت صرح الصبر في مملكة النفس لرزقت العفة والشجاعة لأن الشجاعة صبر ساعة وبلغت علو النفس ومهام الأمور وأمنت من الجبن وإلى غير ذلك وقد فصلنا القول فراجع.

والذي أريد الغات النظر إليه هو أن الحصول على فضيلة الشهامة يكمن في تحصيل الشجاعة والخوض في مآربها والنزول في ساحتها والعمل بالأمور التي تذكى القلب ورفع البلادة وذكرنا جملة منها في طيات البحث.

نكتة:-

من اللطائف التي أود ذكرها هو أننا قد نتجاهل بعض الأمور والأشياء لأننا نراها أما صغيرة ولا قيمة لها أو أنها لا ربط لها ولكن في الحقيقة يكون لها دور كبير وهي في الدقة عين الربط والارتباط.

مثال:-

لو قلت لك إن الإنسان قد يقتل النفس المحترمة من خلال كثرة الكلام وصفة الهذر فأنت تتعجب بلا شك!! وتقول:- ما ربط كثرة الكلام بقتل النفس؟ وما هي العلاقة في ذلك وبينهما بون بعيد جدا وهل هذا الأمر البسيط يولد هذا الأمر العظيم؟! لكن إذا أجريت معادلة وحللت القضية سوف تجد هناك رابطا وثيقا.

وذلك لما فهم أن كثرة الكلام يولد في القلب القسوة وانحراف القلب عن الصواب وإذا قسا القلب اجترأ على الذنوب ويزداد قسوة وأن الإنسان لا يظلم ولا يقتل حتى يقسو عندها تعرف حقيقة ما ذكرناه بل يولد الخطأ والخطأ يميت القلب وإذا مات قلبه مات له وإذا مات له فقد عقله عندها يعمل الإنسان ما يخلو له والله العاصم.

ونفس هذا الأمر ولكن بالاتجاه المعاكس تبنى الفضائل أيضا فإن هناك أمورا بسيطة تذكى القلب وترققه وإذا رق الإنسان اكتسب ثمار العبادات وباتت عليه أفضل الفضائل وهي الخشوع والخضوع والتقوى فعندها يعصم من الزلل ويشفي في كلامه علة العلل أيها القارئ الكريم استفد من هذه الالتفاتة اللطيفة فإنها نافعة جدا والله الموفق للسداد.

### أثر الأعمال الخسيسة:-

قد يخفى عليك أن الإنسان يبادل عمله فيأخذ منه ويعطيه وتظهر مهنته على نفسه وشكله الخارجي وحركاته وسكناته بل قد يكون الإنسان وليد عمله فبعض الأعمال تولد الرجال الشجعان وبعضها تطيح بصرح رجولة الرجال كما في بيع الألبسة النسائية فتقتل تلك المهنة شهامة الرجل ورجولته بالمرّة وقد تخفي حتى صورة الرجال وحركاتهم وهناك مهن وأعمال تسقط مرؤة الرجل بل عد من علامات السقوط والانحراف ولا أحب ذكرها والمهم في كلامي أن الشهامة ترتبط ارتباطا وثيقا بعمل الفرد وقد تتولد منه ويكون العمل نعم العون خصوصا في الأعمال التي تسمح لإظهار الفضائل فهناك أعمال يكون الميدان والسباق فيها إظهار الفضائل وعظائم الأمور ومنها ما ليس كذلك بل تكون ميدانا لإظهار الخسة والحقارة وبعضها ميدانا لإظهار الحقد والأنانية والتكبر نعوذ بالله منها. ولهذا على الإنسان أن يختار بعلمه مهنة التي تنمي عقله وفكره وفضائله وإلا فإذا لم يكن عمله من هذا القبيل فتستحيل الفضائل في حقه مهما بالغ في الطلب والإرادة.

### أجنحة الشهامة:-

هناك ما يمكن أن تستند عليه الشهامة هذه الصفة النبيلة وهي عدة صفات وكلها من فضيلة الشجاعة منها:-

- كبر النفس.
- النجدة.
- عظم الهمة.
- الثبات.
- الحلم.
- السكون والتحمل، فهذه وغيرها تصب في نهر واحد وقالب فارد.

فمثلا كبر النفس:- والذي ينبع منه الاستهانة باليسير من الأمور والمصاعب والتعالي عليها والافتقار على حمل الكرائه سيكون صاحبها مؤهلا لنيل الشهامة وهو الحرص على المهام العظام التي يتوخى صاحبها المحمده والثناء من الحق تعالى أو من غيره وهكذا تكون البقية.

### الفهم وضده الغباوة

الفهم:- من الفطنة إن لم يكن هو نفسها وعينها و يضاده الغباوة أي من لم يكن فطنا وغلب عليه الجهل واستحكم مملكة النفس ويعد الغباء من أظهر جنود الجهل وأعظمها وأشدّها ضراوة على العقل وأن الغباء هو الذي أطاح برفعه أهل البيت عليهم السلام ولو عقلوا الناس ما مدت أيديهم على الرسل وأبناء الرسل وأن معاوية وأمّثاله حاربوا عليا عليه السلام بأناس لا يميزون بين الناقة والجمال ومن حارب الحسن عليه السلام من لم يعرف عدد الفرائض الخمس وبمن صلى بالناس صلاة الصبح أربع ولو شتم لأزيدنكم وبالحنجاجة الذي يقول أن خليفة الله أفضل من رسوله.

وحورب رسول الله صلى الله عليه وآله بمن لا يعرف معنى (الأب) وهو من أصل البادية وهؤلاء الأغبياء أنجبوا اليوم شعبا بل شعوبا يجرمون جمع الطماطم والخيار وشرب الماء البارد لأن ذلك لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فما أشره من جيل وكل شيء له دواء إلا داء الغباوة والحماسة فلا علاج لهما إلا الموت ليريح ويستريح.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- إن عيسى بن مريم عليهما السلام قال:- داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه<sup>(١)</sup>.  
فالغبي آفة الدين والدنيا ورأس ماله الجهل وآلة العناد والاستكبار والتناول والإعجاب بالرأي وما أكثرهم في هذا الزمان الذين يريدون من العلماء تقليدهم وليس العكس.

ويقع الفهم من جنود العقل فيما إذا أخذ على نحو الشمول من المعارف لمعرفة الدنيا وأهل زمانه وحقيقة الآخرة والمبدأ والغاية وحقيقة الطلب الإلهي وغرضه من هذه الحياة الدنيا وما هو المراد الأقصى وفهم السنن الإلهية التشريعية والتكوينية وأما الاختصار على البعض كفهم بعض العلوم.  
فلا يعد فهما فطنا بل تجتمع الغباوة والحماقة مع هذه العلوم فإن من أصحاب الشهادات من يشرب بول البقر تبركا به وبيننا ذلك في أول البحث من اجتماع العلم والضلالة فراجع.

### شبهة وردها:-

هناك من يختلط عليه الأمر فيحسب تأخر النمو الذهني الاستيعابي على الغباوة والحماقة والأمر ليس كذلك بل كما ذكرنا أن التطور الفكري له أطوار يختلف بها الذهن من حيث الاستيعاب فيعاني بعض من عدم الاستيعاب لكن ليس لعلة الحماقة ولا غير ذلك بل لأجل أن تطوره الذهني يحتاج إلى مدة من الزمن وميدان للمزاولة كي يتعدى هذه المرحلة وقد يعاني الكثير من عدم الاستيعاب والجمود الفكري جراء خطأ في التعليم مارسه الأستاذ أو الآباء والأمهات فأدى أسلوبهم إلى تخدير الذهن مثلا الطالب الذي يعتنى به فيوضع له أستاذ للتدريس الخارجي في كل مادة فيقوم الأستاذ يعيد ويصقل في ذهن الطالب

(١) بحار الانوار (ط.بيروت) ج١٤ ص ٣٢٤.

فيشعر الطالب أنه يفهم والحال أنه أدى به هذا الأسلوب إلى قتل الإبداع والتطور فيكون كجهاز تسجيل وكالبغاء إذا دخل من باب لا يعرف الخروج إلا منها ولو فتحت له ألف باب ومثل هؤلاء الذين يضعون الأساتذة على الدوام ولا يسمحون لأنفسهم بالتفكير والتأمل الذاتي كمن يذهب للنادي الرياضي لكي يتقوى ولكن يأخذ زميله ليلعب بدلا عنه.

فالقوة للذي يمارس الرياضة ليس له ولهذا أن الذي يلحظ هو تطور الأستاذ لا الطالب فمثل هؤلاء يعيشون في سبات عقلي إلى يوم يعيشون وعليه لزم أن يترك الطالب لوحده يزاوّل المسائل العلمية وليكن يفشل ألف مرة فإن فشله نجاح لأنه ينمي عنده قوة التفكير والتأمل والتي تصبح آلة لفتح العلوم في كل علم لا في ما فكر فيه.

### أطوار نمو العقل:-

اعلم أن للشيء الواحد قد تحدث له عدة صور تبعا لتطور العقل وامتداد أذرعة الفهم فكثيرا ما نرى الأشياء بصورة واقعية ولكن بعد مدة نراها بصورة أخرى وذلك لتطور الفهم والقوة العاقلة وهكذا بالنسبة إلى تمامية جنوده فإنه يعطي حقيقة لهذا العالم غير ما كنت تراها من الموعظة والحكمة والتجربة والتعامل وقد يكون الشيء الواحد يؤخذ منه مواعظ عديدة بمراحل العمل التي يتبعها طور الفهم والعقل ولذلك ليس من الصحيح الحكم على الأشياء بدوا عندما نراها حتى يستقر العقل والفهم.

وهذه الحقيقة تتطلب الإيمان بها أولا والاستفادة منها ثانية وحيث أن فائدتها مبنية على الدراية والإحاطة فلزم ذلك أي الأخذ بكل ما يقوي أجنحة العقل والفهم كي تتجلى لنا الأشياء بحقائقها المختلفة ويقوى رأس مال الإنسان العلمي والعبادي.

فالعبادات طالما تتجلى في كل يوم بصورة غير ما كانت عليه عند العبد وثمار هذه الحقيقة تكون عند المجازاة الإلهية فإن الثواب على قدر ما رزقت من العقل والله الموفق للسداد.

## العقل الجبان

قد يفهم الكثير أن صفة الجبن تبلى بها النفس والقلب كذلك ويظهر أثرها خارجا من حيث التردد وما شاكلة من الاضطراب في ميادين الحرب وغيرها ولذا وددت الفات النظر أن هذه الصفة تطول جميع مملكة النفس وتدهور حتى مستواه العلمي فالعقل الذي لا يجرؤ على حل المسائل العويصة ومقارعة العلوم النظرية ويهرب من الدروس الصعبة ويختار قسم الآداب لأنها محفوظات على الاختصاصات العلمية يعد جبانا بلا شك فالتقاعس عن أخذ تلك العلوم وتهيبها سببه جبانة العقل ولهذا يعد من الإقدام على المسائل العويصة والدروس الصعبة والاختصاصات العلمية أروع مظاهر الشجاعة للعقل ولا بد من تطويره وترويضه على منازل المسائل التي ينفر منها لأجل صعوبتها وإذا استحوذت صفة الجبن على العقل يصبح صاحبها بليدا ويحرم أعظم الفضائل وهو العلم ولكن إذا نازلها سوف يعتادها بعد مدة ويصل به الحال انه لا يستأنس إلا بها حتى أنه ينفر من العلوم النقلية...

## أذرعة العقل

أود الإشارة إلى أن العقل الكامل الذي تكاملت عنده جنوده يعد أطول ذراعا في نيل المعارف وأقواها فيكون نفسه طويلا عندما يغوص لاستخراج العلوم النظرية وإدراك القضايا الفطرية ويكون منطقته أبلغ ما يكون وأفضل ما يبني صرح العلوم وفي جميع الميادين وائمن آلة لتقويم المعارف الإلهية وهذا هو سر تعاصر العلوم القديمة مع عصرنا الحاضر بل ربما تأخرت الآلات العلمية في ميادين

التطبيق وبقاء العلوم العقلية القديمة في مقام المفاهيم وحسبها في مجال التصور فلم تنفس الصعداء بعد ولم تخرج لفضاء النور.

ومن هذا نفهم قيمة المنطق العلمي لأهل البيت عليهم السلام ومن حذى حذوهم فمتانة فكرهم باقية الى الأبد وذلك لما عرفت من أن العقل الكامل يعد أطول باعا في مجال نيل العلوم ويسبق الأزمان ولذا لا نستغرب من قول بعض في حق السيد الطباطبائي أنه سبق عصره بمائتي عام.

ومن هذا المنطلق تخلد الأفكار والنظريات وتجد كلاما يعاصر جميع الأجيال نتيجة قوة العقل فإنه إذا قوى كانت الدنيا عنده كدرهم في كف يقبله حيث شاء رزقنا الله وإياكم تمامه وسهولة قوامه.

### الغباء منطلق الشر

ربما خفي على الكثير أن الشر له منافذ عديدة ينفذ من خلالها للإطاحة بأصراحة الحق ودحض كلمته وإعلاء كلمة الكفر فمنها الغباء فالغباء من أفضل العوامل عند الفراعنة والمتسلطين للنيل من الحق وأهله ولهذا تجدهم يمولونه بكل ما يستطيعون وما أوتوا من قوة فإن معاوية بن سفيان لم ينصره عالم قط وإن تحلى البعض بذلك أبدا بل كانت أنصاره أناس لا يميزون بين الناقة والجمال مع ما أنهم أهل بادية وكانوا لا يعرفون عدد ركعات الصلاة.

ولك ان تعتبر بالهجمة الشرسة على العراق في ايامنا هذه ممن يسمون انفسهم بـ (الدولة الاسلامية ) ممن ينتهك الاعراض في الشوارع ويرتكبون الزنا بحجة جهاد النكاح الذي افتى به من كان امتداداً لمعاوية وممثلاً له ناكح المحارم وكل هؤلاء جهلة لا يفقهون شيئاً من الحياة ويتلذذون بقتل الابرياء ولا يروق لهم الا قطع الرؤوس اصحاب الادمغة الفارغة.

## المعرفة وضدها الإنكار

المعرفة:- يراد منها الوقوف على الحقيقة، أي الوقوف العقلي والنفسي على حقائق الأشياء وعلى هرمها معرفة الحق تعالى ومعرفة المبدأ والمنتهى وأفعاله جل وعلا وصفاته ورسله وكل ما يتعلق به تعالى والوقوف على هذه الحقائق وشهودها يتبعه الإذعان والذي يكاد أن لا ينفصل عن حقيقة ما وقف عليه وتحقق شهوده لديه.

وخصها أمير المؤمنين عليه السلام بالذكر بأنها أول الدين والمنطلق المتين لمعرفة علائم الحق قال عليه السلام:- أول الدين معرفته<sup>(١)</sup>، أي أساس الدين المعرفة بالله تعالى وما يطرأ على المعرفة ويتعقبها يعد كمالا قال عليه السلام عقيب ما ذكرناه:- أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به.

فلا بد من أن يكون العبد في أول انطلاقة في الدين أن يحرز المعرفة التي تتلاءم مع ما سوف يخوض به في هذا المضمار.

والمعرفة في المقام كما ذكرنا يراد منها الشمولية والتامة حتى في معرفته تعالى لا المعرفة الناقصة فإذا شابها النقص شيبته بالإنكار.

واستجمع الإمام عليه السلام في كلامه المعرفة الحقبة بأسلوب بليغ ودقيق وليس من السهل استيعابه ما لم يتأمل به فلما ذكر عليه السلام أن أول الدين هو المعرفة - ذكر ما يتم تلك المعرفة وهو التصديق ثم ذكر ما يتم التصديق ويحقق كماله وهو التوحيد ثم ذكر كمال التوحيد وهو الإخلاص وبعدها ذكر كمال الإخلاص وهو نفي الصفات عنه فإذا استجمعنا كل شيء مع كماله نتج عندنا المعرفة الحقبة التامة والوقوف والشهود الذي يعطي الإقرار فإن التصديق وكماله والتوحيد وكماله والإخلاص وكمالهم يرد كل هذا إلى المعرفة فيتحقق من المجموع المعرفة الكاملة التي تكون ندا للإنكار وتصبح هذه الشعب مكونات للمعرفة.

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٩٩.

## الإِنكار -

يُحصل الإنكار بحسب العادة من أمور أهمها:-

- التكبر:- قال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا)<sup>(١)</sup>. وقال تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم متكبرون)<sup>(٢)</sup>. وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن أدنى الإلحاد فقال:- إن الكبر أدناه<sup>(٣)</sup>. فالتكبر يعمي ويصم عن الحق وعن العلم والمعرفة ويمحق المعارف في النفس ولهذا لا تجد عقيدة حقة عند المتكبرين فيعيشون أجواء الضلال في أنفسهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفي مقابل ذلك كان التواضع بابا من أبواب المعرفة وبيننا ذلك في محله.

وعليه فليحذر أحدنا من التكبر أشد الحذر لأجل نفسه لا غيره فإن المتكبر أكثر ما يضر نفسه لا عامة الناس فإذا شمخ بأنفه ولوى رقبته وتشنج في مشيه لا يأخذ مني دينارا ولا درهما ولكن سوف يجر على نفسه وعقله بالويلات ومن تلك الويلات ما ذكرناه من إنكار الحق وإن ظهر له كالشمس وسد باب العلم على نفسه.

والتكبر يدعو للطبقية والطبقية تحجز صاحبها عن المعرفة وتجعله أميا في الكثير من المعارف لأنها تحجزه عن الواقع تماما إلا في نطاق ضيق ولهذا تجد تكتلات المتكبرين وأصحاب الكنى والشهادات والثروات منفصلة عن المجتمع ولو خالطوا الناس في حال لا يخالطوهم إلا مع لباس الطبقة.

---

(١) سورة الأعراف / آية ١٤٦.

(٢) سورة النحل / آية ٢٢.

(٣) منية المريد ص ٣٣٠.

ولأجل ذلك نسى أصحاب الشهادات علومهم وغاب عنهم الإبداع والاختراع والتطور وأما الغرب فصاحبهم يبحث ليل نهار باستمرار وبهذا وصلوا وصاروا أساتذة المسلمين بعد أن كان المسلمون أساتذتهم وبذلك صار التحرر من قيود الغرب في طيات النسيان وحلم لا واقع له.

والطباقية نوع من أنواع السجن والصناديق يضع الانسان نفسه فيه باختياره كالمعلق بالسما لا يدري ما في الأرض أو كالذي في تخوم الأرض لا يدري ما في السماء ولهذا إذا سألت بعضهم عن أمور محيطة بهم تجده يتكلم بنوع من الجهالة والغموض كأنك سألته عن أحوال المريخ.

ليعلم أمثال هؤلاء أن العلم موزع على قلل الجبال وفي الأودية وفي تخوم الأرض وفي الماء الصالح والآسن والحكمة ترد على ألسن العلماء والمنافقين والمجانين.

فالاختلاط مع الجميع لازم .

وكيف كان فإن عامل التكبر من أشد العوامل ضراوة للمعرفة وأكثر ما يرتكز فيه الإنكار قال أمير المؤمنين عليه السلام:- واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الأبواب<sup>(١)</sup>.

وعن الباقر عليه السلام:- ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قل ذلك أو أكثر<sup>(٢)</sup>.

- الجهل المركب:- العامل الثاني هو الجهل المركب:- إن يكون الإنسان جاهلا في شيء ما وفي نفس الوقت يجهل أنه جاهل فالبعض عندما يجهل أمرا ما يعلم أنه جاهل ولهذا يذهب لرفع الجهالة عند من كان أهلا لذلك وهذا جهل بسيط والمشكلة في الذي يجهل أنه جاهل ويظن أنه عالم وعارف وصاحب هذه الصفة السيئة لا محالة يقع في ظلمات الإنكار.

(١) تحف العقول ص٧٤.

(٢) كشف الغمة (ط. القديمة) ج ٢ ص ١٣٢.

بل لا بد أن يحمل الإنسان نفسه على واقعها وأن الدنيا أكبر من حجمك الصغير ما أنت إلا كسحابة الصيف فلا توازي طول الحياة ولا معارفها وحقائقها. وما يجب أن نكون عليه هو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: - وما أكثر ما تجهل من الأمور ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

- التسرع بالحكم: - ومن العوامل التي تولد الإنكار هو التسرع في الحكم وعدم إعطاء النفس التام للأمور فإن للأمور متنفساً وزماناً تعيشه به تتبلور وتنمو حتى تصل إلى حد الظهور ولهذا فإن البدع إذا ظهرت غرت بداية ثم إذا تم ظهورها وعاش سلبها أعطت العبرة.

فيلزم الإنسان عندما يواجه المجهولات أن يتعامل معها كما أرشد إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: - فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك.

فتجد في كلامه دواء عظيماً والفخر لمن يحفظه ويعمل به ويتعاهده ولا ينساه فإن بعض القواعد التربوية تبني صرح الحياة الدنيا والآخرة معا إذا أخذت مأخذها ولهذا يجب أن لا نتجاهل هذه القواعد وما هلك امرئ في دين أو دنيا إلا بمفارقة هذه النظم والأسس التربوية.

### حادثة فيها موعظة: -

في يوم سمع زنديق بالإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه صاحب علم فأراد مناظرته فالتقى بالإمام عليه السلام وحدثه عليه السلام بحديث نذكر منه: -

أنه سأله: - أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟

فقال: - لا

قال: - قد دخلت تحتها؟

---

(١) كشف المحجة لثمره المهجعة ص ٢٢٥.

قال:- لا

قال:- فهل تدري ما تحتها؟

قال:- لا أدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء

فقال أبو عبد الله عليه السلام:- فالظن عجز ما لم تستيقن

ثم قال له:- أصعدت إلى السماء؟

قال:- لا

قال:- أتدري ما فيها؟

قال:- لا

قال:- فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟

قال:- لا

قال:- العجب لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض

ولم تصعد إلى السماء ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد بما فيهن

وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!

فقال الزنديق:- ما كلمني بهذا غيرك

قال الإمام عليه السلام:- فأنت من ذلك في شك فلعل هو ولعل ليس هو

قال:- ولعل ذلك

قال عندها الإمام عليه السلام:- أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على

من يعلم ولا حجة للجاهل على العالم.... ثم ذكر له سبيل التوحيد فأمن

الرجل<sup>(١)</sup>.

---

(١) الاحتجاج \_ للطبرسي ج ٢ ص ٣٤٣.

## المدارة وضدها المكاشفة

المدارة: - شعاع من أشعة الحياء والمكاشفة تعد من شعب الجرأة والوقاحة وتعد المدارة من كرائم الرجال ولا يتمتع بها إلا أهل الفطنة ولا يضيعها إلا جاهل لا يصبو إلى العيش بسلام وراحة البال.

فالمداري: - هنيء العيش قليل المشاكل هادئ البال وأكثر المشاكل تأتي من المكاشفة وعدم التغاضي والتغابي فأفضل ما تركز عليه المدارة هي التغابي والتغاضي والصبر وعدم المبالاة في كل شاردة وواردة فإن هذا الأسلوب أوفق لتحقيق المعيشة في العائلة وغيرها كما في التعامل مع المجتمع وعامة الناس فالذي يلزمك عدم الدقة في ما ترى وتسمع وإلا ذهب عنك السلام والعيش الهنيء وتذهب عنك العزة أيضا فإن العزة في التغابي والتغاضي ولك أن تنظر بالعيان والوجدان إن أغلب ما يركز عليه تعاسة الإنسان هو الملاحاة والمكاشفة والجرأة وغالبا ما تحطم العوائل والأسر بسبب المكاشفة وكثيرا ما يحدث الطلاق بين الزوجين لأجل المكاشفة ودقة الحساب على كل فعل وقول وعالجوا أهل البيت عليهم السلام ذلك بالمدارة على كل حال وحسن المقال بهذا تحسن الفعال.

وهذا الخلق أمر لازم وليس أمرا ممكن أن يغض الطرف عنه وهذا ليس مبالغة في حق هذا الخلق لأنه يركز عليه ضبط الحياة العملية وسيرة أهل البيت عليهم حافلة بما يدل مع علمهم الغيبي اللدني والشهودي فهم لا يكاشفون أحد في عيب من فعل أو قول.

وحادثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المنافقين الذين تعرضوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بكلام فأخبره جبرائيل عليه السلام بذلك ولما حضروا عنده أنكروا ذلك فصدقهم النبي صلى الله عليه وآله ولم يكاشفهم فيما قالوه في حقه صلى الله عليه وآله.

وكان الأئمة يعلمون عيوب العباد ويشهدونها في كل يوم كما هو المصرح به عندنا في رواياتهم ومع كل ذلك يتعاملون مع الناس بما يظهر عدم المعرفة ولم يكتشفوا أحدا في شيء من ذلك وهذا لو كان عندنا لعم الفساد.

وهناك بعض من الناس يتبجح ويتبختر في نبذ هذا الخلق أي المكاشفة ويعبر بتعبير مشهور على ألسن العامة - أنا لا أجامل أحداً ولا أسكت عن الحق أنا أعطي كل واحد طينته بخده -

فمثل هؤلاء نشب في نفوسهم سوء الخلق كالوقاحة والجرأة وكثرة الخصومة؛ لأن المكاشفة تحتاج إلى مؤونة ومؤونتها ما ذكرناه فلا يمكن المكاشفة من دون هذه الصفات القبيحة لا بد من وقاحة وجرأة وذلك لأن المكاشفة لا تتسجم مع الحياء ويتبع ذلك الخصومة كنتيجة تلقائية لتحقيق سببها.

### سلامة الغيب وضدها المماكرة

المكر: - قبيح شرعا وعقلا وصاحبه ممسوخ يمسخ يوم القيامة على شكل الحيوان المماكر والذي يطغي عليه صفة المكر تجتمع في ساحة نفسه جميع الصفات السيئة الأخرى كالغش والنميمة والخيانة والكذب والحقد والغدر وذهاب الدين بأجمعه ولذلك ذكرت وأعيد على الأذهان مذكرا بأنه ربما صفة واحدة سيئة تطيح بكل مملكة النفس فليس كل الصفات على نسق واحد وركيزة واحدة فرب صفة ذميمة تجتمع مع كثير من المحاسن والبعض ليس كذلك فتكون تلك الصفة كالقنبلة في مملكة النفس فتطيح بها تماما ولا تبقي في النفس غير خصال الشر بل تدعوه لكل رذيلة ومن هذه الصفات المكر.

فإن المكر لا يبقى وحيدا في مملكة النفس والعياذ بالله بل يصحب معه كل الرذائل وأقبحها ولهذا ذكرت الروايات مشددة في محاربة تلك الصفة بأن المكر ضياع الدين وأن صاحب المكر أشر الناس وأنه بجانب للإيمان أي لا يجتمع صاحبه مع الإيمان وإن أهل البيت منه براء وملعون على لسانهم عليهم السلام

وإن صاحبه يحشر يوم القيامة مع اليهود لا مع المسلمين ومن بات في قلبه شيء من الغش بات في سخط الله تعالى حتى يتوب ويرجع عن غشه لأخيه المسلم وأن الله ينزع البركة من رزقه ويفسد عليه المعيشة ويكله إلى نفسه وأن صاحبه في النار لا محالة سواء صلى أو صام أو غير ذلك فإن الله لا يخدع عن جنته وفي غنى عن عبادة العالمين.

### اقتد بإمامك: -

ذكرت فيما سبق في بعض البحوث أن جل مصائب أهل البيت عليهم السلام التي تحملوها لأجل الأخلاق فإن الأخلاق عندهم لا تعترض بشيء ولو ملك الدنيا برحبها.

نعم أصحاب الرياضات والتهذيب النفسي يعرفون قيمة الخلق من خلال أن مؤونة بنائه وثمرته في الآخرة فإن مؤونته عندهم يضرب لها المثل بأن يقال:- إزالة الجبل بإبرة أهون من إزالة الخلق السيئ.

وثمرته جنة عرضها السموات والأرض ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنح رضوان الله تعالى والفوز بالقرب الإلهي والأمن من عذاب دائم فنار جهنم ليس لها وقود إلا سيء الخلق وإن صاحب الخلق الحسن يعدل الصائم القائم.

لهذا يضحى أولو الألباب بكل شيء في سبيل الحفاظ على أخلاقهم التي حصلوها بالرياضات والمجاهدات والتي يستغرق بعضها سنين طوال. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المكر:- لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا:- أيها الناس لولا كراهية الغدر كنت أدهى الناس إلا إن لكل غدره فجرة ولكل فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار<sup>(١)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٤٢.

وبهذا الإمام اقتدى مسلم بن عقيل عليه السلام وتحمل ما تحمل في سبيل الخلق ولهذا فليعمل العاملون.

فائدة:-

الذين يقومون بإحياء الشريعة والدين وتعليم الناس وإصلاح مجتمعاتهم لا بد أن يحيطوا دينهم بالتقوى والورع ويحصنوه بالسبل المشروعة التي أتى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ولا يسمحوا لتسويات إبليس أن يمضي تسوياته عليهم بأن يسلكوا كل طريق ولو لم يكن مشروعاً بحجة نصر الدين والإسلام وأن هؤلاء أعداء الدين والإسلام فلا حاجز عن دحضهم ولو بأي وسيلة كانت.

فهناك من يستعمل الكذب في إصلاح الناس لغير الضرورة وآخر يكرر ويخدع ويدهن والآخر يفعل أفعالا يندي لها الجبين ولا يقوم بها إلا من سخف عقله وسقطت مرؤته ومن هذا الباب بدأ الإسلام يضعف ويعد أنفاسه على يد هؤلاء وإلا فالإسلام لم يضعفه الكفر والكافرون ولا الإيمان ولا المؤمنون وإنما أضعفه هؤلاء الذين سماهم أمير المؤمنين عليه السلام بالمنافقين باتخاذهم الأساليب غير المشروعة في نصرته الدين والإسلام.

ومرت عليك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام:- فلو كان النصر بأية وسيلة ولو كانت غير مشروعة لم يتمكن أحد من علي عليه السلام لا معاوية ولا غيره ولكن معاوية يغدر ويفجر وينكل ويفعل كل شيء ولا يقف أمامه شيء في تحقيق أغراضه أما علي عليه السلام واتباعه فليس كذلك لأننا جئنا لمحاربة هذه الأخلاق السيئة جئنا لإتمام مكارم الأخلاق والذي يأتي لإتمام مكارم الأخلاق لا بينها بمساوئ الأخلاق فليعتبروا أحببتنا بهذا الكلام والله الموفق للسداد.

## سلامة الغيب: -

يعد هذا العنصر التربوي من أهم العناصر التي يتم من خلالها بناء المجتمع الذي لا يشوبه التفكك والانحلال ويبلغ دوره الأعظم في الأسر فإن لسلامة الغيب دورا كبيرا في حفظ أواصر المحبة والمودة بين الأفراد والموارد التي أكدت على هذه السجية الحسنة هي حرمة الغيبة وحفظ أصول الصداقة من أن الصديق من صدق غيبه ومن لم يصدق غيبه فليس بصديق.

فعلى العبد الذي يريد أن يكون متحليا بهذه الصفة أن لا يعود نفسه على ذم الناس وذكر عيوبهم بل يعتاد الذكر الحسن إن عناه ذكر أحدهم وأن لا يعود نفسه مدح الناس عند حضورهم وذمهم في غيبتهم فيكون صاحب لسانين حيث لا مغفرة له واليوم لما فسدت فيه السرائر وساءت الضمائر لا تجد معنى تطبيقيا لهذه الخصلة المحمودة فتآلفت الناس بالألسن وتشاجرت بالجنان فصاحبك الذي تصحبه ما أن تغيب عنه إلا وذمك ليرفع نفسه ويشينك ليزين نفسه ويذل ذلك ليعز نفسه.

فسد الصديق وأظلم الطريق وعلت راية النفاق ونكست راية الهدى ودبت الغيبة فأصرعت الناس وجعلتها سكارى في النهار جيفة في الليل لا توفيق لهم لنيل الكرامة والتخلص مما يورث الندامة.

فالذي يجب على العاقل أن يخرج نفسه مما اشتهر ويغتتم الطاعة عند تفريط العجزة فإن الله سبحانه وتعالى قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (١).

## **الكتمان وضده الإفشاء**

من الأخلاق التي لا بد من التخلق بها الكتمان وعدم الإفشاء ولزوم التحلي بهذه الفضيلة من حيث أنها يرتكز عليها عدة فضائل وذكرت غير مرة أن بعض

---

(١) سورة الاسراء / آية ١٥.

الفضائل تصطبح الواحدة منها عدة صفات حسنة ولا يمكن مفارقتها وكذلك الحال في بعض الرذائل.

ففضيلة الكتمان إذا تحلى بها العبد ابتعد عن الغيبة والنميمة وتمكن من حفظ سره وسر غيره من الناس ومعلوم أن حفظ الأسرار في الشخصية يتوقف عليه نجاح الحياة وإن الذين لا سر لهم مبتلون على الدوام بإذاعة ما عندهم من مهام وأمور ومشاكل وأعمال ولا قيمة لحياتهم وأنهم في تردى دينيا ودنيويا ولا تقضى لهم حاجة لان قضاء الحوائج لا يكون إلا بالكتمان.

وإن المؤكد من الروايات أن الكتمان نعم العون في قضاء الحوائج وأنها لا تقضى ما لم تكتم فإذا كان الشخص مبتلى بالإذاعة والإفشاء فلا يطمع في قضاء الحوائج ويرتكز على هذه الخلة العظيمة إعطاء الكرامات الإلهية والعلم الرباني والمعرفة الربوبية.

فإن جل الكرامات يجرمها العبد مع إيمانه وتدينه سببها الإفشاء والإذاعة وأنه لا كتمان له فلو رأى في عالم الرؤيا شيئا حسنا أو قبيحا تجد عند الصباح لا يبقى فرد من الناس من الذين حوله إلا وعلم بما رأى وإذا حصلت له كرامة بسيطة أقام الدنيا بها وهذا مما يمنع الحق تعالى أن يضع سر علمه وكرامته عنده.

ولذا تجد علمائنا رضوان الله عليهم تحدث لهم الكرامات العظيمة وذلك لأنهم لا يحدثون بها فلكل واحد منهم من الكرامات ما يحتاج إلى مجلد أو مجلدات ولا يحدثون أقرب الناس إليهم.

وجل المشاكل في الأسر سببها عدم الكتمان والإذاعة والإفشاء فالزوجة تحدث جاريتها وصاحبها ذات السريرة التنتة التي لم تبصر ليوم واحد حتى تطهر أنفوس شعشاء غبراء ما رأت العناية التربوية للحظة واحدة كيف جاز إفشاء الأسرار عندها فلا يلومن هؤلاء إلا أنفسهم ولو تحلى الجميع بالكتمان لسعدوا جميعا.

والكثير الكثير هلك على يد السلطان والظالم بسبب الإذاعة والإفشاء  
فيسعى لقتل نفسه بيده، قال أمير المؤمنين عليه السلام:- لا يسلم من أذاع سره  
وسرك سرور إن كتمته وإن أذعته كان ثبورك<sup>(١)</sup>.

### أهميته عند أهل البيت عليهم السلام:-

ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:- وددت والله أني  
افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي:- النزق وقلة الكتمان<sup>(٢)</sup>.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام:- أمر الناس بخصلتين فضيعوها فصاروا  
منهما على غير شيء:- الصبر والكتمان<sup>(٣)</sup>.

عن المعلى بن خنيس قال:- قال أبو عبد الله عليه السلام:- يا معلى اكنم  
أمرنا ولا تدعه فإنه من كنم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نورا بين  
عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنة يا معلى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في  
الدنيا<sup>(٤)</sup>.

### **أهمية الكتمان في السياسة**

الذي يجب أن يتحلى به القائد السياسي وعماله هو الكتمان وعدم الإذاعة  
فيتأكد هذا الأمر في الأجهزة الرقابية والاستخباراتية ويشكل هذا العامل روح  
العمل وقوامه والمشكلة التي تنتاب هؤلاء هو الإذاعة خصوصا الأجهزة  
الاستخباراتية لا بد أن يلزمهم الصمت والصبر على الكتمان.

---

(١) غرر الحكم ص ٤٠٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٢٢.

(٣) مشكاة الانوار ص ٢٤

(٤) المحاسن ج ١ ص ٢٥٥.

فكثيرا ما يتعرضون لحوادث الاغتيال بسبب الإذاعة وإذا ما تعرضوا إلى ما يشين شخصيتهم سرعان ما يبرزوا هويتهم وهذا خطأ بليغ في هذه الأجهزة بل هو الداء الأكبر والآفة العظمى فعلى القادة أن يعلموا ويربوا الجند الرقابية على التحمل والتصبر ليكتموا أمرهم كي لا يتعرضوا لهلاك أنفسهم فيعرضوا الدولة والحكومة إلى الانهيار وأكدوا أهل البيت عليهم السلام على مواليهم أن يتسربلوا بسربال الكتمان وأعلنوا البراءة ممن يفشي أمره أو أمر دينه أو يبدي كل ما عنده. عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:- من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان<sup>(١)</sup> وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل (ويقتلون الأنبياء بغير حق فقال أما والله ما قتلوهم بأسيا فهم ولكن أذاعوا سرهم وأفشوا عليهم فقتلوا)<sup>(٢)</sup>. وكثيرا ما يتتلي المؤمنون والموالون لأهل البيت بإذاعة الأسرار التي تحط من مكانة المذهب وسفك دماؤهم من دون ثمار.

### لا تقل كل ما تعرف

لا تتوقع من أن الناس على مستوى واحد من الإدراك والمعرفة والموالاتة لأهل البيت بل لا يكاد تجد اثنين بمرتبة واحدة في المعرفة وبذلك اختلفت منازلهم الآخروية فإذا حدثت الناس حدثهم بما يؤمنون به ويستطيعون الإيمان به وتعقله. فلا تبدي كل ما عندك فتفسد جميع القول وما حدثت به فليس كل ما يعرف يقال ولا بد لك من كتمان ما ينكر الناس جميعا فإذا جالست شخصا عدوا أو صديقا فحدثه بما يقر ويؤمن ولا تخض بغير ذلك مما ينكره. ففي وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهم السلام:- لا تودع سررك إلا عند كل ثقة ولا تلفظ إلا بما يتعارفون به الناس ولا تخالطهم إلا بما يفعلون فاحذر كل

(١) الكافي (ط. دار الحديث ) ج٤ ص١١١.

(٢) المحاسن ج١ ص٢٥٥.

الحذر وكن فردا وحيدا<sup>(١)</sup>. وعن الرضا عليه السلام: حدث الناس بما يعرفون وأتركهم عمّا لا يعرفون<sup>(٢)</sup> وعن الصادق عليه السلام: لا تحدث اصحابنا بما لم يجمعوا عليه فيكذبوك<sup>(٣)</sup>.

وبهذا الأسلوب وبهذه السياسة تبقى المودة وتحفظ الأسرار وتحقن الدماء.

### مراتب التطهير ثلاث:-

هنا أريد أن الفت نظر القارئ الكريم واعلمه أن التطهير يقع في ثلاث مراحل من النفس فإنها - أي النفس - تحوي على طبقات وهذه الطبقات إذا طهرت كلها أصبح الإنسان إنسانا مقبولا عند الله وأصبحت نفسه محل فيضه وإلا فإذا طهر بعضها دون الآخر سوف تبقى تلك الطبقة غير المطهرة مانعا وحاجبا بين العبد وربّه فهي تحوي الفضائل في هذه الطبقات وتحوي الرذائل أيضا.

- الأولى:- وهي ما يجهر به الإنسان من لفظ ويقوم به من فعل ويكون عن قصد منه ودراية.

- الثانية:- ما يسره الإنسان في نفسه من الأقوال والأفعال والعقائد ويكون ملتفتا إليها وعالما بها أيضا ويخفيها عن قصد ودراية بل هو الذي يتعمد إخفائها.

- الثالثة:- الطبقة التي أخفى مما يخفيه العبد حتى أنه لا يعلمها أولا يلتفت إليها أما لنسيان أو لغفلة أو لعدم شعوره بالمرّة ونقدر أن نسميه بباطن الباطن أو لب اللب والذي قد يحوي على مفسد كثيرة وقد يحوي أيضا على فضائل تظهر في أحوال يمر بها الإنسان كالذهول أو التنويم المغناطيسي أو عندما يعرض عليه من التخدير في حال العمليات الجراحية فتظهر في هذه الفترة بواطن الإنسان الخفي والأخفى بل فلا بد من تطهيرها.

(١) بحار الانوار (ط. بيروت) ج٧٤ ص ٢٣٥.

(٢) رجال الكشي ص ٤٨٧.

(٣) بحار الانوار ج٢ ص ٢٥١.

وهذه المراحل تدخل في طور التطهير، قال تعالى (ولا يسألكم أموالكم \* إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم)<sup>(١)</sup> وقال تعالى (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى)<sup>(٢)</sup> فالمرحلة جميعها بنظر الحق تعالى والترقي الحقيقي يلزم تطهير الجميع.

ويأتي تطهيرها من جهتين - من الحق تعالى ومن العبد - فمنه تعالى الابتلاءات التي تكشف حقائقنا - فإن الذهب يجرب بالنار - ومن جهتنا بتطهير الظاهر وما نخفيه فإنه أحد الطريق لتطهير الأخرى فإن الظاهر ينعكس أثره على الخفي والسر والباطن كما ينعكس الباطن بنوره على الظاهر. ولذا فإن أصحاب الرياضات يكتشفون من العيوب ما يجعلهم ليس لهم فرصة لأن يلتفتوا إلى عيوب الناس.

وهذه المراتب وخصوصا الأخيرة تعرقل المسيرة وتذهل العبد عند الموت بل ما جعل سطوة الموت إلا لتطهير الخفي من الرذائل فضلا عن الظاهر نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا وأن نكون محل فيضه وإحسانه بحق محمد وآله.

### إشاعة الفاحشة

إن من أشد الأخطار التي دبت ونشبت في المجتمع الإسلامي حب إشاعة الفحشاء والعمل على الإشاعة ولم يسلم منها إلا من حباه الله واجتبه فقد قال الله تعالى في ذلك (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)<sup>(١)</sup>.

فقد وعد الله لمجرد محبة الفاحشة العذاب الأليم في الدنيا أي قبل أن يخرج منها يذيقه الله الخزي في الحياة الدنيا ويركبه ما ابتلى به غيره وفي سكرات الموت ما

(١) سورة محمد / آية ٣٦ - ٣٧.

(٢) سورة طه / آية ٧.

(١) سورة النور / آية ١٩.

لا يصفه الواصفون وكذلك في الآخرة من العذاب ما الله يعلمه وأنتم لا تعلمون فكيف بمن يعمل بها ويقوم بنشرها وبثها على الفضائيات والانترنت أما والله إن هذا المورد من الذنوب مما ليس فيه مغفرة قط ولو عبد عبادة الثقلين وعبد بالذهب والفضة طرق المعصومين فإن الله لا يقبله وعمله إلى أبد الأبدين.

فإن الله سبحانه وتعالى ليغفر للزاني وشارب الخمر ولا يغفر لمن أشاع الفحشاء فيهم أبداً لأن هذا المورد مما لا علاج له وقد قام بذلك الفعل القبيح الكثير الكثير من موالين أهل البيت وزوارهم وخدمتهم فأوقعهم الشيطان بما لا مغفرة فيه فأشاعوا الفاحشة عن بعض المؤمنين فشانوا بذلك المذهب وبعض الموالين وقرؤا أعين أعداء الدين ولم يعلموا إن أهل البيت يقولون حبوا الله من كان على هذا الأمر (ولايتنا أهل البيت) ولو كان زانيا خمارا.

فكيف بمن قام بأمر أقرته السماء وذكره القرآن فأشاعوا عليه أمره وذكروا خبره في المحافل والأندية وعلى الفضائيات والانترنت فأين المهرب في يوم الحكم فيه لله الواحد القهار يوم تبلى السرائر والقلوب لدى الحناجر كاظمين يوم تبكي فيه العيون دما وتسيل قيحا إن ذلك لحق فبعض السنن التي جاءت بها شريعة السماء عطلوها موالى أهل البيت وأنصار الدين.

ولما عمل بها بعض جعلوها أقبح فاحشة أقيمت في الإسلام وأشد من الزنا وبعض يقول الزنا ولا التعدد في النساء فجعلوا هذا وأمثاله من الفواحش وكثير من المستحبات والمشكلة الكبرى أن الذي يقوم بذلك هم محبي أهل البيت الذين كان الأجدر بهم العمل بما عملوا به أهل البيت ومجانبة ما جانبوا والله الموفق للسداد.

### استر الفاحشة ما استطعت:-

ابن آدم ملئ بالعيوب وذلك لأنه خلق من ضعف بل هو عين الضعف والفقر، وفي العادة يلازمه العيب والنقصان فهو مغلوب لشهوة أو لعادة أو لتقليد أو لمجاملة أصحاب السوء وغير ذلك.

فإذا وجدت أحدا وقع في منكر وأراد ستره فاعمد على ستره ما استطعت ولا تبدي عورته ليأتي اليوم الذي يتوب فيه وإذا تاب بعدما عرف الناس فإن الناس لا يرحمون وينسون أفعالهم في حق الله تعالى وينظرون إلى عيوب غيرهم. وهذا ما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر: - فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعبتك.

وبمفهوم مخالف معاكس نفهم أن الله يبدي من عوراتك ما تبديه من عورات الناس هذا هو مراد الله تعالى من المؤمنين ومن أراد السلامة في الدين والدنيا فليطبق ويعمل بهذه الصفات الحسنة.

فإن الدعوة غير كافية بل الدعوة للإيمان وللولاية وللتشيع ذنب يؤاخذ عليه من لا يطبق لأنه انتحال شخصية محترمة وتزييف مفهوم مقدس وكسر الثقة بأهل الدين وكذب وخداع وكل هذه الصفات كما ترى!!

## تسليية المجروح

قد يتأذى بعض المؤمنين مما قيل في حقهم مع براءتهم فيستشعر الظلم من عامة الناس فهذا مطعون في عرضه والآخر في نزاهته وثالث في شرفه.

فأقول أيها العبد لا تحزن فإن الله تعالى جعل الدنيا اختبارا واعتبارا لا جزاء فيها فانظر إلى كل ولي من أوليائه هل خرج منها بغير الحسرة والألم.

ثم اعلم أن الناس الذين لا يميزون بين الصحيح والفاسد لم ينج منهم حتى الأنبياء فقد قالوا في حق موسى قولاً عظيماً فبرأه الله تعالى مما قالوا وقالوا في حق داوود أنه أعجبتة امرأة حسناء فسأل عن زوجها فإذا هو أحد جنوده فقدمه أمامه للحرب في ميدان المواجه لكي يقتل ليتزوجها وهو بريء من ذلك.

وقالوا في حق يوسف الصديق أنه راود زليخا وحسوه ثمانية عشر سنة وهم يتحدثون عنه بالفاحشة تعالى الله علواً كبيراً فصبر مع ألم ذلك الاتهام حتى أخذ

البلاء مأخذه فرج الله همه وغمه ولكن بعد أن قال الناس فيه ما تهد له الجبال الراسيات.

وقالوا في حق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأولياء لا يعرفه إلا الله تعالى وعلي عليه السلام فقط أنه مالت نفسه إلى زوجة زيد بن حارثة فطلقها منه لكي يتزوجها.

فلا تأمل من أناس طعنوا بالأنبياء والرسل النجاة من ألسنتهم ما لم يعصمك الله منهم وكم مات البعض مظلوما مهضوما في عبرته وبين يديك العلماء قالوا في حقهم ما لا يرضي الله تعالى وأهل البيت فتأسى بالصالحين والله المعين على ما يصنفون.

### من أعجب ما يفعله المؤمنون!!

من غريب ما يسمع ويرى هو أن البعض يذم صاحبه ويشينه في عمل عمله وفي الغالب يكون مستحبا فيذمه على عمل مستحب وراجح في لسان الشرع غاية ما هناك أن العرف لا يرضاه ويأباه.

فيقع بالغيبة التي أشد من سبعين زنيه في ذات محرم تحت أستار الكعبة ويهلك نفسه ودينه في اعباءة شخص عمل مستحبا كما لو زوج رجل ابنته أو ولده مبكرا فهذا مستحب عند الشرع وقد لا يكون مرغوبا عند البعض فيقعون في غيبته والبهتان عليه ولو كان ذلك مسيئا كما لو قام بفعل قبيح شرعا.

فإن الغيبة أشد مما فعل فرما يغفر له ويكفر الله سيئاته ويبقى صاحب الغيبة في أسوء حال صفر اليدين من الحسنات لأنها ذهبت لمن هتكت حرمة على لسانه وملئ بالسيئات لأنه أخذ سيئات من اغتابه فهل ترى ذلك عاقلا؟! فليزمن علينا عدم إهلاك أنفسنا بدم غيرنا لأنه فعل مستحبا أو حتى لو كان محرما.

### ضابطة الكتمان:-

للكتمان ضابطة وقاعدة لا تختلف ولا تتخلف وهو أن السر إذا تجاوز الشخصين ما عد سرا من الأسرار بل صدق عليه الإذاعة.

### من يمكن أن يسر:-

ولا تودعن سر ك عند كل أحد إلا صاحب مروءة وعرق طاهر فلو رجع لأصله وجده طيبا أما لو كان من أسرته طيبا ولكن خيىث العرق فلو رجع وجاءه الحنين لأصله ووجده خيىثا ينتمى إلى فصيلة الذئاب فلا تلومن إلا نفسك.  
فليزم أيضا أن يكون صموتا كثير السكوت لأن أهل الهذر لا سر لهم ولو قسم لك سبعين قسامة وكذلك المرآئي والمتفاخر.

### لا تطلع سر ك لأناس:-

- الأول:- المرآة:- فالمخالف لنا قد كفانا الله مؤوته وما يقوله في حقنا.
- الثاني:- المنام فلا استثناء له في كلام بل هذه مهنته وعليها جبلت طبيعته.
- الثالث:- الأحمق.
- الرابع:- الخائن.
- الخامس:- الخادم.
- السادس:- كثيري الكلام وأصحاب الهذر.
- السابع:- قليل الصبر.
- الثامن:- متقلب المزاج.
- التاسع:- الملول.
- العاشر:- الصبي.
- الحادي عشر:- اللثيم.

- الثاني عشر:- السفلة.

### تذكرة لمن يحب إشاعة الفحشاء وذم الناس:-

وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذي عاب أخا وعيره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به، وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه، وإيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه، فليكف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره<sup>(١)</sup>.

### الصلاة وضدها الإضاعة

الصلاة:- أهم الركائز التي يرتكز عليها الدين والإيمان مطلقا والكلام فيها كثير لا يليق بمثلي الحقير وإنما يحق الكلام فيها لعالم نحرير ولذا نعطف العنان إلى الآداب الظاهرية إذ ربما كان حظنا هذا وأما الآداب المعنوية لها فالحق أنها لأهل الحق كما ذكرت وتكلم بها العلماء والسادة الأجلاء ولا بد من أن تول اهتماما بليغا فإن المنح الإلهية والألطف الربانية ربما تكون لمن لا يخطر على بال أحد نسأل التوفيق وسلوك الطريق.

---

(١) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام / شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٥٩ (من كلام

له في النهي عن غيبة الناس).

### الاستخفاف بالصلاة:-

الصلاة التي نصليها ونؤديها يوميا اللزوم أن تنزه عن الاستخفاف فقد يكون العبد مصليا ولكن مستخفا بها فإذا استخف بها ابتلي بما لا يمكن تحمله وسوف نذكر بعض منها:-

### حرمان الشفاعة:-

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- لا تنال شفاعتي من استخف بصلاته لا يرد علي الحوض لا والله.  
وهنا عليك أن تعلم أن معنى ذلك الهلاك الآخروي لا محالة وذلك فإن العباد مهما عملوا واستقاموا لا يمكن لهم أن يدخلوا الجنة ويأمنوا العذاب إلا بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### وصية الموت:-

عندما حضر الإمام أبو عبد عليه السلام الوفاة وكان في حالة الإقبال على الله وفي سنات الموت وقد أغمض عينيه بعدها فتح عينيه فتعجب من كان حاضرا وقال عندها:- اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة، فاجتمعوا عنده جميعا فنظر إليهم وقال:- إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة<sup>(١)</sup>، أي بمعنى إذا عولتم على الشفاعة أو طمعتم بها فأعلمكم أن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة ولو كان قريبا.  
فالشفاعة نيلها لا بد له من مرتبة إذا بلغتموها نلتموها وليست من الأمور المطلقة أو الجزافية وذكره لهذا الأمر في هذه المحنة والتي تكون في العادة الانشغال بالنفس كاشف عن أهميته وأن وقع الصلاة في الدين لا نظير له.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٩٥.

نعم ليعلم أن كلامنا هنا ليس في قاطع الصلاة فإن قاطع الصلاة لم نتناوله بعدما وردت الروايات أنه كافر ولكن هذا الكلام عن شخص يصلي لكنه لا يهتم بشأنها ولا يعتني بأمرها كما سوف نبينه بإذن الله تعالى.

وفي ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل إلى المسجد فرأى شخصا يصلي وكانت صلاته سريعة جدا كأصحاب الأعمال اليوم همه التسليم ليتخلص منها وكأن وقته كله في الصلاة فلما نظره رسول الله صلى الله عليه وآله استاء من صلاته فقال عندها- : نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ديني.

فهذا يصلي وآت بها ويعده الناس من المسلمين ومن المصلين ولكن النتيجة أنه إن بقي على هذه الصلاة والتي في الغالب عليها عامة الناس سوف يموت على غير دين النبي صلى الله عليه وآله وهو الإسلام.

وبيان أن الصلاة تمثل هوية الإسلام والجواز والتراخيص وأنها العمود الذي يرتكز عليه تمام الأعمال كما قال الصادق عليه السلام-: فإن قبلت قبل سائر عمله وإن ردت رد عليه سائر عمله<sup>(١)</sup>.

### تخفيف الصلاة لأجل الحوائج:-

الشیطان يحرك عجلة الأوهام عند الصلاة فيجعل وقتها أثن الأوقات لقضاء الحوائج فيستعجل بها يقول الله لملائكته:- أما ترون إلى عبدي كأنه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري أما يعلم أن قضاء حوائجه بيدي.

لهذا كان اللازم أن يعقل العبد جيدا أن الصلاة فيها مكسب وقضاء الحوائج فلا يصنع لاملاءات إبليس اللعين.

## وقت الصلاة: -

وقت الصلاة من الأمور التي اعتبرها الشارع المقدس وجعل لها موضوعية وكان تعظيمها أي الصلاة يبتدئ من الوقت وكذلك الاستخفاف.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: - من صلى الصلاة لغير وقتها رفعت سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله كما ضيعتني<sup>(١)</sup>...

ونحن لما ضعفنا عن الآداب المعنوية للصلاة كان ينبغي ألا نضيع الجميع والاهتمام في الوقت يجبر الكسر حتى قال بعض العلماء أضمن لمن أدى الصلاة في وقتها المراتب العظيمة.

وقد أدوها أهل البيت في أحلك الظروف فإن الإمام الحسين عليه السلام أداها في مطر من السهام ولو كان الذي فيه قد ابتلى به غيره لقال الصلاة الآن غير مهمة وأنا في دفاع عن الإسلام فيدل على الله بالقتال ويتهاون بالصلاة ولكن الإمام الحسين ممن يحفظ القواعد والتي منها إن قبلت الصلاة قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها ولو كان القتال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

## جزاء من تهاون بصلاته: -

سألت فاطمة الزهراء عليها السلام أباهما محمدا صلى الله عليه وآله: - ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟

قال: - يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في يوم القيامة إذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: -

- فالأولى: - يرفع الله البركة من عمره

- ويرفع الله البركة من رزقه
  - ويمحو الله عز وجل سيئات الصالحين من وجهه
  - وكل عمل يعمل لا يؤجر عليه
  - ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء
  - والسادسة:- ليس له حظ في دعاء الصالحين.
  - وأما اللواتي تصيبه عند موته:-
  - فأولاهن:- أنه يموت ذليلاً
  - والثانية:- يموت جائعاً
  - والثالثة:- يموت عطشاناً لو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.
  - وأما اللواتي تصيبه في قبره:-
  - فأولاهن:- يوكل الله به ملكاً يزعه في قبره
  - والثانية:- يضيق عليه قبره
  - والثالثة:- تكون الظلمة في قبره.
  - وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره:-
  - فأولاهن:- أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه
  - والثانية:- يحاسب حساباً شديداً
  - والثالثة:- لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم<sup>(١)</sup>.
- لعمري أن هذا الحديث المبارك كاف فالردع والزجر عن الاستهانة في الصلاة.

### دور العمل في ترسيخ المفاهيم:-

إن للعمل دوراً فعالاً في معرفة المفهوم الذي عمل على ضوئه لأنه من لم يذق لم يعرف فالعمل معناه تذوق المفاهيم واستطعامها ومعرفة كنهها ولذا يقال

(١) مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٢٤.

على لسان المعصوم بالمضمون أن العمل يجلب العلم وهذا أمر وجداني فإنه يوسع أفكار الإنسان ومداركه وآفاق نظراته على نحو الخصوص بل العموم أيضا. وإذا لم يعمل الإنسان وبقي في حيز الاصطلاحات والألفاظ فسوف يكون فارغ القلب أما عاجلا أو آجلا وسوف تختفي منه حقائق ما علمه ويظفي مصباح المعرفة عنده ويحل بدله الظلام وتسود صفحة النفس جراء ما قارفته من الذنوب وتبقى تبعة ما علمه وهي المؤاخذة والعقوبة عن حجة دامغة كما هو واضح بين فالأجدر هو العمل بما يعلمه الإنسان.

فالصلاة تحتاج إلى اهتمام بالغ الأهمية بل لا يكون العبد مستقيما إلا أن يقدم الصلاة على كل أعماله في حقيقة نفسه وعمله الخارجي بأن يبرز ذلك بالمبادرة إليها والمسارة نحوها تاركا لأي عمل كان.

ومنها يستكشف مقام الحق تعالى عند العبد ويعرف العبد مقامه عند الله تعالى فإن المعرفة المقامية متبادلة بين العبد وربّه فمن يرغب معرفة قيمته عند الله فلينظر إلى نفسه ويعاينها كي يجبر قيمة الحق لديه ومنها يعرف القيمة التي هو عليها عنده سبحانه وتعالى فإذا كان لا يساوي عنده ألف دينار فكذلك الحال عند الله فإذا أردت أن يعلو قدرك ويشد ذكرك عند الله تعالى فليعلو قدر الله وذكر الله عندك وإلا فلا تخادع النفس بالإيمان والتقوى والحال أنك فارغ من كل ذلك. اسأل الله بحق محمد وآله وبالفقر الذي أنا عليه أن يمد لنا يد العون بأن يعيننا على طاعته واجتناب معصيته إنه جواد كريم.

## الصوم وضده الإفطار

عد الصوم من جنود العقل نظرا إلى كونه مما يقوي ساعد العقل عموما ويعمل على إيجاد بعض جنود العقل بالخصوص كالحكمة والصبر والعفة والأنفة وغيرها من الجنود.

فالناس يفهمون العبادات فهما سطحيا لا يرتبط بالمفهوم والمعنى الحقيقي لها فواقعيتها تختلف تماما عن ما ندركه فالصوم وإن كان عبادة الحق تعالى وإطاعة أمره لكنه بالنسبة لنا ما قال أمير المؤمنين عليه السلام: - إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله.... وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب...<sup>(١)</sup>.

فكونه جنة من العقاب ليس جزافا بل لما يخلفه على المكلف من منافع تعصمه من الوقوع في مهابط العصيان ويوصل إلى درجة لا تحصل بعبادة كما تحصل في الصوم أو ما قاربه كالجوع ومن دونه لا تحلم بها من أصل.

فقد ورد في حديث المعراج:- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- يا رب ما أول العبادة؟

قال:- أول العبادة الصمت والصوم

قال:- يا رب وما ميراث الصوم؟

قال:- الصوم يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم يسر<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث من غرر أحاديث الصوم وأعطى الجوهر الحقيقي للصوم فلا تجد ثمرة أعظم من تلك الثمرة فهو المرقاة الأولى للعبادة وبداية سلم الحكمة الإلهية وركيزة المعرفة الربانية التي تكون ثمرتها اليقين وإذا حصل على اليقين أدرك العبد السعادتين الدنيا والآخرة فهو لا يبالي بما أصبح عليه من رخاء أو شدة وتطلعت عينه إلى غرف الجنان واكتسى الطمأنينة والأمان وذهبت عنه جميع الأحزان.

فتبين لنا أن الصوم يهدف إلى السعادة الحقيقية كما تبين لنا من الحديث وأطوار خبره كثمرة في ثمرة ولب في لب.

(١) نهج البلاغة.

(٢) البحار ج ٧٧ ص ٢٩.

وتحصل لك معرفة أنه كيف يعمل على تحصيل جنود العقل من الحكمة والمعرفة واليقين وإذا امتلك الإنسان الحكمة اعتدلت مملكة العقل تماماً فمن أوتي الحكمة أوتي خيراً كثيراً هذا قول ربنا جل وعلا فهو نعم الميراث ونعم ما يورثه لنا من هذه النعم الجسام وعليه لا بد من معرفة مراقي سلم العبادة والحكمة وجل الإخفاقات في سير العبادة هو عدم المعرفة للطريق المسلك فيريد أن يسلك مسلك العبادة فيباشر مع (طول لسانه وهذره وتخمته) الركوع والسجود فيعود كما بدأ ولا تظهر له الثمار وغفل أن هذه الأمور تبتني على أسس لا بد من إقامتها واحد تلو الآخر ولولا بيان الأنبياء والأولياء لما اتضح لنا ذلك ومن هذا يظهر دور العلماء في جذب الناس وتصحيح مسيرتهم اتجاه الله تعالى فلولاهم لكانت العبادة كما كانت في العهد السابق (الطواف عراة والصلحاء هم الزناة والأبأة هم أهل الشهوة والنعرات) ولولا أهل البيت عليهم السلام ما تأدبنا في خطاباتنا مع الحق تعالى ولتجرأنا على ربنا بما تنهد له الجبال الراسيات ولاحظ أدب الخطاب في أدعيتهم عليهم السلام تجد ما يعجز اللسان عن بيانه ويكل عن برهانه.

وكيف ما كان فإن الصوم بدعوته لقمع الشهوات ودواعي الهوى كان الجندي القوي والصانع لجنود العقل أيضاً فالذي يبتغي العبادة والحكمة واليقين والمعرفة وكبح الهوى عليه بالصوم وهذه كلها جنود العقل كما علمت وسوف تعلم بإذن الله تعالى حتى نصح العلماء أن الذي لم تكن له زوجة ولم يصبر فعليه بالصوم (استعينوا بالصبر والصلاة)<sup>(١)</sup>، وليعلم ان الصوم يورث الاساس للفضائل وامهاتها وهي الحكمة والتي قلنا ان سرد الجميع من الاخلاق اليها وهذا ما جعله جندياً من جنود العقل بل يشكل فيها رتبة عظيمة.

ثم ان الصبر والذي هو من امهات الفضائل ايضاً مقدم لما عرفت والذي أريد منه في المقام الصوم حسبما جاء في التفاسير وروايات أهل البيت عليهم السلام.

## شرائط الصوم الصحيح الذي هو جند من جنود العقل:-

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك.. إلى أن قال:- ولا يكون صومك كيوم فطرك. أي بمعنى لتصوم الجوارح وإلا فكم من صائم ليس له إلا الجوع والعطش فهذا ليس بصائم ولا يتساوى يوم صيامك بيوم فطرك ويكونان على وتيرة واحدة تفعل في يوم الصوم كما تفعل بيوم الإفطار بل الواجب انقلاب الأحوال تماما والالتفات إلى صوم الجوارح أكثر من الطعام والشراب فهذا هو الذي يكون جنديا من جنود العقل ويثمر بقية الجنود تفهم واغتنم.

## فوائد الصوم

- عرفان مس الجوع والعطش.
- وانكسار الشهوات قال لقمان عليه السلام لابنه:- صم صوما يقطع شهوتك.
- وليستوي الغني مع الفقير فالغني إن نسى الجوع فالصوم يذكره كي يشعر بالفقير
- لنيل التقوى قال الله تعالى (كتب عليكم الصيام لعلكم تتقون).
- لتثبيت الإخلاص الذي هو جند من جنود العقل أيضا فيثبت بالصوم كما تثبت الحكمة والمعرفة واليقين بل منه قد يشع نوره على جميع جنود العقل فتأمل وجاء على لسان الزهراء عليها السلام في خطبتها (والصيام تثبيتا للإخلاص) وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- فرض الله الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق وقد نبهنا ان الصيام منبع الفضائل وأساسها.

- يكسر الكبر:- عن أمير المؤمنين عليه السلام:- ويتعبد لهم بأنواع المجاهدات ويتليهم بضروب المكاره إخراجا للتكبر من قلوبهم وإسكانا للتذلل في نفوسهم<sup>(١)</sup>.
- تثبيت الخشوع: وعنه عليه السلام:- ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات تسكيناً لأطرافهم وتحشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم<sup>(٢)</sup>.
- للصحة:- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- صوموا تصحوا<sup>(٣)</sup>.
- يبعد الشيطان:- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- الصوم يسود وجهه<sup>(٤)</sup>.
- لتذكر عطش وجوع يوم القيامة.
- يفرغ القلب من هموم الدنيا.
- يجلب الفرح والسرور عند الإفطار وعند يوم العيد فالسرور لهم لا لمن افطر ولم يصم.
- أنه في عبادة وإن كان في نومه، فقد جاء عن الصادق عليه السلام:- نوم الصائم عبادة وصمته تسييح وعمله مستقبل ودعاؤه مستجاب<sup>(٥)</sup>.
- يحصل على منزلة خاصة في الجنة فيدخل من باب الريان ويوجب له المغفرة على ربه، قلنا هذا وما عنده تعالى ما لا يقدر على وصفه لسان عابد ولا قلب زاهد .

---

(١) الكافي (ط.الاسلامية) ج٤ ص٢٠١.

(٢) بحار الانوار (ط. بيروت) ج٦ ص١١٥.

(٣) مستدرک الوسائل ج٧ ص٥٠٢

(٤) الامالي (للصدوق) ص٦١.

(٥) ثواب الاعمال ص٥١.

## أضواء على دعاء الإمام السجاد عليه السلام

يذكر عليه السلام في دعائه الشريف في صحيفته السجادية مودعا شهر رمضان المبارك كلاما شافيا يبين قيمة هذا الشهر العظيم حيث يقول:-  
وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد، وصحبنا صحبة مبرور، وأربحنا أفضل أرباح العالمين، ثم قد فارقنا عند تمام وقته وانقطاع مدته ووفاء عدده، فنحن مودعوه وداع من عز فراقه علينا وغمنا وأوحشنا انصرافه عنا، ولزمننا له الذمام المحفوظ والحرمة المرعية والحق المقضي، فنحن قائلون السلام عليك يا شهر الله الأكبر، ويا عيد أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ويا خير شهر في الأيام والساعات، السلام عليك من شهر قربت ومرجو الم فراقه، السلام عليك من أليف أنس مقبلا فسر، وأوحش منقضيا فمض، السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب وقلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهل سبل الإحسان، السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك، وما أسعد من رعى حرمتك بك، السلام عليك ما كان أحماك للذنوب، وأسترك لأنواع العيوب، السلام عليك ما كان أطولك على المجرمين، وأهيبك في صدور المؤمنين، السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام، السلام عليك من شهر هو من كل أمر سلام، السلام عليك غير كربه المصاحبة، ولا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات، السلام عليك غير مودع برما، ولا متروك صيامه سأمًا، السلام عليك من مطلوب قبل وقته، ومحزون عليه قبل فوته...، السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشد شوقنا غدا إليك، السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه وعلى ماض من بركاتك سلبناه، اللهم إنا أهل هذا الشهر الذي شرفتنا به، ووقفنا بمنك له حين جهل الأشقياء وقته، وحرموا لشقائهم فضله، أنت ولي ما آثرتنا به من معرفته، وهديتنا له من سنته، وقد توليتنا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير، وأديننا فيه قليلا من كثير، اللهم

فلك الحمد إقرارا بالإساءة، واعترافا بالإضاعة ولك من قلوبنا عقد الندم، ومن ألسنتنا صدق الاعتذار..

يجد المتأمل كلاما شافيا في بيان حرمة شهر رمضان وقيمته المعنوية وان المتناقل منه والمتجاهل له شقي فما يلزمنا فيه هو لنا تغير نظرنا بالنسبة إليه لتكون نظرة أنيس بحضوره وموحش في مغادرته.

## الجهاد وضده النكول

مفهوم الجهاد:- واسع الرقعة فلا يقتصر على مفهوم القتال بين يدي الإمام عليه السلام ومن نصبه الإمام فحسب بل أن الجهاد في سبيل الدين والشريعة يكون في جميع المجالات ولعامة الناس حتى النساء والأطفال فإن واقعة كربلاء جسدت المفهوم الكامل لمعنى الجهاد وقد شارك الجميع في إحياء الدين وإظهار خبث بني أمية فبعد الله الرضيع أظهر خسة بني أمية وحقارتهم وبين مدى عمق الحقد ولولاه لما عرفنا نحن أبناء هذا الزمان مدى الحقد على الدين وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين لا ذنب لهم سوى قولهم:- (الله ربنا رب السموات والأرض) ولولا هذه الكلمة لخلوا سبيلهم.

فجهاد المرأة واسع النطاق في عفتها وحسن تبعلها وطاعة زوجها وتربية ولدها وأن تحافظ عليه ألا يكون من أعداء الدين بل من حملة الشريعة فإذا أنجبت ولدا كالشيخ الطوسي والأنصاري وأمثال علماء هذا الزمان الأكابر فإن هذا يكون منها أفضل الجهاد.

فإن حياة الشعوب ورفيهم الفكري والمادي دائما يقع بأفراد معدودين وكذلك انتكاستهم وقد مرت بنا المأساة وكيف تأخر الشعب العراقي وكذلك الشعوب العربية ماديا ومعنويا حتى صار هتلر يصنف الشعب العربي ويعطيهم مرتبة ما قبل القردة قل لي بربك ما سبب ذلك أليست النساء الفاجرة؟ وهل قتل أهل البيت إلا من ولد في أحضان الفجور صفح التاريخ واخزن دموعك فالمرأة

مسئولة أمام الله أكثر من الرجل وفي ذلك رسالة يتم نشرها فيما بعد بإذن الله تعالى.

وكذلك جهاد الآباء وأصحاب الأقاليم والعلوم والأساتذة العظام من أصحاب الوعي واليوم نحن نطالب بظهور إمامنا إمام العصر عليه السلام فجهادنا هو جهاد أنفسنا ولنتقيم فيها مملكة الإسلام والدين والأخلاق الفاضلة لكي يرى الإمام صدقنا بأننا تناسب دولته الكريمة أما إذا نظر إلى رجالنا يريدون النساء عواري وإلى النساء كاسيات عاريات لا يرغبن في الحجاب ولا يطعن الأزواج فهذا رفض صريح ولا أبين منه لظهور الإمام وقد قال الله تعالى مخاطباً لنا في هذا الزمان (لو أرادوا الخروج لأعدوا له...) فأين العدة فهل عدتنا له بنبد الكتاب وأهله وبهذه التفرقة حيث لم يبق شيء من الإسلام إلا وجعلناه آلة للتفرقة كال تقليد ورؤية الهلال والدعوة إلى الله تعالى.

### الحج وضده نبذ الميثاق

من الفرائض التي أوجبها الله تعالى فريضة الحج وتمتاز هذه الفريضة بميزات تختلف عن بقية الفرائض ولها معطيات قيمة في الدين والدنيا بل تجد أن في مواعدها وكثرة محظوراتها تعانق الصلاة وأكثر من ذلك فلو قتل المصلي ثلثة أو تنف شعرة من بدنه أو فعل غير ذلك ما كان في ذلك من شيء إلا أن في الحج محرم عليه وتلزمه الكفارة ولو بقلع نبتة وكأنك في مشهد من مشاهد يوم القيامة الملك يومئذ للواحد القهار وما يمتاز به الحج أن المتكبر يلزمه لباس التواضع شاء أم أبى حيث يعد التواضع أغلب أركان الحج بل الحج كله تواضع لله تعالى مساواة بين الغني والفقير فالكل يخضع للرب ولا يعرف السلطان من غيره والكل شعث غبر تحت أشعة الشمس ومن استظل فقد ارتكب محرماً ولهذا وبعض الأمور يرجع الحاج ولا ذنب له لأنه وضع قدمه على الأنا هذه النفس المستعلية ولو قهراً لأداء بعض الشعائر وبعض الطقوس لأن صنم النفس والأنا طويل البقاء وهو الحاجب الأول

والآخر عن المكارم والفضائل ولولاه لكان الناس بسلام ومن أهل المعارف والفضائل وآخر صنم يحطمه العارف والعابد لله في مسيرته الجهادية هو الأنا. ولذا قالوا علماء العرفان أن العرفان في اثنين قدم على الممكنات وقدم على الأنا - النفس - وهذا الذي حجز إبليس وحطم فرعون - قال الله تعالى حكاية عن إبليس (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب)<sup>(٢)</sup>.

فترى أنه في كل مقطع مما يقوله (إني، إني) وأما فرعون فقال:- أنا ربكم الأعلى حتى أنه لم يكتف بالربوبية بل أنا ربكم الأعلى. ولو يعلم مفهوم الربوبية لادعاه قطعاً هذا هو المرض الذي حطم قوانا المعنوية وأخرنا وحجزنا في المقامات السفلية، فالحج ميدان من ميادين التطهر من هذه الأنانية والله الموفق للسداد.

### حقيقة العبادات:-

لابد لك من أن تعرف أن العبادات المتمثلة بالحركات الخارجية والأفعال الجوارحية والتي ما تمثل منها بتلك الحركات المبصرة بالعين أنها تستبطن حقيقة وواقعية يغفل عنها العبد ربما طول حياته ويحرص الشرع على الفات النظر إليها والاهتمام بها كي يتفق العمل المأمور به من قبل الله تعالى مع ميزان الحق ومعياره المحفوظ عنده تعالى وعدوا أهل البيت عليهم السلام هذا الأداء أصعب من أداء الحركات الخارجية لأنه يتعلق بالقلب وشأنه وليس من شأن الأعضاء الخارجية

(١) سورة الحشر/آية ١٦.

(٢) سورة الأنفال /آية ٤٨.

ولا أعني من كلامي عدم الأهمية للصورة الخارجية بالنسبة للعمل العبادي بل هذا إن كان يعتقد البعض من حماقة فاهتم الشارع بالأداء الخارجي والذي يكون من شأن الأعضاء اهتماما بليغا ورتب عليه الثواب خصوصا كما في الأجر المترتب على من أتم ركوعه فإن من أتم ركوعه واستبطأ به كان له عند الله تعالى أجرا عظيما في الدنيا والآخرة لأن ما يستبطن من معنى في الركوع أو السجود لا يتحقق دون أداء الصورة الخارجية على أتم وجه وهناك معنى أدق أعرضنا عنه خوف الإطالة.

وللحج في المقام صورة معنوية يحتاج منا إلى أكثر من مجلد ليحصل لنا شبه الإحاطة بها ذكر منها أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في أكثر من موضع وما أردت الالتفات إليه هو أن يكون نظرنا إلى الصورة الباطنية للعمل كما كان نظرنا للصورة الخارجية وإذا جهلناها فلا يضر ذلك بواقعيتها بشيء.

### الآداب المعنوية للحج:-

لا يخفى عليك أن لكل عمل عبادي آدابا معنوية كما أن له آدابا ظاهرية تمثل هذه الآداب روح العمل وقوامه عند الله تعالى فإن روعيت زكى العمل ونال أقصى الدرجات وأعطي ما لا يخطر على قلب بشر فهي التي ترفع العمل مع بساطته ولهذا كانت ضربة واحدة من علي عليه السلام تعدل عبادة الثقلين - الجن والأنس - المخلصين منهم وإلا لا معنى لأن يوزنها بالأعمال التي لا وزن لها بل وزنها الحق تعالى بعبادة الثقلين المقبولة عنده والمرضية لديه وفي المقام كفانا سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين عليه السلام ما علمه للصحابي الشبلي عندما جاء الشبلي من الحج استقبله الإمام عليه السلام فقال له عليه السلام:- حججت يا شبلي؟

قال:- نعم يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال عليه السلام:- أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟

قال:- نعم

قال:- فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟

قال:- لا

قال:- فحين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟

قال:- لا

قال:- فحين اغتسلت، نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟

قال:- لا

قال:- فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت، ثم قال:- تنظفت وأحرمت، وعقدت بالحج؟

قال:- نعم

قال:- فحين نظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنورة (بنور) التوبة الخالصة لله تعالى؟

قال:- لا

قال:- فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عز وجل؟

قال:- لا

قال:- فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟

قال:- لا

قال له عليه السلام:- ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج.

قال الإمام عليه السلام:- أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام وليت؟

قال:- نعم

قال:- فحين دخلت الميقات، نويت أنك بنية الزيارة؟

قال:- لا

قال:- فحين صليت الركعتين، نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟

قال:- لا

قال:- فحين لبيت، نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟

قال:- لا

قال له عليه السلام:- ما دخلت الميقات ولا صليت ولا لبيت.

ثم قال له:- أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟

قال:- نعم

قال:- فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرمت على نفس كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟

قال:- لا

قال:- فحين وصلت مكة، نويت بقلبك أنك قصدت الله؟

قال:- لا

قال عليه السلام:- فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت.

ثم قال:- طفت بالبيت ومسست الأركان وسعيت؟

قال:- نعم

قال عليه السلام:- فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله وعرف منك ذلك علام الغيوب؟

قال:- لا

قال:- فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان ولا سعيت.

ثم قال له:- صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام وصليت

به ركعتين؟

قال:- نعم، فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا

ثم قال:- آه آه

ثم قال عليه السلام:- من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين، لا تضيع أجر ما عظم حرمة، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الآثام.

ثم قال عليه السلام:- نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟  
قال:- لا

قال:- فحين صليت فيه ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟  
قال:- لا

قال له:- فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام ولا صليت فيه ركعتين.

ثم قال عليه السلام له:- أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟  
قال:- نعم

قال:- نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟  
قال:- لا

قال عليه السلام:- فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها.

ثم قال له عليه السلام:- أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما؟

قال:- نعم

قال له:- نويت أنك بين الرجاء والخوف؟  
قال:- لا

قال:- فما سعيت ولا مشيت ولا ترددت بين الصفا والمروة.

ثم قال:- أخرجت إلى منى؟

قال:- نعم.

قال:- نويت أنك آمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟

قال:- لا

قال:- فما خرجت إلى منى.

ثم قال له:- أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي  
نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟

قال:- نعم.

قال:- هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم،  
وعرفت قبض الله على صحيفتك واطلاعه على سريرتك وقلبك؟

قال:- لا

قال:- نويت بطلوعك جبل الرحمة؛ أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة،  
ويتولى كل مسلم ومسلمة؟

قال:- لا

قال:- فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر؟  
قال:- لا.

قال:- فعندما وقفت عند العلم والنمرات نويت أنها شاهدة لك على  
الطاعات، حافظة لك مع الحفظلة بأمر رب السموات؟

قال:- لا

قال:- فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة ولا  
دعوت، ولا وقفت عند النمرات.

ثم قال:- مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين ومشيت  
بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟

قال:- نعم

قال:- فحين صليت ركعتين نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كل  
عسر وتيسر كل يسر؟

قال:- لا

قال:- فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يمينا وشمالا، نويت أن لا  
تعدل عن دين الحق يمينا وشمالا لا بقلبك ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟

قال:- لا

قال:- فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك  
كل معصية وجهل، وثبت كل علم وعمل؟

قال:- لا

قال:- فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل  
التقوى والخوف لله عز وجل؟

قال:- لا.

قال:- فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بمزدلفة، ولا  
رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام.

ثم قال له:- وصلت منى ورميت الجمرة وحلقت رأسك، وذبحت هديك  
وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟

قال:- نعم

قال:- فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك،  
وقد قضى ربك لك كل حاجتك؟

قال:- لا

قال:- فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبته بتمام  
حجك النفيس؟

قال:- لا

قال:- فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأذناس ومن تبعة بني آدم وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟

قال:- لا

قال:- فعندما صليت في مسجد الخيف، ونويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبتك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟

قال:- لا

قال:- فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنتك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمره فؤاده وريحان قلبه، وحاجه (وأحييت) سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟

قال:- لا.

قال:- فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، ومسكت بوده، وأديت فرائضه وتقربت إلى الله تعالى؟

قال:- لا

قال له زين العابدين عليه السلام:- فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أديت (ذبحت) نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، ارجع فانك لم تحج. فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين<sup>(١)</sup>.

أقول: إن هذه من جملة الصحائف التي يجب ألا تفارقنا في حجنا ويلزمنا تعلمها كتعلمنا لأحكام الحج قبل الذهاب إليه.

## صدق الحديث وضده النميمة

(١) مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ١٧٢.

النميمة: - لما كانت النميمة تعمل على زراعة الضغينة والأحقاد في الصدور وتبعد الناس بعضهم عن البعض الآخر وتحدث الغيبة والهجران وقد تحدث القتل كانت من أبغض الصفات بالنسبة لله تعالى وصاحبها ليس له عند الله رحمة وهو عنده تعالى من شر الناس وأبغضهم إليه والنظر إليه يقسي القلب لشدة خبث سريرته وعد صاحبه من أهل السحر لأنه يوجب العداوة بين المتحابين ويسفك الدماء ويهدم الدور ويكشف الستور ويحدث طلاق النساء وخراب الخطوبات الشرعية وقالوا أهل البيت عليهم السلام: النمام شر من وطئ الأرض.

وقد ورد أن موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حيث أصابهم القحط فلم يستجب له تعالى فأوحى الله له: - يا موسى أني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى عليه السلام: - من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا فقال الله: - يا موسى أنهكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقاهم الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في حقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: - ومن مشى في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره نارا تحرقه إلى يوم القيامة وإذا خرج من قبره سلط الله عليه تينا أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار<sup>(٢)</sup> وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أربعة يزيد عذابهم على عذاب أهل النار... ورجل اغتاب الناس ومشى بالنميمة فهو يأكل في النار لحمه<sup>(٣)</sup>.

وعد من الكبائر التي توجب الخلود في النار ولو كان عذاب ألم بسيط لا أمد له لكان مما لا تقوى عليه السموات والأرض فكيف بمن هو أشد الناس عذابا وإلى ما لا نهاية في عذابه تأملها ثم انتقل إلى ما بعدها!! وهل هناك ما يستحق

(١) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٧٢ ص ٢٦٨.

(٢) بحار الانوار (ط. بيروت) ج ٧ ص ٢١٤.

(٣) مستدرک الوسائل ج ٩ ص ١٥١.

ذلك والعجب كل العجب وقوعها من المحبين لأهل البيت عليهم السلام فبدلاً من ان توجب لهم العصمة لانتسابهم إلى هؤلاء العظماء كانوا خطباً لجهنم  
أحيتي:-

زوار أهل البيت أن الشيطان نصب لكم العداً أكثر من غيركم فلا تدعوه يضيع عليكم زيارتكم وعباداتكم التي بذلتُم فيها الأموال والأنفس...

### بواعث النميمة:-

لابد من أن تستيقن أن رأس كل خطيئة ومعصية وذنوب وجد على وجه الأرض سببه حب الدنيا فلا تجد ثمث شيئاً غير ذلك ولهذا السبب يدعو الله تعالى والأنبياء والرسل إلى نبذها وربما يرى البعض أن هذا من الواضحات لما تداولته الأحاديث.

إلا أن في الحقيقة الداعي هو أن هناك قواعد أساسية في المعرفة يعرفها الجميع بالمفهوم ويجهلها في العمل وتكاد عندنا من أوضح الواضحات ومن أكثر الشائعات ولكنها عملاً وتطبيقاً تكون من أخفى الخفيات ومنها هذه القاعدة الدنيا رأس كل خطيئة.

فالعبد لا يتعد شبرا عن الدنيا إلا وابتعد ميلاً عن الخطيئة ولا تستغرب هذه الحقيقة بالتأمل تجد هذه المقولة واقعية وهي في مقامنا تعد من أكبر الدوافع للنميمة والإيقاع بين الناس ومن دون تفصيل ممل فلو ذهب عن قلبه حب الدنيا لاشتغل بنفسه وفتش عن عيوبه ولو فتش عن عيوبه فإنه سوف يرى أن عمر نوح عليه السلام غير كاف لإصلاحها فلا مجال للقال والقيـل والكل في ذلك سواء حتى الكمل من الناس يرون هذه الحقيقة.

### تقضى ورد:-

قد أشكل بعض الأكابر من علماء الأخلاق على أساليب مجموعة من الكتب الأخلاقية في معالجة المفاسد والرذائل بأن هذه الكتب لا تعالج الأمراض

الخلقية وتجعل هناك حلا يحدو بالعبد إلى التخلص من هذه الرذيلة بل مقصور أمرها على الدم فقط وجوابه:-

أن أسلوب الدم للرزائل وبيان خساستها وعواقبها الوخيمة أسلوب اتبعه القرآن والسنة وأغلب ما جاء فيها وأما بيان الأمور التفصيلية ربما لا يناسب جدا في بعض موارد وقد يكون واضحا والدم لها مع شهادة الوجدان كاف ومن لم يكن له واعظ من نفسه لا ينفعه وعظ غيره ومن كان قلبه ذا طهارة تكفيه الإشارة إن الإعرابياً سأل النبي الموعظة فقال له صلى الله عليه وآله:- (من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

قال الإعرابي:- كفى يا رسول الله

لما ذهب قال من حوله:- ماذا فهم هذا حتى اكتفى

قال النبي صلى الله عليه وآله:- أصبح الرجل فقيها وذلك لأنه عرف معيار الخير والشر. مضافاً إلى ان الجميع قد نور كلامه بكلام اهل البيت عليهم السلام فافهم وتأمل تجد مغنماً.

### بر الوالدين وضده العقوق

قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً)<sup>(١)</sup> وقال تعالى (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً)<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا

(١) سورة البقرة / آية ٨٣.

(٢) سورة الأنعام / آية ١٥١.

كريما... واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا<sup>(١)</sup>.

يجد المتأمل في هذا التنزيل السماوي ما يشير العجب في النفس من حيث مقارنة الحق تعالى بر الوالدين بتوحيده وما طلب توحيده من الناس إلا وقرنه ببر الآباء والأمهات وجعله ميثاقا وعهدا لا يجوز نقضه بحال ولا مبرر لنقضه مهما كلف الأمر فكما أن توحيده وعدم جواز الشرك لا يجوز نقضه بعد أن كان ميثاقا غليظا عليهم كذلك البر بالوالدين ولا مجال ورخصة في ذلك ولهذا أخذت هذه الفقرة بالإسلام مأخذا لم تأخذه غيرها مما شرعه وأحكمه وأعطت السماء للأبوين قداسة واحتراماً لم يكن لأحد أن يحضى بها مهما علا واستعلى وسوف يأتي المزيد.

فهذا الضمان الرباني والتشريعي الإلهي كان اللازم علينا شكره لأنه طريق الجميع لا أن ندعيه من جهة كوننا آباء ونرفضه ونتناقله من جهة كوننا أبناء بل لا بد من قوامها كما قومها الله تعالى وهذا التشديد في برهما ينبئ عن أمر هام في أمرهما وفي قوام المصلحة العامة قد نرى أن هذا من الواضحات ولكن ربما يكون من أخفى الخفيات فنجد الحق تعالى يوصي ويأخذ المواثيق على الجميع في بر الوالدين بين الحين والآخر قال تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)<sup>(٢)</sup> وقال تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن)<sup>(٣)</sup> وقال تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سورة الإسراء / آية ٢٣\_٢٤.

(٢) سورة العنكبوت / آية ٨.

(٣) سورة لقمان / آية ١٤.

(٤) سورة الأحقاف / آية ١٥.

وهذا منه تعالى وصية بعد الوصية وتعداد في البعث وتعداد في الزجر والنهي عن عقوقهما فهذا التعدد في المراسلات السماوية للبر في الوالدين حقيقة مما يثير الغرابة خصوصا مع قصور فهمنا لمصالح الأحكام. ومع كل هذه التوصيات إذا خالف العبد يجد من سخطه تعالى ما لا يخطر على باله كما سوف نبينه ضمن روايات أهل البيت عليهم السلام:-

### في الوالدين الذين لا يعرفان الحق:-

عقدنا الكلام في من لا يعرف الحق من الآباء والأمهات وما هو رأي الشارع في مبرتهما ومنه تعرف بر الآباء والأمهات الذين يؤمنون بالله ويعرفون مذهب الحق لأنه يكون بالأولوية حيث إذا كان الأب العاصي والفاجر والكافر يجب مبرته ولا مبرر لعقوقه فكيف إذا بمن آمن بالله تعالى ودان بولاية أهل البيت عليهم السلام.

جاء رجل إلى الإمام الرضا عليه السلام وقال:- ادعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟

قال عليه السلام:- ادع لهما وتصدق عنهما وإن كانا حينئذ لا يعرفان الحق فدارهما

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:- إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق<sup>(١)</sup>.

ودخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام وكان نصرانيا وأراد الدخول في الإسلام فلما دخل في الإسلام وعلمه الإمام عليه السلام قال له:- سل عما شئت يا بني

فقال له:- إن أبي وأمي على النصرانية وأهل بيتي وأمي مكفوفة فأكون معهم أكل بأنيتهم

(١) جامع احاديث الشيعة ج٢٦ ص٨٩٦.

فقال له عليه السلام:- يأكلون لحم الخنزير.

قال:- لا ولا يمسونه

فقال له عليه السلام:- لا بأس فانظر أمك فبرها وإذا ماتت فلا تكلها إلى

غيرك كن أنت الذي تقوم بشأنها

فالتزم وصيته عليه السلام فقام بأمرها يطعمها ويفلي ثوبها ورأسها

وبخدمتها فلما رأت منه ذلك تعجبت من أمره قالت له:- ما كنت تصنع بني ذلك

من قبل فقص عليها القصة فطلبت منه أن يعرض عليها هذا الدين فعلمها إياه

وآمنت به وماتت مسلمة<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام:- ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن

رخصة وعد منها - بر الوالدين برين كانا أو فاجرين<sup>(٢)</sup> -

### تطبيق عملي:-

نذكر جملة من التطبيقات العملية لأن جل الأخوة والأحبة مع معرفتهم

لهذه الأحاديث نجدهم لا يحسنون الصنع مع الآباء والأمهات ولا يتعاملون معهم

بما يجب ولذا نحن ذاكرون جملة من الآداب.

### الهيئة لهما:-

يقول إمامك زين العابدين عليه السلام في ذلك (اللهم اجعلني أهابهما هيئة

السلطان العسوف). أي أن تهابهما كما تهاب الظالم الذي لا رحمة في قلبه

كسلاطين هذا الزمان هكذا تجعل الهيئة لهما في قلبك من الوقوف لهما واخفاض

الصوت عن صوتهما وعدم حدة النظر لهما....

### البر بهما:-

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه.

بأن يكون برهما كالأم الرءوف وأن يكون قره عين لك لا بتناقل يقول عليه السلام:- واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقة الوسنان وأثلج لصدري من شربة الظمان.

فيمثل الإمام عليه السلام أن يكون البر من نفسك بأنس ولذة وراحة كما في راحة من أخذه التعب وجاءه النعاس وأخذته السنة فكم لذتها أو كالظمان الذي شرب الماء البارد فكم لذته إذ لا حد لا لتذاه كم لذته هكذا يكون برك معهما وإلا فلا بر.

### استقلال برهما مهما كثر في نظرك:-

قال عليه السلام:- واستقل بري بهما وإن كثر. لقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حق الأم فقال:- هيهات.. هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها<sup>(١)</sup>. فالذي أرجوه من أحبتي أن يتعاهدوا هذه الفقرات العظيمة ويعاودها كي يتحفزوا للعمل لا أن يطالعوها مرة أو مرتين ثم يتركوها وهذا هو الذي حدا بالأصدقاء بالرجوع إلى الورا.

### قيامك من مجلسك عند الدخول:-

قال إمامك أمير المؤمنين عليه السلام:- قم من مجلسك لأبيك ومعلمك ولو كنت أميراً<sup>(٢)</sup>.  
عدم رفع الصوت بحضرتهم وفي التكلم معهما:- ولو خفض صوتهما فاخفض صوتك أكثر من ذلك فلا يعلو صوتك على صوتهما أبداً وإلا هلكت.

(١) مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ١٨٢.

(٢) جامع احاديث الشيعة ج ٢٦ ص ٩٠٦.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:- ولا ترفع صوتك فوق صوتهما فإن تعظيمهما من أمر الله<sup>(١)</sup>.

أحسن القول:-

يجب أن تختار ألطف الكلام وأحسنه مادة وهيئة يقول عليه السلام:- وقل لهما بأحسن القول<sup>(٢)</sup>.

لا تعرض بوجهك عنهما أثناء الكلام:-

أي إياك أن تحول وجهك عنهما وأنت تتكلم معهما وهل تفعله مع الظالم العسوف؟ فإذا كنت لا تفعله فهذا واجب.

ألسهما أحسن الملبس ولا تضيق عليهما

السلام عليهما بالتعظيم والإجلال:-

وأن يقبل يديهما ورأسهما ولا يسلم عليهما عابرا كما يسلم على الأصدقاء فهذا عقوق منه في حقهما ويصبح ويمسي بل يكثر من ذلك فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمضمون إن من نظر إلى أبويه برحمة كان له بكل نظرة حجة مبرورة وإن نظر في كل يوم مائة نظرة الله أكبر وأطيب.

ولذا يقال للبار اعمل ما شئت فإني سأغفر لك وأما العاق يقال له اعمل ما شئت - أي من الطاعات - فإني لا أغفر لك.

إذا غضبت لا تنظر إليهما:-

فإن الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول:- من نظر إلى أبويه نظر مآقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مصباح الشريعة ص ٧١.

(٢) بحار الانوار ج ٧١، ص ٧٨.

(٣) مشكاة الانوار ص ١٦٤.

هذا مع ظلمهما له فكيف إذا لم يكونا كذلك فاعتبروا يا عبید المرأة واعدوا أنفسكم لنار جهنم الذين يؤثرون نساءهم على الآباء والأمهات ناقضين عهد الله وميثاقه وضاربین بوصيته تعالى عرض الجدار فأین المقر من يوم تهد له الجبال الراسيات والقلوب لدى الحناجر.

### وفي الختام:-

اعلم أن الأبوين من المقدسات سواء أكانا برين أو فاجرین تجب طاعتهما على كل حال إلا في مورد الشرك بالله تعالى فلا طاعة لهما في ذلك ومع ذلك - أي مع شركهما - صاحبهما في الدنيا معروفًا وأما بعد الممات فتجب مبرتهما كذلك وإذا تركت برهما بعد الممات كنت عند الله عاقًا وأدعو لهما على الدوام تهنأ بالعيش وإذا لم تقم بذلك فلا عيش رغيد في الدنيا ومأوى العاق النار وألزمك بالرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام في بر الوالدين كي تكن على بينة والله المعين على أمره.

## الحقيقة وضدها الرياء

الرياء:- داء يصيب ضعاف العقول ومن غابت عنهم حقيقة العمل وحق الحق تعالى هو من صفات الأطفال وأصحاب الجهل الذين يعملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون فلو عقلوا أن الناس الذين يراؤنهم بالأعمال لا يضرّونهم ولا ينفعونهم وإنما ما يصيبهم من نظر الناس إليهم هو اجس شيطانية فرما كانت لهم النظرات احتقارا وربما كانت عابرة وربما كانت تأسف على أحوالهم....

ولكن يؤولها الشيطان لهم بالإعجاب بهم والاستغراب من فعلهم حتى أن أحدهم صلى ليلة كاملة قائما راکعا ذاکرا متظاهرا بالخشوع في المسجد عندما سمع حركة دخلت المسجد فظنه رجلا فنشط في عبادته طوال الليل ولم ينم قط ولما أصبح الصباح فإذا هو كلب فكانت عبادته أدراج الرياح وفعله أخزى ما

يمكن أن يوصف به وهدف الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا غفلة منه - المرائي - من أن القلوب حرم الله ولا يحق لأحد أن ينزل الله في بيته.

فالواعظ المرشد المتعبد وغيرهم من أهل الدنيا يجب أن يعلموا جيدا أن عملهم مشروط أن لا يطلب به المنزلة القلبية عند الناس وإذا أراد ذلك يجب أن ينسوه ويمحوه عن ذاكرتهم ويمزجوا عملهم برضا الحق فإن العبد يجب في الله خير من أن يحب بغير الله فإن البقاء له تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وغيره هالك لا محالة وطالما طلب رضا الناس بغير الله ولكن ما أن غار عليه الزمان أعطوه من المساوئ ما لم تكن له وأخذوا من محاسن كانت له ومحأ الله ذكره من القلوب.

والعاقل المتدبر في عواقب الأمور هو الذي إذا بنى بناءا وشيده وتعب عليه لا يرجع ليهدمه بنفسه بعدما شقى وتعب به أشد التعب والكثير يقع فيما لا يناسب فعله من عاقل يكلف نفسه في بناء مسجد ولكن مسجدا ضارارا يملئ أركانه بالأنا حسينية الحاج فلان بن الحاج فلان....

مما يدل لو كان من أهل البر والمعروف لما رأى أنه عمل شيئا ولكن هذا ليس من سجيته وطبعه لذا فهو معجب بما يبدر منه من خير هذا إمامك أمير المؤمنين عليه السلام يقول مقولة تحكي جوهره الإلهي:- ما أحسنت لأحد قط وما أسأت لأحد قط، لقوله تعالى (إن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فعليها) (١).

### الرياء يوجب الجهل والعزلة:-

اعلم أن أصحاب الرياء في عزلة موحشة غير عزلة العلم أو العبادة المؤسسة لأنهم يرون أنهم أفضل الناس فلا يخضعون للحديث معهم ولا يسمعون كلامهم إلا وهم في خيلاء حتى يكاد أحدهم لا يفهم ولا كلمة من المتكلم معه لأنه لا يرى له وزن وقيمة حتى ينجذب إليه ولهذا تجدهم طبقات معدودة وتكتلات منفردة

(١) سورة الاسراء / آية ٧.

وجماعات خاصة حتى في جلساتهم وأنديتهم ومشاريعهم الخيرية هذا موكب خاص بتجار البلدة الكذائية هذا موكب الأمراء وهذا نوع من مرض الانطواء والكثابة النفسية التي تجعل الفرد دائما متشنج الأعصاب محبس الأنفاس في نفسه كبير ما هو ببالغه فهو في المجتمع وليس فيه، حرم نفسه الكثير من معادن الناس وحرم نفسه من العلم لأنه لا يعطي المجال لأحد يتكلم كي يعرف عنه ذلك في الأوساط وبالتالي سوف يحذر الناس عنده الكلام وإن رأوا خطأ قال أحدهم للأخر لا تنبهه لأنه لا يأخذ من أحد يعيش في الدنيا وحيدا وفي الآخرة وحيدا ولبس العيش الذي اختاره لنفسه.

### لغة الرياء أقبح اللغات

من يظن أن الناس إذا ساروا في الطرقات والأرقة والساحات والأسواق أنهم مع تباعدهم وعدم قربهم النسبي والسببي لا يتحاكون ولا يكلم بعضهم الآخر فهو غافل عن حقيقة صارخة وذلك بأن الناس دوما يحاكي بعضهم البعض وإن لم تنطق ألسنتهم فإن الإيحاءات النفسية والحركات الخارجية قد تغلب على لغة اللسان ونطقه وتكون أكثر فصاحة من اللسان فالمحب والمبغض تعرف ما يقول لك وماذا يريد ومن هذه اللغات هو التواضع أو الرياء.

والرياء من أقبح اللغات التي يتكلم بها الفرد بأن يحاكي الجميع في سلوكه وسيره في الشارع أنا من طبقة كذا أنا أفضل منكم أنا دكتور أنا شخصية كبيرة في الدولة أنا عندي أموال كثيرة فأنا تاجر إلى غير ذلك فتراه دائم الحديث متعب نفسه والناس ليست معه بخلاف أهل التواضع فأحدهم إذا نظر نظر معتبرا محبا راحما خاشعا إلا إذا كان مشغولا في الذكر والعبادة فلا يعلم ما حوله وما يدور.

## الرياء يداخل الجميع:-

ربما يظن أن الرياء يداخل أناس دون آخرين بل هذا مفهوم خاطئ فإن جميع من يعمل يداخله الرياء مهما كانت مهنته من الخسة ولذا سأذكر لك حادثة من خلالها يتضح المراد:-

ففي يوم احتجت إلى عامل يقوم بتنظيف المجاري بعدما طفحت وخرجت منها الروائح الكريهة فذهبت لأحد العمال وتعاملت معه واتفقنا على مبلغ معين ولما حضر وقام بالعمل أخذ يقص علي مآثره العظيمة الجسيمة في فتح البالوعات وأن هناك بالوعة عجز عنها الجميع واحتراروا بها فلان وفلان ولكن لما حضرت أنا قمت بفتحها ولولاي لما كان فتحها وأنا عندي خبرة عالية في معرفة الخرائط والشبكات وهذا لا يمكن معرفته لكل أحد وإذا أردت التأكد من ذلك استدعي كل أحد وأنظر حقيقة ما قلته لك.. إلى آخر كلام لا أحفظه وأنا واقف أتأمل في ما يقوله لي وأفكر في قضية الرياء أنه إذا كان الإنسان في مثل هذه المهن يرأى إلى هذا الحد فكيف بغيرها.

وعد مرض الرياء آفة الدين ومما تخوف منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الأمة إذ دخل رجل على النبي صلى الله عليه وآله فيقول:- رأيت في وجهه ما ساءني

فقلت:- ما الذي أرى بك؟

فقال:- أخاف على أمتي الشرك

فقلت:- أيشركون من بعدك؟

فقال:- أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا حجراً ولكنهم يراؤون بأعمالهم والرياء هو الشرك (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)<sup>(١)</sup>.

### عقاب المرائي:-

بعض العقوبات الآخروية قد تكون خاصة ولها مقادير ومعايير واعداد خاصة من قبله تعالى وليست على نسق خاص وهذا الأمر بيناه في كتاب معرفة المعاد وفي بعض البحوث الأصولية.

وعقاب المرائي من هذه العقوبات التي أوليت اهتماما من قبل الحق تعالى فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه أمر بالاستعاذة من جب الحزري فقليل له:- وما هو يا رسول الله استفهما منهم عما يستعيذون منه قال صلى الله عليه وآله:- واد في جهنم أعد للمرائين<sup>(١)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله:- إن النار وأهلها يعجون من أهل الرئاء فقليل:- يا رسول الله كيف تعج النار؟

قال:- من حر النار التي يعذبون بها<sup>(٢)</sup>. فإذا كانوا أهل النار يعجون من نارهم الخاصة بهم فما هو يا ترى حالهم إذا؟

### أسف أهل البيت عليهم السلام:-

إن من الذين أسفوا أهل البيت عليهم السلام بعض من صلى وصام وترك ملاذ الدنيا واجتهد وبنى المساجد وتصيب في ذلك عرقا لأجل الدنيا وبالنتيجة أنه خسر الدنيا والآخرة وهذا من أعظم الشقاء حتى إن بعض الشهداء الذين تلتطخوا بدمهم دفاعا عن المسلمين ورد في الروايات أنه يأتي بعضهم ملطخا بدمه فيقال:- أنت لست بشهيد ومالك من الأجر شيء لأنك قاتلت ليقال أنك شجاع وبعض

(١) منية المرید ص ٣١٨.

(٢) بحار الانوار ج ٦٩ ص ٣٠٥.

من ينفق المال يقال له أنفقت ليقال أنت كريم إلى غير ذلك ولهذا قال أبو جعفر عليه السلام:- الإبقاء على العمل أشد من العمل<sup>(١)</sup>.

ويقول الله تبارك وتعالى (من جاء بالحسنة له عشرة أمثالها) أي لامن عملها فمن يعمل كثير ومن يأتي به ولا يضيع قليل.

### الرياء آفة الدنيا:-

في ظن البعض أن الرياء آفة خلقية تمس الواقع الديني والعبادي فقط إلا أن الأمر ليس كذلك بل مساسها في الدنيا لا يقل عن الدين والأمر العبادية ويمكن أن تجعل عندك قاعدة أن جميع المساوي الخلقية والرذائل تعد آفة للراقي الديوي كما أنها كذلك للراقي الآخروي بلا حد فاصل.

وهنا نجد عمل المرائي الذي يرائي الناس فيما يقوم به من أعمال مشوبا بالأذى لأن إبراز العمل واشتهاره لا بد له من مؤونة قد يستدعي سرقة الأموال وقد يستدعي قتل الناس وإزهاق الأرواح وقد يعرض الدولة إلى الانهيار بإذاعة أخبارها وقد يسلطون السلطان على رقاب عوائلهم وعشيرتهم بسبب الرياء فتجد بالتأمل حقيقة ما ذكرناه واضحا.

### **المعروف وضده المنكر**

المعروف:- كل ما عرفته الفطرة السليمة والمنكر ما أنكرته الفطرة (نفس وما سواها فالهما فجورها وتقواها) وتعد محاسن الأخلاق جميعا من المعروف لأنها عرفتها النفس بالفطرة وجهزت بها منذ إذ خلق الله الأرواح (ربنا الذي أحسن كل شيء خلقه)(ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ولهذا فإنها - النفس - إذا فعلته - المعروف والفعل الحسن - فعلته بطمأنينة بخلاف المنكر فإنها إذا أصدرته استعانت بقوة الغضب واشتدت في انجازه حتى أنها تضطرب ولهذا نحن

نعتقد أن الفطرة قد حوت جميع الفضائل تماما فهي مجهزة بكل معطياتها وحيثياتها ولكن الميول النفسي وإغراء الشيطان هما اللذان قادا معا الإنسان إلى المهالك ولهذا يعاني الكثير من زلزال في نفسه عند فعل الفواحش وذلك لأنه ثمث خلق حسن يضاد تلك الفاحشة صرفه - الإنسان - عنه النفس والشيطان.

ومعلوم أن الإنسان ولد على فطرة التوحيد والتوحيد لا يستند إلا على هرم الأخلاق الفاضلة وهذا واضح لكل من يعرف فن توحيد الحق تعالى وفي بحث المعاد بينا معنى للمنكر لا بأس بمطالعه معونة لفهم المقام.

### الأخلاق السيئة منبوذة بالفطرة:-

جميع الرذائل التي ينهى عنها الشارع وحاربتها الأنبياء والرسل مذمومة بالوجدان والفطرة تزجر عنها والإشكال يكمن في أمور تجعلنا نستسيغها منها الجهل الذي يجعلنا لا ننظر إلى عواقبها الوخيمة ويصور لنا وجود المصلحة الشخصية فيها فمثلا يرى السارق مصلحة بالسرقة وتحقيق مآربه الشخصية ولكن يغفل عن أن السرقة لو تفشت في المجتمع تفقد راحته تماما حتى الذي لم يسرقه أو ما سرقه على حد سواء لا يأمن عليه وما يتولد منه من جيل لا يرضى لهم السرقة فهو يرضاهما في حال ضيق وهو ما لو كان هو السارق ويغضها ما لو كان هو المبتلى أو من ذويه بها - السرقة - فلا نجد رذيلة محببة عند فاعلها من جميع النواحي.

وهكذا التكبر فهو قد يرضاه لنفسه لكن لا يرضاه من غيره في حقه والشتم والسباب يرضاه من نفسه هذا إذا ما أنكره وجدانه تماما ولكن لا يرضاه لو كان في حقه ولذا المنكر منكرا لأنه تنكره الفطرة مطلقا للصالح والطالح معا والمعروف معروفا للفطرة كذلك ولهذا الشارع أمر بأن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وأنه لا إكراه في الدين ووجوب إظهار محاسن أهل البيت فقط من دون إلحاح.

والعامل الآخر: ترك لميزان ومعيار أكدوا عليه أهل البيت عليهم السلام في وصياهم ومواعظهم وحكمهم قال أمير المؤمنين عليه السلام:- يا بني اجعل

نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك وأكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك... ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك<sup>(١)</sup>.

فلو احتفظنا بهذا الميزان وهذا المعيار وهذه القاعدة التي لا يعلم عظمتها إلا أولوا الألباب لكانت الرذائل غيضا والفضائل منا فيضا ولهذا الذي يريد الإصلاح لهذه النفس لا بد أن يحفظ هذه القاعدة ويتعاهدها يوميا حتى تكون أحد الفرائض اليومية وأما مطالعتها مرة وأني قرأت الكتاب وأكملته في يوم هذا لا ينفع ولهذا يخفق الأحبة فإن هذه الأمور القيمة تحتاج إلى تعاهد يومي.

#### أيها الأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر: -

تذكروا أن تلك المهنة التي أنتم فيها أنها نار حتى تطفؤها بالعمل وبالتوسل إلى الله فعلم ساعة يحتاج إلى عمل طول الدهر كيف من تراكم عليه العلم وحضر عليه العمل لسبب وآخر ولهذا قيل أن من نظر علمه بما يعمل قل مقاله وأين العمل من زمان لا يعرف للعمل في الدين اعتبار ولا يرى أن يكون له في قلب حق إخطار فإن العامل بالدون من الشريعة قيل في حقه أنه مجنون ومخالط عقله ومعقد طبعه ولا يلومون من يجن بلعبة رياضية أو امرأة عارية عن الأخلاق والقيم فإن هذه المهنة قام بها الدين والمقيمون والقيمون أناس عد الأصابع فأخذ الدين بأنفسهم يملاً المشرق والمغرب وذلك لأنهم كانوا لا يتركون علم شيء حتى يعملوا به ولا يتجاوزون إلى سورة من القرآن حتى يطبقوها جوارحها وجوانحها ويسلموا بها تسليمًا واليوم مليار مسلم عبيد عند عبيدهم وما عبدتهم إلا الشهوات وحب الدنيا فصاروا لا يرون إلا ما يره ساداتهم.

ولهذا ليحذر وعاظنا وكرمائنا من كثرة المقال مع سوء الفعال فإن الله الملك المتعال يذهب ببركة المقال وليكن العمل يضاهي العلم ولا يأخذ بهم توسل الناس إليهم فإن الناس لا يعرفون مضار تلك الوظيفة فيعطي أحدنا في اليوم عشرة محاضرات ويزاحم بذلك الواجبات فأين الاستعداد ليوم البيات.

### الستر وضده التبرج

لا بد من معرفة أن كل شيء له تكوين خاص من حيث الإنشاء مختلف عن غيره ونجاحه وكماله مرهون بالسير على أصل تكوينه وفطرته التي فطر عليها كما هو الحال في المكائن والآلات التي لها أعمال خاصة في عمل معين فأنها تعطي ثمارها ما لو وافقت ما صنعت لأجله أو وافقت كيفية الصنع وهيئته.

وهنا نقول أن الإنسان منذ فطرته معد لكمال ورقي لا يحصل عليه إلا إذا سار على منهج تكوينه ويختلف الذكر عن الأنثى والنظر لهما بعين واحدة باطل وخطأ وهو الذي أدى إلى مساوئ صعب الآن على المجتمع معالجتها بعدما أكلت العقول التي كانت تدرك خطرها وكيفية معالجتها.

نعم بعض منها ممكن النظر لها بعين واحدة ويمكن أن يجمع العالم بنظرة واحدة كما لو نظرت إليه أنه فيض الله ورشحة من رشحاته وعين الفقر والحاجة إليه ولكن هناك الكثير لا يصح النظر إليه بهذا الشكل واليوم المشكلة الكل ينادي في وسائل الإعلام الرجل والمرأة سواء حقوق المرأة يجب أن تأخذ صداها في المجتمع والله العالم أن هؤلاء الذين ينادون بحقوق المرأة هل أعطوها حقها حتى صاروا وعاظا لمن لا يعطيها حقها وكيف كان فهذا ليس محط نظري الآن وإنما الذي أتوخاه من كلامي أن الستر وعدم التبرج الذي دعا إليه الحق تعالى وقال (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) مشيرا إلى وجود تبرج في جاهلية ثانية كما في عصرنا الحاضر أن هذا الستر مقتضى تكوين المرأة وطبيعتها وجبلتها التي خلقت عليها ولا تبديل لخلق الله سواء أدرك الجاهل ذلك أم لم يدرك فبالنتيجة إن الستر

إذا لم تعمل به المرأة جاءت الويلات من كل مكان من المجتمع الذي يطلب منها التبرج ومن نفسها ومن ربها.

فأما المجتمع الذي طلب منها التبذل والتبرج والبروز بعدما طلب ذلك صار ينبذها وقت الزواج كقولهم هذه غير عفيفة ولا تحفظني في غيبيتي ويقذف المحصنة بما لا يرضى من القول وأما نفسها فإنها عرفت ذاتا أن الستر لها واجب بالفطرة ومن دون دعوة الحق واستيقنت هذه الحقيقة وما تقوم به مكابرة ولو كان ذلك أمرا عاديا لها لما تبخترت به وتكبرت وطالما ينكر الإنسان الحقائق خارجا ويقر بها وجدانا وأما ربها فإن الله تعالى قدم لها خزي الدنيا بأن صارت أبور سلعة وفي الآخرة أشد العذاب على ما جاء في الروايات كما في حديث الإسراء والمعراج وغيرها من الروايات.

### خطر السفور:-

قد يتفاخر بعض بأن العلوم بلغت ذروتها ونحن الآن نعيش زمن قطف الثمار وهذا عين الجهل بالواقع المرير الذي نحن عليه خصوصا علم عمارة الإنسان الذي يكون أساسه حفظ القيم والمبادئ لا من ناحية دينية فقط بل من ناحية إنسانية.

فالبعض في نفسه عقدة من الدين والشرع والأخلاق فتقول له اعلم أن الدين الذي أنت في نفسك عقدة منه تطلبه وما يريد حثيثا وأنت لا تشعر وما من أحد إلا ويطلب تعاليم الدين في حياته حتى الظالمين وأصحاب الفجور ولكن بطريق وآخر لا يضفي عليه عنوان الدين والشرع ولهذا نقول نحن اليوم تأخرنا كثيرا عن علم مهم في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وهو علم الاجتماع الذي بات من النزول المعنوي إلى درجة أن دراسته تعد مهملة وليس لها أي أثر هذا العلم الذي يضمن لجميع الأصدقاء الحياتية النجاح.

فمثلا السفور الذي يعده أهل الانحراف من شعب التطور والتمدن والتحضر فهو من أخطر الأمراض الاجتماعية ولو عرضنا خطره لوصل بنا الحال

لو أن الدين أحله وجوزَه على سبيل فرض المحال لما رضينا به لما يؤدي بالمجتمع إلى الهاوية ولكن المشكلة في تعقل خطره فإن الناس أعداء ما جهلوا فلو علموا أن السفور يؤدي إلى عزوبة المرأة وإلى الخيانة الزوجية وإلى الطلاق وإلى أن تحلم المرأة بالزواج ولا تجده بأي وسيلة كانت وإلى العقد النفسية للشابة وإلى أمراض فسلجية تصيب البدن وإلى تعب وإرهاق من دون عمل فإنه لا محالة يكون الأمر يختلف وكل هذه الأمور لم نعطِها صيغة الحرام والحلال والدين والإسلام وتحليل هذه الأمور يحتاج إلى بيان نذكره في مواضع أخرى.

### التبرج قتل الإسلام

أود أن ألفت النظر إلى قضية مهمة في حياة الإسلام والمسلمين وهي أن اليد العادية التي امتدت وصنعت الإسلام لم تكن من أهل الستر بل من أناس لم يعرف أحد أباه بل تنازعتهم الرجال ومن منتسب لم يعرف له نسب ومن كانت أمه من ذوات الاعلام ومن كان أبوه وخاله وجده واحد ولهذا مثل التبرج والتهتك أشد العوامل وأساسها في هدم الإسلام وقتل أوليائه.

فالاهتمام به ليست قضية دينية وإيمانية وتربوية فحسب بل مصيرية فانت تسمع كثيرا أن أهل البيت عليهم السلام لم يقدم أحد على التطاول عليهم إلا أن يكون ابن زنا أو حيضه والى يومك هذا فمن هذا تعرف خطر التبرج.

### التقية وضدها الإذاعة

بحث التقية يعد عندي من غرر الأبحاث المهمة والتي لا بد لكل مؤمن موالى معرفته والتطلع عليه ويجب مدارسته وفهمه من جميع حيثياته ومتعلقاته وذلك لأن دين كل امرئ وحياته مقرون بمعرفتها - التقية - والعمل بها.

ولقد ورد عن الرضا عليه السلام: - لا إيمان لمن لا تقية له وإن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية فقالوا له: - يا بن رسول الله إلى متى؟

قال عليه السلام:- إلى قيام القائم، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا<sup>(١)</sup>. أي أعلن عنه البراءة ومثله ما ورد عن الصادق عليه السلام:- ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية<sup>(٢)</sup>.

وقد يقال من بعض أن الأمر الآن مختلف عن السابق فلا موضع لها فأقول:- قد تبين لك من كلامهم عليهم السلام أنها واجبة إلى ظهور القائم بل ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:- كلما قارب هذا الأمر كان أشد للتقية وقال في حقها أنها قرّة لعيني وأنها ترس الله وأوجب ما تكون عند حكومة الصبيان وأهل السفاهة وقال:- لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إلي من التقية.

ويذكر أصحابه عليه السلام فيقول لهم:- إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا<sup>(٣)</sup>.

كل ذلك منه عليه السلام لأنه يرى الشيعة الآن في هدنة يغتنمها ألوا الأبواب حتى يشتد عظمهم وينبني لحمهم ويتم أمرهم ويظهر صاحبهم عليه آلاف التحية والسلام فإن المؤمن عندهم أعز من نفسه على نفسه وأعز من الكبريت الأحمر فلا يريدون لنا الضياع بتوافه الأقوال وسخف الأفعال فيريدون ادخارنا لذلك اليوم الموعود.

(١) كفاية الاثر ص ٢٧٤.

(٢) الامالي (الطوسي) ص ٢٨١.

(٣) المحاسن ج ١ ص ٢٥٨.

وذم عليه السلام الإذاعة فقال عليه السلام في قول الله عز وجل (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) <sup>(١)</sup> قال: - بما صبروا على التقية (ويدرؤون بالحسنة السيئة) قال الحسنه التقية والسيئة الإذاعة.

### التقية في كل شيء ومع كل أحد: -

قد يظن البعض أن التقية مع أعداء الله والدين وأعداء أهل البيت عليهم السلام فقط والحق خلاف ذلك بل التقية حتى مع جهال هذا المذهب وأهل السفاهة منهم وقليل الصبر ومن لم يرق في الإيمان والاعتقاد.

فالناس مراتب في فهم الدين والاعتقاد فلا تبدي كل ما عندك فتهلك أو تكسر مؤمنا ومن كسر مؤمنا فعليه جبره وقال علي بن الحسين عليه السلام: - والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق.

إن علم العالم صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرئ منا أهل البيت فلذلك نسبه إلينا <sup>(٢)</sup>.

ولهذا وغيره يسكت العلماء ويحتفظون بأسرارهم ويصبرون على بعض المتطفلين من الشيعة يقول أبو جعفر عليه السلام: - هي والله السنن القذة بالقذة ومشكاة بمشكاة ولا بد أن يكون فيكم ما كان في الذين من قبلكم ولو كنتم على أمر واحد كنتم على غير سنة الذين من قبلكم ولو أن العلماء وجدوا من يحدثونهم ويكتهم سرهم لحدثوا وليبتوا الحكمة.

(١) سورة القصص / آية ٥٤.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٥.

ولكن قد ابتلاكُم الله عز وجل بالإذاعة وأنتم قوم تحبوننا بقلوبكم ويخالف ذلك فعلكم والله ما يستوي اختلاف اصحابك ولهذا ستر على صاحبكم ليقال مختلفين.

ما لكم لا تملكون أنفسكم وتصبرون حتى يجيء الله تبارك وتعالى بالذي تريدون هو أمر الله تبارك وتعالى وقضاؤه والصبر وإنما يعجل من يخالف الفوت<sup>(١)</sup>.

يتضح لك من هذا الحديث وأمثاله حقائق ما كانت تخطر على البال من أن الكتمان وعدم الإفشاء والعمل بالتقية أمور لازمة لا يمكن لهم تجاوزها وهم مكلفون بذلك ومأمورون بها ولهذا يخفون ما عندهم ولأنهم يعرفون عن الحق تعالى ما لا يعرفه العامة (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

واتخذ من المحاورة التي دارت بين موسى كليم الله تعالى وبين الخضر دستورا لفهم سير الحياة وللتعامل مع الظروف القاسية والتي لا بد لك من التعايش معها على أي نحو كان ولا تنظر لنفسك أنك أكرم من العلماء فإن هذا لم ينظره موسى كليم الله لما أراد أخذ الحكمة مع أنه نبي الله وكليمه فطلب من الخضر عليه السلام تعلم الحكمة بأبدع أسلوب في الكلام (قال لموسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) فقال له الخضر عليه السلام:- الحكمة بشرط الصبر (قال انك لن تستطيع معي صبرا) فقال موسى عليه السلام اصبر قال له الخضر (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) أي كيف لك الصبر على ما لا تعلمه فبعض الناس يحتج على العلماء لماذا أسأله لا يجيبني وكأنه أكرم من كليم الله حيث ينسى مقام نفسه ويعطيها من المنزلة ما لم يعطيها الأنبياء لأنفسهم.

## الإنصاف وضده الحمية

يعد الإنصاف من شعب العدل ولا يكون إلا عند أهل العدل ومن كان العدل ملكته وهو: إعطاء الحق الذي عليك والذي ترضاه لنفسك وهو آت من التناصف بالشيء على السواء وإعطاء النصف المقارب لما أعطيته لنفسك حتى صرت أنت وصاحبك على السواء وفي المقام أن لا ترضى بشيء إلا ورضيت لعامة الناس مثله.

وكان ضدها الحمية وهي القوة الغضبية إذا كثرت واستعرت التي تعصف بالعدل من عروشه وبذلك تكون ضدا للإنصاف لا الغضب الذي قد يعاصر الكثير من الناس حتى المؤمنين قال تعالى (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)<sup>(١)</sup>.

ويكون منها الأنفة والإنكار للحق مهما علا صرحه فيشتد صاحبها نصره للباطل مع معرفته به وبذلك يلج في مذهب باطل أو مسلك خاطئ والكثير ممن يدين بدين الباطل ويناصر عشيرته من دون حق لهذه الرذيلة وهي على نسب في العبد وبذلك يختلف الكثير منهم في المعاملات مع بعضهم الآخر وقد ورد في ذمها الكثير.

منها ما قاله أبو عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - : من تعصب عصبه الله بعصاة من نار.

ومنها يحدث الفخر على الغير ويبتلى بعض العوائل والمشاهير - نحن بيت فلان نحن من آل فلان - وفي الحديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ يعد أنا فلان بن فلان فلما عد التاسع منهم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - : أما أنك عاشرهم في النار، وهذا موعظة وتذكرة لبعض ممن يفتخر في المدائن والبلدان وبعض القرى.

(١) سورة الفتح / آية ٢٦.

### ميزان الإنصاف:-

المعيار والميزان هو أن تحب لغيرك من الناس ما تحبه لنفسك وتكره لهم ما تكره لها وعاملهم بما تحب أن يعاملوك فإذا فعلت ذلك فأنت عدل الناس وأرضاهم عند الله تعالى ويدفع بك الله البلاء عنهم.

#### تحصيله:-

يكون تحصيله بإحياء الضمائر ومكافحة سوء السرائر وخوف الله سرا وإحياء العدل في مملكة النفس فإن من خاف الله أنصف.

### الإنصاف عند أهل البيت:-

ما ذكرناه نظام لنا وأما لأهل البيت عندهم الإنصاف أن يفضلوا الناس على أنفسهم فإذا أعطوا النصف ما أنصفوا إلا إذا أعطوا من نصفهم الذي لهم فإذا أنت أعطيت صاحبك نصفه ما أنصفته بل أعطيته حقه والإنصاف أن تعطيه من نصفك الذي لك وهذا أسمى مظاهر النبيل والعز والشيم.

### التكبر يمحق العقل:-

من الأمور التي لا بد لك من معرفتها أن بعض الرذائل إذا حلت في النفس أبادت جميع الفضائل وقضت على العقل تماما كالأكلة في الجسم وأكثر من ذلك فلا تبقى للعقل بقية والآخر منها قد يجتمع مع بعض الفضائل بلا منازع والتكبر من أقسى الرذائل على العقل كلما داخل النفس كلما أباد الفضائل فيها بقدر ما داخلها من الكبر فهو عدو متوغل ولا يرضى دون أن يكون زعيما للملكة ويطيح بجميع مملكة العقل ولهذا فإن الذين بلغوا في تكبرهم ذروته فأنهم لا فضيلة لهم ولا عقل بل سقط العقل بمملكته وأصبح رمادا تذروه الرياح وهناك رواية تعد من غرر الروايات التي قرأتها في باب الكبر ما قاله الإمام الباقر عليه السلام:- ما

دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا ونقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل أو  
كثراً<sup>(١)</sup>.

ولهذا لا بد من ممارسة ما ينفي التكبر ويحدث التواضع وإلا فالأمر خطير  
جد ومما يطبع به التكبر هو الانصاف بل لا يجتمع معه بحال . فإن الانصاف يعتمد  
على ركيزة هامة وهي التواضع والتي تعدّ ضدّاً للتكبر.

### التهية وضدها البغي

ويراد بها الخدمة والطاعة لأئمة الحق والموافقة والمؤازرة لهم والإصلاح  
ويقع ضدها البغي وهو الخروج عليهم والرد بأصنافه يعد من البغي الذي هو  
جندي من جنود الجهل ومن جملة أئمة الحق العلماء بل هم الفرد الأوحى في  
زمان الغيبة والراد عليهم باغي لأن في الرد عليهم رد على الله ورسوله وخروج  
عن ربة الإيمان ووجدنا ذلك بالوجدان وشهدناه بالعيان إن الذين انحرفوا عن  
الجماعة كلهم ابتدءوا ضلالتهم من هجر العلماء.

### الطاعة لولة الحق فطرية: -

ذكرنا غير مرة وهو ما أمر الله تعالى عبده بشيء إلا وجعل له الداعي  
النفسي والفطري له حتى لو كابرها وحاول أن يخفيها فلا بد من أن تأتي الساعة  
التي يصرع بها الحق الباطل وتعلو الفطرة على ما لوث به نفسه من الرذائل.  
وفي المقام أود الفات الأنظار إلى أن من جملة الدواعي الفطرية هي طاعة  
ولة الحق فكل في فطرته يطلب القدوة الحسنة ولا يستغني عنها بحال ومن  
المصائب التي يمر بها العصاة هو عصيان ولاة الحق وأطباء الأرواح.  
فإن أمثال هؤلاء معذبون ويعيشون وحشة داخل أنفسهم تعدل بوحشة  
القبر لأن استعلائهم واستغنائهم لم يكن بحق ففارقوا المعرفة المولوية التي تغنيهم

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٤٧.

عن كثير من المؤن وتدفع عنهم كبائر المحن فبعض يتواضع للعلماء مدة من الزمن لكن ما أن قرأ حرفين وتعنون بعنوان أخذ به العنفوان فصار يصعب عليه زيارتهم وتقبييل أيديهم ولا يسألهم بما اشبهه عليه من الأمر فيتفرد به الجهل ويستحوذ عليه الشيطان ويملي عليه إبليس ما يريد حتى يسقطه من نظر من أراد أن يعلو بنظرهم من عامة الناس بخلاف الذي بقى مع دواعي فطرته السليمة والسنة القويمية فهو لا يأبى السؤال بحال مستنا بسنن الأبطال فيعلوه الفضل ويتحلى بحلية الصلحاء فهو لا يشيع من مناقشة الفقهاء والحكماء ويجب أن يسمع أكثر من أن يتكلم ولهذا أصبح الناس في شوق لكلامه فإذا نطق نطق صوابا وإذا سئل أحسن جوابا فيعيش مستأنسا بنفسه غير مستوحش فإذا حلت به الشبهة دفعها بكلام الأعلام وأزالها منهم بأدنى الكلام وبخلافه المستعلي بغير الحق فهو في بحر الأوهام اللهم حبيب لنا طاعتك وطاعة ساداتنا الكرام ومن جملتهم علمائنا العظام بحق محمد وآله.

ثم تذكر أنك كم رأيت من نفسك الكمال في المعرفة لكن كم وكم رأيت منها أنك بحاجة إلى كلام تسمعه في بلاء أو مصيبة أو حتى الأفراح أو بعض المشاكل فهذا مما يرشدك إلى دواعي الفطرة السليمة فأنت ولدت جاهلاً لا تفهم ولا تعلم ولا تحسن الكلام ثم علمت النظام فلا تنس البداية كي تريح النهاية.

### النظافة وضدها القذر

النظافة: - تحصل بإزالة القذارات سواء على البدن أو اللباس وقد تطلق على تطهير النفس مجازا وفي المقام يراد منها إزالة أوساخ البدن واللباس وعلاقته مع جنود العقل لا تخفى حيث يدل عليها الوجدان.

فإن لإزالة الأوساخ وتطهير الظاهر له علاقة ماسة مع النفس فارتباطهما وثيق جدا وقد يختلف باختلاف الأشخاص قوة وضعفا من حيث التأثير فليس التأثير في الجميع واحد إلا أن العامل المشترك وهو عدم خلو تأثيرها على النفس

وفي بعض تعمل النظافة عملا لا تكاد أن تصدقه إذا حدثتكم به وهو أنه إذا لم يتطهر ويزيل القذارات والأوساخ سوف تتكدر نفسه ويعطل نشاطه تماما.

واعتنى الإسلام بالمظهر عناية لا مثيل لها عند مدعي الديانات لقد خاضوا أهل البيت عليهم السلام بكافة التفاصيل مع أصحابهم وعامة الناس فلم يدعو شيئا إلا وبينوه وذكروا مراد الحق تعالى فيه والأجر عليه وفي حال التخلف كان الردع منهم عليهم السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام:- احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وآله فقيل له:- احتبس الوحي عنك يا رسول الله سألوه مستفهمين عن سبب ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- وكيف لا يحتبس عني وأنتم لا تقلمون أظفاركم ولا تنقون روائحكم<sup>(١)</sup>.

ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال:- وقلموا الأظفار ولا تشبهوا باليهود<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام الكاظم عليه السلام:- قال شعر الجسد إذا طال قطع ماء الصلب وأرخى المفاصل وورث الضعف والسل. وأن النورة تزيد في ماء الصلب وتقوي البدن وتزيد في شحم الكليتين وتسمن البدن<sup>(٣)</sup>.

والذي يظهر من كلماتهم عليهم السلام أن القذارة تؤثر على الإنسان ماديا ومعنويا أي على البدن والروح معا فقد تطيح بدن الإنسان كما مر في هذه الرواية وغيرها وقد تعمل على إطفاء مصباح العقل بأن تورث النسيان كما في قذارة الأظفار وبعض القذارات وبهذا وغيره لا يبقى مجال لأن يسأل ما دورها في بناء العقل وكونها جندا من جنوده.

(١) مكارم الاخلاص ص ٦٦.

(٢) وسائل الشيعة ص ٦٦.

(٣) مستدرک الوسائل ج ١ ص ٤١٤.

بل لا قيمة لامرئ من دون العناية بظاهره فضلا عن باطنه لأن الظاهر يمثل عنوانك الذي يعرفك الناس من خلاله فإذا فرضناك عالما متبحرا في جميع العلوم لكن قدر المظهر عديم المنظر ما كان تصورك في أذهان الناس.

### النظافة مع البساطة في المكان والملبس:-

تجد البعض من الناس ضعيف الحال قليل المال ومع كل ذلك القذارة تحيط به من كل جانب أقول له إذا كانت الملابس الفاخرة تحتاج إلى مال لأجل شرائها فإن نظافتها ونظافة بدنك لا يحتاج إلى ذلك فهل كان في ذهنك ما يلبسه علي عليه السلام حتى قال فيه رقعت الرقعة حتى استحييت من راقعها ألم تكن في غاية النظافة؟

عندهم أهل البيت عليهم السلام إن الثوب إذا وسخ يعطل عن التسبيح فيغسلونه حالا وهذه القذارة التي تحصل عند عامة الفقراء في ملابسهم أو أبدانهم أو في بيوتهم هي التي تجلب لهم الفقر وقد أكدت ذلك روايات أهل البيت عليهم السلام.

وإن ما يقومون به بالقذارة لأجل استعطاف الناس في الرزق من الحماقة جدا أن المعطي هو الله تعالى ولو وقف العالم كله لمنعه ما منعوا منه مثقال ذرة وأني أعرف من بعض الرجال قضوا وطرا من حياتهم في لباس واحد فإذا خرجوا به كأنهم أبناء الملوك ولا زال البعض منهم من يخالط الناس ليومك هذا إذا رأيته قلت ابن سلطان أو زعيم الله يعلم في أي قصر يسكن مع ما إنه يسكن في بضع مترات لا تتجاوز الثلاثين متر وهذا ليس مني مبالغة وإنما حقيقة يعيشها الكثير من المؤمنين وإتباع سنن أهل البيت عليهم السلام.

وكان يوصينا بعض المراجع بأن نلبس ملبسا يلاءم الشخصية المتلبس بها ولا يرضى لنا لباس الذل الذي لم يجبرنا عليه الزمان وكان يمقت من لا يهتم بمظهره أشد المقت.

فإن الزهد والتواضع لا يجلبه اللباس الوسخ مع القلب المتكبر لقد لبس النبي سليمان عليه السلام ما لبس وركب البساط وهو أزهد الزاهدين.

## الحياء وضده الخلع

الحياء:- هو انقباض في النفس يصحبه رجوع عن القبيح ومما لا يليق بالمرءة ويختلف في الناس من حيث القوة والضعف ومنه رحماني وبعضه الآخر شيطاني فما يدعوك للترفع عن القبيح الشرعي والعقلي رحماني قطعاً وأما ما يلزم منه الوقوع في المفسدة فهو شيطاني.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- الحياء حياءان:- حياء عقل وحياء حمق فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام:- الحياء على وجهين فمنه ضعف ومنه قوة وإيمان<sup>(٢)</sup>.

### الحياء درع حصينة:-

لا يخفى عليك أن الحياء من أرفع الأخلاق لما يتفرع منه من الفضائل كاللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والمعاصي والمخزيات والسماحة والبشاشة وترك سؤال الناس ومعرفة قدر النفس واحترام مكانته فبعض من الناس عنده عنوان محترم وشهادة ومقام في المجتمع ومع كل هذا يقوم بما لا يفعله أبسط الناس كالطمع المفرط والشره ومن فضائله ستر العيوب.

### الخلاعة أول قدم في طريق جهنم:-

كل من يذنب ويعصي الله تعالى ينطلق من الخلاعة فأول ما يرفع عنه الحياء ويبتلى بالخلاعة ومن ثم يعصي ولا يجتمع الحياء مع المعاصي.

(١) الكافي (ط.الاسلامية) ج٢ ص١٠٦.

(٢) تحف العقول ص ٣٦٠.

فالحياء إذا حل في نفس عبد سما ووجبت له الجنة فالوارد في الأحاديث المباركة أول ما ينزع الله تعالى من العبد الحياء فيصير ماقتا ممقتا ثم ينزع منه الإيمان ثم ينزع منه الرحمة ثم يخلع دين الإسلام عن عنقه فيصير شيطانا لعينا وورد أيضا من قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار.

### نزول جبرائيل إلى الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله:-

معلوم لدينا أن جبرائيل لا مهمة له بعد النبي صلى الله عليه وآله لانتقطاع الوحي والتبليغ السماوي لهذا سأل النبي صلى الله عليه وآله جبرائيل:- هل تنزل إلى الأرض بعدي؟

قال:- نعم يا رسول الله، أنزل إلى الأرض من بعدك عشر مرات وأرفع عشر جواهر من وجه الأرض

قال صلى الله عليه وآله وسلم:- ما هذه الجواهر؟  
فقال:- الأول:- أنزل إلى الأرض وأرفع البركة منها.

- والثاني:- أرفع منها الرحمة.

- والثالث:- أرفع منها الحياء من عيون النساء.

- والرابع:- أرفع الحمية من رؤوس الرجال.

- والخامس:- أرفع العدل من قلوب السلاطين.

- والسادس:- أرفع الصدق من قلوب الأصدقاء.

- والسابع:- أرفع السخاوة من قلوب الأغنياء.

- والثامن:- أرفع الصبر من الفقراء.

- والتاسع:- أرفع الحكمة من قلوب الحكماء.

- والعاشر:- أرفع الإيمان من قلوب المؤمنين.

تعليق:-

من ظاهر الحديث أن الأرض قد خلقت عن جواهرها والتي تمثل روح الحياة وعد منها الحياء من عيون النساء وعليه من تريد النجاة يجدر بها ان تطلبه

حيثا وتطلب الاستثناء منه تعالى بأن لا تشملها هذه اللعنة التي حلت في نساء هذه الأمة وان لا ترض بما ترى من حياء نساء اليوم.

### الحياء لديمومة الحياة: -

ذكرت غير مرة مفهوما واضحا عن الأخلاق وأهميتها وأنها أمور يفرضها منطق العقل أين ما حل ولو في كافر جاحد ملحد فإن فطرته وجبلته تشهد بأهمية الأخلاق وأن لها دورا أساسيا في حفظ الأنظمة وتحقيق مآرب الإنسان العامة والخاصة وأن الكوارث التي لا تقبل العلاج ولو أنفقنا المليارات سببها ضياع القيم الأخلاقية.

فنحن في العراق نصرف المليارات في سبيل الاعمار والنتيجة لا يظهر الاعمار بمستوى الصرفيات وهكذا كل العالم يعيش هذه الماساة وذلك لأننا بحاجة إلى اعمار للانسانية للضمائر اعمار البشر بالقيم والأخلاق ولو كانت هناك ثمة مبادئ لكانت صرفياتنا التي نحتاجها نسبة واحد بالمائة وهذا الرقم ليس مبالغا فيه أبدا بل حقيقة فلو تخلقنا بخلق الأمانة وخلصنا من الخيانة لرأيت العجائب والغرائب وصورة للحياة لم تخطر ببالك أبدا هذا خلق واحد فكيف لو طبقنا جميع الأخلاق والحياء الذي نحن بصدده أمر هام جدا في حفظ الأنظمة والتعاملات في جميع ميادينها في العمل والبيت وفي السفر والحضر.

ففي الحياة الزوجية يعد من أهم السبل التي تحفظ أواصر الحياة الزوجية لأن الحياة الزوجية لا تحفظ بعنصر واحد الأمر ليس كذلك فلو طبقت الجميع ونقص عنصر واحد لذهبت مؤونة العمل أدراج الرياح كما لو أحكمت خزان الماء من جميع النواحي والجهات وتركت فيه عيبا وثقبا لنفذ الماء ولا قيمة لتلك الإحاطة.

ففي الحياء تحفظ الآداب والتي بدورها تعمل على دوام العشرة وتنمي طابع التحمل بينهما والتحمل أهم عنصر يقوم الأسرة ويقلل الطلبات المححفة في حق أحدهما ويحفظ العفة للمرأة وبذلك تكون المرأة زوجة دائمة لزوجها.

فلو انتفى الحياء سقط المرء وسقط معه كل اعتبار فلم تهتك المحارم وارتكبت المظالم إلا بترك الحياء والحياء يعطي جمالا للرجل أو للمرأة بل للمرأة أكثر وهذا يشهد له الوجدان بل الخلاعة ترخص المرأة تماما حيث في زمن ماضي يضرب المثل في حال تعسر الطلب والأمور - هل هذه خطبة امرأة - أنا خاطب امرأة منك حتى تطول وتعرقل هذه القضية - أي كانت المرأة أثن شيء ويعد لخطبتها العدة جميلة كانت أو غير جميلة.

أما اليوم يتعلقن بأثواب الرجال ولا كرامة والسبب هي التي أودت بكرامتها لترك الحياء والحجاب وكثرة المخالطة والحديث غير الضروري مع الرجال.

### ذهاب الحياء من الصبيان:-

الحياء كما هو معلوم أمر فطري وعادة الأمور الفطرية ينعم بها الإنسان في طفولته أكثر من غيرها من مراحل عمره وعندما يكبر يحاول إخماد الفطرة التي فطره الله عليها وهذا أمر دقيق في حياتنا.

فالإنسان مفطور على أن لا يأخذ شيئا بضمه حتى يضعه بيده ولو أعطيته مباشرة بضمه لأخرجها بيده ونظر إليها ومن ثم يضعها في فمه فهو مجبول على الكرامة والسعي وأن لا لذة فيما يأخذه ما لم يضع قبالة عمل جوارحي ويقوم بذلك بنفسه وهناك أمور كثيرة تملأ عالم الطفل من الصعب جدا استقصاؤها ومنها الحياء.

فالحياء وعدم العرامة أمر فطري ولكن مما يثير الغرابة في أزممتنا هذه أن الصبية لهم من الجرأة ما لم يحملها حتى الآباء الكبار فكان أحدنا لا يجراً على محادثة المعلم مع الأدب واليوم الصبية يتحدثون معهم في غاية الوقاحة والجرأة. ويعد هذا من اشراط الساعة وزهد الله بهذه الصنعة التي باتت تشكل خطرا على المبادئ والقيم وولادة الحق ولذا لاقوا أهل البيت عليهم السلام ما لاقوه.

ولقد ورد عن نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال:- لا تقوم حتى يذهب الحياء من الصبيان والنساء<sup>(١)</sup>.

وذكرنا في ما سبق أن الحياء يرفع منهن وذلك بعدما رغبن عن ذلك صرن يقارعن الرجال حتى أن الرجل يستحي من بعض الكلام والمرأة باتت تملأ فمها بما لا يرضى من القول نسأل الله العفة والكرامة بحق محمد وآله.

ولهذا أقول أن هذه الأحاديث جرس إنذار للمؤمنات اللاتي يردن النجاة أن يحافظن على خدرهن ولا يسمحن لأن يهتك بأي ذريعة كانت والله العاصم من الذنوب والمعاصي.

### أمور تذهب بالحياء بالنسبة للنساء:-

فهنالك جملة من الأمور تذهب بالحياء:-

- منها:- كثرة المخالطة مع الرجال ومن المحال أن تبقى المرأة على حيائها في أوساط الرجال فإن هذا من جمع المتناقضين فإذا بقينا نجامل ونصانع ضاع الحق وبزغ الباطل.

- ومنها:- مجالسة الفتيات للعجائز من النساء وذلك لأنهن لا يتورعن في الحديث والمخاطبات.

- ومنها:- كثرة الخروج غير المبرر بتبرير عقلائي والكل يحتاج إلى بيان فالوقت لا يسعني ولكن من يريد الحق لا يحتاج إلى مزيد بيان ومؤونة برهان.

## **القصد وضده العصيان**

القصد:- ويراد به الاستقامة أي استقامة الطريق وسلوك العدل ويحصل بترك الإفراط والتفريط ولزوم الحق وتوجه النفس إليه في غاية التوجه ويقع العصيان ضدا له ولا يحدث العصيان إلا بأسبابه وتحقيق مسالكه.

ومن جملة أسباب العصيان:-

### التبعيض في الدين:-

لا تجد من أخذ الدين كله فلو كان لبان ولأمن العصيان إلا أن السائد (يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض) ولذا عاتبنا الحق تعالى (افتأمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)<sup>(١)</sup>.

فالتبعيض في أخذ الدين يلازم المعصية وملازمة المعصية يلزم منها العقوبة بلا شك والذي نلاحظه في المقام أن التبعيض من الأمور التي يمقتها الله تعالى أشد المقت ولهذا لم يدع عقوبتها إلى يوم القيامة كبقية المعاصي بل تراه أن البعض بالدين والأخذ منه ما وافق هواه والراد لما خالف لا يخرج من الدنيا حتى يلبسه لباس الخزي ولذا يعد تفسيراً لما يحدث في هذه الأمة وبالأخص منها وعمامة الناس فالغالب عليهم ذلك.

ولا تجد أكثر من التبعيض في الدين فإن الله له حكم في البيوع إن تبعضت الصفقة على المشتري فله الخيار والبيع غير لازم فكيف نحن نبعض عليه الطاعات أي تسليم هذا واحترام له تعالى فالويلات والنكبات وهذه البلايا والذل والهوان الذي نلاقه من الظالمين وغير الظالمين سببها عدم إتمام الصفقة في الطاعة له تعالى.

أنت أيها العبد أنت أيها المرأة المسلمة لا بد لكما من أن تنظرا طاعتكما لله تعالى هل تامة أم مبعضة وفتشوا عن الأحكام التي لا تروق لهذه الأمزجة والأهواء الشيطانية فليعمد إلى إصلاحها قبل فوات الأوان ولا نعري أنفسنا بأن البلاء الذي يصيبنا سببه أننا من المؤمنين (المؤمن مبتلى) فمع هذا التبعيض حكم نأخذه وعشرة أحكام نردها أي إيمان هذا!! إلا اللهم هناك معنى للإيمان صنعته

(١) سورة البقرة / آية ٨٥.

التكنولوجية الحديثة والتطور السائد لم نسمع به كما صنع لنا العبادة الإسلامية (والبيرة) الإسلامية والقنوات الإسلامية!!

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تنبئ عن الذي يصيبننا سببه الذنوب والمعاصي وتأمرونا بالتوقي منها ومنها الكفر ببعض الآيات الإلهية والبيانات الربانية قال تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم....)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام:- أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم قال:- وما يعفو الله أكثر مما يؤخذ به<sup>(٢)</sup>.

ويقول عليه السلام:- إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها<sup>(٣)</sup>. ويقول عليه السلام:- ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنبا يستحق بذلك السلب<sup>(٤)</sup>. ويقول عليه السلام:- من يموت بالذنوب أكثر من يموت بالآجال<sup>(٥)</sup>.

### العصيان ينافي الحب:-

حب الله فرض من الفرائض الموجبة على العباد كما هو الحال في الصلاة والصيام والحج... وبعد العصيان له تعالى وتجاوز حدوده خلاف محبته تعالى وملكة حبه تعالى لا بد أن تتعالى وتكون في بلائه ورخائه سواء.

(١) سورة الأنفال / آية ٥٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٦٩.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٣٠٤.

(٤) بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٣٩.

(٥) الامالي (للطوسي) ص ٧٠١.

وأما إذا أحببناه عند العطاء وأبغضناه عند الشدة ما كان حبا، فلاحظ حب علي عليه السلام - يقول مخاطبا له تعالى:- ما أعبدك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك.

وفي خطاب آخر خص به الله تعالى لو أدخلتني النار لأعلمهم أنني أحبك وفي بعض الأدعية ما خرج حبك من قلبي أبدا وقد يخالج البعض الشك في هذا الحب بإملاء الشيطان وإيحاءه لكن لو تدبر في ما يشاهده بالعيان لوجد ان الكل عنده هذا الأمر ولكن ليس لله تعالى بل إما لحيوان فبعض مربى الأفاعي يوصله بعض لدغاتنا إلى الموت وربما يموت ولكنهم عندما تسألهم يقول أنني أحبها - الأفاعي جميلة - ونحن الذي نسيء إليها فلا ينسب الإساءة إليها وهكذا من يحب الحيوانات المفترسة وبعض المهن والحرف الشاقة هناك من يجب مهنة يتأذى دوما منها ولكن يجعل هذه الأذى من إخفاقاته لا ربط لها بالمهنة أو الآلة وهذا كما تعلم لا يقاس بالله تعالى علوا كبيرا وبالنتيجة أن العصيان ينتج عن عدم محبته تعالى التي يفرضها الوجدان وكرم النفس وأما التخلف عن مسيرة محبته تعالى ناشئ عن اللؤم وسخف العقل.

وما وجب علينا هو أن ننظر إلى إيجاد حبه تعالى في قلوبنا ونعمل على تكامله كبقية الفرائض كي نخرج من حظيرة البهائم التي همها علفها.

## الراحة وضدها التعب

تبادر الأذهان بسبب مشكلة لدى الكثير من الناس الذين لديهم مفاهيم مغلوطة وخصوصا ممن يأنس ببعض الأمور المعاشية فإذا سمع متشابهاتها انصرف ذهنه إلى ما أنسه من معنى ففي المقام عندما يسمع الراحة والتعب يصرف أذهان شباب هذا الزمان إلى البطالة والعزوف عن مصارعة الحياة والجلوس في البيت والاسترزاق من نسائهم الموظفات أما كانت أم زوجةً وهذه خسة الرجال وفقدان

الغيرة وذهاب الرجولة بكل أطوارها وإن لم نعارض عمل المرأة مع الالتزام والحشمة الذي يعد في عصرنا الحاضر من فرض المحال أيا كان الأمر.

الحق أن هذه المعاني لها مداركها الخاصة لأنها في المقام يراد منها كونها جندا من جنود العقل وما ذكرناه من المفهوم الخاطئ من جنود الجهل والراحة التي هي من جنود العقل ما كانت توصل العبد إلى الرحمان تعالى والقرب الإلهي والنجاة من مهالك الدنيا والآخرة وبالضرورة نجد أن هذا المعنى توفره في معنى خاص لا ما يسبق إلى الأذهان فنقول أن الإنسان يكون بحسب العادة طويل الأمل شديد الطلب وإن كان نائما على فراشه وذات نفس تريد حرق الدنيا لأجل البقاء إلى حد أنه يجمع من القوت ما يوازن ميزانية بلد بكامله ويصل به الحد إلى أن يخرج ليلا ويرجع في منتصف الليل فمثل هذا تكون نفسه في طوال ٢٤ ساعة في عمل متواصل حتى أنني سألت أحد العاملين في التجارة عن حياته قال:- والله أنا حتى في الليل أحلم وأنا أحسب بأموالي.

فلا مجال للتفكير في الطاعة والعبادة حيث لم يكن ثمة فراغ كي يتأمل في ما خلق الله تعالى وفيما يفعله في كل يوم من تصرف خاطئ أو صحيح. فطول الأمل والحرص وعدم القناعة يجعلان الإنسان في تعب ومشقة بالغة لا يمكن تفاديها بحال من الأحوال ، وإذا حل التعب في نفس ابطل مفعول العقل وعطله ولذا لا بد من وقت يكسب به العبد الراحة لكي يستعيد فيه نشاط العقل والنفس والبدن فإن هذه التراكيب الثلاثة متبادلة العطاء.

لذا فالإسلام يريد منا أن نتصف بصفات منها التوكل على الله والرجاء به وقصر الأمل فإن الدنيا لا تستحق كل هذا المجهود وأن نتصف بالقناعة فإن أيسر ما عندنا يكفيننا.

الإمام الصادق عليه السلام أذكر قوله مضمونا أن الناس لا تشتكي العيش وما تحتاج إليه بل فضول العيش وهذا هو الواقع فعلا اليوم الشاب يريد بين ليلة

وضحاها أن يصبح تاجرا يملك المليارات ولهذا صار يسلب وينهب ويغش ويرائي.

ثم لا بد أن يعلم أن النفس في حال التعب من أي عمل كان لا يحصل منها التوجه بل لا بد لها من الترويح ولهذا يذكر أن للعبد أربع ساعات ساعة للعبادة وساعة للمناجاة وساعة لطلب العيش وساعة في لذائذه وبهذه الساعة يقوى على تلك الساعات بالساعة التي يروح بها النفس في ملاذها غير المحرمة يكون قادرا على أداء تلك الساعات الثلاث ومنها العبادة فالنفس إذا لم تعط لذتها تزعج العبد بالإلحاح كالطفل لا تهدأ طلباته إلا بالتسلية ولا يخضع لما نقول له من حكمة. وأما حقيقة التعب في طلب العيش أو العلم أو غير ذلك هو الذي يجلب الراحة فلا راحة من دون تعب ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام ما أقرب الراحة من التعب فلا يستشعر الإنسان الراحة في النوم حتى يسهر كما لا لذة للأكل إلا بالجوع افهم ذلك فانه ثمين لك جدا. ومن جملة ما يوفر الراحة هو ترك العبد ما لا يعنيه وما لم يقوم بذلك فلا أمل له بها.

### السهولة وضدها الصعوبة

من مكارم الأخلاق التي تكون وثيقة الارتباط بالمجتمع هي السهولة واللين وهذا الخلق أهم ما يلزم العبد التزامه ففي السهولة تتغير أجواء حياتك تماما إلى ما هو أفضل وأيسر لأن في سهولة التعامل واللين مع الناس انعكاسا على تعامل الحق معك في الدنيا والآخرة وخير تجربة عشناها إنا نرى صعب التعامل والشديد في علاقاته أمور لا تتحقق إلا بمشقة وصعوبة.

وفي يوم التقيت برجل كان طبعه شديدا مع الناس فسألته أن يجيبني بصراحة من دون تلون وإخفاء الحقيقة التي أريد معرفتها فقلت له:- أسألك عن حاجاتك هل تقضى بسهولة أم في غاية الصعوبة؟

قال:- لا تقضى إلا في غاية الصعوبة وهكذا جميع حوائجي وكان جوابه مشوب بالاستغراب فسألني عن المناسبة لهذا السؤال؟  
قلت له:- علمت ذلك قبل أن تجيئني.  
قال:- من أين علمته

قلت:- من خلال تعاملك مع الناس فلا تعاملهم برفق ولين وهذا ما يؤخر حوائجك عند الله فالعاقل لا إفراط ولا تفريط.

وأجد في المجتمع الكثير من البيوتات تتأخر نساؤهم عن الزواج وقد تعزب المرأة عندهم إلى آخر العمر وذلك لأنهم أناس عرفت عنهم النقطة والصعوبة والشدة بل وجدتها حتى عند من لم يعرف عنه ذلك فلا يقرب منه أحد وذلك لتدخل يد الغيب في ذلك مع أن نساءهم لا ينقصهن شيء لا من جمال ولا من ثقافة أو شهادة.

وبالعكس أجد أناسا لا تبلغ عندهم البنت مبلغ النساء فيأتي نصيبها وإذا فشتت وجدت أن السبب ما ذكرناه من السهولة والبساطة ومع أسفي على بعض المتدينين عندما تقبل عليه في حاجة يدخلك الرعب ولا يخطر في بالك أنك تخطب منه امرأة وإذا ذكرت ذلك عند أحد قال لك:- أنت مجنون.

ولكن بالنتيجة المجنون من حرم بناته الزواج لسوء خلقه والكل يقرأ القرآن حيث يكشف سر من أسرار نجاح دعوة النبي صلى الله عليه وآله فيقول الله تعالى (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).

وفيما ورد في مدح السهولة واللين:-

قول رسول الله صلى الله عليه وآله:- ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا؟ قالوا:- بلى يا رسول الله قال:- الهين القريب اللين السهل<sup>(١)</sup>.

حقا بلين الجانب وسهولة الطباع تكسب المحبة وتكثف أغصان المودة وتكثر الأنصار وتدرك المقاصد وتنال المطالب وتهون الصعاب وتذلل الرقاب وتحسن السياسة ويحفل بالسلامة من أذى الناس.

### الرفق واللين مع الجميع:-

لا يتوقع أحد منا أن هذا الخلق مع الأحبة والأصحاب بل حتى مع الأعداء ولا تجد عدوا ألد عداوة من فرعون لموسى عليه السلام ولكن لما أمره الله تعالى بأن يذهب إليه قال له (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى).  
ولا بد أن تزين به الأفعال والأقوال خصوصا الموعظة والحكمة فلا أثر لكلام شديد مهما كان ذكر الله فيه ما لم يلبسه الواعظ بحلية اللين والسهولة فإن الله لا يبارك في الموعظة الشديدة.

### السهولة تجلب الرزق:-

الكل عندما يفتح متجره ينعم بالربح الوفير ثم تجده بعد فترة زمنية يعاني من قلة الرزق وعدم إقبال الناس عليه فيقول:- أنا محسود أو غير ذلك من الأمور لكن الحق يجب أن يعلم جيدا أنه عندما فتح متجره كان سمحا سهلا مشرقا بوجهه لكن لما كثرت عليه الزبائن اغتر وتبختر وصار صعب المزاج لا يكلم الناس إلا بأنفه وتبختر وبأخلاق سيئة فإذا يد الغيب تتدخل وتسحق بركته فلا يلومن إلا نفسه.

## **البركة وضدها المحق**

اعلم أن البركة جناح العقل وقوامه إذا أخذت بعرضها العريض ولم تفهم بمفهوم ضيق حيث أنها تدخل في جميع جوانب الحياة في العمل في الأكل في

الشرب في الأطعمة في النوم في العبادة في الوقت في السير في أداء الحوائج وقضائها في الموعدة والحكمة.

لهذا تجمد كلمة واحدة تحيي شعوبا وقبائل بل أما (مثل كلمة ابن المطهر الحلبي قدس الله نفسه الزكية) وهناك من يتكلم ليل نهار ولكن سبحانه الله لا تؤمن به حتى زوجته ورب علم ملاً المشارق والمغرب وأعان الناس على أمورهم ورب علم مع دقته وعمقه لم يكن له أثر ولا خبر وليس له في الناس قدر. هذا يرجع إلى طرح البركة فيه أو عدم طرحها من قبله تعالى والأعمار كذلك وطالما سمعنا من آبائنا ربنا بارك لنا في أعمارنا فهناك عمر مديد ولكن كسحابة وكعيش النمل وهناك عمر قصير خدم الدنيا وسقاها بوابل من العلم والمعرفة والأخلاق والفضائل.

حتى في المسير والمشي تجدها تلعب دورا والذين يمشون سيرا على الأقدام إلى سيد الشهداء أعرف مني بذلك فلا أظن أن البركة تفارقهم وكذلك بركة الأولاد فهناك من ينجب الكثير ولكن ليته لم ينجب وهناك من أنجب القلة فيجعل الله فيه خيرا كثيرا كأمثال علمائنا الذين أحيوا النفوس الميتة والعقول المندثرة وهكذا تأخذ دورها الذي لا يمكن تحظر خطره.

ومما تعمه البركة الأرض فيجعل الله بركته حيث يشاء قال تعالى (ونجيناها ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)<sup>(١)</sup> ومواطن العلم والمساجد ومراقده أهل البيت عليهم السلام وجاء في التنزيل (واجعلني مباركا أين ما كنت)، (وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين)<sup>(٢)</sup>.

ويأتي معناها الثبوت - والزيادة فبركة المال ثباته وزيادته والحق أن يقال بركة كل شيء بحسبه وإن كان بعض المعاني يعم الجميع ويقع ضدها المحق وهو النقصان وذهاب الزيادة إلى أن يؤول إلى الزوال فيذهب كله ولا يبقى منه شيء

(١) سورة الأنبياء / آية ٧١.

(٢) سورة المؤمنون / آية ٢٩.

نقول فلان محقه الله أي أذهب ببركته ووفرتة ولهذا لا بد أن يكون من جملة أدعيتنا هو طلب البركة من الله فمن دونها الشقاء لازم.

### بعض التطبيقات التي تنفع في جلب البركة:-

ورد في الأحاديث المباركة أن البركة في الجماعة وإذا أردت بركة الطعام صغر قطع اللحم والأرغفة كذلك فإن بركتها في تصغيرها فإن مع كل رغيف بركة هكذا الوارد وعدم أكله حارا بل يترك حتى يبرد وتصغير اللقمة واحترام النعمة والنظر إليها بالكثرة وإن قلت وعدم ملاء القدر بدوا ليبقى مجال للبركة وهكذا عند صب الطعام وأكل العائلة جماعة لا بانفراد وعدم إنزال المائدة دفعة واحدة بل تنزل بقدر ما يمكن أكله وعدم مباشرة أكله وهو على النار وهناك الكثير منها مروي ومنها ثابت بالتجربة والله الموفق لنا ولكم نسأله البركة للجميع بمحمد وآله.

### **البركة جندي من جنود العقل**

قد يخفى على بعض الأحبة ما ربط البركة بجند العقل وعلاقتها بهذا المعسكر الجبار إلا أنه لو تأمل في الأمر جيدا وارقب الحياة اليومية وشؤون الناس يجد أن البركة من أعون جنود العقل والدين معا.

فإن الذي محقت بركته في المال والطعام سوف يشتد طلبه شيئا فشيئا حتى يكون عبارة عن آلة عمل وينسلخ عن الإنسانية تماما ويتلى بعدة أمور:-

- منها:- إن شدة الطلب تزرع في نفسه سوء الظن بالمعيشة وبذلك يصدق ظن إبليس من أنه يعده الفقر كما ذكر القرآن الكريم وهذا له تداعيات خطيرة جدا يصعب استقصاؤها.

- ومنها:- أنه سوف تذهب عنه القناعة.

- ومنها:- أنه سوف يكثر من الدنيا وبذلك يكثر حسابه الآخروي.

- ومنها:- أنه سوف ينشغل بالطلب عن العبادة والتوجه القلبي لله تعالى.

- ومنها:- سوف يتلى بالارتباك والاضطراب النفسي لأن عدم البركة يعم المال والولد والوقت فهناك أناس يثمر عندهم الدرهم ألفا والولد شعبا كما في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقضي من الأعمال في الساعة ما لا يقدر أحدنا قضائه في يوم كامل ولهذا أقول اليوم نحن بحاجة إلى البركة لا إلى كثرة الأموال فأنتم ترون كلما طالبنا بزيادة الراتب نجد أن الحال كما هو لم يتغير بل يزيد الطين بله.

### العافية وضدها البلاء

ويراد منها الأعم ومفهومها بعرضه العريض والذي يصدق معه جندي العقل كالعافية من الذنوب والمعاصي والعافية من الابتلاء بالرأسه وتولي زمام الأمور بالنسبة للناس فإنها أشد البلاء كالتخلص من مواضع القضاء فإن لقمان الحكيم عليه السلام مع علو مقامه ومعرفته وحكمته لما طلب منه أن يكون قاضيا بين الناس بالحق فقال للملائكة الذين أرسلهم الله إليه:- خيرني أم أمرني؟

قالوا:- بل خيرك

فقال لهم:- قد اخترت العافية، أي أنه رفض تولي القضاء وقبلها داود عليه السلام وابتلى بها وكان داود يغبط لقمان الحكيم ويقول له:- طوبى لك يا لقمان. فكل رأسه بلاء ومنه كثرة المال لما يتلى به العبد من واجبات الحقوق التي تفرض عليه من قبل الناس كالفقراء وقضاء حوائج المؤمنين فإن أداها عوفي وإلا هلك ويوجب كثرة المال الابتلاء بكثرة الخصال السيئة كاشتعال الشهوات فإن المال مادة الشهوات وتكثر عنده الرذائل كالتكبر والرياء والفخر والتكاثر والمباهاة وكل ذلك يوجب عليه شدة التهذيب وكثرة المراقبة فيزداد جهده في تهذيب نفسه بخلاف من عوفي من كثرة المال ولهذا كان السلف الصالح إذا أقبلت عليه الدنيا قال:- قد أقبلت علي المصائب فيطلب من الله العافية.

وروي أن من علمائنا الكبار أنه لما آلت إليه المرجعية واجتمعت عليه الكلمة ذاقت به الأرض ذرعا فلم يجد طريقا ليتخلص من ذلك البلاء وهو الزعامة الدينية فطلب من طلبته وأحبته الذهاب إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم لما حضروا المرقد الشريف:- أنا سوف أدعو وأنتم تؤمنوا فاستجابوا له ولا يعلمون ماذا يريد في دعائه فدعا على نفسه بالموت قبل أن يتولاها فاستجاب له الله تعالى فقبض الله روحه بعد أيام كما طلبوا أصحاب الكهف العافية من الابتلاء بالشهرة والتقدير والاحترام والتبجيل فدعوا الله أن يقبض أرواحهم لكي يحافظوا على ما حصلوا عليه من جهاد في سبيل الله تعالى.

نعم، إنني قد شهدت الكثير من الناس الذين تحملوا صعاب الحياة في سبيل الله وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم كل ذلك في سبيل إعلاء كلمة الحق ولما آلت إليهم الدنيا ضيعوا كل ما جنوه وقد حاضرت ببعض منهم وكانوا يستمعون المواعظ على أفضل وجه ولكن ما أن سئلوا الفتنة إلا وابتغوها.

فالعافية بمفهومها العريض هي التي تكون جندا من جنود العقل فنسأل الله أن يعافينا من كل ذنب وعيب وسقم وهم وغم وكرب ومن كل رآسة وزعامة ومن إقبال الدنيا الضارة بديننا وأن يعافنا من الحاجة إلى الناس وأن يجعل حاجتنا عنده إنه الكافي المعافي ونسأل الله أن يعافنا من كل رذيلة وسيئة وخلق ذميم وألا يبتلينا بقضاء حاجة مؤمن لا نوفق لقضائها بحق محمد وآل محمد.

## بلاء الدنيا

قد نعيش في هذه الدنيا ولا نعرف حقيقتها إلا بعد فوات الأوان ومغادرة فرص الزمان وفقدان الأمان وحينها لا ينفع الندم فالدنيا لم تكن لأحد إلا من حيث ما وضعت من سنن البلاء والشدة والرخاء والكل في ذلك سواء المؤمن والكافر ولكن يرجو المؤمن ما لا يرجوه الكافر ومع كل هذا نحن نحتال عليها في تغيير سننها ولكن لن تجد لسنة الله بديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وليعلم أحبتي وأخوتي وكل من يقرأ كتابي هذا ورسالتي هذه أن الدنيا بلاءوها نافع وشافع ورافع أليس البلاء هو الذي رفع الأنبياء والرسل أليس البلاء الذي رفع يوسف في الدنيا والآخرة وعلمه تأويل الأحاديث أليس البلاء هو الذي رفع إبراهيم وجعل له عند ربه مقاما عليا أليس البلاء الذي رفع الأئمة الهداة عليهم السلام أليس البلاء هو الذي يزيد بالعقل وبالتالي ترتفع درجة الإنسان بارتفاع عقله فبتجارب الدنيا نمت العقول والثواب على قدر العقول فبالنتيجة الدنيا شحذ العقل وزيادة الثواب ولكن لمن اغتتمها وصبر على أذاها اللهم ارزقنا من الصبر ما يهون علينا مصيبات الدنيا واجعل نار بلاءها بردا وسلاما بحق محمد وآله.

### القوام وضده المكاثرة

القوام:- ما يقيم الإنسان من العيش والقوت وهو الاقتصار في الطلب على ما يقوم المعاش وبه يكون القوت والمؤونة المستحقة بحسب مقتضى الحال.  
بأن لا يطلب العبد من سعيه في طلب الدنيا أكثر من الاستحقاق ما يحفظه من الذل والهوان والتردي ويقع ضده المكاثرة المدمومة من قبل الله تعالى (ألهاكم التكاثر) فإن التكاثر في الدنيا مما يمقتة الله تعالى خصوصا إذا دعا العبد لأن يكون مكاثرا ومباهيا لغيره من الناس فلا بيني بيتا إلا ليراه الناس ولأن فلان بنى بيتا جميلا فلا بد أن أصل إلى هذه الغاية مهما كلفني الأمر من مؤونة في دين أو دنيا ولعل أغلب الناس في زماننا هذا لا يقوم من أمر دنياه إلا لأنه رأى ذلك عند أخيه ولذا تراهم يهتمون بالمظاهر الخارجية أكثر من الباطنية فهناك من يشتري السيارة الفارهة مع أنه لا يملك مسكنا يسكن فيه وذلك ليراه الناس وهذا من سخف العقل لأن العقل من حكمه تقديم الأولويات فيقدم الأهم على المهم وهذا التصرف خلاف منطق العقل.

لابد من معرفة أن الدنيا لا تستحق كل هذا الطلب فإن كل ما فيها يؤول إلى رماد تذرؤه الرياح هذا الإنسان لو فكر مليا لوجد أنه مجنون حتى لو كان يرى نفسه في طلبها محقا لكن بالتأمل في أخبار الموت والعاقبة التي سوف يؤول إليها سيجد نفسه ليس عاقلا فيما رام من الطلب ولهذا أكدت الروايات على محبوبية ذكر الموت ولا بأس بذكر جملة منها:-

- قال أبو عبيدة الخذاء لأبي جعفر عليه السلام:- حدثني بما انتفع به؟  
- قال عليه السلام:- يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا<sup>(١)</sup>.

- وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل عندما طلب منه الوصية فقال له:- أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا<sup>(٢)</sup>.

- وعنه صلى الله عليه وآله:- أكثر من ذكر الموت فإنه يحص الذنوب ويزهد الدنيا<sup>(٣)</sup> وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير<sup>(٤)</sup> وعن الصادق عليه السلام:- ذكر الموت يميئ الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويظفئ نار الحرص ويحقر الدنيا<sup>(٥)</sup> وهو معنى ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- فكر ساعة خير من عبادة سنة<sup>(٦)</sup>.

نعم ربما يعبد الإنسان سنين ولا يهتدي معها إلى الحق الذي يكون قد اهتدى إليه ساعة تفكره في الموت حيث ينظر إلى أنه مفارق لا محالة وسوف تقطع أوصاله

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) تحف العقول ص ٣٥.

(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٦٩.

(٤) كنز الفوائد ج ١ ص ٦٣.

(٥) مصباح الشريعة ص ١٧١.

(٦) نفس المصدر السابق.

وتصبح أدرج الرياح وينسى اسمه ورسمه ويحل بعده عنوان مغرور آخر لم يكن مثله وما هم به من بروز وشهرة وادعاء لا ممول له بعد فراقه سوف يصبح لا خبرا ولا أثراً كعاد الأولى ويعيش في ضمن هذه الأفكار فيذهب بها عن نفسه الغفلة وتسخر النفس للطاعة وتقنع بما آتاها الله تعالى بعد الجحود.

ولهذا كان ذكر الموت العلاج الأهم والأعم لكل الأدواء والأمراض النفسية و الفسلجية ومنبعا لكل حسنه وخير والغفلة عنه منشأ لكل سيئة. وأذكر كلاما جامعا قاله السيد صاحب تفسير الميزان قدس الله نفسه حيث يقول فيها:- فعدم الإيمان بالآخرة واستخفاف أمر الحساب والجزاء هو مصدر كل عمل سيئ ومورده وبالمقابل الإيمان بالآخرة هو منشأ كل حسنة ومنبع كل خير وبركة، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

فكم نبرر أفعالنا لكن بالنتيجة تعود إلى هذا الأصل الذي استجمعه سماحة السيد رحمه الله تعالى و طيب ثراه بأن أي شيء يصدر منك من عمل سيئ وقول كذلك إلا وأنت غافل عن الحساب وما سوف يؤول إليه الأمر يوم القيامة ولو عقلت الآخرة لما وجد في حياتك من فضول ولا أذى وإن سر الطاعة عند أهلها هو معرفتهم للآخرة وعدم غفلتهم عنها وعلى هذا الأساس الفت رسالة -معرفة المعاد عين السداد- والله الموفق للسداد.

## الحكمة وضدها الهوى

لقد ذكروا للحكمة تعريفات كثيرة والمقام ضيق جدا لا يسع للمحاكمة والمناقشة ونقول بإيجاز ليس المراد منها ما ذكروه في علم الفلسفة وقد اختلفوا في تعريف الحكمة أيضا وأما ما ذكروه من معنى في غير الفلسفة وكتب اللغة هي من آثار ولوازم الحكمة وتطبيقات الشيء وآثاره غير الحقيقة التي يكون عليها الشيء والذي نراه أنها تطلق في بعض الأحاديث على آثارها.

والحق أنها فيض رباني يأتي باستحقاق أي ليس جزافا كما لو خلص العبد

لله تعالى أربعين صباحا أو كان ذا نفس قدسية كالأنبياء والرسل فهي من عطاء الرب تعالى هذا ما تهدي إليه الآيات المباركة قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء)<sup>(١)</sup> وقال تعالى (ولقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)<sup>(٢)</sup> وقال تعالى (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة)<sup>(٣)</sup> وقال (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر الله....)<sup>(٤)</sup> وقال تعالى (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)<sup>(٥)</sup>.

#### تأتي باستحقاق وإقامة فرض:-

اعلم أن الحكمة ليست أمرا جزافيا بل لا تعطى إلا باستحقاق وجهد وجهاد ورياضة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلا قويا في أمر الله، متورعا في الله، ساكتا سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستعن بالصبر، لم ينم نهارا قط، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره وعمق نظره وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط مخافة الإثم، ولم يغضب قط، ولم يمازح إنسانا قط، ولم يفرح لشيء أتاه من أمر الدنيا ولا حزن منها على شيء قط.

ولقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم أكثرهم إفراطا فما بكى على موت أحد منهم ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تجاوزا ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنته إلا سأل عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشي القضاة

(١) سورة البقرة / آية ٢٥١.

(٢) سورة النساء / آية ٥٤.

(٣) سورة الإسراء / آية ٣٩.

(٤) سورة لقمان / آية ١٢.

(٥) سورة ص / آية ٢٠.

والمملوك والسلاطين فيرثي للقضاة مما ابتلوا به ويرحم المملوك والسلاطين لغرتهم بالله وطمانيتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكر ويداوي نفسه بالصبر، وكان لا يضعن إلا فيما لا يعنيه فبذلك أوتي الحكمة ومنح العصمة<sup>(١)</sup>.

وهو ميراث الصوم ففي حديث المعراج أنه يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم يسر أي بمعنى أن الجوع يورث الحكمة ولو عند الكافر كما يأتي بيانه وكذلك الصمت الذي يذم العالم به في زمان كثر فيه الهذر نسوا أن الحكمة لا تؤتى إلا بالصمت وأن الكلام شين للعلماء والصمت لهم زين وهي عبادة الأئمة الطاهرين بل هي مفتاح العبادة كذب من ادعاها وهو يهذر ويكثر الكلام.

وما ذكر يعد من شروط إتيان الحكمة التي هي من فيض الإله وإكرامه ولكن بعض منها لازم والآخر جائز فتأمل تصل.

فالحكمة بصيرة آتية من الحق تعالى عند توفر شروطها بها يبصر العبد عيوب نفسه وطرق إصلاحها وما يجرز نجاتها ويبصر بها كذلك دقائق العلم والمعرفة ويستخرج بها غور العقل وذلك لكونها قوة تشرق على جميع جنوده فما من أحد من جنده إلا وكانت لها يد فيه ولا يخفى أن العقل له دور في استخراج غور الحكم وذلك بانعكاس قوة أحدهما على الآخر ولا دور في المقام بل كإضاءة مصباحين معا فإن نور أحدهما مع كشفه لنفسه يكشف الآخر.

#### الحكمة إذا توفر شرطها تعم حتى الكافر:-

في هذا المقام أود الفات نظر أحببتنا أن الحكمة إذا حقق الطالب لها شروطها تعطى حتى للكافر فيمنحه الله الحكمة مع كفره وإذا لم يقيم شرطها حرم منها المسلم ولكن إعطائها للكافر لأجل أن تكون حجة دامغة عليه وأما للمسلم فإنها برهان ورحمة.

(١) قصص الانبياء (للرواندي) ص ١٩٢.

ففي خبر المعراج قال الله تعالى:- يا أحمد إن العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة وإن كان كافرا تكون حكمته حجة عليه ووبالا وإن كان مؤمنا تكون حكمته له نورا وبرهانا وشفاء ورحمة<sup>(١)</sup>.

## الوقار ووضده الخفة

الوقار:- سكون النفس وثباتها عند الحركات التي يراد بها تحصيل المطالب والوقار من حظ الجوارح أيضا والهيئة الخارجية للعبد والسكينة مقامها النفس إلا أن الباعث عليه هو الباطن.

فالباطن والظاهر بينهما تبادل وعطاء أحدهما يضيفي على الآخر كل ما يتحلى به بل يعد أحدهما قراءة للآخر ولهذا تعد الحركات السريعة التي يقوم بها البعض في سيرهم وكلامهم وحركات أيديهم من علل الباطن ومن بواعثه فخفة الظاهر تدل على خفة الباطن واهتمت الشريعة بهما معا ولم تتجاهل أحدهما ومن رأى غير ذلك فهو قاصر مقصر لم يعرف شيء عن الشريعة وتعاليمها.

وهناك من يدعي طهارة الباطن مع قبح الخارج ولا يهتم بالمظهر الخارجي جهلا بطريق الإصلاح والصلاح فمثل هؤلاء لم يتنوروا بنور الشريعة بل أملوا عليهم إبليس ما يريد.

وبعض يهتم بالظاهر تاركا للباطن بالمرّة فهذا لا يجني من ظاهره ثمرة لا من علم ولا عمل وأما إذا قام بأمرهما معا وفق ما دعت إليه الشريعة حاز الغنيمة ونال النفس السليمة وأصاب الشريعة القويمة.

فالذين يقولون اضحك تكلم العب افعل ما شئت أهم شيء نظافة وطهارة القلب والحال قلبه أشد سوادا من الفحمة فهؤلاء جهلاء لم يعرفوا منها حتى الاسم.

(١) ارشاد القلوب (للدليمي) ج ١ ص ٢٠٥.

وتشكل الخفة خطرا بليغا على اتخاذ القرارات وقبول المعتقدات وذلك لا بد لك أن تعلم أن من اتبع الجبارين وأصحاب الضلالات لم يكن منهم ذلك إلا بعد الاستخفاف.

ولك أن تنظر بالعيان أن الغالب من الذين اتبعوا الأضاليل هم من أصحاب الخفة وليس من أصحاب التروي والتأني والسكينة والوقار. فالوقار هو الثبات والرزانة وعدم الانزعاج بالفتن وترك الطيش والمبادرة إلى ما لا يحمد وألا يزول عن المحمّدة التي هو عليها بأن لا تحركه الأوهام التي تحرك الجاهل في حال اشتداد غضبه ويتصف به الظاهر والباطن معا وما ذكرناه من صفات الباطن ومواطن النفس.

### الخفة آفة الدنيا: -

ربما يخطر في ذهنك أن الخفة تبعث على هلاك الدين ولهذا فإن الشارع قام بالردع عنها وعدها من جنود الجهل والحق أننا ذكرنا غير مرة أن الإسلام جاء لبناء الدين والدنيا معا وأمر بعمارة الدنيا بالقدر الذي تعمر به الآخرة وحيث أن لكل منها آفات وعقبات.

فتصدى لردع كل ما يعمل على تهديمهما وهذه النظرة قاصرة يتحلى بها الذين لم تألف أنفسهم الدين والذين إذا رأوا الدين في هذا الطريق مروا بغيره. فغفلوا عن هذه الحقيقة من أن الإسلام تصدى لدحر الكثير من الأخلاق غايته بناء الدنيا التي تعمر بها الآخرة.

والخفة أحدها فإن الكثير من الناس خسروا تجارتهم وأملاكهم وذلك لخفتهم وخفة عقولهم وكذلك البعض منهم فارق الحياة بسبب التسرع وطغيان الخفة على طبعه وحيث أن الجزئيات والتطبيقات لا يمكن استقصاؤها لهذا نعرض عنها ونكل أمرها للقارئ.

## مرابطة العقل :-

يتواجد العقل عند البعض ويتحلى به ومع كل ذلك قد تحصل الكبوة والانزلاق لكن لا مع وجوده ومرابطته بل بعد استخفاف العقل وسخفه وإلا فللعقل مرابطة في كل ما يطرأ عليه من آفة وإغراء ولكن تختلف المرابطة قوة وضعفا نتيجة اختلاف العوارض والطوارئ التي تواجهه.

فمثلا تجد شخصا عاقلا يعمل في التجارة ويسير سيرا طبيعيا حسب القواعد التجارية ومع كل ذلك يطرأ عليه حدثا يثير الاستغراب وهو أنه يضع أمواله عند جاهل سفیه فمثل هذا لا يحدث إلا بعد ما يستخف عقله بالطمع ويزخرف القول كما حدث للكثير منهم ولهذا يحتاج العقل للتمويل المستمر وللبناء الدائم كما يحصل بالمحافظة وغيرها لكي يواجه تلك الاختبارات.

كذلك نحن اليوم مع علمنا وعقولنا نصدق ما لا يصح من العاقل تصديقه بعدما نغفل عن القواعد الأدبية والأخلاقية والعلمية ندعن بالفتن ونصدقها ويصير البعض لها عربة يحمل أمتعة أعداء الدين مع أن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام يقول كن للفتنة كابن لبون ليس له ضرع فيحلب وليس له ظهر فيركب

## **السعادة وضدها الشقاوة**

اختلف في معنى السعادة منهم من أرجعها إلى النفس في حال اكتسابها الفضائل الأربع كالحكمة والشجاعة والعفة والعدالة فهذه كافية عندهم في تحقيق السعادة ولا يحتاج معها إلى فضائل البدن.

فالمبتلى بالنقصان البدني مع هذه الفضائل النفسية سعيد وهذا قول من سبق بقراط من الحكماء.

وبعض من محققي الفلاسفة قالوا:- السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي أشرف الأمور وأكرمها وأرفعها وكل ما يتغير ولم يثبت ويحصل بروية وعسر ويتأتى بعقل مهما كان حسنه فليس اسما للسعادة.

وعليه رتبوا وقالوا إن السعادة العظمى لا تحصل للإنسان إلا بعد مفارقة البدن والطبيعات لها فبالنتيجة إن الإنسان عندهم لا يسعد السعادة التامة إلا في الآخرة بعد موته.

وأما أرسطو طالس:- فإنه مع مدرسته رأوا أن السعادة الإنسانية تحصل للإنسان في الدنيا إذا سعى لها وتعب بها حتى يصير إلى أقصاها وتحصل عنده بحسب تركيب الإنسان من النفس والبدن معا.

وذكر ابن مسكويه رحمه الله تعالى:- إن السعيد من لا يخرج من السعادة كيف؟ وذلك أن النكبات التي تصيبه والنوائب والمحن وما يصيبه من الشدائد والتي لا بد منها لا يكون فيها جزوعا كما هو المعتاد عند حصولها من عامة الناس ولا يضطرب بل يضبط النفس والمحافظة على الشجاعة والثبات وقوة فضيلة الصبر لا ينشغل إلى تلك الآثار ويضرب مثلا ما حل بيعقوب عليه السلام ونقارنه نحن بما جاء في سيرة لقمان عليه السلام كان يموت له الولد والزوجة وغير ذلك ما داخله الحزن بمقدار ذرة فراجع الرواية تكون أبصر بالمقام.

فهو يرى أن المصارع الذي يتحمل من الآلام حتى تقطيع بعض الأجزاء من جسمه لأجل الصيت والسمعة فطالب الفضيلة أولى بالتضحية ولا شك أن المحاكمة في المقام ليست ضرورية بقدر بيان ما هو الحق والمفهوم الذي يراه الكاتب فنقول وعلى الله الاتكال.

ما دار على الألسن من الاختلاف في مفهوم السعادة لا يدل على وجود اختلاف جوهرى ولكن لما كانت السعادة مراتب وليست بمرتبة واحدة اختلفت الأنظار فكل نظر إلى مرتبة من المراتب وعبر عنها بما يراه مناسبا لبيانها فكل ما ذكره يعد مفهوما للسعادة ولكن باختلاف المراتب.

وإن القضية من القضايا النسبية والفرد الأكمل هو لها ما يكون في الفوز بالجنة حيث استقرار النفوس وإلا فما دام الإنسان في مقام الاختبار والامتحان فلا تحصل له السعادة التامة.

نعم الأنفس الشهودية التي ذكرها بعض الأعلام مثل الأنبياء وما ضرب مثلا أيوب عليه السلام فهؤلاء سعداء ونالوا السعادة التامة في الدنيا قبل الآخرة حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يفضل جلوسه في المسجد على جلوسه في الجنة وذلك لأن في الجنة رضا نفسه وفي المسجد رضا الله تعالى ورضا الله أحب إليه من رضا نفسه ولكن هذه مراتب تناسب مقاماتهم عليهم السلام.

وأما نحن فتتشكل سعادتنا بالمحورين مع المادي والمعنوي وبهذا ذكروا أهل البيت عليهم السلام في تحقيق السعادة ما يبين أركانها المادية حيث لا غنى عنها بالنسبة لنا فنذكر جملة منها والله الموفق.

#### وقبل الخوض نقدم مقدمة نافعة في المقام:-

وهي أنك لا بد لك أن تعلم أن منطلق السعادة وإن بني على عاملين أساسيين العامل المادي والعامل المعنوي إلا أنه مع كل ذلك يبقى الأمر متوقف على النفس فمن دونها لا سعادة وبإمكانك أن تقول العامل المادي يعطي أثره مع العامل المعنوي وموقوف عليه فإذا ملك الإنسان كل المقومات المادية إلا أنه مع كل هذا غير شاعر بها ولا يراها تكفيه لخصلة الطمع والشهوة وعدم القناعة فهو في عذاب ملح فما تراه ما عنده من رفاهية لا يشعر بها خصوصا بعدما ألفها واعتادها ولهذا كان للعامل المعنوي الأثر الكبير في تحقيق السعادة فرب إنسان لا يملك قيراطا في هذه الدنيا ولكنه أسعد الخلق.

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:- الفقر فخري، أي يفخر بفقره ويلتذ به أكثر مما نلتذ بالشهوات وهذا الكلام لا يعرفه إلا أصحاب الرياضات فقط يعرفون لذة الفقر والحاجة إلى الله تعالى.

وبعدها نذكر جملة من مقومات العامل المادي:-

- الأول:- المسكن:- بأن يكون واسعا قال أبو عبد الله عليه السلام:- من السعادة سعة المنزل. وفي حديث آخر من شقاء العيش ضيق المنزل.

- الثاني:- المرأة الصالحة والجار الصالح والمركب الهنيء، قال النبي صلى الله عليه وآله:- أربع من السعادة:-

- المرأة الصالحة

- والمسكن الواسع

- والجار الصالح

- والمركب الهنيء<sup>(١)</sup>.

- الثالث:- الولد الصالح:- ففي حديث للنبي صلى الله عليه وآله:- أنه من سعادة المرء المسلم أن يكون له ولد صالح<sup>(٢)</sup>.

- الرابع:- الرزق في الوطن، فمن سعادة المرء أن يكون رزقه في وطنه.

- الخامس:- وهو الأهم بل هو الأوحى في تحقيق السعادة بالأمر المذكورة وهي الصحة:- ولهذا سئل حكيم عن حاله فقال:- الصحة رقم واحد والجاه صفر على اليمين والمال صفر آخر عن اليمين والولد ثالثه عن اليمين فإذا ذهب الواحد - الرقم - لا قيمة رقميه أي لقد ذهبت الصحة فلا أثر لكل هذه الأمور.

أما العامل الثاني وهو العامل المعنوي: وهذا العامل كما ذكرناه مسبقا يمثل حجر الأساس للسعادة حتى المادية منها فتقول:-

العامل الأول:- التخلص من الحسد:-

فالحسد يقع في صادرة الخصال السيئة ويعد من شر العوامل التي تعمل على إقصاء الإنسان عن مواضع السعادة ولا يخفى عليك أنه عبارة عن جذوة من النار في جوف الإنسان يحملها ليل نهار ومن كان هذا حاله أنى له تحصيل السعادة

(١) المحاسن ج ٢ ص ٦١٠.

(٢) الخصال ج ١ ص ١٨٤.

وقد ورد عن سادتنا أئمة الهدى ما يبين ذلك فعن الصادق عليه السلام:- لا يطمعن الحسود في راحة القلب<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام:- الحسد لا يجلب إلا المضرة وغيظا يوهن قلبك ويمرض جسمك<sup>(٣)</sup>.

وله كلام عليه السلام يبين فيه إن سلامة الجسد ترجع إلى قلة الحسد، ويبين نبينا صلى الله عليه وآله:- إن أقل الناس لذة الحسود وذلك لأنه ينكد العيش ويفني الجسد ويذيبه ويجعله كثير الحسرات<sup>(٤)</sup>.

#### العامل الثاني:- اليقين:-

فاليقين راحة القلب وطمأنينة النفس وسكونها وتعد هذه من أسمى عوامل الراحة.

#### العامل الثالث:- العلم:-

يمثل العلم السعادة الحقيقية للإنسان وذلك معروف عند أهله لا عند الذين شبههم القرآن بالحمار يحمل أسفارا وبالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

#### العامل الرابع:- القناعة:-

وهي ملكة استشعار النعم وحضورها الشهودي للقلب فمن قنع سعد وعن الإمام الصادق عليه السلام:- خمس من لم تكن فيه لم يتهن بالعيش:-

- الصحة

- الأمن

---

(١) بحار الانوار ج٧٠ ص٢٥٢.

(٢) كنز الفوائد ج١ ص١٣٦.

(٣) مستدرک الوسائل ج١٢ ص١٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٩٥.

- الغنى

- القناعة

- الأئيس الموافق<sup>(١)</sup>

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- أطيب العيش القناعة<sup>(٢)</sup>. رزقنا الله وإياكم القناعة.

العامل الخامس:- التوكل على الله:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- من وثق بالله أراه السرور ومن توكل عليه كفاه الأمور<sup>(٣)</sup>، والمقام يحتاج إلى بيان أكثر ذكرناه في كتاب أصول السعادة والله الموفق للسداد نسأل الله لنا ولكم سعادة الدارين بمحمد وآله الطاهرين.

## التوبة وضدها الإصرار

تقسم الذنوب من حيث المنشأ إلى ثلاث أقسام:-

الذنوب الفعلية:- وهي ما يحدثها العباد بجوارحهم.

الذنوب القولية:- وهي ما يحدثها العبد باللسان والقول الفاحش فهو وإن كان أحد الجوارح ولكن من حيث الأثر يختلف عنها جميعا وخص لزيادة الأثر والخطر.

الذنوب الفكرية:- وهي ما يتخطره العبد من المعصية من الأفكار والتصورات حتى الوهمية منها وفيما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام يوضح المراد قال الإمام الصادق عليه السلام:- قال عيسى ابن مريم للحواريين أن

(١) الخصال ج١ ص٢٨٤.

(٢) غرر الحكم ص ١٨٩.

(٣) بحار الانوار ج ٦٨ ص ١٥١.

موسى عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين وأنا أمركم بأن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين.

قالوا:- زدنا

قال:- إن موسى عليه السلام أمركم أن لا تزنوا وأنا أمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلا عن أن تزنوا فإن من حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت<sup>(١)</sup>.

ويبقى قسم رابع لم يذكره الأكابر بالخصوص وإنما ذكروا ذلك في طيات أبحاثهم وهي الذنوب العقديّة:- وهي ما يعتقدّه الإنسان من العقائد الباطلة وأكثر ما يؤاخذ العباد بها لأنها موضع القلب الذي هو منظر الله تعالى وحرمة كما تعلم ولهذا تجد بعض حسن الأفعال والأقوال ولكن مؤاخذ ومعاقب من قبل الله تعالى لا اختبأ وأنت لا ترى منه معصية جوارحية ولكن لو فتشت قلبه لوجدت من العقائد الفاسدة وخبث السريرة ما يحكم به العقل من لزوم المؤاخذة وهذه تعد من أخطر الذنوب على العبد أي أنها تخص العبد نفسه أكثر من الذنوب الجوارحية لأنها تؤذي العبد نفسه وتخط من منزلته.

منها العبد الذي يعتقد أن الله تعالى ليس له حمار ولو كان لرعاه كيف يتقبله بقبول حسن وهناك الأشد من ذلك الذين يعرضون عن العلماء في قلوبهم ويعتقدون بهم اعتقادا فاسدا مخالفين بذلك قول الحق تعالى والأنبياء والأئمة عليهم السلام كيف يرضى لهم الله تعالى ذلك والكثير الكثير حيث تجد العبد حسن القول والفعال، حسن المظهر لكن لو اطلعت عليه لويت منه فرارا.

وفي يوم خرجت من الدار لأشتري حاجة للبيت فذهبت لإحدى المحال فيها فتى طلق ذلق إلا أن محله رديء ليس فيه بضاعة تلاءم الحال فأخذت أحدثه لماذا محلك هكذا؟ قال:- أنا الوحيد لهذه العائلة ولا رأس مال لي والحال متردية جدا في البيت، فأنكر قلبي لما رأيت من حاله فقلت في نفسي:- يا رب هذا عبد فقير ولا

(١) الكافي (ط). الاسلامية) ج ٥ ص ٥٤٢.

زال صغيرا لماذا هكذا (عتبت بجهلي عليك) حتى أني نويت أن أساعده بأي أسلوب كان فاشترت منه ورجعت للدار وفي الوقت نفسه احتجنا أمرا آخر فصرت أرجع إليه لكي أربحه فلم أذهب لغيره فلما رجعت وجدت أمرا عجيبا أثار استغرابي وإذا بذلك الشاب أخذ يلاطف صاحبه ويمازحه ولكن بماذا؟

كان يسب أهل البيت عليهم السلام والعياذ بالله قلت في نفسي:- سبحان الله لم ينتظر الله حتى أظهر حقيقتك أستغفر الله وأتوب إليه مما قلت في نفسي فصرت أنظر إلى هذه الذنوب منذ ذلك اليوم وأنها أخطر شيء على العبد فيلزم أن يفتش العبد عن عيوبه العقائدية ويجعلها وفق مراد أهل البيت عليهم السلام وما جاء في القرآن الكريم نسأل الله القلب السليم وأن يكون قلبنا حرما لله تعالى لا لغيره ولا مثوى للكلاب فيه أبدا وأن يحرمه على الكلاب المعنوية بحق محمد وآله.

ويمكن إضافة نوع آخر من الذنوب:- وهي خبث السرائر وما يحمله العبد من سوء الضمير فإن لها أثرا بليغا أيضا في قطع الأرزاق وإنزال النقمات فأما عبد خبث سريرته ولم يسعف نفسه في هذه الدنيا فإن الله يؤاخذها عليها كالحقد على الأقارب وغير الأقارب وحب إشاعة الفحشاء وحتى حب الشر لغير الملة ما لم يكونوا من المحاربين له كالنواصب لأهل بيت النبوة فإن عدائهم إيمان وما لم يكونوا كذلك كالكافرين غير المحاربين فالواجب مقت أعمالهم بحسب الظاهر الداعي إليه الشرع عملا بالوظيفة وإلا فليس من الصحيح أن ترى نفسك الأفضل إلا باعتبار منة الله وفضله عليك بالإسلام وهذا يوجب الشكر لا الفخر.

فبالنتيجة تدور محاور الذنوب ضمن هذه الأمور التي ذكرناها والتوبة تقع في الجميع وهو الرجوع عن الذنب كما ذكرناه مفصلا وكل بحسبه وما يقتضيه الأمر فإن لكل ذنب خاصية من خلالها يصلح العبد ما أفسده بالأفعال والأقوال وغيرها لا يقع إصلاحها وفق ضابطة معينة الأمر ليس كذلك.

وكذلك الحال بالذنوب العقدية أو العقائدية فلا بد من إيجاد الاعتقاد للحق لأنها أخطر ما يكون على العبد وتوجب حط منزلته وإسقاطه بالمرّة فهي أشد الذنوب ولا يسع المقام لتناولها تفصيلاً كي تعرف وتستيقن مدى خطورتها. وأما خبث السريرة فهو يدعو إلى الذنوب الجوارحية من الأفعال وكذلك الجوانحية كالتصور الانتقامي وحب حدوث المكروه ببعض العباد ويجر إلى الحسد وإلى غير ذلك ويؤسف علينا نحن الذين نوالي هذه العترة الطاهرة أن نخرج من الدنيا ولا نحمل الإنسانية التي دعوا إليها ليل نهار ولا نغتتم هذه الثروة العظيمة والله ولو لم يكن هناك نار أو جنة لكان من المؤسف جداً أن نخسرهم في الدنيا بترك التخلق وفي الآخرة بمفارقة منازلهم وصحبتهم التي ينعم بها أهل الطاعة لله لا أهل الأماني والتسويق.

### فضل التوبة:-

الأخبار في مدحها كثيرة والأفضل أن يطلع عليها الأحبة بأنفسهم فإن في كلامهم عليهم السلام نوراً وجلاء للقلوب وفيه تشجيع على العمل بالإضافة إلى ذلك هناك دقائق وفوائد لم يسع المجال لذكرها فنذكر جملة منها. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- الله أفرح بتوبة العبد من الظمان الوارد والمُضِلِّ الواجد والعقيم الوالد<sup>(١)</sup>. هذه المنحة العظيمة من الغني المطلق تحتاج إلى تأمل ونظر لتقييمها من حيث أن الله تعالى غني عن العالمين ولا تضره إساءة المسيء فلماذا كل هذا الابتهاج وهذا مما يجب حفظه في الذاكرة والقلوب حيث أنه يكشف عن حب الله لنا الذي يفوق حبنا لأنفسنا فرب غفور شكور يعطي على القليل الكثير ويفرح بعودة العبد بعد الابتعاد بالمعصية فرحاً لا نظير له في خلقه مع غناه لا يمكن لعاقل أن يعصيه ولهذا كان العصيان دوماً ينطلق من أبواب الجهل.

(١) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ١٢٦.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:- إذا تاب العبد تاب الله عليه: أنسى الحفظة ما عملوا منه وقيل للأرض وجوارحه: اكنموا عليه مساوئه ولا تظهروا عليه أبدا<sup>(١)</sup>.

أقول:-

هذا اللطف وهذه الرعاية منه تعالى لا بد أن ندين لها أنفسنا ويجب أن تحرك ضمائرنا فهذه الأحاديث المباركة إذا لم توجد في أنفسنا الخجل فهذا مما يدل على موت قلوبنا.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- توبوا إلى الله عز وجل وأدخلوا في محبته فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والمؤمن تواب<sup>(٢)</sup>.

### التوبة إنعاش للقلب:-

القلب أكثر ما يقسيه الذنب ويعرقل مسيرته ويحطم قواه وقد عرفت أن بعض الذنوب تسلب العلم وتوهن العقل وتنقصه كالتكبر فإنه يؤخذ من عقله بقدر ما يتكبر فلا يحييه ولا ينعشه إلا التوبة ولهذا تعد التوبة حياة القلب وأمر لا بد من توفره لدى العبد ويجب ألا يغفل عنه واللازم مدارسته وتفهمه بما يحفظ حدوده.

التوبة بعد الذنب تمثل روح القلب وإعادة الحياة فينعش جميع جند العقل ومملكة النفس ولهذا عد من جند العقل وذكرنا غير مرة أن بعض الجنود له دور كبير يكاد يعادل الروح للجسد وليس جميع الجند على وتيرة واحدة والتوبة واحدة منها.

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٢ ص١٢٦.

(٢) الخصال ج٢ ص٦٢٣.

## التسوية آفة التوبة: -

من أهم ما يجب بحثه والالتفات إليه التسوية فمن أخطر الآفات على التوبة وأشد الموانع فلا يوجد مانع عن التوبة غير التسوية وعد التسوية عند الشيطان من أفضل ما توصلت إليه عقلته وأفكار أباسته وأتباعه وجعل الشيطان أول وزرائه من اكتشف له التسوية فبعدهما عرف إبليس أن التوبة تمحو الذنب وترفع العبد وتمنحه المحبة الإلهية والعناية الربانية اجتمع بجميع من في الأرض من ذرائه وأتباعه فأشاروا كل بما رأى فلم يستحسن قول أحد منهم إلا من اكتشف له التسوية فجعله أقرب الأتباع إليه.

فعندما يفارق العبد الذنب ويعمد التوبة يسوقها له كقوله غدا باشر التوبة إلى الله لا زلت شابا تمتع ثم من بعد ذلك التوبة، فالتوبة ممكنة إلى انقطاع النفس الأخير عندها فتب أو بعد حل هذه المشكلة بعد توفر المال والحصول على أحسن حال عندها باشر التوبة ومع كل ذلك يعلم إبليس أن العبد مكتوم الأجل فيباغته حتى يصرعه الأجل فيحول بينه وبين التوبة ولو ذلك ما هلك أحد.

## اليأس آفة التوبة أيضا: -

هذه الآفة الثانية (بعد التسوية) في الخطر ولا تجد أخطر من هذين العنصرين على التوبة واليأس بالمرتبة الثانية يأتي بعد التسوية الذي هلك به معظم العباد.

واليأس تكلمنا به بما يكفي فلا نعيد ونلخص القول في المقام أن المستخلص من الروايات والآيات ان من أكبر الذنوب اليأس من روح الله حيث ما يسخط الكريم إلا سوء الظن به كذلك الحق تعالى والله أعظم من أن يقاس بخلقه فقاتل الناس جميعا من دون ذنب أن ليأسه من رحمة الله أعظم ذنبا من قتله الناس جميعا.

ويعد من فرص إبليس يقول للعبد:- أنت لم تترك شيء إلا فعلته فلا تصدق أن الله يغفر لك، وهذا الرجل الذي يقول أن الله يغفر لك لا يعلم بالذي فعلته ولو علم بما فعلت آيس من مغفرتك وفي الوقت نفسه يحجبك عن البوح بسرك إلى رجل دين أو غيره إلى غير ذلك من الأساليب التي لا يمكن لنا عدّها فلا تصغ لما يملّي عليك فيفوت عليك الفرصة وهي محبة الله لك وفرحته بك وأقول لك قولاً احفظه جيداً ان بعض الذنوب التي يرتكبها العبد تمثل نقطة بداية لنيل الكرامات العظيمة فرب ذنب أسعفك وايقظك أكثر من الطاعة فالكثير من الناس الخالص والمتقين كانت بدايتهم من ذنب أثار ثورة التهذيب والرجوع إلى الله تعالى.

### التائب محترم

الكل يعلم بالوجدان ولا يحتاج إلى مزيد برهان أن الثورة على النفس وتحقيق النصر فيها يعد من أعظم انجازات العبد في حياته وتعلو ثورته على أهل الظلم والطغيان فأنت بمراًى ومسمع من الشعوب التي ثارت على حكامها وأسقطتها بليالٍ حسوما فنفس هؤلاء الذين أسقطوا أكابر الظلم والطغيان وكانوا ماكثين على صدورهم سنينا طوال هل يستطيعون أن يغيروا أخلاقهم ورضائلهم في تلك المدة هل الكاذب يستطيع أن يترك كذبه وهل المغتاب يترك أكل لحم الناس وأصحاب الخير هل يقدرّوا أن يثوروا بهذه السرعة وينتقلوا للطاعة كلا وكذب من ادعى ذلك ولهذا جعلوا أهل البيت عليهم السلام معلم النفس أولى بالاحترام من معلم الغير وجعلوا جهاد النفس أعظم الجهاد ويعدل الصائم القائم.

وعليه فإن الذين قطعوا سلاسل وحبائل إبليس اللعين وخرجوا من وحل المعصية أولى بالاحترام والتقدير والتكريم من الذين اعتادوا الطاعة فلا يغتر أحدنا بنفسه وأنه من أهل الطاعة وهذا جديد على الدين فإن سحرت فرعون لما دخلوا

في الدين دخلوا وهم عمالقة الدين يملكون من اليقين ما يعجز عن وصفه الواصفون حتى قالوا له اقض فينا ما شئت من القضاء الموت التعذيب إنما قضائك الحياة الدنيا وهكذا توبة الحر الرياحي فأصبح حرا خلال لحظات وكذا توبة بشر الحافي.

أحبتني أقول للنساء المؤمنات والعلويات على نحو الخصوص من منكن زوجها فرعون يملك ما شاء الله من الذهب والفضة وعند الناس هو الرب الأعلى لا أنه ملك أو عضو في البرلمان أيام قلائل فينزل إلى موضع المعازل بل يقدر تقديسا عند الجهال لم يكن حتى لله تعالى من عامة العباد.

ومع كل ذلك زهدت به وبملكه وقالت ربي ابن لي عندك بيتا في الجنة - لا في أي مكان - هذه التي تستحق الاحترام لا من عين على الرحمان وعين على الشيطان والله كريم وغني عن العالمين فيكرم بالعين التي عليه إلى الشيطان وإنما يتقبل الله من المتقين.

ثم لينظر أهل الطاعة ووفاد المساجد هل هذا منهم أم بتوفيق الله تعالى ألا تقرأ قوله تعالى (فلولا فضل الله ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) (فلولا فضل الله ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلا).

أحبتني من لم يكن له ذنب مع الله يخزيه وعمل يرديه كلا والعظيم لجرأتنا على حب إشاعة الفحشاء أعظم من كل ذنب فقد طلب منا الانشغال بالنفس عن الغير فمن نسي نفسه في الدنيا فقد نسي في الآخرة.

وفي الختام أذكر خير الكلام من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:- وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز عنهم فكيف بالعائب الذي عاب أخا وغيره ببلواه أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به وكيف يذمه بذنب ركب مثله! فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه وأيم والله لئن لم يكن عصاه في الكبير

وعصاه في الصغير لجراته على عيب الناس أكبر (يا عبد الله) لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكشف من علم منكر عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره<sup>(١)</sup>. احفظوا هذا الخلق العظيم وتأملوه فإن فيه جواهر الحكمة وعظيم النعمة.

### الاستغفار وضده الاغترار

الاغترار:- سببه الجهل بالنفس والظن الكاذب واليقين الفاسد بالكمال واستحقاق مرتبة في المجتمع أو عند الله والحال أنها غير مستحقة ولم يكن لها وراء الوهم شيء من الحقيقة والواقعية فهو مجرد توهم وغفلة تعترى النفس. وكثيرا ما يفقد العباد بتوافه الأشياء ناسيا أنه عين الفقر والحاجة وهو وعاء لأحداث ثلاث البول والغائط والريح وبقية الأخلاط يحملها أين ما حل يا بن آدم بمن تغتر بما كنت أوله نطفة قدرة أم بما تحمله من عذرة أم بما تؤول إليه جيفة نتنة حسبك هذا.

يا بن آدم إن كنت تفتخر بالمركب الذي تركبه إذا كان مهيبا حسنا فالفخر له دونك لأنه هو الذي حمل الحسن لا أنت وإذا افتخرت بآبائك فالفضل لهم وليس لك لأنك لا تمتلك فضيلتهم إن كان هو العالم أو غير ذلك فما الذي وقع بيدك منه فرد الفضل لأصحابه وإذا افتخرت بجمالك وقوتك فحقنا عندما يذهبها إن نقبحك ونذمك لأنه ذهب عنك ما افتخرت به فكما كان لك المغنم فعليك المغرم. ونعم ما فعل أحد الفلاسفة والحكماء عندما دخل على رجل ثري مغرور احتشد بالزينة وبكثرة الأثاث الفخمة فقام والتفت يمينا ويسارا بعدما (تنحج) يريد أن يبصق ثم بصق في وجه صاحب البيت فعاتبه الحاضرون على ما فعل

فقال: - إني نظرت إلى البيت وجميع ما فيه فكل قد ملك حسنه فلم أجد أقبح من وجهه فبصقت فيه هكذا يستحق من كان خاليا من فضائل نفسه وافتخر بالخارجيات عنه واغتر بها<sup>(١)</sup>.

### طوائف المغرورين:-

من عرف ماهية الغرور وحقيقته لا يبرأ نفسه منه مهما علا نجمه وعظم مجده ولهذا إن الغرور داء دب في الجميع إلا من اجتباه الله وتولى سياسته وتربته وفي المقام نذكر جملة من تلك الطوائف:-

#### الأولى:- الأغنياء وأصحاب الثروات:-

وهم أشد الطوائف غرورا وأكثر غرورهم عند تصدقهم بالأموال على الفقراء والمساكين والأكثر من ذلك عند بناء المساجد والحسينيات والتبرع لأعمال الخير ويتعد أمرهم إلى أن ينظروا إلى العالم بأجمعه تحت رحمتهم ولولاهم لساخت الأرض بأهلها.

ولكن بالنتيجة لم يكن لهم منها حظ في الآخرة إلا الشهرة في الدنيا فيوفيهم الله حسابهم ويقول أعززتكم بها ولم أحوجكم واشتهرتم بين العباد وحققت مرادكم فما لكم عندي من نصيب فأما إعطاء الفقراء وبنائكم للمساجد فأنتم أردتم الصيت بين الناس وقد حقق لكم ذلك فخذوا أجركم منهم.

#### الثانية:- أهل العبادة والعمل:-

ينظرون للناس على أنهم ممن محق الشريعة ولا يفقهون من الدين شيء وكلهم منحرفون وفي نار جهنم فيصل بهم إلى استحقار الناس وعدم إطلاق السلام عليهم كأنهم وصلوا إلى درجة من الانقطاع لم يصل إليها نبينا محمد صلى الله عليه وآله لأنه كان يسلم على الصغير والكبير وأما هم فلا ينظرون أحدا إلا الله.

(١) بتصرف.

ويعطيهم إبليس فرصة العبادة والتنفل إلى أن يرى نفسه الكل وغيره لا يساوي شيء حتى يتناولون على العلماء لأنهم لم يبلغوا عبادتهم وكثرة أذكارهم.

#### الثالثة:- أهل العلم:-

فالعلم في أول طلبه من أكثر الأشياء داعية للغرور ولا يكون الإخلاص إلا في آخر مراحل طلبه ولهذا لزم على طالبه أن يعزم من أول الأمر ألا يفارقه حتى يحصل على الإخلاص وفيما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام اطلبوا العلم ولو لغير الله فإنه سيكون لله ويمتاز العلم عن غيره بهذه الخاصية بأن يكون علاجه معه عكس المال والسياسة فإن بزيادة الطلب يزداد المرض والله المعافي وأما العلم فبزيادته تكون العافية.

#### الرابعة:- الكتاب:-

من الذين يقعون في وحل الغرور بعض الكتاب كالمشاهير فإنهم يرون أن ما يكتبونه يعد من أفضل ما يقوم به الناس بل لا قيمة لجهود الغير ويعيرون على من لا يكتب حتى العلماء منهم أين كتب العالم الفلاني لو كان عنده علم لبان غفلوا عن أن أهل البيت عليهم السلام لم تكن لديهم تأليفات مع غزارة علمهم ويرى المغرور منهم أن كتابه منقذ الأمة من الضلال غفل عن أن كتابه وما ألفه ليس بأفضل من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل تنزيل من رب العالمين وهو في كل بيت مع كل هذا رجع المسلمون القهقرائي عن قيمهم ومبادئهم فيفرحون بجهدهم ووصل البعض من الغرور أنه يرى ما يكتبه لا نظير له في الخلق من الأولين والآخرين ولم يكتب مثله أحد.

#### الخامسة:- الأذكيا:-

فإنهم ممن يشتد عنده الغرور ولهذا يتكتلون كتلا ولا يسمحون لأحد بصحبتهم في الجامعات وغير الجامعات ويرون أنفسهم الأفضل من الغير ومن غير

المناسب مخالطة كل أحد فبتدئ عزلتهم من الجامعة إلى أن يحشره يوم القيامة وحيدا فردا شاخصا وتوقعه وحدته في الأمية التي أراد الفرار منها.

السادسة:-القادة السياسيون:-

يرون أنفسهم أوتاد الأرض وسنام الأمن والأمان ولولاهم لدكت الأرض ولذا يعطون لأنفسهم من الاعتبار ما أنزل الله بها من سلطان (سيارة مصفحة، بيت على نهر دجلة أو النيل....).

السابعة:-الوعاظ:-

ونذكر في ذلك ما جاء في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي قدس سره حيث يقول:-فمنهم من يتكلم في وعظه في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والتوكل والرضا والصبر.

ويظن أنه إذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق إليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها في الواقع ولا يحمل منها إلا قدرا يسيرا لا ينفك عنه عوام الناس ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق دون أمر آخر ومع ذلك لو أقبل الخلق على أحد من أقرانه الوعاظ وصلحوا على يديه وكان أقوى منه في الإرشاد والإصلاح لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد المترددين عليه والزائرين إليه على بعض أقرانه من الخطباء لصار هذا الزائر أبغض خلق الله إليه وذلك لأنه مدح غيره من الوعاظ.

ومنهم من كلف نفسه بالفصاحة والبلاغة... وشغف بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها طلبا للأعوان والأنصار وشوقا إلى تكثير البكاء والرقعة والتواجد والرغبات في مجلسه والتذاذا بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه وفرحا بكثرة الأصحاب... وربما لم يبال بالكذب في نقل الأخبار والآثار ظنا منه أنه أوقع في النفوس وأشد تأثيرا في رقة العوام وتواجدهم ولا ريب في أن هؤلاء شر الناس بل شياطين الأنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ومنهم من هذب أخلاقه وراقب قلبه وصفاه عن جميع الكدورات وصغرت الدنيا في عينه وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ودعته الرحمة

والشفقة على عباد الله إلى نصحهم واستخلاصهم عن أمراض المعاصي بالوعظ فلما استقل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه إلى الرأسة دعاء خفيا أخفى من ديبب النملة لا يشعر به ولم يزل ذلك في قلبه يربو وينمو حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق لتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة والشمائل وأقبل الناس إليه يعظمونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك....

فعند ذلك انتشر طبعه وارتاحت نفسه.... فوقع في أعظم لذات الدنيا بعد قطعه بأنه تارك للدنيا فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به وعلامة ثوران حب الرأسة في باطنه:- أنه لو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه.

وعليه ينبغي أن لا يشتغل أحد في النصح والوعظ إلا إذا وجد من نفسه أنه ليس له قصد سوى هدايتهم إلى الله تعالى وكان يسره غاية السرور ظهور من يعينه على إرشادهم.. وانقطع طمعه بالكلية عن ثنائهم وأموالهم واستوى عنده حمدهم وذمهم ولم يبالي بدمهم إذا كان الله يمدحه ولم يفرح بمدحهم إذا لم يقرن به مدح الله ونظر إليهم - أي إلى الناس - كما ينظر إلى من هو أعلم منه وأورع ويراه خيرا من نفسه لجهله بالخاصة ودلالة الظاهر على ذلك.

ثم يقول الشيخ قدس سره:- لو ترقى الواعظ وعلم بهذه المكيدة من الشيطان واشتغل بنفسه وترك النصح أو الغرور فيكون إعجابه بنفسه في الفرار عن الغرور غاية الغرور...! ولذلك قال الشيطان:- يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعملك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي.

ثم لو دفع عن نفسه العجب وعلم أن ذلك من الله تعالى وتوفيقه وأنه لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيقه تعالى وأنه ضعيف عاجز لا يقدر على شيء أصلا فضلا عن دفع الشيطان لحيف عليه الغرور أيضا بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا ريب أن الأمن من مكر الله خاسر مغرور.

فسبيل النجاة بعد تهذيب النفس وخلوص القصد والانقطاع عن الدنيا ولذاتها أن يرى ذلك كله من فضل الله ويكون خائفا على نفسه من سلب حاله في كل لحظة وغير آمن من مكر الله وغير غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا يحيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بمجاورة الصراط والدخول في الجنة ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع (الموت) وكان قد بقي له نفس واحد قال الشيطان:- أفلت مني يا فلان! فقال ذلك الولي:- لا، بعد.

وذلك لأنه بقي له نفس واحد فلا يطمئن العبد من إغواء الشيطان حتى تخرج روحه بالكامل انتهى كلامه رفع مقامه مع تصريف في كلامه غير محل والله المسدد للصواب.

وأني ذكرت كلام الشيخ قد الله نفسه الزكية وذلك لكي لا ابتلى بالتجاوز على مثل هذه الطبقة المحترمة وأني لست بمقام الذي يسمح له الإرشاد والنصح خصوصا لهؤلاء وكان الأجدر في المقام كلام الشيخ قدس سره والحمد لله رب العالمين.

## التخلص من الغرور

ذكرنا على نحو العجالة جملة من طوائف الغرور وفي الحقيقة لا تجد أحد من الناس إلا وهو مبتلى به ولكن غير شاعر إلا من عصمه الله تعالى بلطفه وعنايته وذكرت لك أنك لو دخلت إلى ميدان السائل - المكدي - الذي يستكدي من الناس ويمد يده إليهم لوجدت عندهم من الغرور مالا تجد عند غيره وربما تعجب من ذلك.

فيتفاخر أحدهما على الآخر أنا حصلت على كذا مبلغ وهذه المنطقة محجوزة ولا يجوز لأحد أن يقربها وأنا معروف لدى الناس والكل يعرفني من أنا وإلى غير ذلك فلهم عالم خاص مليء بالعجائب وحتى الزبال هذه المهنة الشريفة - عندي - فمع مهانتها ووضاعتها عند الناس فتجد الغرور قد دب في عرفهم.

وقبل بيان طريق التخلص منه لا بد من دفع وهم وهو أننا لما ذكرنا طوائف الغرور والمغترين وذكرنا منهم أهل العلم والوعاظ فلا يفهم أنها طوائف ملازمة للغرور وأنها منحرفة كما ربما يتوهم من هو قاصر الفهم وأنا أنزه القراء الكرام عن ذلك لكن ربما يحدث في نفس البعض و كلامي في مواضع انتشاره مع سلامة الكثير بل هم أطباء الغرور ويطلب علاجه من الوعاظ والمرشدين وأهل العلم وبفضلهم وصلنا لعلاجه والتفتنا لوجوده في أنفسنا ولكن ربما يدب عند ضعاف النفوس فيلزم علاجه ولا يحاول أحدنا التذرع بهذه الأمور وينظر إلى هؤلاء أنهم أهل غرور فيكون منه عين الغرور لأنه مغرور بأنه لا غرور له ومغرور أنه ليس منهم وكيف كان نقول في علاجه ما ذكره بعض الأعلام في علم الأخلاق مع مزيد بيان وإضافة معان.

فالغرور لما كان منشأ الجهل المركب والجهل المطبق بنواقص النفس ونسيان النفس والنظر إلى العالم بعين الاحتقار من حيث أنه يرى نفسه أكمل الأشياء في هذا العالم جره ذلك إلى الغرور فيكون التخلص بالعلم والمعرفة والفطنة وأن يعلم علما لا شوب فيه من الجهل أن القاعدة تقول من نظر إلى شيء أيا كان ذلك الشيء أنه أفضل منه فهذا مغرور وأحمق بل العاقل من رأى كل شيء أكمل منه وأفضل مهما ظهر فساده فمؤول عندها كما سوف نذكره ولهذا ما كان يرى الأنبياء لأنفسهم هذه الفضيلة.

لقد ورد عن النبي موسى كليم الله أنه طلب منه الله تعالى أن لا يأتي إلى الميقات الذي يناجي فيه الله حتى يأتيه بمخلوق بأن يكون النبي موسى عليه السلام أفضل منه ففتش عليه السلام الناس جميعا وحتى البهائم فلم يرى شيئا على أنه أفضل منه فوجد كلبا رديء جدا فأخذه ولكن أطلقه في الطريق قال:- ما يدريني أنا أفضل منه عند الله تعالى فرجع للميقات ولا شيء بصحبته!!

قال الله تعالى:- يا موسى أين ما طلبته منك؟

قال:- ربي لم أجد.

قال:- فاعلم لو جئتني بهذا الكلب على أنك أفضل منه لخلعت منك رداء النبوة أو لمحوت اسمك من ديوان النبوة<sup>(١)</sup>.

وما جاء عن الرضا عليه السلام:- لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال إلى أن ذكر العاشرة قيل له ما هي؟

قال عليه السلام:- لا يرى أحدا إلا قال هو خير مني وأتقى إنما الناس رجلا ن رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى.

فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال:- لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي

وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به<sup>(٢)</sup>....

وذكرنا إذا رأيت الكبير قل سبقتني للإسلام وللمعرفة وإذا رأيت الصغير قل سبقتك للمعاصي ولملت الله وإذا رأيت القرين فهو كما قال الإمام عليه السلام (أخ في الدين أو نظير في الخلق) وربما كان ظاهر الشر وباطنه خير.

وإن بعض الأحاديث تقول ربما حب الله العبد وأبغض عمله فليس بغض العمل ملازم لبغض العبد ثم مالي والنظر للناس وأنا أقبر وحيدا وأحاسب وحيدا وأسأل وحيدا وأحشر وحيدا مقرونا بعملتي لا مال ولا بنون ينفعني فالأولى أن أنشغل بعيبي عن عيوب الناس وكل من أنشغل بعيبه كل لسانه عن الحديث عن الغير فكلما أصلح عيبا ظهر آخر وهكذا إلى آخر العمر.

وخير الختام ذكر كلام سيد الأئمة الإمام الصادق عليه السلام:- واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله والإخبار له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى وإن كنت راضيا بما أنت فيه فما أحد أشقى بعملك منك وأضيع عمرا فأورثت حسرة يوم القيامة.

(١) بالمضمون/ عدة الداعي ونجاح الساعي ص ٢١٩..

(٢) ذكرنا الحديث بتمامه في الجزء الاول.

هذه هي الضابطة والقاعدة العامة التي ينطلق منها للتخلص من داء الغرور إضافة إلى ذكر الموت الذي فصلنا القول فيه في هذا الكتاب وكتاب معرفة المعاد<sup>(١)</sup> والله الموفق للسداد.

## المحافظة وضدها التهاون

قال الله تعالى (حافظوا على الصلوات..) وقال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون).

فالمحافظة هي تعاهد الشيء ومراقبته ومراعاته على الدوام والتيقظ على أن لا يطرأ عليه النقصان في شرط أو جزء هذا في مقام العمل وأما في مقام النفس فهو الأساس الذي يظهر عليه الواقع الخارجي والذي تؤول إليه كل اهتمامات العبد. فرعاية العهود وصيانة الصلوات وغيرها من العبادات بل وحتى المعاملات منبثق من نفس العبد فإذا تبانت على المحافظة صانت جميع أمورها وإذا تبانت على التهاون واللامبالاة قرع الدمار جميع ما يقوم به من أعمال ونشب الخراب في جميع مملكة النفس.

فإن التهاون إحدى الآفات التي إذا نشبت في مملكة النفس نخرتها ولا تبقى لفضيلة باقية وتمثل المحافظة لكل فضيلة مقام الصيانة والرعاية التي تقوم بها الإدارات الفنية والحرفية في دوائرها فمن دونها العطب أو الهلاك ومن ابتلى برذيلة التهاون فاته الورع ومن فاته الورع لا تقوى ولا فضيلة.

وتعد المحافظة حصن الفضائل جميعا وحصن الأعمال من الزوال لأن الشيء عدم عند عدم شرطه والتهاون من آثاره اللامبالاة بالشروط والقيود والتي يبلغ دور بعضها أن يمثل قوام الشيء كما في بعض شروط الصلاة ولهذا قال الله

---

(١) للكاتب نفسه.

تعالى وحافظوا على الصلوات بحفظ ما يقومها من الشرط وغيره وكذلك الحال في العهود والفروج.

### جنود التهاون:-

لا يخفى أن لكل جند من هذه الجنود عمال يقومون الجندي ولا يتفرد كل جندي بنفسه سواء جندي الجهل أم العقل وتكون تلك العمال أما من نفس الجنود التي لها دورها الخاص الواقعة في تعداد ما شرحناه أو ما يكون خارجا عن العد من الرذائل أو الفضائل التي تعد من شعب الجندي.

ففي المقام يكون الكسل والضجر والغفلة والسهو من جنود التهاون وعماله وأعوانه ولهذا يكون العمل على أضعافها يعني انهيار جندي الجهل وهو التهاون بل لا يكون تحطيمه إلا بمحاربة جنده وعماله.

### جنود المحافظة:-

الحال في المحافظة كما هو في التهاون من أن لها أعوانا وعمالا يقعون تحت سلطانها تعد العامل والعنصر المقوم لها وقوامهم وتقويمهم يمثل قوتها مثل النشاط والعزم والإرادة والثبات والصبر واحتمال الكد وعظم الهمة وغيرها ولا تضعف الصفة أو الجندي حتى تتآكل عمالها وبعضها يكون أمس بواقعها من البعض الآخر فليس كل العمال بمساس واحد وثقل فارد بل يختلف أحدهما عن الآخر في ما يشكله من أهمية.

### عصر التهاون:-

الناس جميعا يجتمعون على بعض الثوابت التي تمثل الحد الفاصل بين الحياة والممات المعنوي أو المادي وخرقها يؤدي إلى زعزعة واستقرار الحياة ولا مهناً في العيش من دونها كاحترام الله تعالى وأوليائه والخضوع للعلماء أيا كانوا وبعض الأشهر الحرم والمواضع المقدسة.

ففي المحافظة عليها تبقى الأمة مهما انتكست تمارس حياتها بشكل شبه الطبيعي ولكن في التهاون بالثوابت والذي نعانيه اليوم لا أمل في استقرار الحياة فلم يبق معلم إلا وطمسناه وما من عهد إلا وخرقناه وما من حرمة إلا وهتكناها وبالنتيجة لم يكن لله فينا شيء فيصب العذاب صبا كما ترى أصناف الدمار والخراب الذي يعم المعمورة نسأل الله العودة إلى حفظ الثوابت واحترامها.

### الأحكام الشرعية والفطرة :-

مما يلزمك العمل به المحافظة على العمل بالأحكام الشرعية والمحافظة عليها وتعاهدها علما وعملا وذلك لأن الأحكام الشرعية تعد صفحة الباطن لك والفطرة التي فطرت عليها لا تبديل لخلق الله تعالى وما يحجزك عن رغبتك في العمل بالأحكام الشرعية إلا الشهوات والشیطان فإنها بمثابة الصدأ الذي يمنع من تماس التيار الكهربائي بعضه من الآخر وإلا إذا خلى الإنسان وفطرته فلا يجد بدا من العمل بها من دون تردد فإنها جميعا تعبر عن الفطرة السليمة.

ولهذا نحن عند المخالفة لا تهجع ضمائرنا وسرائرنا وكلما كانت الفطرة سليمة كلما كان العبد أشد ألما عند المخالفة ولهذا ننصح المسلم والمؤمن أن لا يخالفوا لأجل راحتهم وسعادتهم وإبعادهم عن الاضطراب النفسي فإن المسلم المخالف للشريعة أشد ألما ولا يهدأ له بال عكس الكافر، والمؤمن أكثر ألما وهكذا كلما كان الإنسان قريبا من مساس الشريعة كلما اشتد ألمه عند المخالفة والعصيان.

وأقرب لك الفكرة بمثال ليتضح المقام أكثر، أنت تعلم أن البضائع الصناعية جميعا كالأجهزة الكهربائية وحتى السيارة دائما يصحب معها كتاب يبين مهامها وكيف التعامل معها ويذكر فيه المحاذير افعّل ولا تفعل ويذكر فيها المضار والمنافع وهذا الكتاب - الدليل - هل انشأ على وفق ما صنعت عليه البضاعة - كالسيارة - في المثال أم غير ذلك بأن يتكلم على غير تلك الصنعة المصحوب معها؟

من البديهي أنه أنشأ وفق صناعة هذه السيارة أو هذا الجهاز فهو منطبق معها تماما ومخالفته وتجاوزه يشكل خطرا كما ربما يحصل عند الكثير فيلقون بهذا الدليل

مباشرة بعد شراء الآلة وبالتالي يتعرضون إلى مخاطر بليغة فالشاهد في المقام أن الأحكام الشرعية التي هي عبارة عن الأوامر والنواهي تشكل هذا الدليل الذي يصحب مع الآلة فهي لا تتحكم بالعبد من دون ارتباط واقعي بل كما ذكرنا تمثل الأحكام واقعية الفطرة فهي الفطرة الإنسانية المحكية على لسان الحق تعالى الصانع لها.

فالذين يبتعدون عن الأحكام لا يبتعدون عنها لأنها لا تنسجم مع الفطرة التي خلقوا عليها بل لأنها تخالف الهوى الذي هو الفاصل والبرزخ بين الفطرة والأحكام وأما إذا ارتفع المانع والمسمى بالهوى الذي وضع اختبارا وامتحانا للعبد فلا تجد أي ممانعة للعمل بالأحكام.

ولهذا الكمل من الناس وأصحاب التقوى عندما يقومون بهذه الأعمال العبادية والأعمال الخيرية والتحلي بالأخلاق لا يقومون بها بداعي أمرها فحسب بل بداعي أنها حياة لهم وأن أنفسهم لا تنعش إلا بها ولو فارقوها لماتوا من ساعتهم يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:- بذكرك عاش قلبي.

قال تعالى (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون وما أريد منهم من رزق) أفترى أنه أراد منه العبادة وما خلقه إلا لها ومع كل ذلك لم يفطره عليها.

فالأنفس السليمة والقلوب القويمة تشهد هذه الحقيقة والمشكلة في الأنفس التي حكمتها الأهواء والشهوات ويستفاد أن تطبيق الأخلاق والتحلي بالفضائل والعمل بها أمر لازم للعبد لا من باب الدعوة الإلهية لها فقط وإنما لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها والنتيجة أن الخلائق في يوم القيامة عندما تزاح عنها أغشية المرية والمعاصي سوف تندم على ما فرطت في الاستجابة لدعوة الله تعالى - يا ليتني كنت ترابا - يا ليتني مت قبل هذا - يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا - يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا - إلى غير ذلك نسأل الله العمل بما أمر.

## الدعاء وضده الاستنكاف

الدعاء:- من أفضل الوسائل لنيل المسائل وهو عبادة الحق تعالى بل من أفضل العبادة يقول إمامكم أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)<sup>(١)</sup> قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء... فبين الحق تعالى أن الدعاء عبادة بل هو من أفضلها كما ذكره عليه السلام وإن المستكبر عنه سيدخل جهنم ذليلاً.

وما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يسأل ويطلب ما عنده وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده وهو من أفضل الوسائل لربط العبد بربه لأنه حديث معه تعالى وعقد تجارة مربحة بل هو المؤانسة التي يأنس بها العرفاء.

ولهذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:- وفي مناجاتك برد لوعتي، يا نعيمي وجنتي يا دنياي وآخرتي، ولما سئل الباقر عليه السلام عن كثرة القراءة أفضل أم كثرة الدعاء قال عليه السلام:- كثرة الدعاء أفضل وقرأ (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) وذكرت في كتاب آداب الدعاء أن المفاضلة المسؤول عنها بين الكثيرين لا بين أصل القرآتين حتى يلزم التهاون في قراءة القرآن.

والدعاء كهف الإجابة وشفاء من كل داء وهو أنفذ من سنان الحديد ويرد البلاء ولو أبرم إبراهيم وما أحوجنا إليه في زماننا هذا.

والبلاء في كل يوم معلق كالقنديل فإن دعا العبد دفع عنه وإلا صب عليه صبا فيا غفلتنا عما يصلح ديننا وديانا فاللازم في كل يوم ألا يغفل العبد عن الدعاء لحماية نفسه وأن يسأل الله العافية من البلاء.

ولعل هذا البلاء الذي لا يردّه إلا الدعاء يشير إلى حقيقة مهمة قد ذكرناها في بعض بحوثنا الأصولية وهو أن الواجبات تنزّلها إلى المكلف بعدة طرق منها أن يقول المولى هذا واجب فعله ولا يجوز لك تركه.

ومنها:- لا يصرح الوجوب وصيغته بل يتوعد عليه بما يجعل المكلف ملتزماً به لعدم تحمله الوعيد.

كما هو الحال في الدعاء فإننا لا نجد من يقول بوجوبه لعدم التصريح بذلك ولكن لما ترى من حيث ترتب دفع البلاء عليه وذم الحق لمن استتكف عن الدعاء وإن تارك الدعاء استكباراً يدخل جهنم داخراً.

كما ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام في صحيفته قال:- وقلت أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فسميت دعائك عبادة وتركه استكباراً وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين.

بل يعد الدعاء من أروع الصور التي تنعكس عن رحمة الحق وأخلاقه وصفاته اتجاه عباده فالكل يميل دعاء الناس وطلبهم وإلحاحهم ولكن الله تعالى يعاتب عبده إذا لم يسأله ويحبه إذا سأله ويعطيه في كل مسألة عطائين الأول ما طلبه من حاجة والثاني ثواب الدعاء ولا يقابل دعوته لنا واستجابتنا له بدعائنا إليه ولو ناظر دعوتنا بدعوته لما استجيب لنا.

ولهذا يقول الإمام عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي رحمه الله الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت سري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي.

مقالة السيد السبزواري قدس سره في الدعاء:-

لا ريب أن أقوى مراتب سلوك السالكين إلى الله جل عظمته وأهم مقامات سيرهم وسفرهم إنما هو السفر من الخلق إلى الحق بالحق أي التوجه التام بحيث ينقطع عما سواه وهو السير في الحق بالحق وهو السفر الروحاني يصح أن يعبر عنه

أنه سفر من المحدود من كل جهة إلى غير المحدود من جميع الجهات.. وهذا السفر وهذه الرحمة والعطف من المحدود من كل جهة إلى غير المحدود من جميع الجهات وهذه الرحمة والعطف يتحققان في حقيقة الدعاء... وقال أيضا لذا كان الأنبياء والأوصياء والعلماء العارفين بالله يواظبون عليه أشد مواظبة في جميع أحوالهم حالا ومقالا<sup>(١)</sup>.

### منافع الدعاء:-

- ما عرفته من أنه أفضل العبادة وهو منحها.
- فوزك بمزية تقديم الدعاء على البلاء فإذا كان هناك بلاء مقدر دفعه عنك وأنت لا تعلم.
- إذا أكثرت الدعاء صار صوتك معروفا في السماء فلا يجب عند احتياجك إليه.
- تنال دعوة النبي صلى الله عليه وآله - رحم الله عبدا طلب من الله.
- تنال رضا الله تعالى وتحقق إرادته لأن الكريم يحب من يأكل من موائده ويجعل من يقوم بذلك متفضلا عليه على عكس البخيل اللئيم والله تعالى يحب أن يسأل ويحب سائله فتتال محبته تعالى.
- إن تكرر الدعاء يوجب لك المغفرة مع عظيم العصيان فبعض الذنوب لا تغفر بأول الدعاء والمرة والمرتين فإذا كثر دعاؤه غفر له البتة.
- الداعي متأسى ومقتدى بأهل البيت عليهم السلام وفي صدارتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال الصادق عليه السلام فيه:- كان رجلا دعاء.
- اطلعك على المعارف الإسلامية والعلوم الربانية والدروس الأخلاقية التي حوتها أدعية أهل البيت عليهم السلام ففي أدعيتهم عليهم السلام علوم

واسعة النطاق ومنها نعرف مقاماتهم وما خفي علينا من سرهم وحقيقة الإيمان الذي نبتغيه.

- معرفة مخاطبة الحق تعالى في الأسلوب الفني والعلمي والأدبي والأخلاقي ففي أدعيتهم ثروة لنا ومن لم يطلع عليها محروم ومغبون بل سوف يبكي دما لشدة حسرته يوم القيامة جراء ما فرط في هذا الجانب.

- يجد أسمى المعارف في توحيده مالا يجده في موضع آخر.  
- رياضة اللسان على الكلام الحسن واللفظ المستقيم المنطبق مع قواعد الشريعة.

- النجاة من هلكات الآخرة ففي بعض الأحاديث يقسم الناس إلى أقسام الأنبياء فقد جبلوا على نبوتهم، والمؤمنون على إيمانهم، ومنهم متذبذبون إذا دعوا نجوا وإذا أدركهم الموت غافلين هلكوا فبالدعاء ينجو الكثير من الهلكات وقد ذكر أمير المؤمنين عيه السلام لا ينجوا في مثل زماننا هذا إلا من يدعو بدعاء الغريق. ومن اراد المزيد فليراجع كتابنا (آداب الدعاء) فإنه كافٍ.

## النشاط وضده الكسل

الكسل:- من اخطر الأمراض على الدين والدنيا معا فالكسول لا دين ولا خلق لأنها لا تأتي إلا لأهل النشاط وعده (الكسول) الله من المنافقين فلا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى وتفشيه ظاهرة سلبية بل له مدلول على انهيار المجتمع وأنه لينحى العبد عن العبودية ويدعو للذل والهوان وشبابنا اليوم يعانون من هذا المرض الذي ساعدت على نشره الفضائيات ووسائل الإعلام.

فالشباب لا يتزوج والمتزوج لا ينفق على زوجته وعياله وذلك لأنني لست موظفا وما لدي من عمل وكأن الرزق الإلهي بنص رباني سماوي لا يأتي إلا عن طريق الوظيفة وإن آباءنا كلهم كانوا موظفين وأصحاب قيادات وسيادات.

فالشاب جالس في البيت متدمرا عبارة عن بؤرة من الهموم والغموم والمشاكل والأهواء ماذا تريد لماذا لا تخرج للبحث عن العمل يقول أريد وظيفة فهذه تفاهات تدل على سخف العقل عند أمثال هؤلاء فلو تصفحت بلاد العالم ما وجدت هذه النظرة القاصرة فالكل يعمل بنشاط ليل نهار.

وإن الدولة إذا قامت في توظيف الجميع فهناك قطاعات تمثل العمود الفقري لها وليست من الوظائف ولا شأن لها بها كالتقطاع الزراعي والحرفي والكثير الكثير فهذا يضعف كاهل الدولة تماما.

التاجر ليس موظفا بل أنشأته التجارة وقومه العمل ومحاربة الكسل إذاً كل هذا سببه ضعف الهمة وانتشار الكسل في أوساطنا الاجتماعية.

### الكسل آفة الدين والدنيا: -

اعلم أن الله أعطى لعباده منازلًا ومراتبًا دنيوية وآخروية أي منزلة في الدين والدنيا ولما يحول بين المرء وحظه ومرتبته يلقي باللائمة على الخالق جل وعلا علوا كبيرا.

ولا يعلم أن الله أعطاه ولكن هو الذي حرم نفسه بالكسل والتواني فبالإمكان أن يكون ذا شهادة أو عالما ولكن لما غلب عليه الكسل وضعف الهمة لم ينل حظه الذي منحه الله تعالى.

وبالإمكان أن نقول لا ينال ما قسم الله إلا الأولياء الذين حتى في النوم تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم اغتتموا فرصة العمر الثمين وعلموا أنها رأس مال الإنسان وإن قصرُوا في هذه الفترة والفسحة الزمنية فإن هذا التقصير سوف يعود عليهم بالويلات.

وورد في روايات أهل البيت عليهم السلام ما يدل على الحق:- قال أمير المؤمنين عليه السلام:- الكسل يفسد الآخرة<sup>(١)</sup> وفي حديث:- آفة النجاح الكسل<sup>(٢)</sup>.

وعن الباقر عليه السلام:- الكسل يضر بالدين والدنيا<sup>(٣)</sup>، وعنه عليه السلام:- إني لأبغض الرجل أن يكون كسلانا عن أمر دنياه ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن آخرته أكسل<sup>(٤)</sup>، أي بمعنى لا تجد من كسل عن دنياه نشيط في آخرته فهو مرض يضربهما معا وعلى حد سواء.

وعن الصادق عليه السلام:- عدو العمل الكسل<sup>(٥)</sup>، وعنه عليه السلام:- إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة<sup>(٦)</sup>.

فعلا هذا هو الواقع الناس في عاداتها تتذمر لماذا فلان عنده مال وأنا لا أملك، لماذا فلان عنده بيت وأنا لا أملك ما هو الفرق وبماذا هو أفضل مني؟ أقول:- أنت تريد الثروة والمال والبيت مع وقوفك في الطرقات والصفق بالأسواق ومع انشغالك بالمكالمات الهاتفية التي تهتك بها المحارم.

وأما الذي يطلب العز والثروة ساهر الليل منشغل في النهار يكاد تكون الرحمة به أولى من الفقير الذي لا يعمل قسماً بالله ان من يحسد التاجر لا عقل له ولا إنصاف فإن أمثال هؤلاء الحق أن يرحموا فقد انشغلوا عن الدنيا والآخرة فلم يتمتعوا لا بالأموال ولا بالأولاد ولا بالأزواج ولهذا العقلاء لا يحسدون أحدا وخصوصا أمثال هؤلاء.

(١) مستدرک الوسائل ج ١٣ ص ٤٥.

(٢) غرر الحكم ص ٢٨٠.

(٣) تحف العقول ص ٣٠٠.

(٤) الكافي ج ٥ ص ٨٥.

(٥) علل الشرائع ج ١ ص ١١٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤٠٩.

## تولد الكسل:-

يتولد الكسل من ضعف الهمة وانعدام العزم والتواني يقول أمير المؤمنين عليه السلام: - من التواني يتولد الكسل. ولهذا يقول ضادوه بالعزم ولا تأخروا العمل فإنه عنوان الكسل وإذا أخذ منكم مأخذه وأضعتموه ضيعتم الحقوق<sup>(١)</sup>.  
ومما يولد الكسل مصاحبة الناس الكسالى الذين لا همة لهم في الحياة فأمثال هؤلاء آفة الدين والدنيا ويؤثرون في الشباب تأثيرا مباشرا ولهم في المجتمع جرح واضح حتى أنهم يدعون الشباب إلى تلك الخصلة القبيحة بطريق وآخر ويغلب على طابعهم الضجر حيث تعرض عليهم الأعمال الحرة ذات المبالغ الطائلة ولكنهم مع ذلك يفضلون العيش الدنيء على العيش الرغيد من غير دافع ديني فالحذر منهم واجب والابتعاد عنهم لازم فإن الطبع سراق حتى أنك تجدهم كتلا في الشوارع والأزقة ينظرون إلى النساء وحديثهم الغيبة والبهتان لأن الغيبة حديث العاجز الكسلان.

## هو الذي أفقر نفسه:-

ليعلم أن الكثير من الناس الفقراء ليس بفقراء حقيقيين ممن اختبر الله بهم عباده وإنما هم الذين أفقروا أنفسهم بالكسل، والحق إن أكثر الأثرياء قد كانوا فقراء ولكن بالعزم والإرادة والسعي رزقهم الله تعالى فإن الله يمد حتى الكافر العاصي فما بالك بالمطيع.

وقد ورد أن الكافر لو جد لأعطاه الله ما يريد وهذه حقيقة شاهدة للعيان ولا تحتاج إلى برهان حيث نلاحظ أن الدول الغربية فيها بعض العوائل تنشأ مصنعا ومعملا في البيت ويقتاتون منه وأما نحن فأسأل عنهم المقاهي والمتنزهات والانترنت.

---

(١) بالمضمون.

### الكسل يجلب الهم:-

النفس بفطرتها تروم السباق في الحياة وتعطي لكل زمان ما يستحقه من الدور وهذا تجده في الطفل فهو يولد مكافحا حتى يزحف ومن ثم يمشي وكل مراحلهم يقوم بها بعزم وإرادة ونشاط وهمة عالية ولهذا استطاع العلماء أن يعطوا أدوارا للطفل بحسب الأزمنة ولكن بعدما يكبر الإنسان يتعد عن دعوة الفطرة فيتأخر عن نموه الحقيقي فلا يعطي لكل زمن ما يستحقه من الدور. وهنا أود الإشارة بل أريد أن أذكر عسى أن تنفع الذكرى إن كل من يتأخر عن إعطاء الأزمان ما يجب أن تعطى من أدوار سوف يقع في أمور تبقى أذيتها إلى آخر العمر.

- منها:- أنه يتبلى بالهم والغم والحزن ولذا تجد أن أكثر الهموم عند من يقصر بالأعمال ومثل هؤلاء لا طيب للعيش عندهم.

- ومنها:- أنه يصاب بمرض نفسي في مرحلة اللاشعور فتفرز عليه من السلبيات ما لا يحصى حتى الذين يتأخرون في الدراسات وعن مراحلهم فإنهم يصابون بما ذكرت ولكن لا يشعرون ويبدأ عندهم الحسد لمن ساوى ظرفه الزمني بالدور ويتلون بضعف الهمة.

- ومنها:- يصابون بالندم في آخر العمر مما يعد أشد العذاب عليهم بخلاف من عمل وجد واجتهد ولم يفوت فرص العمر وقد قيل لأحد العلماء لو جاءك الموت غدا ماذا كنت فاعلاً؟ قال:- لا أفعل شيئاً سوى ما كنت أفعله في كل يوم من حياتي أي أنني أعطي للزمن ما يستحق.

### النشاط يصلح مملكة النفس:-

اعلم أن العبد لا يصلح من مملكة نفسه شيء ما لم يكن نشيطاً ولهذا تجد الرذائل تحل في الأنفس الكسولة فالمتكاسل لا يصلح رذيلة واحدة في حياته.

قصة فيها عبرة:-

يذكر أن رجلا كان ينظف في الشوارع فيزيل النجاسات والنفايات منها وكان هذا الرجل يتحدث مع نفسه على الدوام يقول لها ترضين بهذا وإلا وضعتك بما هو أنجس؟ ويعيد هذه العبارة على الدوام فسمعه رجل واستغرب مما يسمع فسأله في يوم ما الذي هو أنجس مما تقوم بإزالته والحال أنك ترى القذارة التي أنت فيها قال له الرجل:- الأنجس هو سؤال الناس والحاجة إليهم فما أحصله الآن بعرق جيبني ولا فضل لأحد علي!! صدق أمير المؤمنين عليه السلام:- السؤال ذل ولو من أين الطريق.

العمل يعطي القيمة للمال:-

الغالب على ورثة الأغنياء يضيعون أموال آبائهم وسبب ذلك يعود لأنهم لم يقابلوها بالمهج بل جاءتهم من غير تعب والدرهم الذي لم يكن قبالة قطرة من الدم لا قيمة له عند المرء ولهذا السراق لا يباليون بما يصرفون من أموال وأما من يكسبه من حل وبجهد يخرج على مريض وأريد أن اذكر لك كلمة أتمنى حفظها من قبلك وهي أن معانات العالم كلها من الدينار المكتسب من دون جهد ومن غير حله وكل ما يمول هذه القواعد الارهابية هو الدينار غير المقابل بجهد وإلا فمن يبيع داره وقوته لصنع أسلحة الدمار الشامل؟!.

وينقل أن رجلا ثريا طلب من ولده أن يعمل أي عمل في غير تجارة والده وأوجب عليه الإتيان بالمال في كل يوم من عرق جبينه فوافق الابن امتثالا لأمر أبيه ولكن ينظر إلى نفسه لا يستطيع العمل حيث أن العمل يحتاج إلى رجل قوي وهذا مترف ناعم اليدين بارق الخدين فذهب إلى والدته وقص عليها القصة فقالت له:- اذهب أنت في كل يوم اقض وقتك في أي مكان وأنا أعطيك المال في كل يوم فوجد أن هذا حلا جيدا.

ففي كل يوم يذهب ويقضي وقته إلى الوقت الذي تأتي به الناس للبيوت فيأخذ المال من أمه خفية عن أبيه ويعطيه له فيقوم الأب برمي المال أمام نظر ولده

في البالوعة والولد لا يتكلم بشيء غير أنه يرى أباه يرمي بما يعطيه من مال وهكذا استمر الحال.

إلى أن وصل الأمر أنه نفذ ما عند الأم فقالت لولدها:- اليوم لا بد من العمل فليس شيء عندي حتى أعطيه فذهب في ذلك اليوم بمرارة واشتغل بيديه عملا شاقا وأخذ الأجرة فلما وصل إلى الدار رمى بنفسه من شدة التعب وفي هذا الحين جاء أبوه كالعادة يسأله عن الأجرة التي تقاضاها فأعطاه لوالده وتوسل إليه بأن لا يرميها في البالوعة

قال له أبوه:- أنا أفعل هذا في كل يوم فما هو الفرق؟

قال له:- هذا بدم قلبي يا أبه!!

حينها قال له الأب:- أعرفت قيمة المال الذي يتعب فيه فأنت تحرص على دينار مبلغ قليل كل هذا الحرص لأنك جئت به عن جهد فكيف تريد أن أعطيك ثروة دفعت قبال جمعها حياتي وراحتي فأردت من ذلك أن تستشعر قيمة المال الذي يأتيك من أبيك.

## الفرح وضده الحزن

الحزن:- غمامة تعم مملكة النفس مسببة عن الهم والغم وأشد ما يوجع القلب فلا تجد ما يوحش مملكته كالحزن نعوذ بالله تعالى منه إلا ما كان طاعة لله تعالى.

فالْحَزَنُ يشل حركة النفس العلمية والفكرية ويعصف بنشاطها ويحطم هممها ويجعلها وضيعة ويقاعس القلب عن أهدافه المعنوية والمادية وبهذا كان جنديا من جنود الجهل بل هو شر الجنود يعدم المذاق وينحسر صاحبه السباق وتكون له أسباب منها تقع بالمباشرة وأخرى بالواسطة:-

- كالذنوب الكثيرة فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله:- إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها.

- منها الهموم والغموم المسببة عن أمور يطول علينا شرحها ومعالجتها.  
- ومنها دنو الشيطان من العبد عن أبي عبد الرحمن قال:- قلت لأبي عبد الله عليه السلام:- إني ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد؟  
قال عليه السلام:- أنه ليس من أحد إلا ومعه ملك وشيطان فإذا كان فرحه كان من دنو الملك منه فإذا كان حزنه كان من دنو الشيطان منه وذلك قول الله تبارك وتعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم).

نعم في هذه الآية المباركة نكات تنفع معرفتها في إيجاد السعادة والفرح وتوقى العبد من ايعازات الشيطان التي تحدث الحزن والكل مبتلى بهذه الخصلة الشيطانية والأغنياء أشد ابتلاء من الفقراء الذين وطئوا أنفسهم على الفقر ومنازعتهم ومنازلته فتجد أحدهم يملك ما شاء الله من المليارات ومع كل هذا في نفسه من الرعب الذي يداخله من خوف الفقر ما لا يداخل الفقير الذي لا يملك قوت يومه.

فبماذا تفسر هذه الحالة التي تعم جميع الأغنياء إلا الأوحدي منهم أليس من إيحاء الشيطان الذي يعدهم الفقر ويكثر عليهم طرق الأعواز ويجعل في قلوبهم الرهبة من ضعف الحال المادي وهذا الكلام مني ليس تهكما ولا تحكما بل عن واقع منكشف يجده اللبيب فالبعض يملك رأس مال نصف مليار كل هذا ويقول أين أضعها وبماذا أعيش وماذا أنفق على عيالي التي لا تتجاوز الأربع.

وكذلك يقول للشباب مقالا عظيما ويعد عليهم الأمر جسيما فأكثر ما يقع في حباله هم الشباب إذا فكروا بالزواج جاءهم بأفكار ما لا يمكن عدها وإحصاؤه.  
إذا تزوجت سوف تكون لديك مسؤولية لا تقدر على القيام بهذا ماذا تقول لزوجتك في اليوم الذي ليس عندك مصرف للعيال ألا تستحي وأنت رجل المرأة في هذا الزمان تريد كل شيء فلا تستعجل، نساء اليوم تحتاج إلى سيارة فخمة

وبيت كبير واسع مع أن الله تعالى لم يبن بيته على هذا الأساس الذي بنى بيوتنا عليه بل كان بيتا بسيطا تحوطه الجبال الوعرة والحشرات والوحوش من كل مكان وهو خالق السموات والأرض.

ولا يجعل في ذهن الشاب عبرة ولا حكمة إلا أدحضها لهم وجعلها مزيفة في نظره إلى أن يصحر به حتى يكبر وإذا كبر الشاب قلت رغبته وازداد انزعاجه وخوفه من الزواج إلى أن يفوت عليه فرصة الإنجاب المبكر ولذة الحياة الشبابة فيوقعه بالحسرة والندم ولا علاج لهما ولا تدارك بعد فوات العمر فليس كل شيء يتدارك فيكون عمره خمسين سنة والآن عنده طفلة صغيرة أو طفل صغير.

كل هذا من تعقيد الشيطان نسأل الله أن يعصمنا وذريتنا وأهالينا منه بمحمد وآله ولا يشركه في حياتنا بشيء بمحمد وآله.

### الفرح جندي من جنود العقل:-

ذكرت الروايات أن أشد عقوبة للقلب هو الحزن وأفضل هدية السرور وبالسرور تقام الهمم ويحصل العزم وتوفر المؤن للنجاح فالأمر عكس الحزن تماما.

وذكرنا في بحث السعادة ما يمكن أن يكون أهلا له وأفضل أسبابه هو الرغبة بما عند الله والعزوف عما في أيدي الناس حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:- الرغبة بما عند الله تورث الروح والراحة والرغبة في الدنيا تورث الهم والحزن<sup>(١)</sup>.

بالإضافة إلى جنوح العبد للواقع الذي يعيشه ولا ينظر إلى العالم بصورة خيالية لا تمت للواقع بشيء ويوطن نفسه على البلاء فإن من وطن نفسه على البلاء لا يحزن كما مر في الروايات.

(١) ارشاد القلوب (للدليمي) ج ١ ص ١٩.

وبالإضافة إلى ذلك مما يبعث على السرور مساعدة الأيتام وقضاء حوائجهم فمن أراد السرور فليطعم الأيتام ومن العوامل الباعثة على السرور ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: - ثلاثة تحييها - أي النفس - كلام العلماء ولقاء الأصدقاء....

وقد ورد في ذلك مجموعة روايات من أراد السرور فليلقى أصدقاءه من الذين لم يخالفوا الحق لا أولاد المغيرة بن شعبه!!

### أقبح فرح: -

المؤمنون الذين يريدون أن يجاوروا الله في دار قدسه ويدخلون في جنته لا بد أن يعلموا علما يقينيا بأن الله لا يخدع عن جنته فليرقبوا فرحهم في حال كبوة المؤمنين منهم وفي حال وقوعهم في مكروه فيتظاهر أحدهم بالألم والأسف ويضرب على فخذه جزعا عليه ولكن لما تأتي إلى قلبه انفتح لما سمع وفرح بما قرع وهذا من خبث السريرة ولهذا لا بد أن لا يفرحوا في أذى أحد ولو كان كافرا هذا ما تعلمناه من أئمتنا عليهم السلام وعلمائنا رضوان الله تعالى عليهم فإن محب الشر للناس أشد من الشر والذي يفرح في عثرة المؤمن لا بد أن يراجع حساباته جيدا ويفزع لإصلاحها فلا تتظاهر بالألم عليه والحال أن القلب عليه مسحة من الفرح جراء ما وقع في المؤمن فلا بد من الالتفات لفرح القلوب بأنه منعكس عن فرح الله تعالى.

وأكثر الابتلاء عندما يقع الأذى بمن أذاك وأملك فإن فرحت فلا سبيل للإيمان إليك ولا طمع بجنة الله تعالى فإن الله لا يخدع عن جنته وجعلت للطيبين - أفهم ذلك فإنه مهم جدا ولا تفرط به والله المعين.

## الألفة وضدها الفرقة

الفرقة:- آفة المجتمع والعوائل وما حلت في قوم أو أسرة إلا وأذاقتهم الذل والهوان ونظرا لعاقبتها ومخلفاتها السلبية تعين ذمها ومحاربتها بأي شكل كان فإن عواقبها أن تضعف القوتين المعنوية والمادية معا.

فأما المادية فأنت تعلم بأن قتال العشرة ليس كالواحد مع اجتماع عدتهم وتوحيد كلمتهم وأما المعنوية:- فحيث الاجتماع والكثرة يضيفي الثقة بعضهم للبعض الآخر ويعزز أمل النصر وتظافر الأفكار للانتصار فإن هذا يكون له دور كبير في إيجاد قوة لا توجد في الفرد الواحد.

ولذا أنت تجد في قول موسى عليه السلام ودعائه حيث طلب من الله أن يبعث معه أخاه هارون ما ينعشك (ابعث معي أخي هارون أشدد به أزري).

وليس من نبي ولا قائد إلا وجهز من الرجال الخالص الذين لا يألون جهدا في مؤازرته وأنت تجد الألفة والالتحام يحدث أثرا في النصر والحدائة ولو في اتحاد القلة ما لا يحدثه شعب كامل مع الفرقة.

فالإسلام ملاً المعمورة بعدد من الرجال كانت لهم روح واحدة وأجساد متعددة ولبسوا العز والكرامة وأذاقوا أعدائهم الذل والهوان مثل سلمان وعمار والمقداد وأبي ذر عليهم الرحمة....

واليوم رجعت الجاهلية وصار المسلمون عبيدا تتصرف فيهم نسوة الأعداء مع كثرتهم وذلك لأنهم اجتمعوا على الفرقة وتفرقوا عن الجماعة دب فيهم داء الأمم الذي خاف منه رسول الله صلى الله عليه وآله الكبر وطول الأمل ونسيان الآخرة فإن هذه الصفات هي التي تحدث الفرقة لا الأسباب المزيفة التي تلتلق بها الألسن (لأجل كذا اعتزلت عن فلان) فإن إمامك أمير المؤمنين عليه السلام يقول:- لم تفرقكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر أي لا مذكرتم من الاسباب.

والطامة الكبرى التي تعصف بالمجتمع هي الفرقة بين الآباء والأبناء حيث تجد انعدام الألفة ولا يطيق الابن أباه؛ أيم والله أن الإنسان عم شره حتى

الحيوانات ففي بعض الأحاديث أن الحيوانات كلها كانت مجتمعمة ولا يقهر أحدها الآخر إذ الشاه مع الذئب ولكن تعلموا الفرقة والعداء من الإنسان ولهذا يقال - أنها تعود الى الالفه في عصر العدالة بعد ظهور الحق وزهوق الباطل - أي بعدما يزهق الباطل من السرائر ويمكث فيها الحق.

### العلم والتفرقة: -

معلوم لدينا أن العلم خير كله لكن إذا كان خير كله فلماذا يتفرق الناس بعد العلم فترى الأصحاب مجتمعمة عند دخولها الجامعات والحوزات ولكن بعدما كل منها يتعلم حرفا من الحروف الأبجدية صار لا يألف صاحبه وقرينه وذكر القرآن هذا الطبع السيئ والخلق المذموم ماقتا له قال تعالى (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وأما بعد الحصول على الاختصاصات فحدث ولا حرج فيما ترى من الفرقة.

والحق أن العلم لا يدعو لذلك لكن الحقيقة تكمن في هذه النظرية التي لا يعرفها العامة وهي أن أول طلب العلم جهل ورياء وتكبر وإشراك وشراك ووسطه اعتدال وآخره إخلاص ولما كان الغالب على المتعلمين البقاء في مرحلة البدء بقوا في وحل السيئات التي تلتصق في طالب العلم أما لو واصل الطلب ووصل إلى مقولة ابن سينا الذي حاز العلوم كلها - أي وصلت من العلم أي لا أعلم شيئا وآخر مقولة أنشتاين الذي هو من أجل علماء الرياضيات والطبيعات حيث قال:- إن الإنسان بعد توغله في الفيزياء الحديثة يستطيع أن يدعي بأنه اطلع على الحروف الأبجدية لكتاب الطبيعة لا أكثر، ومقولة شيخنا الفاضل أحمد الوائلي لما كان عند السيد الخوئي والسيد الإمام روح الله الخميني قدس سره حيث قال:- رأيت أي بينهما كالنملة بين جبلين.

لأحدث العلم في نفسه الإخلاص وحقيقة العلم فإن العالم ذروة علمه وثمرته أن يصل إلى مرحلة يرى نفسه أنه لا يعلم شيئا وكل العلماء عادة يصلون إلى هذه الحقيقة.

## يد الله فوق أيديهم: -

ليعلم الذين يحدثون الفرقة والتزعومات والتحزبات ويعملون على تمزيق المجتمع أن الله تعالى واضع يده مع الجماعة فقد ورد عن النبي الأكرم نبينا محمد صلى الله عليه وآله أنه قال مخاطبا الناس جميعا: - أيها الناس عليكم بالجماعة وفي مقام آخر يد الله مع الجماعة وفي حديث من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وليس يده مع الذين يمزقون المجتمع بما أراد الله فيه جمع الناس كال تقليد وغيره فجعلوا منه فتنة الدين والدنيا والله ما أمرنا إلا أن نتبع الدعاة والهداة فشددنا على أنفسنا فشدد الله علينا كما أن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ما هكذا أراد الله أن نكون ولا الأئمة عليهم السلام ولا رجوا منا ذلك تعالى الله علوا كبيرا.

## أنواع الألفة: -

توجد في المجتمعات أنواع كثيرة من الألفة وليست نوعا واحدا كما ربما يتوهم ذلك: -

- بل هناك الألفة بين الأغنياء فتجد تآلفهم وترابطهم فيما بينهم إلى حد يظهر للناس أنك قد دخلت مملكة لها أنظمتها وقوانينها ولغتها فلهم دستور خاص وعالم منفرد.

- وهناك ألفة الفقراء وعندهم يختلف الأمر ولا يضارع حال الأغنياء إلا أن لغتهم واحدة ومفاهيمهم كثيرا ما تتوحد كذلك.

- وهناك ألفة الأخيار ولهم ما ذكر وألفة الفساق والمنحرفين ويصل الحد أن التآلف بعرضه العريض لا يمكن استقصاؤه.

وما يهمنا في المقام أن هذا التآلف وبهذا الشكل مذموم شرعا وعقلا حيث أن العاقل يجد من السلبيات ما يجعله ماقتا لهذه التآلفات وذلك لأنها تعد منطلقا للطبقية والعنصرية والحمية التي يدمها الجميع مع وقوع بعضهم في بركتها تنته

لأنها تجر المجتمع إلى الويلات والتأخر في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية وذلك لما ذكرناه أن الناس مهما اختلفوا فإنهم في مركب واحد وسفينة واحدة فإذا إذا شذ أحدهم أو جن وخرق السفينة أغرق الجميع.

فإن طبقة الأغنياء لا تتحقق سعادتها وتبلغ منشودها من دون الطبقات الأخرى فإنها تحتاج إلى الأيدي العاملة الآمنة وفي مجالات أخرى لا يتسنى لها القيام بها من دون طبقة الفقراء حتى القادة فإن جل جندهم من فقراء الناس والمعوزين منهم وكذلك الخطر الأضر أن هذه الطبقات المستعيلة بالسلطان أو المال لا تأمن على نفسها من الطبقات السفلى ما لم يحدث عندهم توازن ويعرف لهم جهدا ويعطوا من المال و يمنحوا التوظيف وإطفاء نائرة غضبهم بالتآلف معهم.

ولهذا تجد أن الفقير في الشارع واجدا على الغني الذي يقوم بكل حركاته ضمن واقعه التكبري نزوله من السيارة صعوده و سياقته وسيره في الشارع وتحيته وشرائه لما يحتاجه والبعض منهم يشتري ما لا يحتاجه كل ذلك مباحة للناس.

فلذا تتشكل العصابات الناقمة على هذه الطبقات مما تجعلهم يعطون لحماية أنفسهم أموالا أكثر من مساعدتهم بالخمس أو الصدقات أو غير ذلك فمن الصعب جدا استقصاء مساوئ الطبقة والألفة غير المشروعة عقلا وشرعا وحتى الأخيار فإن الأئمة وجهوا إليهم نداء في غاية البلاغة ولم يرضوا منهم الطبقة التي تفسح المجال للفساد فإنهم بانعزالهم سوف يكون هناك فرصة لإبليس اللعين استغلال ضعف الإيمان ولهذا وجهوا أهل البيت عليهم السلام كلماتهم في غاية البلاغة.

منها:- ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله:- الناس صنفان إما لك في الدين وإما نظير لك في الخلق<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة او تحف العقول ص ١٢٧.

ومنها:- ما دار بين خادم الإمام أبي عبد الله عليه السلام من حديث كان خادمه في الحيرة لقضاء حاجة ما يقول لما عدت من الحيرة إذ أقبل أبو عبد الله عليه السلام ليسألني عما بعثني إليه... ثم سألني بعد حاجته عن قوم .

فقلت له:- جعلت فداك أنا براء منهم إنهم لا يقولون ما نقول.

فقال عليه السلام:- يتولونا ولا يقولون ما تقولوا تبرؤون منهم؟!

قال:- قلت نعم.

قال عليه السلام:- فهو إذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم.

قال:- لا جعلت فداك.

قال عليه السلام:- وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أترأه أطرحنا؟

قال:- قلت لا والله جعلت فداك ما نفعل؟

قال عليه السلام:- فتولوهم ولا تبرؤوا منهم إن من المسلمين من له سهم

ومنهم من له سهمان....<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية وأمثالها اجعلها دستوراً في حياتك العملية وحجة على أحبنا الذين يعلنون البراءة من أصحابهم لأتفه الأمور لأنه يقلد عالم غير ما يقلده أو لأنه لا يتفق معه في رأي أو لم يزوج ابنته ومنهم من يحل دمه بذلك أي شيعة هؤلاء وأي محبين وموالين لأهل البيت عليهم السلام.

فهذه هي الثوابت التي يجب حفظها والعمل بها لا ما تقوم به اليوم من الأعمال التي تجعل أهل البيت في بعد عنا وتسلط علينا العذاب الأكبر لكي نظهر من هذه الذنوب العظام.

إذا صلى أحدنا ركعتين في المسجد وقرأ جزء من القرآن صار يرى الناس جميعاً عصاة جهلاء وفي ضلال والله ما هذه نظرة أهل البيت عليهم السلام فينا ولا بالذي يرجونه.

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٩ باب درجات الإيمان.

ففي مقام آخر يقول عليه السلام موجها كلامه لشيعته ومواليه: ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض وبعضهم أكثر صلاة من بعض وبعضهم أنفذ بصرا من بعض وهي الدرجات<sup>(١)</sup>.

الجدير أن تبرأ من فعلك ووهمك وسريرتك وتكبرك وأنانيتك وتقول ربي حلت بي هذه الصفات وأنا بينهن ضعيف مغلوب غلبتني الشهوة والنعرات فأعفو عني وخلصني فأنا بها لست راض.

لا أن تجنح لها فتتغذى على هذه الأفعال وإذا أنت في يوم ترى العلماء جهلاء والعباد في ضلال والمصلحين مفسدين نعم فإن بداية الإلحاد نقطة يتهاون بها العبد وبداية الفسق كذلك من نقاط يهون أمرها عند عامة الناس فأصل الأشواك حبوب صغيرة والنيران أعواد الثقب.

### أنواع الحب:-

تنقسم باعتبار منشأها وسببها وتبعاً للمقاصد التي تكون مختلفة بحسب العادة:-

- فأما يكون سببها اللذة:- فهي ما تنعقد سريعاً وتنحل سريعاً وذلك تبعاً لسببها الذي هو سريع الفناء والانقضاء ولكونها متغيرة وأكثر ما تكون في صداقة الأحداث والشباب فيتصادقون سريعاً ويتقاطعون كذلك وكمحبة الأزواج في زمان ذهبت منه المعنويات فقبل الزواج عاشق مفرط في المحبة وبعدها يفكر في الطلاق وإذا كانت اللذة هي الرابط يعد من أخطر الروابط وأنجسها في حق تلك الحياة القويمية ولهذا الأفضل أن يركز كل منهما على المعنويات فإن المرأة مهما كان جمالها إذا ألف وأعتاد عليه ذهبت لذته.

- وإما أن يكون سببها المنافع فهي تنعقد بطيئاً وتنحل سريعاً تبعاً لتحقيق المنافع ولهذا لزم أن تكون محبة الله مجردة عن المنافع كما جردوها أهل البيت

(١) المصدر نفسه السابق ص ٧٢.

عليهم السلام كقول علي عليه السلام:- ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك. وفي مقام لو أدخلتني النار لأعلمتهم أنني أحبك، فتكون هذه صداقة الكبار فبقائها بقاء المنفعة.

- وأما المحبة التي سببها الخير تتعقد سريعا وتنحل بطيئا وحيث أن الخير ثابت لا يتغير فالمحبة عادة تبقى أكثر من كل محبة.

- محبة العقلاء والإيمان فإنها باقية بقاء العقل والإيمان ولذا قد يصحبك شخص مدة ثم يراك قبيحا في نظره وذلك لتغير أحوال الإيمان عنده.

- وأما محبة الحمقى فإن الحمق لا مودة لهم فمن حبك لحمقه يبيحك بحمقه بأبخس الأثمان.

وتكون الألفة من دون المحبة وربما احتاجت إليها وأرقى ما تكون الألفة مع المحبة فأنها أقر لعين المؤلف ومن دون المحبة أصعب من حمل الحجر.

وذكرنا أن المحبة للجميع العاصي والمطيع فراجع ما ذكرناه من حياة لقمان عليه السلام ومنهجية أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع عامة الناس فلا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق إنما نحن بشر يصدر منا الزلل ويكثر فينا العلل ويتصرف في حياتنا الملل والله الموفق للسداد نسأله لنا ولكم الفوز في الدنيا ويوم المعاد إنه كريم جواد.

## السخاء وضده البخل

السخاء:- ملكة الانفاق على إطلاقه وبكل متعلقاته فيمثل جميع أصناف الكرم والجلود كبذل المال والجاه والأنفس والإنصاف والإقالة وترك الخصومة وتنازله عن حقه مع القدرة على أخذه والتغاضي عن الحقوق المستحقة عند الكرام ويقع البخل ضدا وندا له.

وقد ورد في مدح السخاء من القرآن قوله تعالى (وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر بالإنفاق ومن الروايات.

عن الوشاء قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:- السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والسخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من أغصانها دخل الجنة<sup>(٣)</sup>.

أقول:-

ذكرنا أن البعض الذي لا يألف ولا يؤلف يغادر الحياة من دون أثر ولا خبر فلا ينفع ولا ينتفع به حتى أن الحيوان الذي لم يحظ بمنفعته إذا مات انتفع الناس بعضوية عظامه والإنسان يقبر فقد لا ينفع الأرض بشيء فإذا كان العبد منعزلا تمام الانعزال ومتوحدا ويعيش في عالم وحده فما هو المبتغى من خلقه أترى أن الله خلقه لهذا الغرض أن يأكل كما تأكل الحيوانات ولا يعطي أقل منفعتها ما هكذا المعروف بل جعل الله الإنسان خليفة في الأرض ليخلف عليها الاعمار والازدهار والانبجبار في حال الانكسار.

فالسخي في تعامله بالجود والكرم والبذل يكون قد اتصل بطبقات المجتمع جميعا الفقير منهم والغني وصار عضوا يعاني ما يعانون ويتغذى ما يتغذون وأما البخيل فهو كالعضو المشلول يتحرك عكس حركة الجسم عالة على الجسم من دون منفعة ومما يستغرب أن الكثير منهم مع ما يمر به العالم من مجاعة إذا سألته شيئا لإعطاء الفقير قال لك لا أرى فقيرا إلا هؤلاء وهؤلاء كذابون لا مصداقية

(١) سورة التغابن / آية ١٦.

(٢) سورة الانسان / آية ٩.

(٣) عيون اخبار الرضا (ع) ج ٢ ص ١٢.

لهم والبعض من متدينيهم إذا خمسوا أموالهم لم يخرجوها عن حوزتهم ودوائرهم حيث وزعها على ولده وبناته مع ما دار حوله وعلم أن أمره يخصه مع وظائفهم التي تدر عليهم الأرزاق والمبالغ الكبيرة.

فليسمعوا البخلاء جميعا كلام أبي عبد الله عليه السلام الذي هو إمام للأسخياء ولا يصح أن نجعله إماما للبخلاء، شاب سخي مرهق في الذنوب أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل.

### أغرب ما سمعت في حق البخيل:-

لقد قرأت الكثير عن البخيل في روايات أهل البيت عليهم السلام وقرأت رواية أثارت استغرابي مفادها أن النظر إلى البخيل يقسي القلب فبمجرد النظر إليه تجد قلبك قاسيا فكيف بمعاشرته ومجالسته على الدوام ويرى البعض أن مجالسته لبضع دقائق أشد من وضع الحجر على الصدر وهذا ليس مبالغة بل بالوجدان والعيان تجد هناك فرقا بين جلوسك عند السخي مما تجده من انشراح وارتياح وبين أن تجلس عند البخيل وتدخل داره فتشعر نفسك في غاية الضيق والحرج فإن لهؤلاء تأثيرا روحيا يكون سلبيا فعندما تنظر للمتكبر ماذا يداخلك من رؤيته وعندما تنظر لوجه العالم الرحيم ماذا يداخلك عند رؤيته فهذه الأمور وأمثالها شاهدة للعيان ولا تحتاج مزيد برهان.

### البخل:-

اعلم أن البخل شين الرجال ويزري بصاحبه ويجعله في شر حال ويضعف الحججة والمقال وهو فقر فر منه ووقع فيه وتعجل عليه ينتج البغضاء ويجعل صاحبه ذليلا ومكسبة للعار وملوم عند الأئمة الأطهار حيث أنه عندهم أذم الأخلاق واعلم أنه مجلبة لسخط الله وما من عبد منع درهما في حلال إلا انفق أضعافه في حرام وعلى أناس لؤام في عمل يؤخذ به يوم القيامة بالنواصي والأقدام ولقد شهدنا الكثير من ذلك.

نجد أن العبد يبخل على المستحق للمال فما أن يغادر إلا وبذل أضعافه في ما لا يجب ولا يرضى ويمنع ١٠٠ ألف دينار ويضيع المليار بين ليلة ونهار وبذلك قد كسب العار.

وصاحب البخل دنيء مجانب للكرام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ منه على الخصوص في كل صباح ومساء وأهل البيت عليهم السلام كذلك لقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون) وبمفهوم المخالفة أن الذين لا يتقون شح أنفسهم لا يفلحون وكانوا يرون أهل البيت عليهم السلام أضر شيء في دين المسلم هو البخل.

### البخل لا ربط له بكثرة المال:-

قد يعتقد البعض أن السخاء لا يكون إلا مع المال وكثرته وهذا اشتباه وخطأ في الفهم لأن الصفات التي يتصف بها العبد تختلف عن متعلقاتها وآثارها من حيث المكث في نفس الإنسان فرب معط للمال غير سخي ورب خال عنه متصف بالسخاء فالإنسان يصف بالكرم مع فقدته للمال فالصفة غير المتعلق وإن كان قد تنشأ منه كما في الشجاع فسواء قتل واحداً أو أكثر أو أقل أو لم يقتل أحداً فهو شجاع.

بالإضافة إلى ذلك ما ذكرناه وتعاهدناه من أخذ مفهوم السخاء بعرضه العريض الشامل لكل عطاء مادي ومعنوي.

### لولا أهل السخاء لساخت الأرض بأهل البخل:-

بعض الناس يعيشون بنعم غيرهم وتحت ظلهم وعطائهم ومع كل ذلك يعرضونهم إلى المقت والاهانة كالذي كان يطعمه الإمام زين العابدين عليه السلام في كل ليلة وهو يسب الإمام عليه السلام يقول له أنت تذكرني وعلي ابن الحسين لا يذكرني بشيء من العطاء.

وهذا أمر مفروغ عنه لأن المؤمن مكفور العمل وعمله يصعد إلى السماء ولا تعلم به أهل الأرض والكافر مشهور العمل لأن عمله محجوب عن السماء وحظ صاحبه مدح أهل الأرض.

فالיום تنعم الناس جميعا حتى الدول العربية بنعمة التغير التي يعزوها إلى الشعب العراقي العظيم ونسوا أن الشعب في أعلى طبقاته ما كان يفقه معنى كلمة (دستور) فالفضل لمن تفوه وحرص على أقامتها وتثقيف الناس عليها والذي يهمني في المقام أن الأغنياء وأصحاب الأموال والأثرياء لولا الأسخياء منهم أو من غيرهم لما آمنوا على أنفسهم من طبقة الفقراء فإن الجوع والفقر كفر لا يجتمع معه إيمان عند الكثير من الناس.

فالأسخياء يمثلون جهاز أمان لكل المجتمع وأنا أتكلم بهذا عن دراية لا عن رواية فإن الأسخياء ربوا جيلا على عطائهم وصدقاتهم المفروضة وغير المفروضة. والذي شهدته يدخل الفقير الحي بكامله ويترك الأبواب جميعا ويقابل بالرد ويقال له اذهب لفلان فإنه لا يرد أحدا فحي بكامله لا تجد فيه سخي يطعم الجائع.

فالذي يفرط بالفقير المحتاج مع قدرته على الإنفاق لا تجد أحقق منه فإن إمامك أمير المؤمنين يقول للإمام الحسن عليهما السلام في وصيته:- إذا وجدت من أهل الفاقة - الحاجة - من يحمل زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في غناك يجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم إن أمامك عقبة كؤودا أي صعبة.

فتجد في كلامه ما يفتضح به الذي يحضرون الفقير ويزهدون به ويدفعونه إلى شخص عرف بالكرم والعطاء فيفوتون فرصة العمر عليهم حيث يوجه كلامه للإمام الحسن عليه السلام المعصوم من الذنب الذي تقر له السموات والأرض بالتقى ويقول له اغتنم الفقير إذا سألك واستقرضك وحمله ما استطعت فر بما

يأتيك يوم عند الموت وغيره فتطلبه فلا تجده وهذا الفقير الذي يزهد به الناس وتعطيه أنت سوف يرد عليك ما أعطيته بوافر عطاء الآخرة يوم الحاجة ويوم العسر ويوم العقبات.

### لمن خلقت الجنة:-

عن الباقر عليه السلام قال:- قال رسول الله صلى الله عليه وآله:- الجنة دار الأسخياء<sup>(١)</sup> وعن النبي صلى الله عليه وآله أيضا قال:- لما خلق الله الجنة قالت لمن خلقتني؟

قال:- لكل سخي تقي  
قالت:- رضيت يا رب<sup>(٢)</sup>.

### اعلم أيها البخيل:-

يكفي في ذمك أنك محبوب من قبل إبليس ومن أحبه إبليس فهو شريك شيطان ولا يحبك إلا إذا واددته برذيلة ففي يوم سأله عيسى عليه السلام:- من أحب الخلق إليك؟

قال:- مؤمن بخيل

قال:- فمن أبغض إليك؟

قال:- فاسق سخي أخاف أن يغفر له بسخائه<sup>(٣)</sup>.

أي بمعنى أنه لم يحب المؤمن البخيل إلا لأنه يعلم لا محالة سوف يهوي في جهنم مع إيمانه ببخله.

---

(١) جامع الاخبار (للشعيري) ص ١١٢.

(٢) ارشاد القلوب (للديلمى) ج ١ ص ١٣٨.

(٣) مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٢٥٨.

وإن السخي مهما فسق سوف يهديه سخاؤه إلى المغفرة ويوفقه إلى الجنة وقد  
عرفت أن السخي قريب من الله والجنة.

### سخاء السامري:-

روي أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام:- أن لا تقتل السامري فإنه  
سخي. إذا فكم يجب الله السخاء ويبغض البخل أعاذنا الله وإياكم منه بمحمد  
وآله.

### كلمة توجيهية:-

نحن اليوم ينعم الله علينا برواتب وأموال كثيرة يبلغ قيمة الراتب مليون  
دينار فما فوق ومع كل ذلك نحن نعاني ما يعاينه الفقير.

فالكل يشتكي ولم تنقطع منا الشكوى وأخذت عدوة الشكوى تنتشر حتى  
عند أصحاب المليارات وذلك بسبب الثروة وذهاب البركة التي عدتها الروايات  
من علامات آخر الزمان الذي تكثر فيه الأموال وتذهب بركتها فصار أحدنا  
كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا.

ولذا أقول لأحبتني لو أن أحدكم أعال بهذا المال يتيما وأدخل عليه السرور  
بتعاهده النفقة في كل شهر حتى يشتد بمبلغ زهيد من هذا المال الذي سوف يسألك  
الله عنه غدا ونقدا كي لا تبلى بحسرة يوم القيامة وينخفض عندك نسبة الندم  
ذلك يوم التغابن حيث يبكي به الإنسان دما وقيحا على ما فرط من أعمال الخير  
فإن بين العبد وبين الجنة مائتا ألف هول أهونهن الموت وتسعون ألف ضربة  
بالسيف أهون من جذبة من جذبات الموت فمن لهذه الشدائد هل نعد لها الغفلة  
في النهار والجيفة بالليل؟

ولهذا أقول لكم أن كفالة اليتيم بمبلغ من المال يوسر به الله الحال في يوم  
تهد له الجبال ويصحب به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأذكر لك حديثا من  
غرر الأحاديث لا يعرض عنه ويزهد به إلا من سخف عقله يقول فيه النبي صلى  
الله عليه وآله:- من كفل يتيما وكفل نفقته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين

إصبعيه المسبحة والوسطى أي كما نعبر في كلامنا - كتف على كتف - لشدة الالتصاق.

ويقول صلى الله عليه وآله:- أن اليتيم إذا بكى اهتز له العرش فيقول الرب تبارك وتعالى من هذا الذي أبكى عبدي سلبته أبويه في صغره؟ فوعزتي وجلالي لا يسكته أحد إلا أوجبت له الجنة وفي حديث آخر من أرضاه بشطر كلمة أدخلته الجنة.

على أن يكرم الأيتام إكراما من غير جزاء ولا شكورا من دون مقايضة الأرامل على شيء ذكره يندى له الجبين فإن أمثال هؤلاء ليسوا من أهل البيت عليهم السلام بشيء فإنهم عليهم السلام - يقولون في عطائهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكور - يعلمون مواليهم وشيعتهم ذلك ومن يقايض الأرامل فلا حظ له إلا ما هوت نفسه إليه.

ومن كانت عنده إنسانية ومرؤة يقول لنفسه أنا بلغ راتبي الشهري مليون أو مليونين ولم استطع مواكبة الحياة فكيف بمن لا يدخله شيء ولا راتب له فما كان يضره لو اخرج خمس المال أو عشره يوجد في ماله البركة والله الموفق للسداد إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

## الانفصال الذاتي

من خلال هذه المسيرة التضادية بين العقل والجهل وبين جنوديهما ظهر لنا معنى الانفصال الذاتي بين العاقل والجاهل وإن انفصالهما انفصالا ذاتيا وليس انفصالا عرضيا فلا تجذمة ارتباط سوى ما أخذه الله تعالى على العاقل من تحمل الجاهل ومداراته تصحيحا لسياسته وانتظام سيره وعليه تبقى معاناة العاقل في رفقة الجاهل أبدية لعدم الانسجام الروحي بينهما وعدم اقتراب عالمهما من الآخر فيبقى حسد الجاهل للعالم وتجثره عليه وأذاه للأبد وهذا ما وقع فعلا في سيرة الحياة ولكل من العاقل والجاهل معاناته.

فأما معاناة العاقل فلعلمه بعاقبة الأمور ومستحقاتها ومعرفة الحق الذي يجب أن يكون وحسرتة على فواته وأذاه من الجاهل وتجربته عليه فكم عانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجهال الذين عاشوا معه ومنهم كان في منزله وتلقى من أذيتهم ما لا يعلمه إلا الله وهكذا النبي نوح ونبي الله لوط وغيرهم عليهم آلاف التحية والسلام وبعبارة جامعة لم يكن للعاقل أذى إلا من الجاهل هذا هو بلاؤه في الدنيا.

وأما معاناة الجاهل فهي الحوادث التي تحدث له من سوء سياسته وتدبيره بالإضافة إلى وحشته من نفسه في الدنيا وفي الآخرة فحرمانه الحظ الأوفى مهما عمل من الصالحات.

#### اطلاع أحدهما على الآخر:-

العاقل لما ابتدأت مسيرته من ساحة العدم والجهل وانتقل في مسيرته إلى عالم العقل والنور أدرك الظلمات وحقيقتها وعاش نور العقل ونعمته نمو مطلع على عالم الجاهل تماماً وأما الجاهل فلا يدرك العاقل ولا يلوح له نوره أبداً لأنه لم يكن إلا جاهلاً فهو ليس كالعاقل عاش العالمين معا فكان جاهلاً ومن ثم صار عالماً وأما الجاهل فليس كذلك بل باق في بركة جهله ولم ير سواها جعلنا الله وإياكم من العقلاء وأتمها علينا بعبادته وطاعته.

### **قلوبنا قبور الحقائق**

اليوم ينعم الإسلام في الشعارات والعناوين البراقة في الدين ولا ترضى منك الناس إلا بالمدح والثناء ولا يقبل أحدهم أن تذكر له حقيقة ما هو عليه من المعصية والتأخر المعنوي وحقيقة عمله وما سوف يلاقه في الآخرة جراء ما يقوم به من أفعال ولهذا تأثير سلبي وأن العلماء والصلحاء وسيرة الأتقياء تشهد أن سبب وصولهم إلى رفيع الدرجات هو أنهم لا يداهنون أنفسهم على الباطل وعندهم الشجاعة لمواجهة النفس وأشخاصها أمام الواقع وعرضها على مسيرة أهل البيت

عليهم السلام وعدم الاكتراث بالمدح بل كانوا يقولون احتوا التراب بوجه من يمدحكم ويحذرون الناس من أهل المدح والملق ويتواصون بالحق دوما ويتهادون بذكر العيوب ويفرحون بذلك عكسنا تماما.

ولما رأى العلماء والصلحاء ذلك كتموا الحقيقة الدينية وصاروا يرضون بأقل ما يمكن لاقتضاء المصلحة فأصبحت قلوبهم قبورا للحقائق ومدفنا من غير معلم فلا يظهرون لأحد حقيقة ما هو عليه فصار البنطلون حجابا إسلاميا والتهريج دفاعا دينيا وإلى ما لا يعد ولا يحصى فكفىء الإسلام بما فيه وكما بدأ غريبا من غير مؤنس كذلك عاد فلم يجد قلبا يقبله ويسلم به تسليما ويأوي إليه فكلما جاء المدعي الدين والإسلام وجدته يأمن ببعض ويكفر ببعض وما لا تهواه نفسه يرفضه فسد الأبواب بوجهه وعليه أن الذي يريد النجاة لابد له من أن يعرض نفسه دوما وفي كل يوم على أحاديث وثوابت أهل البيت عليهم السلام وكلماتهم ويوزن نفسه بها وأما إذا لم يكن ذلك فقد أخذ دينه من قرينه والله العاصم.

### بلاء الناس من اثنين:-

أود الفات النظر في آخر المطاف لتتم وتعم الفائدة هو أن الناس اليوم صب عليها البلاء من أمرين قد أشرت لهما فيما سبق:- :-

- أولهما:- كثرة النعم وعدم وجود ما يوازها من الشكر ويعد هذا ذنب عظيم ولهذا يعرضها الله للزوال بين الحين والآخر فنحن اليوم ننعلم بنعم لم ينعم بها السلف ولا حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كان أحدهم لا يملك شق تمره ومع كل هذا بنوا صرح الإسلام على رؤوسهم وأما نحن اليوم حزننا ليس على عدم وجود القوت بل لكون بيوتنا ليست كبيت النمرود وفرعون وقارون ولأننا لم نركب البراق وأصبح أحدنا - كالنار - هل امتلئتي تقول هل من مزيد.

- والأمر الثاني:- وجود العلم وعدم التطبيق فالعلم إذا لم يعمل به فإنه يكون بلاء مستحكماً واليوم ننعمة بهذه النعمة التي لم يحفل بها آباؤنا من قبل أيضاً وبلا فائدة فأحدنا يسمع ألف محاضرة أخلاقية ولكن لا يطبق ويعمل وهذا يجلب لنا الويلات من الله تعالى فالعلم يهتف بالعمل فإن أجيب وإلا ارتحل وإذا ارتحل حكم الجهل وإذا حكم الجهل فعلى الحياة السلام.

ولهذا أقول أن ما ذكرته في هذه الأوراق رسالة عملية المطلوب هو العمل بها بتوفيق الله تعالى ومنه وليست موضوعة لحشو الكلام في أدبية الخاصة والعوام أسأل الله أن ينعم علينا جميعاً بالعمل إنه حميد مجيد.

### حدود وظائف العقل

في هذه الوقفة نبين نقطة هامة في حياة الإنسان خصوصاً طلاب المعارف منهم وتعد من أهم مقدمات العقائد فطالب العقائد والذي يدرس المعارف الإلهية لا يجد بدا من معرفة هذه الفقرة التي تداركناها في بحثنا عن العقل وجنده وهي أنك قد مر عليك من أن العقل يمثل دعامة الدين وأساسه ومن دونه كمن يبني على الماء من دون مبالغة في الأمر وأعطيناه دوراً هاماً لا يدانيه شيء في الحياة فمن دونه يبطل الغرض من البعثة فلولا العقول لما بعث الله الأنبياء وإلا فلا خطاب ولا تكليف وأقرب لك مثال:- فلو قامت شركة الهاتف النقال بنصب الأبراج وبثت شبكتها قبل وجود هاتف عند أحد من الناس وقبل صناعته فلو قامت بالبت طوال الدهر ما كان يجدي وبلا منفعة فلا أحد ينتفع من عطائها وفيضها.

هكذا العقول فأت بالعقل أدركت أحقية النبوة ولزوم التوحيد وأن هناك ربا يجب أن يعبد ويطاع فدور العقل إذا لا يدانيه دور ولكن لا يخفى عليك أن العقل له حد يقف عنده بل حدود كثيرة ولا يخطو خطوة واحدة في ميدانها كما في الأحكام فإن مناطاتها وملاكاتهما لاحظ للعقل فيها بل يقف أمامها موقف الأذلاء

عليه أن يدعن ويسلم ويتعبد بها ولا تخضع معرفته وتخرصاته وبهذا الوحل وقعوا أصحاب القياس فخسروا الآخرة إن كانوا ربحوا الدنيا وذلك الخسران المبين.

وكذلك المعارف الواردة في القرآن كالعرش والكرسي واللوح فإننا وإن قلنا هناك حظ من المعرفة لكن حقائقها وماهيتها وكيفيةها موكول علمها إلى الله تعالى.

أضف إلى ذلك الذات المقدسة وصفاته فإننا مأمورون من قبل الله تعالى وأهل العصمة بالوقوف عند هذا الحد وإن خضنا في بعض المعرفة في صفاته تعالى لكن حقائقها وواقعيتها أجل من أن تنالها العقول (فعجزت العقول عن إدراك جمالك وجلالك) والكثير الكثير من ذلك فلا بد أن يعلم الإنسان جيدا أن للعقل حدوداً لا بد أن لا يتجاوزها ويلزم عليه معرفتها كي لا يتورط في الشبهات كما انزلت الكثير من المغرورين في ذلك والله العاصم لنا ولكم من الزلل.

## إيجاد الداعي

الله جل وعلا لم يخاطب عباده بشيء من الخطابات إلا وأوجد الداعي في أنفسهم فيضع في العبد جهازا لاستلام خطباته كي يبادل العبد بالاستجابة ومن دون هذا الداعي المفروض وجوده في العبد المخاطب لا معنى للخطاب ويصح تشبيه الحال بالذي تتصل به هاتفيا وهو غالق للهاتف الذي عنده.

فالحق خاطب العباد بعدما وضع فيهم العقول ولهذا لا يكون العبد مخاطبا بالتكاليف إلا بعد وجود العقل ومقوماته فالعقل جهاز يضعه الحق تعالى يستلم خطباته وإرشاداته والعقل يمثل هرم الدواعي وأساسها وإلا فالدواعي متعددة وأكثر من أن تحصى فما من تكليف كلف الله به العبد إلا وبه داعي خاص بعد الداعي العام - وهو العقل - فلما دعا الله تعالى إلى الزواج وكره العزوبة فهنا في هذا الطلب الإلهي يوجد داعيان في نفس المكلف الداعي العام وهو العقل الذي يدرك هذا الخطاب على نحو من الأنحاء وداعي خاص وهو الرغبة والشهوة ولا يكفي أحدهما دون الآخر فمن انعدمت عنده دواعي الشهوية لا ينتفع من الداعي

العام وهو العقل فالدواعي إذا متعددة وهي سابقة على الخطاب ولا يمكن الخطاب إلا بعد وجود الداعي في المكلف فالمصلح والواعظ والمرشد لا بد أن يعمل على إيجاد الداعي في أنفـس المجتمع كي يسمع خطابه وإرشاداته وتستقبل معلوماته وما لم يكن هناك داعي فلا ثمرة وأذكر حادثة كان لي أخ في الدراسة الحوزوية أرسلته لمكان لكي يعظ من فيه فلما ذهب إليهم وأرشدهم وجد استجابة بليغة وترحيب وحفاوة فلما سألته قال:- لم يكن الأمر كما توقعت؟

فاني وجدت في هذه المنطقة استجابة قيمة

قلت حينها:- اعلم أن هذه الاستجابة كانت لك بعدما حركنا في أنفسهم الدواعي وقلنا في أنفسهم قولاً بليغاً وإلا لو دخلت كما دخلنا لأصابك اليأس. وهكذا الحال في تربية الأطفال لا بد للأم وللأب أن يوجدوا الداعي في نفس الولد ومن ثم الخطاب فلو علم الولد خطر العقوق الديني والآخرى جيداً حتى تعقله كان ذلك داعياً للاستجابة لأوامرك.

وأفضل الدواعي تنمية العقل بمملكته فإن العمل في بنائه وإن كان شاقاً لكن يكون أكثر تأثيراً ولهذا اعتمده الحق تعالى في العبد مع إيجاد أسباب أخرى كالفقر والحاجة والمرض فإنها كلها تمثل أجهزة لاستلام خطابات الحق فبالنتيجة أن الإنسان لا يتحرك بحركة ولا يستجيب لأمر ولا يقوم بفعل إلا بعد وجود الداعي فلا يتاجر ولا يخاطر ولا يستمع ولا يطيع إلا بدواعي موجودة في داخله تمثل جهاز استلام وهذا الموضوع هام جداً ومن يتعمق به يجد مغامراً والله الموفق للسداد.

## أفضل الدواعي

لا بأس أن نبين أن الدواعي ليست على نسق واحد ومقياس فارد بل تختلف من حيث الأفضلية فبعضها يكون مقرباً لله تعالى أكثر من بعض فكون الداعي لاستجابة أمر الله تعالى هو الحب الإلهي الذي ملأ قلب العبد يختلف فيما لو كان الدافع هو الشهوة والرغبة بالجنة فإن مثل هذا لم يخرج من حيوانيته بعد

وكذلك الخائف فإن كان الداعي هو الخوف فإنه وإن دعا إليه الحق تعالى ولكن الحق تعالى إرادته أن يكون الداعي هو الحب الإلهي ليس إرادته بأن يكون الداعي هو الخوف أو غير ذلك.

وهكذا الأعمال التي تقوم بها فتارة تقوم بها لأجل الثواب وأخرى أمانا لك من العقاب وثالثة تقوم بها لأجل أن الله يحبها فبالوجدان تجد اختلافا بين هذه الدواعي.

## العقل والعاطفة

كان للعقل دور في بناء الحياتين الدنيا والآخرة حسبما فهمت وعرفت جيدا مما ذكرناه أو غيره فإن للعاطفة الدور كذلك ولا يمكن تجاهل دور العاطفة ومعنى تجاهلها الخروج عن كمال العقل ومنطقه وإن الذين لا يتعاطفون مع الغير لا يتعاطفون حتى مع أنفسهم فيوردوها المهالك كما يردون أعدائهم على حد سواء بل أكثر وللكلام بيان لا يسع لنا المجال لذكره.

فالعاطفة تعد لبنة أساسية في بناء كل شيء في هذا الكون ولا يمكن لنا أن نلغي دورها في بناء صرح الحياة ولهذا فهي تشاطر العقل على الدوام في بناء الحياتين إلا أن المشكلة تظهر فيما لو غلبناها على منطق العقل فإن تغليبها على منطق العقل معناه تحطيم الأسس التربوية والتعليمية وانهيار الأنظمة ولا يبقى نسيج اجتماعي عكس مما تتصور من أن العاطفة لو غلبت يطيب العيش ويسعد الناس فهذه شبهة.

فإن غلبة العاطفة على العقل تكون مشكلة كما ذكرت أما لو غلبتها على منطق القسوة، والشر، الغلظة، والشدة نعم سوف يكون ما خطر بذهنك وارتكز. فإن الأجواء العاطفية مهمة خصوصا في زمننا الحاضر الذي غلبت به القسوة على جميع طباعنا فصرنا نعتادها وكأنها شيء لم يكن فيه قباحة قط.

وبالخلافاً فإن العقل لو غلب على الجميع فإنه لا مشكلة لأنه سوف يدعو إليها ويرعاها وينظمها ويجعلها في مسارها الصحيح فلا يعارضها بشيء بل يقومها بالشكل الصحيح.

ولا بد لك من أن تعرف أن العاطفة لها حدود خاصة لا يمكن أن تتجاوزها ويغلب في هذه الحدود المرسومة منطق العقل مثلاً الأحكام الشرعية بعض منها لا تنسجم مع منطق العاطفة لأنها تتعارض مع العواطف لكن أي عواطف العواطف غير الصحيحة التي لا تنسجم مع ديمومة الحياة والمصالح العامة التي ابنت عليها الأحكام فيعترض على الحكم الشرعي منطلقاً من العاطفة هذا خطأ لا ينبغي أن يصدر من مسلم قط أو يتعاطف البعض في عدم تربية أبنائه ومراقبة تحركاتهم والتالي تجربته عاطفته إلى خسارتهم دينياً وأخروياً فيهلكوا بين يديه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً والكثير الكثير يتعاطف مع أسرته أو مجتمعه ويضيع مستقبله أو مستقبل من يعول في مثل هذه الموارد وغيرها.

يجب أن يعرض عن عواطفه وأن يغلب منطق العقل وما يقتضيه الواقع فأنت بعاطفتك تلزم نفسك المكث في البيت مع أولادك ولكن منطق العقل يقول لك إن طلب العلم والرزق يقتضي مفارقتهم لكي تتم سعادتك وسعادتهم. فقد تقتضي العاطفة أن تبقى أولادك في البيت معك وتنفق عليهم حتى لو كبروا ولكن هذا يجعلهم أسراء ولا يقوم أحدهم مستقبلاً حتى بإعالة نفسه فيصبح شخصاً ضعيفاً فلا بد من تفعيل منطق العقل الذي تعمل به حتى البهائم وهو ترويض أولادهم ومن ثم تركهم لكي يبنوا حياتهم ويصطادوا بأنفسهم ولهذا لا تجد شخصاً ناجحاً في حياته إلا وتحمل مصارعة قوة العاطفة في نفسه.

نعم لا يخفى عليك أن الجوانب التي تغلب فيها منطق العقل ولا تتعارض مع العاطفة بحسب ما يراه الرائي فإنها بحسب الواقع مستبنة للعاطفة بل هي عين العاطفة فإن إخضاعك للمحروق لسلخ جلده وإدماؤه مع علو صراخه فهذا وإن رأيناه بلباس القسوة ولكن في الواقع هو مستبطن للعاطفة وهو حقيقة العاطفة

ولهذا يعد المجامل لك على أهوائك - مشتهايتك - والتي فيها هلاكك مغر ومداهن لك ومذموم بلسان الشرع والعقل معا ثم أن المرأة لما غلب في طبعها جانب العاطفة كي تنحو في وظيفتها المنحى الصحيح خيف عليها في بعض الوظائف التي لا تنسجم مع غلبة العاطفة كما في القضاء أو في بعض الميادين الطبية كما في إجراء العمليات فإن المرأة وإن وثقت بنفسها وأعملت فكرها وعلمها الذي لا شك لنا فيه ولكن سرعان ما تنفجر عاطفتها فتؤدي إلى انهيار قواها الفكرية فيبقى عامل العاطفة يمثل خطرا عليها في تلك الميادين وإن كان قد تحسن في بعض منها أفضل من الرجل إلا أنها مع ذلك ما دامت العاطفة التي هي أمر ضروري لها ولا يمكن لها الاستغناء عنها لمحببتها إليها ولولا وجود العاطفة في المرأة لفسدت الحياة وهذه ليست مقولة جزافية بل لها واقعها فلولا العاطفة لم تعد المرأة إلى الإنجاب وتتحمل أعباء الحمل التي هي عبارة عن اجتماع أمراض خطيرة وليست مرضا واحدا كارتفاع ضغط الدم والدوالي والبواسير وارتفاع معدل اليوريا في الجسم والسكر وحلول الحالات النفسية بكاملها كالانفعال السريع وتقلب الأمزجة وارتخاء عضلات المثانة إلى أن تصل إلى نقطة الصفر وهي الموت بعينه وصاحب الأمر أدري به مني فلولا العاطفة لما تغافلت عن كل ذلك بعد الحمل ولهذا ذكر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كلاما قيما يقول في مضمونه:- أن الدنيا لو كانت بيد العقلاء لحزبت ولولا الجهلاء لما عمرت وفي مقام آخر يقول فيه لو أن الأموال بيد العقلاء لما تواتوا الجهلاء ولكن جعلها الله بيد الجهلاء فياخذوها العقلاء منهم بالعقل وهذا الكلام منه عليه السلام مع قصره يحمل معان قيمة قد يصعب على عامة الناس فهمه ويلزمنا بيان وقد يخرجنا عن محل الكلام الذي وضعت من أجله الرسالة وما أردناه هو أن الالتفات لهذه المباحث والعمل بها يجعل الإنسان سويا مستقيما وأما إذا أتقن كل شيء وفاته جزء بسيط فسوف يقف به مركبه ولا يعبر إلى الضفة التي أراد العبور إليها.

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا الله تعالى حيث يريد وأن لا يحكمنا هوى أو شيطان وأن لا يبتلينا بذنوب أو عصيان إنه الحنان المنان وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

## تخدير النهضة الإصلاحية في النفس

هناك أمور كثيرة تلعب دورا كبيرا في تأخير النمو الأخلاقي في الإنسان فيترك الإنسان نفسه من دون إصلاح وتهذيب لأجل ذرائع ما أنزل الله بها من سلطان فيبقى الإنسان على إساءة خلقه وذلك أما أنا محسود فيخفق في حق أمه أو زوجته أو والده ويبرر ذلك بالحسد أو الشيطان مع أن البعض منهم المعافى من لم يراه أحد ومع كل ذلك حسدوني، على ماذا حسدوك على أخلاقك السيئة أم حظك الوافر من جهنم التي سوف تحصدتها من جراء سوء الأخلاق وعقوق الوالدين أو غير ذلك.

وأما الشيطان فإن الله تعالى يقول (ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه وهم به مشركون) فيواليه العبد بأخلاقه الرديئة ونواياه التي تهد لها الجبال الراسيات وبالحدق والأثانية وإلا فالكلب لا ينتظر من الحداد بل ينتظر من القصاب لعله يحظى بجيفة أو عظمة أو غير ذلك.

فلو طهرنا أنفسنا لما كان للشيطان سلطان علينا ولهذا فهو يغوينا بالأمور المالية والأطعمة والأشربة ولكن لا يراودنا لشرب البول و أكل الغائط وذلك لعدم الشهوة في ذلك ولو كانت هناك شهوة تأتي المرادة منه بلا شك.

نعم نحن لا ننكر الحسد والشيطان لكن ليس بهذا الحجم المبالغ فيه ثم أن الإنسان قد يأتي بأفعال لم يقدر عليها حتى الشيطان فهل الشيطان الذي صنع القنبلة الذرية أم الإنسان؟ فالشيطان مهما علا مكره لن يبلغ مدارك الإنسان

العالية - ولهذا يقول الله تعالى فيه أنه ذو كيد ضعيف لكن الإنسان - كالرجال - مكرهم لتزول منه الجبال وأما - النساء - كيدهن عظيم.  
وعليه أقول لأحبتنا لا تجعلوا لأفعالكم القبيحة مبررات لا يتبناها إلا من سخف عقله وضعفت همته.

وهناك أمور تخدر الإنسان عن الإصلاح كأفعال الخير وخدمة أهل البيت عليهم السلام فبدلاً أن تكون هذه عوامل لتطهير النفس جعلها البعض لتخدير النفس وهذا أمر شائع مع بالغ الأسف.  
مع أننا نجد أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم وتذرعهم ما يخالف الذي نحن عليه من الدعوة أسأل الله أن يوفقنا جميعاً للإصلاح آخرتنا أنه مجيب الدعاء.

### العقل أساس السعادة

نعلم جيداً أيها الأخوة أن هناك حيوانات تعيش في أجواء جميلة جداً لم تنعم بالسعادة وذلك لأنها لم تمنح جهاز الاستلام - التفاعلي مع الواقع الخارجي - وهو العقل.

فالعقل الكامل هو الذي يمنح السعادة الكاملة وكلما نقص منه شيء نقص من مقدار السعادة بقدر ما نقص منه إذ لو كانت هذه ممنوحة العقل لالت السعادة فيما تعيشه ولو في جوها الغرائزي ولا بد لك أن تعلم جيداً أن العقل يمثل جهاز استلام السعادة حتى في الغرائز نفسها.

فالذي يمارس شهواته مع العقل لم يكن حاله كفاقدته فهما ليسا على حد سواء بل العاقل يسعد في غرائزه وشهواته المقننة على وفق نظام العقل ويحول هذا البرنامج إلى أمور يسعد الإنسان حتى أنه ليسعد بالقليل من الممارسات الغرائزية والشهوانية أكثر بكثير ممن أطلق عنان الشهوات ولم يكن ثمة عقل عنده.

ولذا فإن فاقد العقل الشرعي الذي تكلمنا عنه في هذا السفر في هذه الدنيا كالحمار في أعظم طبيعة فلا يرى ما تراه ولا ينعم بما تتوقع أنه ينعم به فنحن نتمنى

لو كنا خدما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لننعم به وبفضائله والتبرك في جواره ولكن هناك من عاشر النبي والتصق به إلا أنه ألم النبي آلاما عظيمة وكذلك النبي لوط عليه السلام إذ لو كان هناك عقل لسعدوا لكن سعد البعيد بعقله وشقى القريب بجهله.

وهكذا البعض يتمنى لو عاش مع العالم الفلاني لينال منه الخير والفضيلة ولكن يا ترى أن الذي عاش معه هل حصل السعادة التي تتوخواها أنت.

### لا افتخار إلا بالعقل

بحسب العادة أن عامة الناس يفتخر أحدهما على الآخر والتفاخر تكلمنا عنه فإنه نقص في الدين بل في الدنيا أيضا لأننا ذكرنا مرارا أن جميع الرذائل كما هي آفة الدين كذلك هي آفة الدنيا وإن الفضائل تتحقق عمارتهما بهما معا. فالبعض يزدد مالا والآخر جاها والثالث منصبا وإلى غير ذلك لأجل أن يفتخر على الناس.

وهنا نقول ليعلم أن الذي يعمر الدنيا بالجهل لا ينتفع بها حاله حال الأعمى الذي يزخرف بيته وأروقته وهو فاقد للبصر فلا يستمتع به سوى ما يقال له من أنه جميل.

ولهذا بينا أن العقل آلة استشعار النعم الحقيقية والحاسة الأوحدية لتحقيق السعادة ونيلها وإلا فقد ملك الكثير من الناس من المال وغيره إلا أنه لم تجد أنهم حققوا شيئا من السعادة وأما من حصل العقل واتزر بآثاره وتسربل بعطاياه فإنه حقق السعادة مع القلة والذلة وفي يوم من الأيام كان أمير المؤمنين يجلس عنده رجلان فافتخر أحدهما على الآخر (أنا وأنا)

قال عليه السلام:- أتفتخران بأجساد بالية وأرواح في النار؟

ثم بين عليه السلام ما يمكن أن يفتخر به...

قال: - إن يكن لك عقل فإن لك خلقا وإن يكن لك تقوى فإن لك كرما  
وإلا فالحمار خير منك ولست بخير من أحد<sup>(١)</sup>.  
نعم وهذا فعلا ما يحسن أن يفتخر به قد بين معيار الإنسان السوي في الحياة  
وإلا ففي حال كونه فاقدا له فالحمار أفضل منه.  
وهذا الكلام الواجب ألا نمر عليه من الكرام لنقرأ غيره وندعه ولا نفكر به  
أياما بل شهورا ونسأل أنفسنا هل حققنا هذا الميزان في أنفسنا أم لا، أي بمعنى اذا  
لم يتحقق ذلك سوف تكون النتيجة ما قاله عليه السلام....  
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: -إذا رأيتم الرجل كثير  
الصلاة وكثير الصيام فلا تباهاوا به حتى تنظروا كيف عقله<sup>(٢)</sup>.  
ولقد تمّ الكتاب بحمد الله فنسأل من العلي القدير ان يجعل البركة في المقال  
ويجعله من خير الفعال وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) علل الشرايع ج ٢ ص ٥٣٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٦.

## الفهرست

### فهرست الجزء الاول

٥	سؤال.....
٦	المقدمة.....
٨	فصل.....
٨	في بيان أهمية العقل في الكتاب والسنة.....
١٣	فائدة.....
١٥	وأما السنة:-.....
٣٨	وأما الوجدان:-.....
٣٨	وأما السيرة:-.....
٣٩	فصل في بيان حقيقة العقل.....
٣٩	بعض التعاريف التي عرف بها العقل:-.....
٤٨	مصطلحات أخرى للعقل.....
٤٩	فصل في بيان العقول العشرة.....
٥٠	تنبيه.....
٥١	العقل هو الحد الفاصل.....
٥٣	هل الكرامات دليل العقل.....
٥٤	فصل في بيان أن العقل غير العلم.....
٥٧	العقل غير العبادة.....
٥٧	الشيطنة غير العقل.....
٥٧	هل للعقل قوة؟؟.....
٥٩	فصل في بيان بعض ثمار العقل.....
٦٤	فصل في بيان علامة العاقل.....

- ٦٨..... صفة العاقل أن يحلم:-
- ٦٨..... إذا حدثته لا يجترئ عليك:-
- ٦٩..... العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه:-
- ٧١..... العاقل من كان ذلولاً:-
- ٧٢..... قيل ما العقل؟
- ٧٣..... علامة العاقل ثلاث:-
- ٧٤..... العاقل من يضع الشيء مواضعه:-
- ٧٥..... فصل في بيان طرق استكشاف العقل
- ٧٧..... أبرز الطرق للاستكشاف:-
- ٧٩..... في ستة أشياء يكون الاختبار:-
- ٨٠..... فصل في بيان طرق تقوية العقل
- ٨١..... العلم:-
- ٨٢..... السفر:-
- ٨٣..... مجالسة العلماء:-
- ٨٥..... عوامل أخرى:-
- ٨٥..... الفكر:-
- ٨٦..... التجارة:-
- ٨٦..... فصل في بيان آفات العقل
- ٨٦..... المزاح:-
- ٨٧..... سكر العقل في أمور:-
- ٨٨..... من سلط ثلاث على ثلاث:-
- ٨٩..... الفات نظر:-
- ٩٠..... الاستماع لذوي العقول:-
- ٩١..... ترك الطمع:-

## العقل اساس الدين ..... (٥٤٧)

- ٩٢ ..... فصل في بيان ان العقل أساس الدين والأدب أساس العقل
- ٩٤ ..... إكمال العقل وتمامه:-
- ٩٦ ..... وأما علامة تمامه وكماله:-
- ٩٧ ..... اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا
- ١٠٢ ..... شرح إجمالي لبعض فقرات الحديث
- ١٠٥ ..... أقول:-
- ١٠٥ ..... نكتة لطيفة:-
- ١١٣ ..... الجزء الثاني
- ١١٣ ..... في
- ١١٣ ..... شرح جنود العقل والجهل
- ١١٥ ..... المقدمة
- ١١٥ ..... قبل البدء فاعلم
- ١١٧ ..... الجنود
- ١١٧ ..... الخير وضده الشر
- ١١٧ ..... أقول:-
- ١١٩ ..... أقول أيضا:-
- ١٢٢ ..... الإيمان وضده الكفر
- ١٢٣ ..... إشراقه:-
- ١٢٥ ..... طرق تحصيل الإيمان
- ويذكر لذلك أذكار كثيرة يواظب عليها الإنسان تعينه على تحصيل الإيمان:-
- ١٢٨ .....
- ١٣١ ..... فائدة في بيان بعض المعالجات الكلية
- ١٣٤ ..... التصديق وضده الجحود
- ١٣٥ ..... الطريق للحصول على التصديق

- ١٣٩..... تنبيه:-
- ١٤١..... أشد الطرق تأثيرا:-
- ١٤٢..... الرجاء وضده القنوط
- ١٤٥..... الغرور:-
- ١٥٠..... خلاصة:-
- ١٥٢..... الخوف والرجاء:-
- ١٥٥..... فالخلاصة:-
- ١٥٦..... تنبيه عام:-
- ١٥٩..... العدل وضده الجور
- ١٦٣..... طرق تحصيل العدالة:-
- ١٦٩..... تنبيه:-
- ١٨١..... توجيه:-
- ١٨٢..... من مخاطر الوهم:-
- ١٨٣..... الرضا وضده السخط
- ١٨٤..... تحقيق الرضا في النفس:-
- ١٨٧..... دور البلاء في إيجاد الفضائل
- ١٨٨..... جولة في أنوار أهل البيت عليهم السلام
- ١٩٠..... اشراقه
- ١٩١..... أهل الرضا هم أهل السعادة
- ١٩٣..... أفضل عوامل السعادة
- ١٩٤..... طريق لتحصيل الرضا
- ١٩٥..... الرضا بأفعال الحق تعالى
- ١٩٦..... جولة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام
- ١٩٧..... الشكر وضده الكفران

العقل اساس الدين ..... (٥٤٩)

- ١٩٩ ..... مراتب الشكر ومقاماته
- ١٩٩ ..... الشكر له أركان ونحن ذاكرون أهمها:-
- ٢٠١..... تأدية الشكر.....
- ٢٠٦..... كيف بتحصيل الشكر.....
- ٢٠٩..... الطمع وضده اليأس.....
- ٢١١..... الطمع.....
- ٢١٤..... الصورة الغيبية للطمع.....
- ٢١٥..... التوكل وضده الحرص.....
- ٢١٧..... معنى التوكل.....
- ٢٢٠..... تحصيل التوكل.....
- ٢٢٢..... لا تيأس.....
- ٢٢٣..... التوكل لا ينافي الطلب والسعي.....
- ٢٢٥..... السبب الغيبي والسبب الطبيعي (المادي):.....
- ٢٢٥..... جولة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.....
- ٢٢٥..... التوكل مجلبة للعز والغنى:-.....
- ٢٢٦..... يوجب الكفاية:-.....
- ٢٢٦..... محل للفيوضات الإلهية والمنن الربانية:-.....
- ٢٢٧..... علامة أقوى الناس:-.....
- ٢٢٨..... ينظر الله إلى نية العبد:-.....
- ٢٢٩..... الرأفة وضدها القسوة.....
- ٢٣١..... معنى الرأفة:-.....
- ٢٣١..... تأثيراتها.....
- ٢٣٢..... ضد الرأفة القسوة.....
- ٢٣٣..... مقسيات القلب.....

- ٢٣٣ ..... النظر إلى البخيل:-
- ٢٣٣ ..... خمس تقسي القلب:-
- ٢٣٤ ..... حب الراحة:-
- ٢٣٤ ..... ثلاثة يقسين القلب:-
- ٢٣٤ ..... الجزارة (القصابة) تقسي القلب:-
- ٢٣٥ ..... كثرة الطعام:-
- ٢٣٥ ..... طول الأمل:-
- ٢٣٥ ..... الجلوس مع الأندال:-
- ٢٣٥ ..... الغفلة:-
- ٢٣٥ ..... ترك ذكر الله عز وجل:-
- ٢٣٦ ..... كثرة الذنوب:-
- ٢٣٦ ..... كثرة الكلام:-
- ٢٣٦ ..... كثرة المال:-
- ٢٣٦ ..... خمسة تقسي القلب أيضا:-
- ٢٣٧ ..... مرققات القلب
- ٢٣٧ ..... قراءة أحاديث أهل البيت عليهم السلام:-
- ٢٣٧ ..... خمسة تنور القلب:-
- ٢٣٧ ..... وخمسة تذهب بالقساوة أيضا:-
- ٢٣٨ ..... رؤية العالم:-
- ٢٣٨ ..... البكاء:-
- ٢٣٩ ..... ماذا يكون لو تقى القلب؟
- ٢٤١ ..... الرحمة وضدها الغضب
- ٢٤٤ ..... العلم وضده الجهل
- ٢٤٦ ..... مدح العلم

- أفضل العلوم ..... ٢٤٩
- أهم ما يرتكز عليه العلم ..... ٢٥٢
- للعلم ركائز مهمة:- ..... ٢٥٢
- الجهل سلاح السلاطين ..... ٢٥٣
- الفهم وضده الحمق ..... ٢٥٤
- من حماقة:- ..... ٢٥٥
- العفة وضدها التهتك ..... ٢٥٥
- أفضل العفة:- ..... ٢٥٧
- نصيحة للشباب ..... ٢٥٩
- أهل التوبة هم الأبطال ..... ٢٥٩
- الزهد وضده الرغبة ..... ٢٦٠
- نيل الدنيا لا ينافي الزهد فيها:- ..... ٢٦٢
- كرامة الزاهدين عند الله تعالى:- ..... ٢٦٤
- الرفق وضده الخرق ..... ٢٦٥
- الرفق مع الأعداء:- ..... ٢٦٨
- الرفق جندي من جنود العقل ..... ٢٦٨
- أفضل الرفق ..... ٢٦٩
- الرغبة وضدها الجرأة ..... ٢٧٠
- التواضع وضده الكبر ..... ٢٧٢
- تحصيل التواضع:- ..... ٢٧٥
- ومن طرق كسب التواضع:- ..... ٢٧٧
- التواضع مذموم في موارد:- ..... ٢٧٨
- التؤده وضدها التسرع ..... ٢٧٨
- الأناة من الله:- ..... ٢٧٩

- ٢٧٩ ..... للأعمال أوقات:-
- ٢٨٠ ..... لكل شيء أجل:-
- ٢٨٠ ..... بركة العجلة:-
- ٢٨١ ..... التفاتة:-
- ٢٨١ ..... الحلم وضده السفه
- ٢٨٢ ..... فضيلته في الأخبار:-
- ٢٨٢ ..... حضور الملكين:-
- ٢٨٣ ..... بعض مكاسب الحلم:-
- ٢٨٤ ..... النظرية والتطبيق
- ٢٨٥ ..... الصمت وضده الهذر
- ٢٨٨ ..... للكلام شهوة لا بد من إخمادها:-
- ٢٨٨ ..... صمت العلماء:-
- ٢٨٩ ..... الصمت إلا عن خير
- ٢٩٠ ..... الاستسلام وضده الاستكبار
- ٢٩١ ..... الاستكبار:-
- ٢٩٢ ..... التسليم وضده الشك
- ٢٩٤ ..... التسليم والرضا:-
- ٢٩٥ ..... أقسام التسليم:-
- ٢٩٦ ..... دور العقل في تصحيح المفاهيم الخاطئة
- ٢٩٧ ..... الصبر وضده الجزع
- ٣٠١ ..... طرق تحصيل الصبر
- ٣٠٢ ..... طاقات النفس الكامنة
- ٣٠٣ ..... الصفح وضده الانتقام
- ٣٠٦ ..... الصفح حتى مع الكافرين:-

- ٣٠٦..... الصبر على أهل الخيانة:-
- ٣٠٧ ..... نصح:-
- ٣٠٨ ..... العقوبة على عدم التسليم:-
- ٣٠٩..... الغنى وضده الفقر
- ٣١٢..... تذكرة.....
- ٣١٣ ..... التذكر وضده السهو
- ٣١٥..... كيفية الحصول على التذكر:-
- ٣١٦..... أين نجد الموعدة.....
- ٣١٧ ..... الحفظ وضده النسيان
- ٣١٨ ..... الأعمال الظاهرية ومقام الغيب:-
- ٣١٩..... ما يورث النسيان:-
- ٣١٩..... ما يورث الحفظ:-
- ٣٢٠..... التعطف وضده القطيعة
- ٣٢١..... نوع التواصل:-
- ٣٢٢ ..... قطع الأعذار:-
- ٣٢٢ ..... آثار قطيعة الرحم:-
- ٣٢٣ ..... آثار صلة الرحم:-
- ٣٢٤ ..... هجر الأخوان:-
- ٣٢٥ ..... القنوع وضده الحرص
- ٣٢٧..... كيفية الخلاص منه:-
- ٣٢٧..... حبس الجنود في مرحلة المفهوم
- ٣٢٨..... المواساة وضدها المنع
- ٣٣٠..... المواساة ترفع العذاب ولو عزم عزمًا:-
- ٣٣٣ ..... المواساة أنسجة المجتمع:-

- المودة وضدها العداوة ..... ٣٣٤
- دور العاطفة في الحياة:- ..... ٣٣٦
- لم كل هذا العداة..... ٣٣٧
- ونصيحتي إلى نفسي وأخوتي:- ..... ٣٣٧
- من أحب شيئاً أحب فعله وآثاره:- ..... ٣٣٨
- الوفاء وضده الغدر ..... ٣٣٨
- اسمع قول إمامك:- ..... ٣٤٠
- يجب أن تفني للجميع:- ..... ٣٤٠
- وعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:- ..... ٣٤١
- دور الأخلاق في حفظ المعاهدات:- ..... ٣٤١
- الطاعة وضدها المعصية ..... ٣٤٤
- وترتكز الطاعة على عدة ركائز:- ..... ٣٤٥
- بارقة أمل:- ..... ٣٤٦
- الخضوع وضده التناول ..... ٣٤٧
- نصيحة للأحبة:- ..... ٣٤٨
- المتناول في وحشة ليس لها نظير ..... ٣٤٩
- قبول المجتمع أحد أنواع الإغراء ..... ٣٥١
- السلامة وضدها البلاء ..... ٣٥٢
- أسأل الله لنا ولكم:- ..... ٣٥٤
- أشد الناس بلاء ..... ٣٥٥
- بلاء هذا الزمان ..... ٣٥٥
- العلاقة بين المحن الدنيوية والعبادات ..... ٣٥٦
- الحب وضده البغض ..... ٣٥٧
- حب الله فرض لا بد من إقامته:- ..... ٣٥٩

- ٣٦٠..... حبوا الأشياء جميعا لأنها أفعال الله تعالى
- ٣٦٠..... إصلاح النفس لأجل الحياة
- ٣٦١..... طرق تحصيل الحب الإلهي:-
- ٣٦٣..... الصدق وضده الكذب
- ٣٦٤..... كيف حصول الصدق:-
- ٣٦٥..... مشكلة تعترض الصادقين
- ٣٦٥..... تعالي درجات الصدق:-
- ٣٦٦..... الحق وضده الباطل
- ٣٦٧..... بم يتمثل الحق؟
- ٣٦٨..... معرفة الحق:-
- ٣٦٨..... ولكن أنى لكم ذلك:-
- ٣٧٠..... جنود الجهل حبال الشيطان
- ٣٧١..... الكثرة لا تمثل الحق:-
- ٣٧٣..... أعجب ما تمر به!!
- ٣٧٤..... الأمانة وضدها الخيانة
- ٣٧٤..... الخائن ليس من أهل البيت عليهم السلام:-
- ٣٧٦..... الأمانة ضرورة اجتماعية:-
- ٣٧٧..... نقطة انطلاق:-
- ٣٧٨..... الإخلاص وضده الشوب
- ٣٧٨..... فضيلته:-
- ٣٨٢..... الشهامة وضدها البلادة
- ٣٨٤..... أثر الأعمال الحسيسة:-
- ٣٨٤..... أجنحة الشهامة:-
- ٣٨٥..... الفهم وضده الغباوة

- ٣٨٦..... شبهة وردها:-
- ٣٨٧ ..... أطوار نمو العقل:-
- ٣٨٨ ..... العقل الجبان
- ٣٨٨ ..... أذرعة العقل
- ٣٨٩..... الغباء منطلق الشر.....
- ٣٩٠..... المعرفة وضدها الإنكار.....
- ٣٩١..... الإنكار:-
- ٣٩٣..... حادثة فيها موعظة:-
- ٣٩٥ ..... المداراة وضدها المكاشفة.....
- ٣٩٦..... سلامة الغيب وضدها المماكرة
- ٣٩٧..... اقتد بإمامك:-
- ٣٩٩ ..... سلامة الغيب:-
- ٣٩٩ ..... الكتمان وضده الإفشاء.....
- ٤٠١..... أهميته عند أهل البيت عليهم السلام:-
- ٤٠١..... أهمية الكتمان في السياسة.....
- ٤٠٢ ..... لا تقل كل ما تعرف.....
- ٤٠٣ ..... مراتب التطهير ثلاث:-
- ٤٠٤ ..... إشاعة الفاحشة.....
- ٤٠٥ ..... استر الفاحشة ما استطعت:-
- ٤٠٦..... تسلية المجروح.....
- ٤٠٧ ..... من أعجب ما يفعله المؤمنون!!
- ٤٠٨ ..... ضابطة الكتمان:-
- ٤٠٨ ..... من يمكن أن يسر:-
- ٤٠٨ ..... لا تطلع سرك لأناس:-

- ٤٠٩ ..... تذكرة لمن يجب إشاعة الفحشاء وذم الناس :-
- ٤٠٩ ..... الصلاة وضدها الإضاعة
- ٤١٠ ..... الاستخفاف بالصلاة :-
- ٤١٠ ..... حرمان الشفاعة :-
- ٤١٠ ..... وصية الموت :-
- ٤١١ ..... تخفيف الصلاة لأجل الحوائج :-
- ٤١٢ ..... وقت الصلاة :-
- ٤١٢ ..... جزاء من تهاون بصلاته :-
- ٤١٣ ..... دور العمل في ترسيخ المفاهيم :-
- ٤١٤ ..... الصوم وضده الإفطار
- ٤١٧ ..... شرائط الصوم الصحيح الذي هو جند من جنود العقل :-
- ٤١٧ ..... فوائد الصوم
- ٤١٩ ..... أضواء على دعاء الإمام السجاد عليه السلام
- ٤٢٠ ..... الجهاد وضده النكول
- ٤٢١ ..... الحج وضده نبذ الميثاق
- ٤٢٢ ..... حقيقة العبادات :-
- ٤٢٣ ..... الآداب المعنوية للحج :-
- ٤٢٩ ..... صدق الحديث وضده النميمة
- ٤٣١ ..... بواعث النميمة :-
- ٤٣٢ ..... بر الوالدين وضده العقوق
- ٤٣٤ ..... في الوالدين الذين لا يعرفان الحق :-
- ٤٣٥ ..... تطبيق عملي :-
- ٤٣٥ ..... الهيبة لهما :-
- ٤٣٥ ..... البر بهما :-

- ٤٣٦ ..... استقلال برهما مهما كثر في نظرك:-
- ٤٣٦ ..... قيامك من مجلسك عند الدخول:-
- ٤٣٧ ..... إذا غضبت لا تنظر إليهما:-
- ٤٣٨ ..... الحقيقة وضدها الرياء
- ٤٣٩ ..... الرياء يوجب الجهل والعزلة:-
- ٤٤٠ ..... لغة الرياء أقبح اللغات
- ٤٤١ ..... الرياء يداخل الجميع:-
- ٤٤٢ ..... عقاب المرآئي:-
- ٤٤٢ ..... أسف أهل البيت عليهم السلام:-
- ٤٤٣ ..... الرياء آفة الدنيا:-
- ٤٤٣ ..... المعروف وضده المنكر
- ٤٤٤ ..... الأخلاق السيئة منبوذة بالفطرة:-
- ٤٤٥ ..... أيها الأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر:-
- ٤٤٦ ..... الستر وضده التبرج
- ٤٤٧ ..... خطر السفور:-
- ٤٤٨ ..... التبرج قتل الإسلام
- ٤٤٨ ..... التقية وضدها الإذاعة
- ٤٥٠ ..... التقية في كل شيء ومع كل أحد:-
- ٤٥٢ ..... الإنصاف وضده الحمية
- ٤٥٣ ..... ميزان الإنصاف:-
- ٤٥٣ ..... الإنصاف عند أهل البيت:-
- ٤٥٣ ..... التكبر يحق العقل:-
- ٤٥٤ ..... التهيئة وضدها البغي
- ٤٥٤ ..... الطاعة لولاية الحق فطرية:-

- ٤٥٥ ..... النظافة وضدها القدر
- ٤٥٧ ..... النظافة مع البساطة في المكان والملبس:-
- ٤٥٨ ..... الحياء وضده الخلع
- ٤٥٨ ..... الحياء درع حصينة:-
- ٤٥٨ ..... الخلاعة أول قدم في طريق جهنم:-
- ٤٥٩ ..... نزول جبرائيل إلى الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله:-
- ٤٦٠ ..... الحياء لديومة الحياة:-
- ٤٦١ ..... ذهاب الحياء من الصبيان:-
- ٤٦٢ ..... أمور تذهب بالحياء بالنسبة للنساء:-
- ٤٦٢ ..... القصد وضده العصيان
- ٤٦٣ ..... التبعض في الدين:-
- ٤٦٤ ..... العصيان ينافي الحب:-
- ٤٦٥ ..... الراحة وضدها التعب
- ٤٦٧ ..... السهولة وضدها الصعوبة
- ٤٦٩ ..... الرفق واللين مع الجميع:-
- ٤٦٩ ..... السهولة تجلب الرزق:-
- ٤٦٩ ..... البركة وضدها المحق
- ٤٧١ ..... بعض التطبيقات التي تنفع في جلب البركة:-
- ٤٧١ ..... البركة جندي من جنود العقل
- ٤٧٢ ..... العافية وضدها البلاء
- ٤٧٣ ..... بلاء الدنيا
- ٤٧٤ ..... القوام وضده المكاثرة
- ٤٧٦ ..... الحكمة وضدها الهوى
- ٤٧٩ ..... الوقار وضده الخفة

- ٤٨٠..... الحفة آفة الدنيا:-
- ٤٨١..... مرابطة العقل:-
- ٤٨١..... السعادة وضدها الشقاوة.
- ٤٨٦..... التوبة وضدها الإصرار
- ٤٨٩..... فضل التوبة:-
- ٤٩٠..... التوبة إنعاش للقلب:-
- ٤٩١..... التسوية آفة التوبة:-
- ٤٩١..... اليأس آفة التوبة أيضا:-
- ٤٩٢..... التائب محترم
- ٤٩٤..... الاستغفار وضده الاغترار
- ٤٩٥..... طوائف المغرورين:-
- ٤٩٩..... التخلص من الغرور
- ٥٠٢..... المحافظة وضدها التهاون.
- ٥٠٣..... جنود التهاون:-
- ٥٠٣..... جنود المحافظة:-
- ٥٠٣..... عصر التهاون:-
- ٥٠٤..... الأحكام الشرعية والفطرة:-
- ٥٠٦..... الدعاء وضده الاستتكاف
- ٥٠٨..... منافع الدعاء:-
- ٥٠٩..... النشاط وضده الكسل
- ٥١٠..... الكسل آفة الدين والدنيا:-
- ٥١٢..... تولد الكسل:-
- ٥١٢..... هو الذي أفقر نفسه:-
- ٥١٣..... الكسل يجلب الهم:-

## العقل اساس الدين ..... (٥٦١)

- ٥١٣..... النشاط يصلح مملكة النفس:-
- ٥١٤..... العمل يعطي القيمة للمال:-
- ٥١٥..... الفرح وضده الحزن.....
- ٥١٧..... الفرح جندي من جنود العقل:-
- ٥١٨..... أقبح فرح:-
- ٥١٩..... الألفة وضدها الفرقة.....
- ٥٢٠..... العلم والتفرقة:-
- ٥٢١..... يد الله فوق أيديهم:-
- ٥٢١..... أنواع الألفة:-
- ٥٢٤..... أنواع الحب:-
- ٥٢٥..... السخاء وضده البخل.....
- ٥٢٧..... أغرب ما سمعت في حق البخيل:-
- ٥٢٧..... البخل:-
- ٥٢٨..... البخل لا ربط له بكثرة المال:-
- ٥٢٨..... لولا أهل السخاء لساخت الأرض بأهل البخل:-
- ٥٣٠..... لمن خلقت الجنة:-
- ٥٣٠..... اعلم أيها البخيل:-
- ٥٣١..... سخاء السامري:-
- ٥٣٢..... الانفصال الذاتي.....
- ٥٣٣..... قلوبنا قبور الحقائق.....
- ٥٣٤..... بلاء الناس من اثنين:-
- ٥٣٥..... حدود وظائف العقل.....
- ٥٣٦..... إيجاد الداعي.....
- ٥٣٧..... أفضل الدواعي.....

(٥٦٢) . . . العقل اساس الدين

٥٣٨	العقل والعاطفة
٥٤١	تحذير النهضة الإصلاحية في النفس
٥٤٢	العقل أساس السعادة
٥٤٣	لا افتخار إلا بالعقل
٥٤٥	الفهرست
٥٤٥	فهرست الجزء الاول